مكتبة

كِفاحي

الكتاب الثالث

مكتبة ٨٥٠

جَزيرَةُ الصِّبا

كارل أُوفِه كناوسغارد

ترجمة: الحارث النبهان

«ربما هو أهم مشروع أدبي في عصرنا»

راشيل كاسك - الغارديان

كارل أوفه كناوسغارد

كفاحي

الكتاب الثالث

جزيرة الصِّبا

مكتبة | 850
سُر مَن قرأ

الكتاب: كفاحي/ الكتاب الثالث: جزيرة الصبا
المؤلف: كارل أوفه كناوسغارد
ترجمة: الحارث النبهان
عدد الصفحات: 528 صفحة
الطبعة الأولى لدار التنوير : 2021
الترقيم الدولي: 978-614-472-178-0

مكتبة
t.me/t_pdf
١٤ ٦ ٢٠٢٢

هذه ترجمة مرخصة لكتاب
MIN KAMP. TREDJE BOK
تأليف: Karl Ove Knausgård

MIN KAMP. TREDJE BOK
Copyright © 2009, Forlaget Oktober as, Oslo
All rights reserved
This Arabic text has been translated from Don Bartlett's English translation
Boyhood Island of Karl Ove Knausgard's MIN KAMP. TREDJE BOK

جميع حقوق الطبعة العربية محفوظة لدار التنوير ©

دار التنوير للطباعة والنشر

مصر: القاهرة - جاردن سيتي 2 شارع فؤاد سراج الدين (السريا الكبرى سابقاً) - الدور الأرضي - شقة رقم 2
هاتف: 0020223921332
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com
تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com
لبنان: بيروت - بئر حسن - بناية قاسم فارس (سارة بنما) - الطابق السفلي
هاتف : 009611843340
بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
موقع إلكتروني: www.daraltanweer.com

N
NORLA The publication of this translation has been made possible through funding from NORLA, Norwegian Literature Abroad

كارل أوفه كناوسغارد

مكتبة | 850
سُر مَن قرأ

كِفاحي

الكتاب الثالث

جزيرة الصِّبا

ترجمة: الحارث النبهان

التنوير

مكتبة
t.me/t_pdf

يومٌ لطيف غائم من أيام شهر آب 1969. يسير باصٌ على طريق ضيّقة متعرّجة عند النهاية القصيّة لجزيرة في جنوب النرويج، طريقٌ بين الحدائق والصخور والغابات والمروج، تمضي صاعدةً هابطةً بين الوديان، وملتفّة عند منعطفات حادّة... تحفّ بها أشجار من الجانبين أحيانًا فتصير كأنها ماضيةٌ عبر نفقٍ، ويظهر البحر إلى الأمام مباشرة في أحيان أخرى. إنه واحد من باصات «شركة سفن أريندال البخارية»، مطلي بدرجتين مختلفتين من اللون البني، على غرار باصات الشركة كلّها. اجتاز الباص جسرًا، ثم مرّ بخليج؛ وبعد إعطاء إشارة ضوئية إلى جهة اليمين، توقّف الباص. انفتح الباب ونزلت منه أسرة صغيرة. أبٌ نحيلٌ، طويل القامة، في قميص أبيض، وبنطلون من نسيج صناعي، ومعه حقيبتان. وأم ترتدي معطفًا بلون بيج، ومنديلًا خفيفًا أزرق يغطي شعرها الطويل، ممسكةً عربة أطفال بإحدى يديها، ويد صبي صغير بيدها الأخرى. ظلّت غيمة الدخان الرمادية الصغيرة، الزيتية الرائحة، معلّقة في الهواء لحظة بينما كان الباص الذي أطلقها يغيب في البعيد.

قال الأب: «علينا أن نمشي مسافةً غير قصيرة».

قالت الأم وهي تنظر إلى الصبي: «هل تستطيع السير، يا إنغفِه؟».

أومأ الصبي برأسه: «أستطيع، طبعًا».

كان عمره أربع سنوات ونصف السنة؛ وكان شعره شديد الشقرة، يقارب البياض، وقد لوّحت الشمس جلده بعد صيف طويل. وكان أخوه الذي لا يكاد يبلغ ثمانية أشهر مستلقيًا في العربة، ينظر إلى السماء، ولا علم له بمكانهم أو وجهتهم. بدأوا السير بطيئًا صاعدين طريقًا مفروشةً بالحصى تناثرت فيها برك ماء كبيرة وصغيرة من ماء المطر. حقول على الجانبين. وفي نهاية منبسط من الأرض قد يبلغ طوله خمسمائة متر، تبدأ الغابة

المنحدرة صوب الشاطئ الحجري. لم تكن الأشجار منتصبة، وكأنَّ الريح التي تهبّ من البحر قد أمالتها.

بيت مبنيٌّ حديثًا إلى جهة اليمين؛ وما من مبانٍ أخرى تظهر. كانت النوابض الكبيرة في عربة الطفل تصدر صريرًا. سرعان ما أغمض الصغير عينيه ونام مستسلمًا لتأرجح العربة اللذيذ. وضع الأب إحدى الحقيبتين على الأرض لكي يمسح العرق عن حاجبه. كان شعره قصيرًا، داكن اللون، وله لحية سوداء كثيفة.

قال: «يا إلهي ما أشد الرطوبة!».

أجابته الأم: «صحيح. لكن الجو قد يكون أكثر لطفًا على مقربة من البحر».

قال وهو يحمل الحقيبة من جديد: «فلنأمل هذا».

أسرة عادية من جميع النواحي: أبوان شابّان مثلما كان الآباء والأمهات جميعًا في تلك الأيام. وطفلان، مثلما كانت كل عائلة -تقريبًا- في تلك الأيام. أسرة انتقلت من أوسلو حيث قطنت خمس سنين في بوابة سيريسز القريبة من ملعب بيسليت المحاذي لجزيرة ترومويا حيث كان بيت جديد قيد الإنشاء من أجلهم في واحدة من المناطق السكنية هناك. وخلال فترة انتظار اكتمال العمل في البيت، سيقيمون في بيت قديم مستأجَر في مركز هوفه للعطلات. كان يدرّس الإنجليزية والنرويجية في أوسلو نهارًا، ويعمل حارسًا في الليل. وأما هي فقد انتسبت إلى كلية أوليفول للتمريض. وعلى الرغم من عدم إنهائه دراسته في أوسلو، فقد تقدّم إلى وظيفة معلم مدرسة متوسطة في روليدن سكوله، فقبلوه. وسوف تعمل زوجته في عيادة كوكبلاسن النفسية. لقد التقيا في كريستانساند عندما كانا في السابعة عشرة، ثم حملت عندما كانا في التاسعة عشرة، ثم تزوَّجا عندما كانا في العشرين في مزرعة صغيرة في فستلاند حيث ترعرعت. لم يحضر حفل الزفاف أحد من عائلته؛ وعلى الرغم من ظهوره مبتسمًا في الصور كلها، فقد كانت تحيط به هالة من الوحدة تجعل المرء يدرك أنه لا يشعر بأنه واحد من أولئك

الناس الذين من حوله... إخوتها وأخواتها، وأعمامها وعماتها، وأخوالها وخالاتها، وأبناؤهم وبناتهم.

هما الآن في الرابعة والعشرين، وحياتهما الحقيقية ممتدة أمامهما. وظيفتان لهما، بيت لهما، وطفلان لهما. إنهما معًا. ولهما أيضًا ذلك المستقبل الذي في اتجاهه يمضيان.

أو... هل كان المستقبل لهما حقًا؟

لقد وُلدا في السنة نفسها، 1944. وكانا جزءًا من الجيل الأول بعد الحرب، ذلك الجيل الذي كان شيئًا جديدًا من نواحٍ كثيرة. لم يقتصر سبب ذلك على كونه أول جيل في البلاد يعيش ضمن مجتمع مخطّط إلى حدٍّ بعيد. لقد كان عقد الخمسينيات زمن نشوء الأنظمة - النظام المدرسي، والنظام الصحي، والنظام الاجتماعي، ونظام النقل والمواصلات، وكذلك نظام الخدمات والإدارات العامة ضمن مركزةٍ واسعة النطاق غيّرت نمط الحياة الذي عاشوه خلال زمن قصير إلى حدٍّ مفاجئ. كان أبوها، المولود في أوائل القرن العشرين، من المزرعة نفسها التي ترعرعت فيها؛ مزرعة في سيربيفوغ، ناحية إترِ سونغ؛ ولم يكن متعلّمًا أبدًا. وكان جدّها من واحدة من الجزر النائية، البعيدة عن الساحل، مثلما كان أبوه وجده من قبله. وكانت أمها من مزرعة في يولستِر، على مسافة مئة كيلومتر من هذه الجزيرة؛ ولم تكن متعلّمة بدورها، وأما عائلتها، فقد كان ممكنًا تتبّع نسَبها رجوعًا حتى القرن السادس عشر. كانت عائلته ذات مكانة أعلى على السلم الاجتماعي لأن والده وأعمامه كانوا متعلّمين. لكنّهم، كغيرهم، عاشوا في المكان نفسه الذي عاش فيه أهلهم، أي كريستيانساند. وكانت أمه، غير المتعلّمة، من منطقة أوسغورسترند حيث كان أبوها ربّان سفينة؛ وكان في عائلتها عدد من رجال الشرطة. انتقلت أمه للعيش مع أبيه في مسقط رأسه بعد تعارفهما مثلما كانت العادات آنذاك.

كان التغيّر الذي حدث في عقدَيّ الخمسينيات والستينيات ثورة، لكن من غير ما يكون في الثورات عادة من عنف ولا عقلانية. لم يقتصر الأمر

على بدء ذهاب أبناء وبنات الصيادين وصغار الفلاحين وأصحاب المتاجر إلى الجامعات والدراسة فيها لكي يصيروا معلمين واختصاصيين نفسيين ومؤرّخين وعمالًا اجتماعيين، بل إن أكثرهم بدأ يسكن في أماكن بعيدة عن مناطق عيش عائلاتهم. إن إقدامهم على تلك الأمور كلّها كأنها أمور عادية يقول الشيء الكثير عن قوة روح العصر. صحيح أن روح العصر تأتي من الخارج، لكن عملها يكون داخليًا. إنها تمارس تأثيرها على كل إنسان، لكن هذا لا يعني أن ذلك الأثر يكون واحدًا على الجميع. كان أمرًا سخيفًا في نظر امرأة شابة في عقد الستينيات أن تتزوج رجلًا من واحدة من المزارع المجاورة وتمضي بقية حياتها هناك. لقد أرادت الخروج، وأرادت أن تكون لها حياة خاصّة بها. يصح قول الشيء نفسه على إخوتها وأخواتها؛ وهكذا كان الأمر في بقية العائلات على امتداد البلاد كلها. لكن، لماذا أرادوا فعل ذلك، ومن أين أتتهم هذه الرغبة الشديدة في فعله؟ بل... من أين أتت هذه الأفكار الجديدة كلّها؟ لم تكن في عائلتها أية تقاليد من هذا النوع: كان عمها، ماغنوس، الشخص الوحيد الذي ترك تلك الناحية وذهب إلى أميركا هربًا من الفقر في النرويج. لكن الحياة التي عاشها هناك ظلّت، على امتداد سنين كثيرة، غير مختلفة عن حياته التي كان يعيشها في فستلاند. إلا أن الأمر كان مختلفًا بالنسبة إلى الأب الشاب في الستينيات: يُنتظر من المرء في عائلته أن يتعلّم، مع أنه ليس منتَظرًا منه بالضرورة أن يتزوّج ابنة مزارع من فستلاند ويستقرّ عيشه في مزرعة قريبة من بلدة صغيرة في سورلاند. لكنهم كانوا هناك، سائرين في ذلك النهار الحار الغائم في شهر آب من سنة 1969، متجهين إلى بيتهم الجديد: هو يحمل بصعوبة حقيبتين ثقيلتين محشوَّتين بملابس الستينيات، وهي تدفع عربة من الستينيات فيها طفل عليه ملابس الأطفال في الستينيات بكل ما لها من حواشٍ من الدانتيلا في كل مكان. وبينهما يسير ابنهما البكر إنغفِه متمايلًا، سعيدًا، مستثارًا، مترقّبًا. مضوا عبر تلك الأرض المنبسطة واجتازوا بضعة صفوف من أشجار الغابة حتى وصلوا إلى بوابة مفتوحة تفضي إلى مركز العطلات الضخم. إلى يمينهم كراج سيارات يملكه

شخص اسمه فالدسن؛ وإلى يسارهم بيوت كبيرة حمراء اللون مصطفّة من حول مساحة مفتوحة مفروشة بالحصى؛ ومن خلفها غابة صنوبر.

تقع كنيسة ترومويا على مسافة كيلومتر واحد إلى جهة الشرق. كنيسة حجرية مبنية في سنة 1150م.، لكن بعض أجزائها أقدم عهدًا. لعلّها واحدة من أقدم الكنائس في البلاد. الكنيسة مبنية فوق رابية صغيرة؛ وقد كانت السفن العابرة تستخدمها -منذ زمن بعيد جدًا- كعلامة بريّة (منارة)، فضلًا عن ظهورها في الخرائط الملاحية. وفي جزيرة ماردو الصغيرة في الأرخبيل البعيد عن الساحل، كان هناك «بيتُ بحّارة»، مكانُ إقامةٍ كان شاهدًا على العصر الذهبي الذي عاشته تلك المنطقة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أيام ازدهار التّجارة مع بقية العالم، وخاصة تجارة الأخشاب. كان تلامذة المدارس يأتون في رحلات إلى متحف آوست - آغبدِ حيث يُريهم المعلّمون مصنوعات هولندية وصينية يعود تاريخها إلى ذلك الزمان، بل حتى إلى أزمنة قبله. وفي ترومويا كانت هناك نباتات غريبة نادرة أتت مع السفن. ويتعلّم المرء في المدرسة أن ترومويا كانت أول مكان في النرويج بدأت فيه زراعة البطاطس. يرد ذكر هذه الجزيرة مرات كثيرة في ملاحم ملوك النرويج التي كتبها الآيسلندي سنوري. وفي تربتها، في المروج والحقول، ترقد رؤوس سهام من العصر الحجري، ويستطيع المرء أن يعثر على أحافير كثيرة بين الصخور المدوّرة على الشواطئ الحجرية الطويلة.

ومع سَير الأسرة الصغيرة الوافدة سيرًا بطيئًا عبر ذلك المشهد المفتوح حاملة كل ما لديها من أمتعة، لم يكن القرن العاشر، ولا الثالث عشر، ولا السابع عشر، ولا التاسع عشر، ما يطبع المكان بطابعه؛ بل هي الحرب العالمية الثانية. لقد كانت القوات الألمانية تستخدم هذه المنطقة؛ وقد بنت فيها ثكنات وعددًا كبيرًا من هذه البيوت. وفي الغابات المحيطة، هناك معاقل محصَّنة واطئة لا تزال سليمة تمامًا. ولا تزال مرابض مدفعية كثيرة قائمة على قمم المنحدرات عند الشواطئ. بل كان في تلك المنطقةِ أيضًا مهبط قديم للطائرات.

كان البيت الذي سيعيشون فيه على امتداد السنة التالية، بيتًا معزولًا قائمًا وسط الغابة. بيتٌ أحمر اللون له إطارات نوافذ بيضاء. ومن جهة البحر الذي ما كان مرئيًا على الرغم من أنه لا يبعد إلا بضع مئات من الأمتار، أسفل المنحدر، كان مسموعًا صوت تكسّر الأمواج المنتظم. وكانت في المكان رائحة الغابة والماء المالح.

وضع الأب حقيبتيه، ثم أخرج المفتاح وفتح الباب. في الداخل صالة ومطبخ، وغرفة معيشة فيها موقد يعمل بالحطب، فضلًا عن حمام فيه مرحاض، وثلاث غرف نوم في الطابق السفلي. لم تكن جدران البيت معزولة؛ ولم يكن المطبخ مجهّزًا إلا في الحدود الدنيا. لا هاتف، ولا غسالة، ولا آلة غسل أطباق، ولا جهاز تلفزيون.

حمل الأب الحقيبتين واتجه إلى غرفة النوم وهو يقول، «حسنًا، ها نحن هنا الآن هنا»؛ في حين كان إنغفِه يجري من نافذة إلى أخرى وينظر إلى الخارج، وكانت الأم لا تزال واقفة عند الباب مع الطفل الصغير النائم في عربته.

بالطبع، لست أتذكّر شيئًا من هذا كلّه. ومن المستحيل استحالة مطلقة أن أرى نفسي في ذلك الطفل الرضيع الذي التقط أبي وأمي صورًا له؛ بل إن هذا مستحيل إلى درجة يبدو معها أمرًا خاطئًا استخدام كلمة «أنا» في وصف ذلك الراقد على طاولة تبديل الحفاضات ذي الجلد المحمرّ احمرارًا غير معتادٍ، ذلك الذي أراه باسطًا ذراعيه وساقيه وقد شوّه وجهه بكاء لا يستطيع أحدٌ تحديد سببه، أو ذلك المستلقي على سجّادة من جلد الخرفان موضوعة على الأرض مرتديًا بيجاما بيضاء ولا يزال وجهه محمرًا وعيناه الكبيرتان الداكنتان متقلّصتين قليلًا. فهل يكون هذا المخلوق هو الشخص نفسه الجالس هنا يكتب في مالمو؟ وهل يكون المخلوق البالغ عمره أربعين عامًا، الذي يكتب وهو جالس في مالمو في هذا اليوم الغائم من أيام شهر أيلول، في غرفة يملأها هدير السيارات المتواصل الآتي من الخارج، وتصفر فيها ريح الخريف عبر نظام التهوية العتيق، هو العجوز الشائب نفسه

الذي قد يكون، بعد أربعين سنة من الآن، في بيت للمسنين في مكان ما في الغابات السويدية، جالسًا وهو يرتعش ويسيل لعابه على ذقنه؟ هذا إذا لم نقل شيئًا عن الجثة التي سيضعونها يومًا ما على طاولة في مستودع للجثث في غرفة بمستشفى؟ هل سيكون أولئك جميعًا هم الشخص الذي اسمه كارل أوفِه؟ أوَليس مما لا يصدق حقًّا أن يحيط اسم بسيط واحد بأولئك الناس جميعًا؟ الجنين الذي في البطن، والرضيع الذي على طاولة تبديل الحفاضات، والأربعيني أمام كمبيوتره، والعجوز في كرسيه، والجثة على الطاولة؟ ألا يكون أمرًا طبيعيًا أن يمتلك أسماء كثيرة لأن هويات تلك الشخصيات، وإدراك كل منها لنفسها، مختلف هذا الاختلاف كله؟ هكذا، يمكن أن يكون اسم الجنين جيمس أوفه، والرضيع نيلز أوفه، والولد بين الخامسة والعاشرة بير أوفه، والفتى بين العاشرة والثانية عشرة غيّير أوفه، وبين الثالثة والسابعة عشرة كورت أوفه، وبين السابعة عشرة والثالثة والعشرين جون أوفه، وبين الثالثة والعشرين والثانية والثلاثين تور أوفه، وبين الثانية والثلاثين والأربعين كارل أوفِه - وهكذا دواليك؟ عندها، ستمثّل الكلمة الأولى من اسمه الثلاثي شيئًا يميّز كل مرحلة من مراحل عمره، ويكون الاسم الأوسط رمزًا لاستمراريته وتواصله، والاسم الأخير يكون إشارة إلى نسبته العائلية.

لا، لست أذكر شيئًا من هذا، بل إنني لا أعرف البيت الذي عشنا فيه، مع أن أبي دلّني عليه ذات مرة. كل ما أعرفه عن ذلك الزمن هو ما قالاه لي أبي وأمي أو ما استنتجته من الصور. بلغ ارتفاع الثلج في ذلك الشتاء عدة أمتار (كما يكون الثلج في سورلاند)؛ وكان الطريق المفضي إلى البيت أشبه بوادٍ ضيّق. وها هو إنغفِه يجرّ عربة أجلس فوقها... ها هو بزلاجتيه القصيرتين مبتسمًا للمصوِّر. وفي داخل البيت، ها هو يشير إليَّ ويضحك، أو... ها أنا واقف وحدي، ممسك بحافة السرير. كنت أدعوه «آوا»؛ وكانت تلك أول كلمة أقولها. كان إنغفِه الشخص الوحيد الذي يفهم ما أقوله -هكذا أخبروني- ويترجمه لأبينا وأمنا. أعرف أيضًا أن إنغفِه مضى يقرع

الأبواب ويسأل إن كان في تلك البيوت أطفال. كانت جدتي تروي هذه القصة دائمًا. تقول بصوت طفولي: «هل يعيش في هذا البيت أطفال؟»؛ ثم تضحك. أعرف أيضًا أنني سقطت على السلم، وأصابني نوع من صدمة فتوقّف تنفسي وازرقّ وجهي وبدأ جسمي يختلج فحملتني أمي إلى صدرها وأسرعت إلى الهاتف. ظنّت أنها نوبة صرع، لكنها لم تكن كذلك... لم تكن شيئًا! وأعرف أن أبي كان متألّقًا في مدرسته، وكان أستاذًا جيّدًا؛ وفي صيف إحدى السنين، اصطحب تلامذة صفه في رحلة إلى الجبال. هناك صور من تلك الفترة يبدو فيها كلّها شابًا سعيدًا محاطًا بمراهقين يرتدون تلك الملابس ذات المظهر المهمل التي كانت مميّزة لأوائل عقد السبعينيات. كنزات صوفية وبنطلونات واسعة من الأسفل، وجزمات مطاطية طويلة. وكانت شعورهم طويلة، ليس ذلك الشعر الطويل المرفوع مثلما كان في عقد الستينيات، بل شعرٌ طويل ناعم منسدل على وجوههم الناعمة الفتية. قالت أمي ذات مرة إنه كان سعيدًا خلال تلك السنين سعادة لعله لم يعرف مثلها في حياته كلّها. وهناك أيضًا صور لجدتي، والدة أبي، ومعها إنغفهِ وأنا -صورتان مأخوذتان أمام بحيرة متجمدة، وأنا وإنغفِه مرتديان سترتين صوفيتين ضخمتين حاكتهما لنا جدتي- كانت سترتي بلونين، بني وأصفر داكن كالخردل -وصورتان غيرهما مأخوذتان على شرفة بيتهم في كريتسيانسانِد-: خدّها ملتصق بخدّي في صورة منهما، والوقت خريف، والسماء زرقاء، والشمس منخفضة، ونحن ننظر في اتجاه المدينة-. أظنني كنت في الثانية من عمري، أو في الثالثة.

قد يتخيّل المرء أن هذه الصور تمثّل نوعًا من ذاكرة، أي إنها ذكريات؛ لكن الـ«أنا» الذي تستند إليها ذكرياتي غير موجودة هناك. وبالطبع، ينشأ سؤال عن المعنى الفعلي لهذه الصور. رأيت ما لا يُحصى من صور من تلك الفترة، صور لأسر أصدقاء وصديقات، فلم أر أبدًا أي تمايزات بينها. الألوان نفسها، والملابس نفسها، والغرف نفسها، والنشاطات نفسها. لكني لا أضفي على هذه الصور أية أهمية أو دلالة؛ فهي، بمعنى من المعاني،

عديمة المعنى. بل إن هذه السمة تصير أكثر وضوحًا عندما أرى صورًا لأجيال سابقة: ليست إلا مجموعة من أشخاص يرتدون ملابس غريبة، يفعلون شيئًا لا قدرة لي على فهمه. ما يمكن وضع اليد عليه هو زمن التقاط تلك الصور، لا الناس الذين فيها... لا سبيل إلى التقاطهم أو فهمهم. بل إن الأشخاص الذين هم ضمن دائرتي المباشرة غير قادرين على ذلك بدورهم. من هي المرأة الواقفة أمام المدفأة في شقّة في بوابة سيريسز ترتدي فستانًا لونه أزرق فاتحًا وقد التصقت ركبتاها وتباعدت ربلتا ساقيها في تلك الوضعية التي كانت مألوفة في صور عقد الستينيات؟ والمرأة ذات الشعر المنفوش والعينين الزرقاوين والابتسامة الرقيقة، بل الرقيقة إلى حد يكاد يجعل المرء غير قادر على رؤيتها؟ المرأة الممسكة بمقبض ركوة قهوة لامعة لها غطاء أحمر؟ نعم، إنها أمي، أمي نفسها، لكن... من هي؟ بم كانت تفكر؟ كيف كانت ترى حياتها، الحياة التي عاشتها حتى ذلك الوقت، والحياة التي لا تزال في انتظارها؟ هي وحدها تعرف ذلك، وأما الصورة فلا تقول شيئًا. امرأة مجهولة في غرفة مجهولة؛ وهذا كل شيء! والرجل الجالس على سفح جبل بعد عشر سنين من ذلك يشرب القهوة من غطاء الترموس الأحمر نفسه، لأنه نسي أن يأخذ الكؤوس قبل انطلاقه... من هو؟ الرجل صاحب اللحية السوداء المعتنَى بها جيدًا، والشعر الأسود الكثيف؟ الرجل صاحب الشفتين الحسّاستين والعينين اللامعتين بهجةً؟ نعم، بالطبع، إنه أبي، أبي نفسه. لكن، من كان أبي في عين نفسه، في تلك اللحظة، أو في أية لحظة أخرى؟ لا أحد يعرف هذا. هكذا الأمر مع الصور كلّها، بل حتى مع صوري. هي ليست أكثر من مساحات خالية؛ والمعنى الوحيد الممكن استنتاجه منها هو ما أضافه الزمان إليها. على الرغم من هذا كله، هذه الصور جزء مني ومن تاريخي الأكثر حميمية، مثلما تكون صور الناس الآخرين جزءًا من تاريخهم. ذات معنى، من غير معنى، ذات معنى، من غير معنى، هذه هي الموجة التي تسري عبر حياة كل منا وتخلق ذلك التوتر الملازم لها دائمًا. أعتمدُ على كل ما أتذكّره من السنوات الست الأولى من حياتي،

وعلى كل ما هو موجود في الصور والأشياء العائدة إلى تلك الفترة، لأنها تشكّل جزءًا مهمًا من هويتي، ولأنها تملأ الإطار الخارجي للـ«أنا»، الذي هو فارغ من غيرها، تملأه بالمعنى وبالاستمرارية. من هذه الأجزاء والنتف كلّها، أنشأت لنفسي كارل أوفِه، وأنشأت إنغفِه، وأمي، وأبي، وبيتًا في هوفه، وبيتًا في تيباكْن، وجَدّة وجَدًّا هما والدا أبي، وجَدّة وجدًّا هما والدا أمي، ومنطقة سكنية، وأطفالًا كثيرين. إن حالة اللااكتمال هذه، الحالة الشبيهة بالغيتو، هي ما أسميه طفولتي.

ليست الذاكرة شيئًا موثوقًا في الحياة. وهذا لسبب بسيط هو أن الذاكرة لا تضع الحقيقة في المقام الأول. أبدًا لا يكون طلب الحقيقة عنصرًا محدِّدًا لما إذا كانت الذاكرة تستعيد ما حدث استعادة صحيحة أو غير صحيحة. المصلحة الذاتية هي ما يحدّد هذا. فالذاكرة نفعية، وهي ماكرة وبارعة، لكن عملها ليس عدائيًا ولا خبيثًا. الأمر على العكس من ذلك، فهي تفعل كل ما تستطيع فعله لكي يكون صاحبها راضيًا. تدفع أحيانًا بواحدة من الذكريات إلى غياهب النسيان الواسعة؛ وأحيانًا تشوّهها فلا يعود التعرف عليها ممكنًا؛ وأحيانًا تسيء فهمها إساءة تامة؛ وأحيانًا (هذا هو الشيء الذي لا فائدة منه أبدًا) تستعيدها بكل ما فيها من وضوح وجلاء ودقة. وأما ما تتذكّره تذكّرًا صحيحًا، فأنت غير قادر على تقريره، ولا على تمييزه وسط هذا كله.

وفي حالتي، لا وجود أبدًا لأية ذاكرة عن سنواتي الست الأولى. لا أكاد أتذكّر أي شيء أبدًا. لا فكرة عندي عمن كان يرعاني، وعما كنت أفعله، وعمن كنت ألعب معه، فقد اختفى ذلك كله، وصارت السنوات الممتدة بين 1969 و1974 ثقبًا كبيرًا في حياتي. والقليل الذي أستطيع تذكّره قليل القيمة: أنا واقف على جسر خشبي في غابة أشجارها عالية متفرّقة، ومن تحتي تيار مندفع ماؤه أخضر وأبيض؛ وأنا أقفز على الجسر، والجسر يتمايل من تحتي، وأنا أضحك. وإلى جانبي غيّير برستباكمو، صبي من الجوار، وهو يقفز معي ويضحك أيضًا. أنا جالس في المقعد الخلفي في سيارة، وننتظر عند الإشارة الضوئية، وأبي يلتفت ويقول شيئًا، ونحن في ميوندالن.

نحن ذاهبون إلى مباراة لفريق IK Start، هكذا قيل لي، لكنّي غير قادر على تذكّر شيء عن رحلتنا إلى ذلك المكان، ولا عن مباراة كرة القدم، ولا عن عودتنا إلى البيت. أنا أتسلق تلة قرب البيت دافعًا أمامي شاحنة بلاستيكية كبيرة؛ لونها أخضر وأصفر يمنحني إحساسًا رائعًا إلى أقصى حد، إحساسًا بالغنى والثراء والسعادة.

هذا كل شيء. هذه هي سنواتي الست الأولى.

لكنها ذكريات مثبّتة، رسخت منذ سن السابعة، أو الثامنة... سحر الطفولة: أول ذكرياتي على الإطلاق! على أن هناك ذكريات من أنواع أخرى. تلك الذكريات غير الثابتة، التي لا سبيل إلى استحضارها قصدًا بل هي تنفلت في لحظات غريبة وتصعد إلى الوعي من تلقاء أنفسها وتحوم هناك برهة كأنها قنديل بحر شفاف... ذكريات توقظها رائحة بعينها، أو طعم بعينه، أو صوت... ودائمًا تأتي هذه الذكريات مع إحساس فوريٍّ عارم بالسعادة. وهناك أيضًا ذكريات مرتبطة بالجسد تأتيك عندما تفعل شيئًا كنت تفعله: تحمي عينيك من الشمس بذراعك، أو تلتقط كرة، أو تجري على العشب حاملًا بيدك طائرة ورقية وأطفالك يجرون من خلفك. هناك ذكريات تأتي مع المشاعر: غضب مفاجئ، أو دموع مفاجئة، أو خوف مفاجئ، فتكون حيث كنت في يوم من الأيام، كأن شيئًا قذف بك عميقًا داخل نفسك وحملك عبر الزمان بسرعة مذهلة. وهناك أيضًا ذكريات تأتي مع مشاهد الطبيعة، فالمشاهد التي تراها في الطفولة ليست كمثل المشاهد التي تراها بعدها. إنها مشحونة على نحو مختلف تمامًا. ففي ذلك المشهد، يكون لكل صخرة معنى، ولكل شجرة معنى؛ ولأن كل شيء يُرى أول مرة، ولأن كل شيء يُرى مرات كثيرة بعدها، فإنه يستقر في أعماق وعيك، لا كما يستقر شيء غامض أو تقريبي مثلما يظهر مشهد الطبيعة خارج البيت لشخص كبير إن هو أغمض عينيه وحاول استحضاره، بل يكون شيئًا متمتّعًا بكل دقة وتفصيل. فليس عليَّ، في ذهني، إلا أن أفتح الباب وأخرج منه حتى تأتيني الصور مندفعة صوبي. الحصى في الممر الذي أمام البيت شبه مُزرقٍّ في لون الصيف. أوه، ذلك

وحده، تلك الممرات في الطفولة! وسيارات عقد السبعينيات متوقّفة فيها! سيارات فولكس فاغن بيتل، وسيتروين دي إس 21، وفورد تونوس، وغرانادا، وكونسول، وأوبل أسكونا، وكاديت، ولادا، وفولفو أمازون. حسنًا، لا بأس، سيارات متوقّفة على الحصى، وعلى امتداد السياج البني، وخلف الخندق الضحل بين طريقنا، نوردوسن رينغفه، وطريق إيليغستين التي تخترق المنطقة كلها مارةً بمنطقتين سكنيتين، غير المنطقة التي فيها بيتنا. انحدار الأرض ذات التربة الداكنة الغنية من حافة الطريق صوب الغابة! وكيف بدأتْ سُوق نباتات صغيرة نحيلة خضراء - بدأت على الفور تقريبًا تنبثق منها نباتات هشة تبدو وحيدة في تلك المساحة السوداء الجديدة، ثم تتكاثر تكاثرًا سريعًا في السنة التالية إلى أن يصير المنحدر كلّه مكسوًا بنباتات كثيفة يانعة. أشجار صغيرة، وأعشاب، ونباتات قفاز الثعلب والهندباء والسرخس، وشجيرات تمحو ما كان من قبلُ مساحةً خالية فاصلة بين الطريق والغابة. وفي الاتجاه الصاعد، على امتداد الرصيف ذي البلاطات القرميدية الضيّقة، و... أوه، الماء الذي كان يجري ويتدفّق وينبع هناك كلما هطل المطر! الدرب المتفرّعة إلى جهة اليمين، درب مختصرة مفضية إلى سوبر ماركت B-Max. والمستنقع إلى جانبه ليس أكبر من مكان سيارتين في موقف السيارات، وأشجار البتولا مائلة صوبه كأنها ظمأى. بيت أولسن على قمة التلة الصغيرة، والطريق الذي من خلف التلة. كان اسمها طريق غريفلينكفين. في أول بيت إلى جهة اليسار، يسكن جون مع أخته تروده؛ كان بيتهما قائمًا على بقعة ليست أكثر من كومة صخور. وكان الذعر يصيبني دائمًا كلما اضطررت للمرور بذلك البيت. كان مبعث قسم من ذلك الذعر أنّ جون قد يكون كامنًا هناك حتى يرمي كل طفل عابر بحجارة أو بكُرات من ثلج. ومبعث جزء من ذعري أنّ لديهم كلبًا ألزاسيًا ضخمًا... ذلك الكلب الألزاسي... أوه، أتذكّره الآن. كم كان ذلك الكلب حيوانًا مخيفًا! يكون مربوطًا على الشرفة، أو في الممر المفضي إلى البيت، وينبح على كل عابر سبيل، ويندفع ويتراجع ويتقدّم بقدر ما يسمح له حبله، ويعوي ويزأر. كان كلبًا رشيقًا، له عينان صفراوان مخيفتان. وذات مرة، اندفع

صوبي مسرعًا، نازلًا من تلك التلة، وفي أعقابه جرت تروده. وكان يجر حبله خلفه. سمعت قبل ذلك أن عليك ألّا تهرب إذا هاجمك حيوان، كأن يكون دبًا في الغابة على سبيل المثال، وأنه عليك أن تقف ساكنًا تمامًا وأن تبدو غير مكترث به. هذا ما فعلته إذ توقّفت لحظة رأيته مندفعًا صوبي. لكن هذا لم ينفعني. ما كان الكلب مباليًا أبدًا بسكوني ولا بحركتي، فقد كشّر عن أنيابه وغرسها في ذراعي، فوق معصمي. لحقت به تروده بعد ثانية واحدة فأمسكت بحبله وجذبته بعنف حتى تراجع وتركني. ابتعدت مسرعًا، باكيًا. كان كل شيء في ذلك الحيوان يخيفني، النباح، والعينان الصفراوان، واللعاب الذي يسيل من شدقيه، والأسنان المدوَّرة الحادة التي لا تزال آثارها على ذراعي حتى الآن. في البيت، لم أجرؤ على التفوّه بكلمة واحدة عما حدث لشدة خوفي من اللوم، فحادثة من هذا النوع تفتح فرَصًا لأنواع كثيرة من التوبيخ: ما كان ينبغي لي أن أكون حيث كنت في ذلك الوقت، أو ما كان يصح أن أبكي، أو... كلب! أهذا سبب للخوف؟ منذ ذلك اليوم، ظلّ الذعر يطبق عليّ كلما رأيت ذلك الوحش. كان ذعرًا قاتلًا لأن ما سمعته لم يكن مقتصرًا على ضرورة الوقوف ساكنًا عندما يهاجمني حيوان مفترس، بل سمعت أيضًا أن الكلب قادر على أن يشم رائحة الخوف. لست أدري من قال لي هذا، لكنّه كان واحدًا من المعتقدات المتداولة بين الناس، وكان أمرًا يعرفه الجميع: تستطيع الكلاب أن تشم رائحة خوفك! وعندها، من الممكن أن يصيبها الذعر بدورها أو أن تصير عدوانية وتهاجمك. وأما إذا لم يصبك الخوف، فإن الكلاب تصير لطيفة معك.

كيف استقر هذا في ذهني؟ كيف تستطيع الكلاب أن تشم رائحة الخوف؟ وكيف تكون رائحة الخوف؟ وهل كان ممكنًا أن تتظاهر بأنك غير خائف حتى يشمّ الكلب ما تتظاهر به ولا يلاحظ خوفك الحقيقي المختبئ خلف مظهرك الخارجي الهادئ؟

كان بيت كانيستيرْم على مسافة بيتين منا؛ وكان لذيه كلب. كان كلب صيد ذهبي اللون اسمه أليكس... كلب وديع كأنه حمل. يسير خلف صاحبه

أينما ذهب، لكنه يسير أيضًا خلف أي واحد من أطفاله الأربعة، إن استطاع. عينان لطيفتان، بل رقيقتان على نحو ما، وحركاته كلّها مودّة. لكني كنت خائفًا حتى من هذا الكلب. كنت أخشاه لأنه ينبح كلما اقترب أحد من التلة وتقدّم حتى يقرع جرس الباب. لا ينبح نباحًا متردّدًا، أو ودودًا، أو متسائلًا، بل نباحًا عنيفًا، أجشَّ، مدوّيًا. عندها، أتجمّد في مكاني.

إن لم يكن من حولي من يسمعني، فقد أقول له: «مرحبًا، يا أليكس، تعرف أنني لست خائفًا. الأمر ليس هكذا!».

وأما إذا كان مِن حولي مَن يمكن أن يسمعني، فهذا ما يجعلني مرغمًا على متابعة السير والتصرّف كأن لا شيء يحدث، فأشقّ طريقي عبر ذلك النباح كله. هكذا يكون الأمر. وعندما يصير الكلب أمامي فاغرًا شدقيه، أنحني وأربّت على ظهره مرة أو مرتين، لكن قلبي يكون راجفًا من الخوف، وعضلات جسمي كلها ترتعش.

يقول له داغ لوثار، وهو يخرج من باب البيت أو باب القبو، ويأتي صوبي راكضًا على الممر المفروش بالحصى: «اهدأ، يا أليكس. أنت تخيف كارل أوفِه بنباحك هذا. أنت أيها الكلب الغبي!».

أقول معترضًا: «لست خائفًا منه»، فلا يفعل داغ لوثار شيئًا غير أن يبتسم ابتسامة جامدة أفهم معناها: «لا تحاول خداعي بقولك هذا».

وبعد ذلك، انطلقنا.

أين ذهبنا؟

إلى الغابة.

نزلنا إلى أبويشيلن، أو إلى الخليج.

نزلنا إلى المراسي العائمة.

صعدنا إلى جسر ترومويا.

نزلنا إلى غاملِه تيباكْن.

ذهبنا أيضًا إلى مصنع القوارب البلاستيك.

تسلقنا التلال.

مكتبة
t.me/t_pdf

مضينا إلى بحيرة تيينّه.

انطلقنا إلى سوبرماركت B-Max.

نزلنا إلى محطة فينا للوقود.

إلا عندما كان يحدث أن نكتفي بالجري في الطريق حيث كنا نعيش، أو بقضاء الوقت إلى جانب واحد من البيوت هناك، أو بالجلوس على حافة الرصيف، أو في شجرة الكرز الكبيرة التي لم يكن لها صاحب.

ذلك كان كل شيء. ذلك كان العالم كله. لكن... يا له من عالم!

ليس لمنطقتنا السكنية أيّ جذور في الماضي، وليس لها أيَ أغصان في سماء المستقبل، مثلما كان للبلدات الصغيرة التابعة للمدن. ظهرت هذه المناطق السكنية لكي تكون إجابة عملية عن سؤال عملي، فقد صارت مسكنًا لكل من انتقل إلى المنطقة... نعم، نعم، في الغابة، هناك، سنزيل الأشجار من بعض المساحات ونعرضها للبيع! كان البيت الوحيد القائم هناك ملكًا لعائلة بيك؛ وكان الأب دانماركيًا بنى لنفسه بيتًا وسط الغابة. لم تكن لديهم سيارة، ولا غسالة، ولا جهاز تلفزيون، لم تكن لديهم حديقة، بل ممر للسيارة أمام البيت من تربة مرصوصة في مساحة خالية بين الأشجار. أكوام من الحطب تحت غطاء من التاربولين؛ وقارب مقلوب طيلة فصل الشتاء. كانت الشقيقتان إنغا ليل وليزا تذهبان إلى المدرسة المتوسطة المحلية وترعياني مع إنغفِه خلال السنوات الأولى من عيشنا هناك. لهما شقيق اسمه جون أكبر مني بسنتين؛ وكان يرتدي ملابس غريبة من صنع بيتي ولا يهتم أدنى اهتمام بما نهتم به، بل يصرف انتباهه كلّه إلى أمور أخرى لم يخبرنا أبدًا أي شيء عنها. صنع لنفسه قاربًا عندما كان في الثانية عشرة. لم يفعل مثلنا، ولم يصنع ما يشبه الأطواف التي كنا نحاول تجميعها مدفوعين بأحلامنا وبشوقنا إلى المغامرات؛ بل كان قاربًا حقيقيًا له مجذافان. قد تظنّون أنه كان ولدًا متنمِّرًا علينا، لكنه لم يكن متنمرًا لأن المسافة بيننا كانت أبعد من ذلك، أبعد كثيرًا. لم يكن واحدًا منا، ولم يرد أن يكون. وأما أبوه، الدانماركي صاحب الدراجة، الذي لعله أتى استجابة لرغبة في العيش وحيدًا

وسط الغابة منذ أيامه في الدانمارك، فلا بد أن يكون قد أصابه غمٌّ شديد عندما وُضعت خطط إقامة هذه المزرعة وتمت الموافقة عليها، ودخلت الآليات والمعدات إلى الغابة وبدأت تعمل خلف بيته مباشرة. كانت الأسر التي انتقلت إلى هذا المكان قادمة من أنحاء البلاد كلّها. ولدى كلٍّ منها أطفالٌ. في البيت القائم إلى الجهة الأخرى من الطريق، عاش غوستافسن؛ كان إطفائيًا، وكانت زوجته ربة منزل، جاءا من هونينسفوغ، وكان لهما طفلان، رولف وليف توره. وفي البيت المقابل لبيتنا، سكنت أسرة برِستباكمو؛ كان معلم مدرسة، وكانت زوجته ممرضة، وكانا آتيين من ترومز، وكان لهما طفلان، غرو وغيّير. وإلى جانب بيتهم، كان بيت كانستروم. كان عمله في مكتب البريد، وزوجته ربة منزل، وكانا قادمين من كريستيانساند، وكان لهما أربعة أطفال أسماؤهم ستينار وإنغريد آنِه وداغ لوثار وأوني. وإلى الجهة الأخرى كان بيت كارلسن، كان بحارًا، وزوجته تعمل في متجر، وكانا من سورلاند؛ وكان لهما طفلان هما كِنتْ آرنِه وآنِه نينِه. وفوق بيتهم، كان بيت كريستنسن الذي كان بحارًا، لكني لا أعرف شيئًا عن عمل زوجته؛ وكان لهما طفلان، ماريانِه وإيفا. وفي الجهة الأخرى، سكن جاكوبسن الذي كان يعمل مُنضّدًا طباعيًا، وزوجته ربة منزل، وكلاهما من بيرغن؛ كان لهما ثلاثة أطفال، غيّير وتوند ووينتْشِه. وفوقهم كان بيت ليندلاند من سولاند؛ وكان في ذلك البيت طفلان، غيّير هاكون ومورتِن. بدأت هنا أنسى الأسماء... على الأقل، بقدر ما يتعلّق الأمر بأسماء الآباء والأمهات وبأعمالهم. لكن الأطفال هناك كانوا: بينتِه، وتونِه إليزابيث، وتونِه، وليف بيريت، وستينار، وكورِه، ورونه، ويان آكله، وأودلاو، وهالفور. كان أكثرهم في مثل سني، أكبرهم يزيدني بسبع سنين، وأصغرهم يصغرني بأربع سنين. وفي وقت لاحق، سيكون خمسة منهم في صفي.

انتقلنا للعيش هناك في سنة 1970 عندما كان أكثر البيوت في ذلك الموقع لا يزال قيد البناء. كانت صفارة الإنذار ذات الصوت الحاد المدوّي التي

تنطلق قبل كل انفجار مَعلِمًا دائمًا من معالم طفولتي، ومثلها ذلك الإحساس الواضح كثيرًا بشيء مثل القيامة، إحساس يأتيك عندما تنداح موجات الصدمة الناتجة عن الانفجار عبر الأرض فتهتز لها أرضية البيت... كان ذلك أمرًا شائعًا أيضًا. كان أمرًا طبيعيًا أن يفكّر المرء بالروابط الموجودة فوق الأرض -الطرق، والكابلات الكهربائية، والغابات، والبحار- لكن التفكير في وجود روابط تحت الأرض أيضًا كان أمرًا يثير اضطرابي. ألا ينبغي أن يكون ما نقف عليه ثابتًا ثباتًا مطلقًا ولا يستطيع شيء اختراقه؟ في الوقت نفسه، كان لكل فتحة في الأرض سحرًا شديد الخصوصية بالنسبة إليّ وإلى الأطفال الذين كبرت معهم. وقد كان يحدث كثيرًا أن نتجمّع معًا حول واحدة من الحفر الكثيرة التي كانوا يحفرونها في منطقتنا، سواء أكانت حفرًا من أجل أنابيب صرف المياه، أو الكابلات الكهربائية، أو من أجل أساسات قبوٍ يجري بناؤه، وأن ننظر إلى الأسفل، إلى أعماق الحفرة الصفراء عندما يكون فيها رمل، السوداء أو البنية أو البنية الضاربة إلى الحمرة عندما يكون فيها تراب، والرمادية عندما يكون فيها صلصال؛ وبعد وقت يقصر أو يطول، لا تلبث طبقة من ماء عكِر لونه بين الرمادي والأصفر أن تغطي قعر الحفرة، وكثيرًا ما تكون ظاهرة عبر تلك الطبقة من الماء نتوء صخرة، أو صخرتين. ومن فوق الحفرة، تنتصب حفّارة لامعة، صفراء أو برتقالية، فتبدو كأنها طائر، ويبدو جردلها كأنه منقار في نهاية رقبة طويلة. وإلى جانب الحفّارة سيارة شاحنة متوقفة مصباحاها الأماميان كأنهما عينان، والشبكة التي تقي مبرّد المحرِّك كأنها فم، وصندوق الشاحنة المغطى بالتاربولين كأنه ظهر. وفي حالة المشاريع الإنشائية الأكبر حجمًا، كانت هناك بولدوزرات وجرافات كبيرة، صفراء اللون عادة، ولها عجلات هائلة يبلغ عرض عمق الأثلام في إطاراتها عرض الكف. وإذا ابتسم لنا الحظ، فقد نعثر على أكوام من فتيل التفجير، في الحفرة أو على مقربة منها، فنسرقه لأن ذلك الفتيل كانت له قيمة تبادلية كبيرة وقيمة استعمالية كبيرة أيضًا. وبالإضافة إلى هذا، عادة ما كنا نجد في المنطقة بكرات ضخمة من الخشب يبلغ ارتفاعها قامة

رجل. إنها البكرات التي تكون عليها الكابلات الكهربائية. وكانت هناك أيضًا أنابيب بلاستيكية صقيلة لونها بني محمرّ يكاد يعادل قطر الواحد منها ثخانة أذرعنا. وكانت هناك أكوام من أنابيب إسمنتية أسطوانية الشكل مسبقة الصب. كانت هذه الغرف شديدة الروعة والصلابة. وبما أن ارتفاعها يزيد قليلًا على طولنا، فقد كانت مثالية للتسلّق. شرائح طويلة مقصوصة من إطارات السيارات كانوا يستخدمونها في عمليات التفجير. وجبال من أعمدة أسلاك الهاتف الخشبية التي اخضرّ لونها بسبب المواد الحافظة التي أشبعت بها. وصناديق من أصابع الديناميت. وسقائف كان العمال يبدلون فيها ملابسهم، ويأكلون فيها طعامهم. نظلّ على مسافة آمنة إن كانوا هناك، وننظر إلى ما يفعلونه. وأما في غيابهم، فكنا ننزل في تلك الحفر، ونتسلق عجلات الجرافات الكبيرة، ونقف فوق أكوام الأنابيب، ونفتح أبواب السقائف قليلًا ونسترق النظر عبر نوافذها، ونقفز داخل الغرف الأسمنتية، ونحاول دحرجة بكرات الخشب الضخمة. ونملأ جيوبنا بملاقط تثبيت الأسلاك والمقابض البلاستيكية وفتائل التفجير. لم يكن في عالمنا كلّه من يحتل مكانة تضاهي مكانة أولئك العمال، ولم يكن أي عمل يبدو في نظرنا أكثر أهمية من عملهم. ليست المعلومات التقنية هي ما كان مثيرًا للاهتمام، فهي لا تعني لي أكثر مما تعنيه أسماء الشركات التي صنعت تلك المعدات الإنشائية. على أن مظاهر الحياة الخاصّة لأولئك العمال كانت أكثر ما يسحرني، إلى جانب التغيرات التي يحدثها عملهم في المشهد العام في تلك المنطقة. فعندما يُخرِج أحدهم مشطًا من جيب أوفروله البرتقالي أو من جيب بنطلونه الأزرق الفضفاض الذي لا شكل له ويسرّح به شعره، وقد وضع خوذة الوقاية تحت ذراعه، وهو واقف وسط هدير المعدات وطنينها، أو تلك اللحظة الغامضة التي تكاد تكون مستعصية على الفهم، لحظة خروج العمال من السقيفة بعد الظهر مرتدين ملابس عادية تمامًا، ثم صعودهم إلى سيارتهم وانطلاقهم بها مثلما يفعل أي رجال آخرين. كان هناك أيضًا عمال آخرون نراقبهم مراقبة لصيقة لا تكل ولا تمل. إذا ظهر في الجوار أي شخص من شركة «تيليفركت»، فإن نبأ

ظهوره يسري بين مجموعات الأطفال كمثل سريان النار في الهشيم. كانت هناك سيارة، وكان هناك رجل، مهندس اتصالات، وكان هناك حذاء التسلق العجيب الذي معه! ينتعل هذا الحذاء في قدميه وحزام الأدوات حول وسطه، ثم يحيط نفسه والعمود بحزام يقفله عليهما، ثم يبدأ تسلق العمود بسلسلة حركات بطيئة متأنّية لا نستطيع استيعابها على الإطلاق. كيف يمكن أن يحدث هذا؟ نراه منتصب الظهر يتسلّق العمود كأنه ينزلق عليه انزلاقًا من غير أية إشارة ظاهرة إلى أنه يبذل جهدًا في ذلك ومن غير أي استخدام ظاهر لقوته. نحدّق فيه وهو يعمل هناك، في الأعلى. لا يبرح أحد منا مكانه أبدًا لأن الرجل سينزل بعد قليل، سينزل بالطريقة عينها، من غير جهد؛ سينزل بطريقة لا سبيل إلى فهمها. تخيل أن يكون لديك حذاء مثل حذائه، له ذلك الخطاف المعدني المعقوف الذي يلتف من حول العمود... ما الذي يمكن أن تعجز عن فعله إن كان لديك حذاء مثله؟

وكان هناك أيضًا الرجال الذين يعملون في شبكة صرف المياه. أولئك الذين يوقفون سياراتهم عند واحدة من أغطية حفر المجاري الصحية الكثيرة في الشارع، الأغطية التي تكون في الإسفلت نفسه أو فوق دائرة مبنية من حجارة على مقربة من الطريق. ينتعلون أحذية مطاطية تصل إلى خصورهم (نعم، إلى خصورهم!) ويرفعون الغطاء المدوّر بعتلة معدنية، ويزيحونه جانبًا، ثم ينزلون في الحفرة. نراقب كيف تنزل سيقانهم في الحفرة، تحت مستوى الطريق، ثم تنزل أفخاذهم، ثم بطونهم، ثم رؤوسهم... فما عساه يكون في الأسفل إن لم يكن نفقًا؟ هل هو نفق تجري فيه المياه؟ هل يمكن السير فيه؟ أوه، كان ذلك عجيبًا حقًّا! لعلّه الآن هناك، إلى جانب شاحنة كِنتْ آرنِه الصغيرة المتوقّفة عند الرصيف على مسافة نحو عشرين مترًا، لكنه تحت الأرض! أم... لعل هذه الحفر محطّات، كأنها آبار، حيث يمكنك أن تتفقّد الأنابيب وأن تستجرّ الماء عند نشوب حريق؟ لا أحد يعرف هذا! كانوا يقولون لنا دائمًا أن نبتعد عندما ينزلون. ولم يجرؤ أحد منا على سؤالهم عنها. لم يكن أحد منا على درجة من القوة تسمح بأن نرفع

بأنفسنا تلك الأغطية المعدنية الثقيلة المدوَّرة مثل قطع النقود. لذلك كلّه، ظل الأمر سرًّا مثلما ظلّت أمور كثيرة جدًا في تلك السنين.

كنا أحرارًا في التجوّل حيث نشاء، حتى قبل أن نبدأ الذهاب إلى المدرسة، مع وجود استثناءين اثنين. الاستثناء الأول هو الطريق الرئيسية الواصلة بين جسر ترومويا ومحطة فينا للوقود، وكانت البحيرة الاستثناء الثاني. لا تنزلوا وحدكم إلى شاطئ البحيرة، أبدًا! هذا ما زرعه الكبار في عقولنا. لكن -حقًا- لماذا لا ننزل؟ هل كانوا يخافون أن نسقط في الماء؟ لا، ليس الأمر كذلك؛ هذا ما قاله أحدنا عندما كنا جالسين على الصخور التي فوق المرج الصغير حيث نلعب كرة القدم أحيانًا، وننظر إلى الأسفل من حافة جرف صخري مستوٍ ينحدر نحو ثلاثين مترًا قبل أن يدخل الماء. إنها جنّية المياه. وهي تختطفُ الأطفال.

«من يقول هذا؟».

«ماما وبابا».

«وهل هي هنا؟».

«أجل».

كنا ننظر إلى الأسفل، إلى سطح الماء الضارب إلى الخضرة في بحيرة أوبيشيلن. لم تكن تبدو لنا بعيدة الاحتمال فكرة وجود شيء مختبئ تحت ذلك السطح.

يسأل أحد الأطفال: «هل هي هنا فقط؟ إن كان الأمر هكذا، ففي مقدورنا أن نذهب إلى مكان آخر. نذهب إلى بحيرة كيينا».

«أو إلى ليتل هاواي».

«إن في تلك البحيرات جنّيات أخرى. وهي خطيرة. وهذا أمر حقيقي. هكذا قال لي بابا وماما. إن الجنّيات تخطف الأطفال وتغرقهم في الماء».

«وهل من الممكن أن تخرج الجنّية إلينا، هنا؟».

«لا أعرف. لا، لا أظن هذا. لا، المسافة بعيدة جدًا».

«لا خطر من الجنّية إلا عند حافة الماء».

بقيت خائفًا من الجنّيات بعد ذلك، لكن ليس بقدر ما كنت أخاف الثعالب التي كان التفكير فيها يثير ذعري. إذا رأيت أجمة تهتز، أو سمعت حفيفًا على مقربة مني، فإنني أبتعد فورًا وأجري حيث الأمان، إلى بقعة في الغابة خالية من الأشجار، أو إلى منطقة البيوت نفسها حيث لا تذهب الثعالب أبدًا. الحقيقة أنني كنت أخاف الثعالب إلى حد يكفي معه أن يقول لي إنغفِه إنه ثعلب، وإنه سيهاجمني -كان ينام في السرير العلوي، وأنا في السرير السفلي- حتى أتجمّد خوفًا. أقول له: «لا، لست ثعلبًا». يُجيب: «بل أنا ثعلب». ويطل برأسه من فوق حافة سريره، ويهاجمني. على الرغم من هذا، وعلى الرغم من أنه كان يخيفني من وقت لآخر، فقد اشتقت إلى وجوده معي عندما صار لكل منا غرفته المستقلة (على نحو مفاجئ)، وصار عليَّ أن أنام وحيدًا. في حقيقة الأمر، كان ذلك أمرًا لا بأس به، لأن الغرفة الجديدة موجودة داخل البيت؛ لكنّي كنت أفضّل لو ظلّ معي، في السرير الذي فوق سريري. عندما كان معي، كنت قادرًا على أن أسأله عن بعض الأمور، وذلك من قبيل، «إنغفِه، هل أنت خائف الآن؟». وكان يجيبني، «لا، لا. ولماذا أخاف؟ ما من شيء مخيف هنا». عندها، أعرف أنه محقّ، ويطمئنّ قلبي.

أظن أن خوفي من الثعالب قد انتهى عندما صرت في السابعة من عمري. إلا أن مخاوف أخرى لم تلبث أن ملأت الفراغ الذي تركه ذلك الخوف القديم. ففي صباح يوم من الأيام، كنت مارًّا بجهاز التلفزيون الذي كان يعمل مع أن أحدًا لم يكن يتابعه. كانوا يعرضون فيلمًا صباحيًا. وفي ذلك الفيلم، أوه، لا، أوه، لا، كان هناك رجل من غير رأس يسير صاعدًا درجات السلم! أوووف! جريت هاربًا ودخلت غرفتي، لكن ذلك لم يفدني شيئًا لأنني وجدت نفسي وحيدًا وغير قادرٍ عن الدفاع عن نفسي. فانطلقت خارجًا باحثًا عن أمي، أو عن إنغفِه. لاحقتني صورة الرجل الذي من غير رأس؛ ولم يقتصر ذلك على الليل الذي كانت تلاحقني فيه مخاوف كثيرة أخرى. لا، كان ممكنًا أن يظهر لي ذلك الرجل الذي من غير رأس في وضح النهار؛ وإذا كنت وحدي، فلا أهمية أبدًا لأن تكون الشمس مشرقة، أو لأن تكون العصافير منطلقة في زقزقتها

وغنائها، فقد كان قلبي يقفز من مكانه ويسري الخوف فيه كالنار حتى يبلغ كل عصب في جسدي. بل إن قدرة هذه الظلمة على الظهور في النهار كانت أكثر إخافةً لي. إن كان هناك شيء يخيفني حقًا، يخيفني أكثر من أي شيء آخر، فهو تلك الظلمة في النور. وأسوأ من هذا أنني ما كنت قادرًا على فعل شيء إزاء هذا الخوف. لا فائدة من مناداتي أحدًا حتى ينجدني، ولا من وقوفي وسط منطقة مكشوفة، ولا الجري مبتعدًا. وكان هناك أيضًا غلاف مجلة من مجلات الجرائم رأيته مع أبي ذات يوم. كان عليه هيكلًا عظميًا حاملًا رجلًا على ظهره. الهيكل العظمي ملتفت إلى الخلفِ، ينظر إليَّ مباشرة عبر محجرَيْ عينيه الفارغين. كنت أخاف ذلك الهيكل العظمي أيضًا، وكان يظهر لي في لحظات أتوقّعها ولحظات لا أتوقّعها. وأيضًا، كان صوت الماء الحارّ في الحمام يخيفني. فكلما فتحت صنبورِ الماء الحار، يسري في الأنابيب صوت زعيق حاد يعقبه على الفور صوت طَرق متواصل (إذا لم أغلق الصنبور من غير تأخير). كانت تلك الأصوات الفظيعة تخيفني كثيرًا. صحيح أن تجنّبها كان ممكنًا عن طريق فتح الماء البارد أولًا، ثم فتح الماء الحار شيئًا فشيئًا إلى أن تصير الحرارة مناسبة؛ لكن ذلك كان ما تفعله أمي وما يفعله وأبي وإنغفِه؛ كان ذلك ما حاولت فعله أيضًا، لكنّي فشلت، وظلّ ذلك الزعيق الحاد الذي يخترق الجدران ومن بعده سلسلة من أصوات الطرق التي تزداد قوة كأن هناك شيئًا، في الأسفل، يحاول غاضبًا شق طريقه لكي يخرج... أصوات تبدأ لحظة أضع يدي على صنبور الماء الحار فأغلقه بأسرع ما أستطيع وأجري خارجًا من الحمام وجسدي ينتفض خوفًا. لذلك، كنت أغتسل في الصباح بماء بارد أو أستخدم الماء الذي استخدمه إنغفِه، ماء وسخ لكنه دافئ.

كانت الكلاب والثعالب وأنابيب المياه في الحمام أشياءً ملموسة، أو أخطارًا مادية أعرف أين تواجهني، وأعرف إن كانت موجودة أم لا. إلا أن الرجل الذي من غير رأس والهيكل العظمي المبتسم كانا منتميين إلى مملكة الموت، وما كان التعامل معهما بالطريقة نفسها ممكنًا لأنهما قادران على الظهور في أي مكان، في الخزانة إن فتحتها في الظلام، وعلى السلم أثناء

صعودي أو هبوطي، وفي الغابة... بل حتى تحت السرير أو في الحمام. كنت أربط بين انعكاس صورتي على زجاج النوافذ والمخلوقات الموجودة خلف ذلك الزجاج؛ ربما لأن انعكاس صورتي لا يظهر إلا عندما تسود الظلمة في الخارج. لكنها كانت فكرة مخيفة أن أرى انعكاسي في زجاج النافذة الأسود وأظن أن تلك ليست صورتي بل غول ينظر إليّ من الخارج.

سنة بدء ذهابنا إلى المدرسة، لم يعد أحد منا مؤمنًا بالجنّيات والعفاريت والأقزام؛ وصرنا نسخر ممن يعتقدون بوجودها. إلا أن فكرة الأشباح والأشياء التي تظهر للمرء ظلت موجودة... ربما لأننا لم نجرؤ على تجاهلها: الموتى موجودون؛ كل واحد منا كان يعرف هذا! وكانت لدينا أيضًا أفكار أخرى مستمدة من مملكة المعتقدات الخرافية المتشابكة نفسها، أفكار ذات طبيعة أكثر بهجة وبراءة من بينها اعتقادنا بأن في آخر قوس قزح قِدْرًا ممتلئة ذهبًا. فحتى في ذلك الخريف الذي بدأنا فيه الذهاب إلى الصف الأول، كنا لا نزال مؤمنين بتلك الأسطورة التي جعلتنا نخرج باحثين عن قوس قزح. أتذكّر الآن حادثة أظنّها وقعت في واحد من أيام شهر أيلول بعد تساقط المطر طيلة الصباح. كنا نلعب في الطريق، تحت بيت غيّير هاكون، أو في الخندق الفائض بماء المطر، لأكون أكثر دقّة في تحديد المكان. في تلك النقطة تمامًا، تمر الطريق بصخرة مقصوصة لها سطح مستوٍ كان الماء يقطر ويسيل من الطحالب النامية عليها، ومن العشب النابت على قمتها. كنا ننتعل جزمات مطاطية، ونرتدي بنطلونات وسترات دافئة زاهية الألوان واقية من الماء، وقد ربطنا قبعاتنا من تحت ذقوننا فصارت تحجب عنا الأصوات الخارجية كلّها، فلا يسمع واحدنا غير صوت تنفّسه واحتكاك أذنيه بالقبعة عندما يحرّك رأسه. كانت هذه الأصوات مرتفعة وواضحة دائمًا، في حين صارت الأصوات الأخرى مكتومة كأنها آتية من مسافة بعيدة. كان الضباب كثيفًا بين الأشجار الواقعة إلى الناحية الأخرى من الطريق وعند قمة الجبل الذي فوقنا. وصارت سقوف البيوت البرتقالية في المنحدر إلى جانبَيّ الطريق باهتة في الضياء الرمادي. كانت السماء الواطئة معلّقة فوق

الغابة عند أسفل المنحدر كأنها بطن منتفخة يخترقها المطر المنسكب الذي ظلت قطراته تواصل النقر على قبعاتنا، فيتردد صداها في آذاننا التي صار سمعها الآن مفرط الحساسية.

بنينا سدًا؛ لكن الرمل الذي جرفناه وبنيناه به كان ينهار دائمًا. لم نتردّد عندما رأينا سيارة أسرة جاكوبسن صاعدة في اتجاهنا، فرمينا مجارفنا وجرينا نازلين في اتجاه بيتهم حيث توقّفت السيارة في تلك اللحظة. تصاعد من مؤخّرة السيارة شريط من دخان مزرقّ - نزل الأب أولًا، رجل نحيل كأنه عصا وفي زاوية فمه سيجارة. انحنى، وجذب مقبضًا تحت مقعده، ثم دفع المقعد إلى الأمام حتى يَخرجُ ابناه الاثنان، غيّير وترونْد، في حين كانت أمهما القصيرة الممتلئة الشاحبة ذات الشعر الأحمر تُخرج الابنة، وينْشِه، من الجانب الآخر.

قلنا: «مرحبًا».

قال غيّير وترونْد: «مرحبًا».

«أين كنتم؟».

«في البلدة».

قال لنا الأب: «مرحبًا يا أولاد».

أجبنا جميعًا: «هل تريدون أن تسمعوا كيف يقولون سبعمئة وسبعة وسبعين باللغة الألمانية؟».

«نريد».

قال بصوته الأجش: «سيبنهوندرتسيبنأوندسيبتسيغ! هاهاها!».

ضحكنا معه. لكن ضحكه صار سُعالًا. قال بعد أن تجاوز نوبة السعال: «إذًا، لا بأس». أدخل المفتاح في قفل باب السيارة، وأداره. ظلت شفتاه ترتعشان، وعيناه أيضًا.

سألَنا ترونْد: «إلى أين أنتم ذاهبون؟».

أجبته: «لا نعرف».

«هل أستطيع الذهاب معكم؟».

«بالطبع، تستطيع الذهاب معنا».

كان تروند في مثل سننا، أنا وغيّير، لكنه أقصر منا كثيرًا. عيناه مستديرتان كأنهما طبقان، وشفته السفلى ثخينة حمراء، وأنفه صغير. ومن فوق هذا الوجه الذي يشبه وجه دمية، كان شعره متموّجًا أشقر اللون. لكن شكل أخيه كان مختلفًا تمامًا: عيناه ضيّقتان وماكرتان، وابتسامته ساخرة أغلب الأحيان، وله شعر مسترسل بلون الرمل البني ونمش في أعلى أنفه. إلا أنه كان قصيرًا أيضًا.

قالت له أمه: «ارتدِ ملابس واقية من المطر».

قال تروند وهو يدخل البيت مسرعًا: «انتظروا لحظة، سأرتدي ملابس واقية من المطر».

بقينا منتظرين من غير أن نقول كلمة واحدة وقد تدلّت أذرعنا إلى جوانبنا مثل أجنحة طيور البطريق. توقّف المطر وهبت ريح خفيفة فاهتزت لها قمم أشجار الصنوبر الرشيقة المتناثرة في الحدائق على امتداد المنحدر. جدول صغير يجري إلى جانب الطريق، يحمل معه كومات صغيرة من أوراق الصنوبر الإبرية وهياكل الأسماك العظمية المرمية في كل مكان.

انشقّ غطاء الغيوم وبانت السماء من خلفنا. وغمَر ضوءٌ من نوع مختلف المشهد الذي من حولنا كلّه، السقوف والمروج وجذوع الأشجار والوهاد والمنحدرات. ومن التلة من فوق بيتنا -التلة التي ندعوها جبلًا-، ظهر قوس قزح.

قلت: «انظروا، إنه قوس قزح».

قال غيّير: «واو!».

خرج تروند وأغلق باب البيت من خلفه. بدأ يجري من خلفنا.

قال غيّير: «هناك قوس قزح فوق الجبل».

«هل نذهب ونبحث عن قِدر الذهب؟».

قال تروند: «نعم، فلنذهب».

جرينا في ذلك المنحدر. وعلى المرج أمام بيت كارلسون، كانت آنِهْ

لينهْ، شقيقة كِنتْ آرنِه الصغيرة، واقفة تنظر إلينا. كان عليها حزام السلامة، الذي يشبه رسنًا، يربطها حتى لا تبتعد عن البيت. رأينا سيارة أمها الحمراء متوقّفة في الممر أمام البيت، وظهر لنا ضوء مصباح جداري في الداخل. أبطأ تروند خطواته أمام بيت غوستافسن.

قال: «أنا واثق من أن ليف تورِه سيحب أن يذهب معنا».

قلت: «لا أظنه في البيت».

قال: «على أية حال، في وسعنا أن نسأل عنه».

دخل بين عمودَيّ البوابة الحجريين اللذين ما كانت عليهما بوابة (كان هذا موضوعًا لسخرية أبي)، وسار في الممر. كانت على العمودين كرتان معدنيتان فارغتان مع سهم مثبت إلى كل واحدة منهما؛ ويحمل كل كرة رجل معدني عارٍ، منحني الظهر، مثبت إلى قمة العمود. لقد كانتا ساعتين شمسيتين؛ وكان أبي يسخر من هذا أيضًا، فما الحاجة إلى ساعتين شمسيتين أيضًا.

صاح: «ليف تورِه، هل تخرج معنا؟».

نظر إلينا فصحنا جميعًا: «ليف تورِه، هل تخرج معنا؟».

مرت بضع ثوانٍ، ثم انفتحت نافذة المطبخ وأطلّت منها أمه برأسها: «سيأتي فورًا، إنه يرتدي ملابس المطر. لا حاجة للصياح».

كانت في ذهني صورة واضحة لقِدر الذهب. قِدر ضخمة سوداء اللون لها ثلاث قوائم ومليئة بأشياء لامعة متلألئة. ذهب وفضة وماس وعقيق وسفير. هناك قدر مثلها في آخر كل قوس قزح. لقد بحثنا عنها في مرات سابقة ولم يكن الحظ حليفنا. من المهم أن نسرع لأن أقواس قزح لا تدوم طويلًا.

ظهر ليف تورِه آخر الأمر بعد أن ظلّ خياله يلوح لنا برهة من خلف زجاج الباب الأصفر. اندفعت من خلفه موجة هواء دافئ. لقد كانت تدفئة بيتهم دائمًا عالية. شممت رائحة خفيفة، رائحة حامضة وحلوة في وقت واحد. هكذا هي رائحة بيتهم دائمًا. إن لكل بيت رائحته الخاصة به -عدا بيتنا- وهذه هي رائحة بيتهم. سأل وهو يغلق الباب من خلفه بقوة جعلت زجاجه يهتز: «ماذا سنفعل؟».

قال تروند: «هناك قوس قزح على الجبل، سوف نذهب لنبحث عن قدر الذهب».

قال ليف تورِه: «إذًا، هيا بنا»، وانطلق راكضًا. ركضنا خلفه فاجتزنا المنحدر واندفعنا في الطريق الصاعدة إلى الجبل. رأيت من هناك أن دراجة إنغفِه لم تعد إلى مكانها، لكن سيارة أمي الخضراء (فولكس فاغن بيتل) وسيارة أبي الحمراء (كاديت حمراء) كانتا أمام البيت. كانت أمي تكنس البيت عندما خرجتُ، وكان ذلك فظيعًا... كنت أكرهه لأنني أحس كأن صوت المكنسة الكهربائية يلتصق بي ويضغط عليّ. كان أبي وأمي يفتحان النوافذ عندما ينظِّفان البيت فيصير الهواء في الداخل شديد البرودة، وأحس بأن تلك البرودة قد انتقلت إلى أمي أيضًا لأنه لا يبقى لديها متّسع لأي شيء آخر عندما تنحني فوق حوض الغسيل وتبدأ دعك الملابس، أو عندما تكنس الأرض بالمكنسة الطويلة، أو بالمكنسة الكهربائية (ماركة هوفر). وبما أنه لم يكن لي مكان إلا في تلك المساحة المتبقية من البيت، فقد كنت أشعر بالبرد في صباح أيام السبت، برد شديد أحسّه يخترق رأسي فيصير من الصعب عليّ حتى أن أستلقي على السرير وأقرأ المجلات المصورة التي أحبها عادة. لم يكن هذا يترك لي خيارًا غير أن أرتدي ملابسي وأجري خارجًا من البيت، علّني أجد شيئًا يحدث هناك.

كان أبي وأمي ينظفان البيت معًا؛ لكن هذا السلوك لم يكن قاعدة عامة. فعلى حدِّ علمي، لم يكن أيٌّ من بقية الآباء يفعل مثل أبي، مع احتمال أن يكون برستباكمو استثناء من هذا، على الرغم من أنني لم أره أبدًا بنفسي، ومن أنني أشك في استعداده للقيام بهذا النوع من العمل.

إلا أن أبي كان اليوم قد ذهب إلى المدينة لكي يشتري من الميناء سرطانات بحرية، ثم عاد وجلس في غرفة مكتبه يدخّن السجائر ويضع ملاحظاته على موضوعات كتبها تلامذته؛ أو لعله جلس يقرأ بعض الوثائق، أو يعبث بمجموعة الطوابع التي لديه، أو يقرأ رواية «السراب».

إلى الجانب الآخر من سياج حديقتنا الخشبي المعالج بالزيوت الحافظة،

كان هناك ممرٌ يفضي إلى متجر B-Max حيث كانت حفرة من حفر مياه الصرف قد فاضت وأغرقت تلك المنطقة من الغابة. لقد قال رولف، شقيق ليف تورهِ، منذ أيام إن هذا من مسؤولية أبي. لم تكن كلمة «مسؤولية» من الكلمات التي يستخدمها عادة؛ وهذا ما جعلني أستنتج أنه سمعها من أبيه. لقد كان أبي عضوًا في المجلس المحلّي، أي واحدًا من الأشخاص الذين يتّخذون القرارات في الجزيرة. إن من مهمة أبي الإبلاغ عن هذه المشكلة حتى يرسلوا من يقوم بعمليات الإصلاح. كان هذا هو غوستافسن، والد ليف تورهِ ورولف. تابعنا سيرنا صعودًا وقد استولى على اهتمامي منظر كمية المياه الكبيرة إلى حد غير طبيعي المنتشرة بين الأشجار النحيلة، وعلى سطحها بقع متناثرة من أوراق المرحاض العائمة وأشياء أخرى. قرّرت أن أخبر أبي إن سنحت لي فرصة. سأقول له إن عليه الإبلاغ عن ذلك صباح يوم الاثنين.

ها هو هناك! ها هو في سترته الزرقاء الواقية من الماء، من غير قبّعة، يرتدي بنطلون الجينز الأزرق الذي يرتديه كلّما خرج للعمل في الحديقة. لقد انتعل جزمته الخضراء التي تبلغ الركبة. رأيته يلتف من حول زاوية البيت. كان جسده مائلًا قليلًا لأنه يحمل سلمًا بيديه الاثنتين ويسير به عبر المرج. ثم وضع السلم على الأرض ونصب قامته قبل أن يسند نهاية السلم إلى حافة سطح البيت.

استدرت وأسرعت خطاي لكي ألحق بالآخرين.

صحت بهم: «لا يزال قوس قزح موجودًا».

صاح ليف تورهِ: «ونحن نستطيع رؤيته أيضًا».

لحقت بهم عند بداية الدرب، وسرت خلف سترة تروند الصفراء بين الأشجار التي كانت تلقي علينا وابلًا من مياه المطر كلما هز أحدنا غصنًا. سرنا في اتجاه البيت ذي اللون الداكن، بيت مولدن. لم يكن لدى مولدن أطفال صغار، بل مراهق واحد شعره طويل، ونظارته كبيرة، وملابسه بنّية اللون وبنطلوناته واسعة من الأسفل. لم نكن نعرف عنه شيئًا، حتى اسمه، فكنا ندعوه مولدن أيضًا، مثل أبيه.

كان المرور عبر حديقة أسرة مولدن أفضل الطرق الصاعدة إلى قمة ما ندعوه جبلًا. وكان ذلك هو المسار الذي اتخذناه، ورحنا نسير بخطوات بطيئة لأن الانحدار شديد ولأن العشب الطويل الأصفر كان زلقًا. ومن حين لآخر، كنت أتمسّك بشجيرة صغيرة لكي أجذب نفسي إلى الأعلى. كان الجبل عاريًا قبل القمة مباشرة؛ وكانت الحواف ناتئة بحيث يستحيل تسلّقها، على الأقل عندما تكون رطبة مثلما هي الآن. لكننا كنا نعرف أن هناك فجوة عند الحافة، بين صفحة الصخرة ونتوء صغير، يستطيع المرء أن يخطو عليها بسهولة حتى يرتقي الأمتار القليلة الباقية حتى القمة.

قال ترونْد الذي كان أول الواصلين: «أين ذهب؟».

قال غيّير، مشيرًا إلى مكان على القمة المنبسطة يبعد عنا بضعة أمتار: «لقد كان هناك، تمامًا!».

قال ليف تورِه: «أوه، لا. إنه في الأسفل، هناك. انظروا!»

التفت الجميع لكي ينظروا إلى حيث أشار. لقد كان قوس قزح فوق الغابة، على مسافة بعيدة، في الأسفل. كانت إحدى نهايتيه معلّقة فوق الأشجار تحت بيت بيك، والنهاية الأخرى عند المنحدر المعشّب النازل إلى الخليج.

قال ترونْد: «ما رأيكم، هل نذهب إليه؟».

«وماذا لو كان الكنز لا يزال موجودًا هنا؟»، قال ليف تورِه هذا باللهجة التي نستخدمها عادة... «تعالوا نلقي نظرة هنا، على الأقل».

قلت: «إنه ليس هنا. لا يكون إلا حيث يكون قوس قزح».

قال ليف تورِه: «فمن أخذه؟ هذا ما أحب أن أعرفه».

قلت: «لم يأخذه أحد، هل أنت غبي أم ماذا؟ ولا يأتي به أحد أيضًا... إن كان هذا ما تظنه. إنه قوس قزح من يفعل ذلك».

قال ليف تورِه: «بل أنت هو الغبي. لا يمكن أن يختفي فجأة من تلقاء نفسه».

قلت: «الظاهر أنه يمكن أن يختفي».

قال ليف تورِه: «لا، هذا غير ممكن».

أجبته: «بل هو ممكن. إذًا، لماذا لا تنظر؟ انظر إن كنت قادرًا على العثور عليه هنا».

مكتبة
t.me/t_pdf

قال ترونْد: «وأنا أيضًا أريد أن أنظر».

قال غيّير: «وأنا أيضًا».

قلت: «أنا لا أريد».

استداروا ومضوا مبتعدين وهم ينظرون يمينًا ويسارًا باحثين عن الكنز. وددت أن أذهب معهم، وأحسست بما يشدني إلى السير خلفهم، لكن ذلك لم يعد ممكنًا. بدلًا من ذلك وقفت أنظر إلى المشهد من هناك. كانت تلك أعلى نقطة في المنطقة كلّها. يستطيع المرء رؤية الجسر كأنه منبثق من بين قمم الأشجار؛ ويستطيع رؤية اللسان البحري حيث تكون فيه دائمًا قوارب عابرة، وخزان الوقود الكبير الواقع إلى الناحية الأخرى، وكذلك جزيرة غيارشتاهولمن، والطريق الجديدة، والجسر الإسمنتي المنخفض الذي تجتازه. يستطيع المرء أن يرى خليج أوبيشيلن من جهة البر، وكذلك منطقتنا السكنية وسقوفها البرتقالية والحمراء كلّها متناثرة بين الأشجار. الطريق. حديقتنا. حديقة غوستافسن.

صارت السماء الآن زرقاء فوق البيوت، زرقاء كلّها تقريبًا. وكانت الغيوم التي من جهة البلدة بيضاء اللون. وأما من الجهة الأخرى، من خلف أوبيكيلن، فلا تزال السماء رصاصية اللون، ثقيلة.

استطعت أن أرى أبي من هناك. شخص صغير جدًا جدًا، ليس أكبر من نملة، واقف عند رأس السلم المستند إلى سطح البيت.

تساءلت في نفسي: هل يستطيع رؤيتي واقفًا هنا؟

هبّت من البحر نفحة ريح.

استدرت لكي أنظر إلى الآخرين. نقطتان صفراوان، وواحدة خضراء فاتحة، تتحرّك بين الأشجار، جيئة وذهابًا. كانت الهضبة الصخرية رمادية داكنة شديدة الشبه بالسماء التي من خلفي، وفيها أعشاب مختبئة في

الشقوق. رأيت غصنًا على الأرض وقد استند ثقله كلّه إلى العساليج الجانبية الصغيرة، الدقيقة كالإبر... كان مستندًا إليها على نحو جعل جسم الغصن الثخين لا يلمس الأرض. بدا ذلك لي غريبًا.

لم أدخل قبل ذلك أبدًا تلك الغابة الممتدّة بعد هذه النقطة. كان أبعد ما وصلت إليه في ذلك الاتجاه شجرة ضخمة مقتلعة من جذورها لعلّها على مسافة ثلاثين مترًا داخل الغابة. من تلك النقطة، يستطيع المرء أن يرى منحدرًا عاريًا إلا من أزهار الخلنج. أشجار الصنوبر الرشيقة العالية إلى الجانبين، وأشجار التّنوب المنتصبة في الأسفل مثل جدار... كان ذلك أشبه بغرفة كبيرة.

قال غيّير إنه شاهد هناك ثعلبًا في وقت من الأوقات، لكنني لم أصدّقه. إلا أن الثعالب ليست أمرًا نستطيع الاستخفاف به؛ ولهذا كنا نكتفي (طلبًا للسلامة) بأن نأخذ معنا دلوًا فيه طعام وزجاجات عصير، فنجلس عند حافة الجبل حيث ينبسط تحتنا العالم كله، العالم الذي نعرفه كلّه.

صاح ليف تورِه: «ها هو الكنز. واو! قِدر الذهب».

صاح غيّير: «واو!».

صحت بهما: «أنتما لا تستطيعان خداعي».

صاح ليف تورِه: «يا سلام! لقد صرنا أثرياء».

صاح تروِنْد: «لا أستطيع تصديق هذا».

ثم صمتت أصواتهم كلها.

هل عثروا على الكنز حقًا؟

على الإطلاق. إنهم يحاولون خداعي.

لكن نهاية قوس قزح كانت في تلك النقطة بالضبط.

ماذا لو أن ليف تورِه كان محقًا، وماذا لو أن الكنز لم يختفِ مع اختفاء قوس قزح؟

سرت بضع خطوات في اتجاههم، وحاولت النظر عبر شجيرات العرعر التي كانوا واقفين خلفها.

صاح ليف تورِه: «أوووه، يا الله! انظر إلى هذا».

اتخذت قراري في لحظة واحدة، وأسرعت إليهم مندفعًا بين الأشجار، متجاوزًا الأجمات، ثم توقفت.

نظروا كلّهم إليّ.

«خدعناك! ها ها ها! لقد خدعناك!».

«كنت أعرف من البداية، لكني أتيت لأقول لكم إن قوس قزح سيختفي إذا لم نسرع إليه».

قال ليف تورِه: «لقد خدعناك بكل معنى الكلمة».

قلت لهم: «هيا يا غيّير، فلنذهب ونبحث عن قدر الذهب هناك، في الأسفل».

نظر غيّير منزعجًا إلى ليف تورِه وتروند، لكنه كان أفضل أصدقائي فسار معي. ومن خلفنا، أتى تروند وليف تورِه بخطوات متمهلة.

قال ليف تورِه: «أريد أن أبوّل. هل تحبّون أن نرى من يستطيع أن يبول إلى مسافة أبعد من الآخرين؟ من فوق الحافة؟ سوف يجتاز بولنا مسافة كبيرة جدًا».

أأبول في الخارج على الرغم من وجود أبي هناك ومن احتمال أن يستطيع رؤيتي؟ كان ليف تورِه قد أنزل بنطلونه الواقي من الماء وبدأ ينزل سحاب البنطلون الذي تحته. وكان غيّير وتروند قد اصطفا إلى جانبه وراحا يهزان وسطيهما وينزلان بنطلونيهما.

قلت لهم: «لا أستطيع أن أبول. لقد فعلتها قبل قليل».

قال غيّير وهو يستدير صوبي واضعًا يديه الاثنتين من حول قضيبه: «أنت لم تفعل ذلك، لقد كنا معًا طيلة الوقت».

قلت: «لقد بلت عندما كنتم تبحثون عن الكنز».

وبعد ثانية من ذلك، لفَّتهم جميعًا غيمة بخار مع انطلاق بولهم. تقدّمت لكي أعرف الفائز. فوجئت بأنه تروند.

قال ليف تورِه وهو يقفل سحاب بنطلونه: «لقد رفع رولف قضيبه إلى الأعلى. وهذا ما جعل بوله يبلغ مسافة أبعد».

قال غيّير وهو يهز قضيبه مرة أخيرة قبل أن يعيده إلى مكانه: «اختفى قوس قزح».

نظر الجميع من فوق الحافّة الصخرية.

قال تروِنْد: «ماذا نفعل الآن؟».

أجابه ليف تورِه: «لا أعرف».

اقترحت: «فلنذهب إلى مستودع الزوارق، ما رأيكم؟».

قال ليف تورِه: «وماذا نستطيع أن نفعل هناك؟».

أجبته: «ممم... من الممكن أن نتسلّق سطحه».

قال ليف تورِه: «هذه فكرة حسنة».

نزلنا في مسار متعرّج نشق طريقنا عبر غابة التنوب الكثيفة، ولم تمض إلا خمس دقائق حتى صرنا على الطريق الترابية الممتدة على طول الخليج. عادة ما كنا نذهب في الشتاء إلى التلّة القائمة إلى الجهة الأخرى لكي نتزلج. وأما في الصيف والخريف، فإننا لا نذهب إلى ذلك المكان إلا نادرًا... فماذا يمكن أن نفعل هناك؟ كان الخليج ضحلًا وموحلًا، أي أنه غير صالح للسباحة؛ وكان الرصيف مهدَّمًا، فضلًا عن أن الجزيرة الصغيرة القريبة من الشاطئ كانت مغطاة بزَرق النوارس التي اتخذتها مكانًا لأعشاشها. لم نكن نذهب إلى ذلك المكان إلا في مرات نادرة، عندما لا نجد شيئًا آخر نفعله، كحالنا هذا الصباح. وفوقنا، في الأعلى، بين السفح المنحدر وحافة الغابة، كان هناك بيت قديم أبيض تسكنه امرأة عجوز بيضاء الشعر. لم نكن نعرف عنها أي شيء، لا اسمها، ولا ما تفعله هناك. كنا نسترق النظر إلى داخل البيت أحيانًا، فنضع أكفّنا على النافذة ونلصق وجوهنا بزجاجها، لا لسبب بعينه، ولا لأن بنا فضولًا، بل لمجرد أننا نستطيع فعل ذلك. كنا نرى غرفة جلوس فيها أثاث عتيق، أو مطبخ فيه آنية عتيقة. وعلى مقربة من ذلك البيت، خلف طريق ضيّقة مفروشة بالحصى، كانت هناك زريبة عتيقة حمراء اللون تبدو موشكة على الانهيار. وفي الأسفل، عند الجدول الجاري منحدرًا من الغابة، كان مستودع الزوارق المقام من خشب غير مطلي.

سقف المستودع مغطى بالخيش المشبع بالزفت. وعلى امتداد الجدول تنمو نباتات السرخس ومعها نباتات أخرى لها أوراق هائلة الحجم بالقياس إلى سوقها الدقيقة. وإذا أزاح المرء تلك الأوراق جانبًا بيديه، بتلك الحركة التي يستخدمها أشخاص كثيرون عندما يسبحون، لكي يرى ما تحت تلك الأوراق الخضراء التي تسهل إزاحتها، فإن الأرض تبدو من تحتها عارية وكأن النباتات تخدعنا بأنها خضراء وارفة في حين أنه لا يكاد يوجد شيء غير التراب من تحت تلك الخضرة الكثيفة. وإذا تابع المرء نزوله مقتربًا من الماء، فإن التراب أو الصلصال، أو مهما يكن اسمه، يصير ذا لونٍ ضاربٍ إلى الحمرة، لون يذكّر المرء بالصدأ. تعلّق في ذلك المكان أحيانًا مجموعةً متنوعة من الأشياء: قطعة من كيس بلاستيكي، أو مزق قماش؛ لكن ليس في يوم مثل هذا اليوم لأن الماء كان شديد الاندفاع من الأنبوب المار تحت الطريق... ماء متدفّق سيلًا سريعًا لا يهدأ إلا عندما يبلغ دلتا صغيرة يتوزع فيها التيار على مساحة متّسعة قبل أن يلتقي ماء الخليج.

كان مستودع الزوارق رماديًا لشدّة قِدمه. وفي بعض الأماكن، كان من الممكن أن يضع المرء يده بين الألواح الخشبية. هذا ما جعلنا نعرف ما في ذلك المكان حتى من غير أن يدخله أحد منا. بعد أن نظرنا عبر تلك الفتحات حينًا من الزمن، تحول اهتمامنا إلى السطح الذي نريد محاولة تسلّقه. حتى نفعل ذلك، لا بد لنا من العثور على شيء نقف عليه. لم نجد في الجوار القريب ما يمكن أن يكون مفيدًا لنا، فعدنا أدراجنا وتسلّلنا إلى الحظيرة نفتش عما يلزمنا. تأكّدنا قبل كل شيء أن ما من سيارة متوقّفة خلف البيت؛ وهذا لأننا نرى أحيانًا سيارة متوقّفة هناك، صاحبها رجل -لعله ابن تلك المرأة- وكان يمنعنا أحيانًا من اجتياز الممر عندما نحاول إطالة مسافة التزلج. إلا أن المرأة لم تكن تفعل ذلك أبدًا. وقد نظرنا أولًا لنرى إن كان موجودًا.

لا سيارة هناك!

بضع علب معدنية متناثرة عند الجدار. عرفت تلك العلب لأنني رأيت

مثلها في مزرعة جدّي: إنها علب حمض الفورميك. كان هناك أيضًا وعاء زيت صدئ. باب تخلّعت مفصّلاته.

ثم وجدنا في ذلك المكان قاعدة خشبية مربعة مما يستخدم في تحميل السلع عند نقلها.

حملنا تلك القاعدة. كانت كأنها ملتصقة بالأرض. وعندما رفعناها، كانت زاخرة بسوس الخشب، وحشرات صغيرة تشبه العناكب راحت تجري في المكان كله. حملناها بيننا طيلة الطريق عبر ذلك المنبسط، ثم نزولًا إلى حيث المستودع. أسندناها إلى الجدار. كان ليف تورِه، الذي نقرُّ له جميعًا بأنه أكثرنا شجاعة، أول من جرّب الصعود. وقف على تلك القاعدة، وتمكن من وضع مرفقه على حافة السطح. أمسك الحافة بيده الأخرى، أمسكها بقوة، ثم قذف بإحدى ساقيه في الهواء. صارت ساقه على حافة السطح وظلت هناك لحظة، لكن قبضة يده الممسكة بالحافة لم تستطع الاحتمال عندما حاول رفع جسده، فسقط مثلما يسقط كيس من البطاطس، ولم يتمكّن من الإمساك بشيء حتى يخفّف سقطته. اصطدمت أضلاعه بالقاعدة الخشبية المائلة، ثم انزلق عنها إلى الأرض.

صاح متألّمًا: «آه! آه! أوووه. آه! آه! آه!».

نهض بحركة بطيئة فوقف من جديد، وتفحّص كفيه، ثم راح يدعك ردفه.

«أوووه، هذا مؤلم! لعلّ أحدًا منكم يستطيع المحاولة الآن».

قال هذا ونظر إليّ.

قلت: «ذراعاي ليستا قويتين بما يكفي لهذا».

قال غيّير: «أنا سأحاول الصعود».

إن كان ليف تورِه معروفًا بشجاعته، فقد كان غيّير معروفًا باندفاعه وجموحه. ليس هذا من طبيعته لأنه يفضِّل، إن كان وحده، أن يبقى في البيت لكي يرسم ويسلي نفسه طيلة النهار بأي شيء يعجبه... إلا عندما يتحدّاه أحد. لعله كان شخصًا ساذجًا بعض الشيء! في ذلك الصيف، صنعنا

معًا عربة، وذلك بمساعدة كبيرة من أبيه. وعندما فرغنا منها، جلست فيها وجعلته يدفعها في أرجاء المكان كلّه بمجرد أن قلت له إن هذا سيجعله أكثر قوة. شخص ساذج يسهل خداعه، لكنه متهوّر أيضًا لأن الحدود كلّها تصير أحيانًا غير موجودة بالنسبة إليه، ويصير من الممكن أن يفعل أي شيء.

اختار غيّير طريقة مختلفة عن طريقة ليف تورِه. وقف على القاعدة وأمسك حافّة السقف بيديه الاثنتين، ثم حاول أن يسير صاعدًا على الجدار بحيث صارت أصابع كفّيه تحمل ثقل جسمه كلّه. وبطبيعة الحال، كانت تلك محاولة غبية. فحتى لو استطاع متابعة السير، فسوف يصير واقفًا في وضعية أفقية تحت حافة السطح، أي في وضعية أقل مواتاة من تلك التي كان فيها منذ البداية.

انزلقت أصابعه وسقط فاصطدمت مؤخّرته بالقاعدة الخشبية، ثم اصطدم بها مؤخر رأسه.

أطلق صيحة ألم. وعندما نهض واقفًا، كان واضحًا لي أن إصابته كانت مؤلمة حقًّا. أرغم نفسه على السير بضع خطوات، جيئة وذهابًا، وهو يزفر ألمًا. وبعدها، صعد فوقف فوق القاعدة من جديد. استخدم هذه المرة الأسلوب الذي استخدمه ليف تورِه. تمكّن من رفع ساقه إلى حافة السطح، لكنه بدا كمن سرَت في جسده سلسلة نبضات كهربائية جعلت ساقه تضرب الخيش الذي على السطح ضربات متكرّرة، ثم تلوّى جسده، ثم... ها هو... ها هو راكع فوق السطح ينظر إلينا من الأعلى.

قال لنا: «هذا سهل! هيا! أستطيع أن أشدّكم إلى الأعلى».

أجابه تروند: «لا تستطيع. لست قويًا بما يكفي لهذا».

قال غيّير: «نستطيع المحاولة، على أية حال».

قال ليف توره: «من الأفضل أن تنزل. ثم إن عليّ أن أعود إلى البيت».

قلت: «وأنا أيضًا».

على الرغم من هذا، لم يظهر على ذلك الواقف في الأعلى أيُّ قدر من خيبة الأمل. والحقيقة أنه بدا مصمّمًا كل التصميم.

قال لنا: «سأقفز من هنا».
قال ليف تورِه: «أليست عالية بعض الشيء؟».
قال غيّير: «على الإطلاق، ليس عليَّ إلا أن أركز قليلًا».
جثم عند حافة السطح، ونظر إلى الأرض وهو يستنشق أنفاسًا عميقة كمن يريد أن يغطس في الماء. وللحظة، زال عنه كل ما كان في جسده من تحفّز، فظننت أنه غيّر رأيه لكنه لم يلبث إلا أن تحفّز وقفز. سقط، وتدحرج، ثم قفز واقفًا كالنابض وبدأ ينفض التراب عن فخذه لكي يبين أنه متمالك نفسه تمامًا حتى قبل أن يقف منتصب القامة.
لو كنت الوحيد الذي استطاع تسلّق السطح لكان ذلك نصرًا عظيمًا. لم يكن ليف تورِه لن يتراجع أبدًا حتى إن أمضى الليل كله في التسلق والسقوط، وسوف يتابع محاولة التخلّص من اختلال التوازن الذي صار واضحًا له. إلا أن غيّير كان حالة مختلفة. الحقيقة أنه قادر على اجتراح إنجازات مدهشة كالقفز خمسة أمتار في الهواء قبل السقوط على كومة من الثلج. شيء لم يجرؤ أحد منا على فعله... لكن هذا لم يكن يعني شيئًا بالنسبة إليه. كان شيئًا من غير عواقب حقيقية - غيّير كان غيّير فحسب، وكل ما في رأسه يفعله.
عدنا صاعدين في الطريق من غير أن نقول كلمة. كانت المياه قد جرفت أجزاء من سطح الطريق في بعض الأماكن، وأحدثت حفَرًا عميقة في أماكن أخرى. توقّفنا برهة ورحنا نضغط بأقدامنا على الأماكن الطريّة حتى نرى الماء ينز من بين الحجارة عند حواف أحذيتنا. كان ذلك إحساسًا جميلًا. كانت يداي باردتين. وعندما أضغطهما، تترك الأصابع علامات بيضاء على الجلد المحمرّ. لكن الثآليل -ثلاثة على الإبهام، واثنان على الإبهام الآخر، وواحد على السبابة، وثلاثة على ظهر يدي- لم يتغير لونها بل ظل أحمر باهتًا، مائلًا إلى البني قليلًا. وكانت على تلك الثآليل، كما هي الحال دائمًا، طبقة من نقط صغيرة أستطع أن أدعكها فأزيلها. ذهبنا بعد ذلك إلى الجزء الآخر من الحقل، إلى تلك الرقعة المنتهية بجدار حجريّ وغابة من خلفه. كانت أشبه برقعة أرض محاطة بجرف طويل شديد الانحدار قد يبلغ

ارتفاعه عشرة أمتار وفيها صف من أشجار التّنوب تقطعها أحيانًا صخور عارية. عندما أسير في هذه المنطقة، أو في أماكن تشبهها، كثيرًا ما أتأمل مسرورًا فكرة أن هذا المشهد البرّي يشبه البحر، وأن الحقول المنبسطة هي سطح الماء، في حين تكون الجبال جزُرًا ناهضة من تحت ذلك السطح.

آوه... أن يبحر المرء عبر الغابة! أن يسبح بين الأشجار! سيكون هذا أمرًا عظيمًا.

كنا نذهب بالسيارة أحيانًا إلى الناحية البعيدة من الجزيرة عندما يكون الطقس جيدًا. نوقف السيارة في ميدان الرماية القديم، ثم نسير نزولًا حتى الصخور التي جعلها البحر صقيلة، تلك الصخور التي كانت بقعة نقصدها كثيرًا، ولم تكن بعيدة عن شاطئ سبورنز الذي أفضِّل الذهاب إليه (بالطبع لأن فيه رملًا، ولأنني أستطيع هناك أن أخوض الماء إلى العمق الذي يناسبني. وأما عند هذه الصخور، فإن الماء يصير على الفور عميقًا جدًا. إلا أن في ذلك المكان أيضًا شيئًا يشبه جيبًا ضيقًا ممتلئًا ماءً يستطيع المرء أن يصل إليه عبر الصخور، وأن يسبح فيه. لكنه كان حيّزًا صغيرًا، وكان قاعه غير مستو وفيه أعشاب بحرية وأصداف وقواقع. تصفع الأمواج الصخور من الجهة الخارجية فتجعل الماء يعلو في الداخل حتى يبلغ عنقي أحيانًا ويفور الزبد فيغطي سترة النجاة التي أرتديها ويرفعها حتى أذني. ثم إن الجدران الصخرية المنحدرة تضخّم صوت اندفاع الماء وخريره فتجعله صوتًا أجوف. كنت أقف هناك مذعورًا وقد فقدت فجأة كل قدرة على التنفس إلا من خلال شهقات كبيرة مرتجفة. وكان الأمر مخيفًا عندما يتراجع الماء وينخفض مستواه مصدرًا صوتًا كأن شيئًا يشرقه. وعندما يكون البحر هادئًا، ينفخ أبي أحيانًا الفراش المطّاطي ذا اللونين الأخضر والأصفر، ويسمح لي بأن أنبطح عليه وأعوم على مقربة من الشاطئ. يكون بطني وصدري ملتصقَيْن بالبلاستيك الرطب، وظهري جافًا وحارًا تحت الشمس الملتهبة. أجذّف في الماء بيديَّ، في ذلك الماء المالح ذي البرودة المنعشة، وأنظر إلى الأعشاب البحرية تتمايل يمينًا ويسارًا فوق الصخور التي نبتت عليها، وأنظر باحثًا عن أسماك أو سرطانات،

أو تتابع عيناي سفينة في الأفق. تأتي العبّارة الدانماركية بعد الظهر. نراها في البعيد عند وصولنا، ثم تصير في مضيق غالتيسوند عند انصرافنا... بيضاء، عملاقة، تعلو فوق الجزر الصغيرة والجروف. هل هي العبّارة MS Venus؟ أم هي Christian IV؟ كان الأطفال، على امتداد الجهتين الجنوبية والغربية من الجزيرة، وكذلك الأطفال الذي يعيشون في الناحية الأخرى من غالتيه ساوند وعلى جزيرة هيسويا (التي كانت بالنسبة إلينا أرضًا أجنبية)، يسبحون عندما تأتي العبّارة لأنها تترك خلفها أثرًا واسعًا ومثيرًا. عندما كنت أجذف على الفراش المنفوخ بعد ظهر ذات يوم، جعلتني موجة مفاجئة أنتصب جالسًا فوقعت في الماء، وغرقت كأنني حجر. أظن أن عمق الماء كان يناهز ثلاثة أمتار. حاولت دفع الماء بذراعيَّ وبيديَّ، وصرخت مذعورًا، وابتلعت ماءً، فازداد خوفي. لكن ذلك لم يستمر أكثر من عشرين ثانية لأن أبي رأى كل شيء. غاص خلفي وجرّني إلى الشاطئ. أفرغت بعض الماء من جوفي، وشعرت ببرد شديد، فعدنا إلى البيت. لم أكن في أي خطر حقيقي، ولم يكن لتلك الحادثة أي أثر دائم غير ذلك الإحساس الذي لم يأتني إلا عندما سرت صاعدًا الطريق لكي أخبر غيير بما حدث: العالم شيء أسير عليه، وهو صلب لا تخترقه قدماي. من المستحيل أن أغرق فيه مهما بلغ ارتفاع جباله ومهما كانت وديانه عميقة. كنت أعرف هذا من قبل، بالطبع، لكني لم أحسّه هكذا قبل الآن: الإحساس بأننا نسير على سطح صلب!

ظللت أترقّب تلك الرحلات إلى شاطئ البحر، وأتوق إليها، على الرغم من هذه الحادثة ومن الضيق الذي يصيبني أحيانًا عندما أكون في ذلك الجيب الصغير بين الصخور. الجلوس على المنشفة إلى جوار إنغفِه، والنظر إلى البحر الأزرق المنبسط كأنه مرآة لا تنتهي إلا في الأفق البعيد حيث تبحر سفن كبيرة وتمرّ ببطء كبطء عقرب الساعة، أو النظر إلى المنارتَين اللتين على تورينغن، وإلى التضادّ الحادّ بين بياضهما وزرقة السماء المتألّقة: أي شيء أحسن من هذا؟ تناول المشروبات الغازية التي وضعناها في الحقيبة المبرّدة ذات الغلاف الذي عليه مربعات حمراء، وأكل البسكويت، وربما

النظر إلى أبي وهو يسير إلى حافة الصخور، مفتول العضلات، مسمرّ الجلد بفعل الشمس، ثم يغطس بعد ثانية واحدة في البحر المنخفض مترين عن قمة الصخرة. كيف ينفض رأسه ويردّ الشعر عن عينيه عند ظهوره على سطح الماء، واندفاع فقاعات الهواء من حوله، ولمحة السرور النادرة التي أراها في عينيه وهو يسبح إلى الشاطئ بضربات ثقيلة بطيئة من ذراعيه وجسده يعلو ويهبط في الماء. أو السير إلى الحفرتين القريبتين في الصخور، واحدة عمقها بطول قامة رجل وعلى جوانبها الصخرية علامات لولبية نازلة صوب قعرها؛ حفرة مليئة بماء البحر وعلى سطحه نباتات بحرية خضراء، وفي قعر الحفرة كتل من أعشاب بحرية. كانت الحفرة الثانية أقل عمقًا، لكنها ليست بأقل من الثانية جمالًا... أو الصعود إلى البرك الضحلة الحارّة، شديدة الملوحة، المنتشرة في تجاويف الصخور... تلك البرك التي لا تتجدّد إلا عندما تهب العواصف. برك تزدحم سطوحها بحشرات صغيرة تحوم على سطح الماء، وتكسو قيعانها طحالب ذات لون أصفر سقيم.

في واحد من تلك الأيام، قرّر أبي أن يعلّمني السباحة. قال لي أن أتبعه حتى حافة الماء. كان هناك حيد صغير زلِق على عمق نحو نصف متر، وعليه أعشاب بحرية. طلب مني أبي أن أقف على ذلك الحيد. سبح إلى صخرة على مسافة أربعة أمتار من الشاطئ، أو خمسة أمتار، استدار ونظر إليّ.

قال لي: «الآن اسبح في اتجاهي».

قلت له: «لكن البحر عميق». قلت هذا لأن الماء كان عميقًا حقًّا، وكان القاع الذي بيننا لا يكاد يرى. لعلّ عمقه كان ثلاثة أمتار.

«إنني هنا، يا كارل أوفِه. ألا تظنني قادرًا على إنقاذك إذا غرقت؟ هيا، اسبح. ليس الأمر خطيرًا على الإطلاق. أعرف أنك قادر على هذا. اقذف بنفسك في الماء وحرِّك ذراعيك. إذا فعلت ذلك فسوف تستطيع السباحة. وسوف تسبح هذه المسافة، وعندها تصير قادرًا على السباحة».

قرفصت في الماء.

كان القاع يبدو لي متلألئًا، مائلًا إلى الخضرة، عميقًا جدًا. هل أستطيع العوم في هذا العمق كلّه؟

لم يكن قلبي ينبض بهذه القوة إلا عندما يصيبني الذعر.

صحت: «لا أستطيع».

صاح أبي: «بالطبع تستطيع. هذا في غاية السهولة. ما عليك إلا أن تلقي بنفسك في الماء وتلوّح مرتين بذراعيك حتى تصل إلي».

قلت: «لا أستطيع».

نظر إليَّ مليًّا. ثم تنهّد وسبح عائدًا.

قال لي: «لا بأس. سوف أسبح إلى جانبك. سأضع يديَّ تحت بطنك. في هذه الحالة، لا يمكن أن تغرق».

لكني لم أكن قادرًا على فعل ذلك. لماذا لم يفهم هذا؟

بدأت أبكي، وقلت: «لا أستطيع».

كان عمق الماء مقيمًا في رأسي؛ وكان مقيمًا في صدري. كان عمق الماء في ذراعيّ، وفي ساقيّ، وفي أصابع يديّ وقدميّ. ملأني ذلك العمق، ملأني كلّي. هل كان متوقّعًا مني أن أستطيع التفكير بغير تلك الطريقة؟

الآن، اختفت الابتسامات كلّها وما عاد لها مكان. صعد أبي إلى اليابسة وعلى وجهه تعبير صارم، ثم ذهب إلى حوائجنا وعاد حاملًا سترة النجاة.

رمى بها صوبي، وقال لي: «ارتدِ هذه السترة. الآن، لن تغرق إلى القاع حتى إذا حاولت فعل ذلك».

ارتديت السترة على الرغم من إدراكي أنها لن تفلح في تغيير أي شيء.

سبح إلى الصخرة من جديد، ثم استدار وواجهني. وقال:

«حاوِل الآن. اسبح في اتجاهي!».

قرفصت من جديد. غمر الماء سروال السباحة. مددت ذراعيَّ في الماء.

قال أبي: «نعم، هذه هي الطريقة الصحيحة».

ما كان عليَّ إلا أن أدفع بنفسي إلى الماء وأضرب صفحته بذراعيّ بضع مرات حتى ينتهي الأمر كله.

لكني لم أستطع فعل شيء من ذلك. لن تكون لي أبدًا قدرة على السباحة في مياه عميقة. بدأت الدموع تجري على وجنتيَّ.

صاح أبي: «هيا، يا ولد! لن نضيّع النهار كلّه في هذا الأمر».

أجبته صائحًا: «لا أستطيع! ألا تسمعني؟».

تجمّد في مكانه ونظر إليّ بعينين فيهما غضب شديد.

قال لي: «هل تريد أن تكون ضعيفًا مشاكسًا؟».

أجبته وأنا عاجز عن كبت بكائي: «لا». كانت ذراعايَ مرتعشتين.

سبح إليّ من جديد، وقبض على ذراعي بقوة.

قال لي: «تعال، هيا». حاول أن يجرّني معه، لكني ملت بجسدي صوب اليابسة.

قلت له: «لا أريد هذا».

تركني، ثم استنشق نفسًا عميقًا. وقال: «لست مضطرًا إلى قول هذا. هذا واضح، أليس كذلك؟».

ذهب إلى حيث تركنا ملابسنا فالتقط المنشفة بيديه الاثنتين وجفف وجهه. خلعت سترة النجاة وأتيت إليه. توقّفت على مسافة بضعة أمتار منه. رفع ذراعه وجفف تحت إبطه، ثم جفف الذراع الأخرى. انحنى ودعك فخذيه بالمنشفة. رمى المنشفة والتقط قميصه فارتداه وزرّره وهو ينظر إلى البحر الهادئ هدوءًا تامًا. وبعد ذلك، أخرج زوج الجوارب فوضعه في قدميه وأدخلهما في حذائه. كان حذاؤه جلديًا، بني اللون، غير متناسب مع لون الجوارب ولا مع لون سروال السباحة.

قال لي: «ماذا تنتظر الآن؟».

تناولت القميص الخفيف الأزرق ذا الكمين القصيرين الذي أهداني إياه جدي وجدتي، فلبسته، ثم انتعلت حذائي الرياضي الأزرق. ألقى أبي بزجاجتي الشراب الغازي الفارغتين وبقشور البرتقال في الحقيبة المبردة، ثم علّقها من كتفه وانطلق. كانت المنشفة الرطبة في يده الأخرى. لم يقل لي شيئًا في طريقنا إلى السيارة. فتح صندوق السيارة، ووضع الحقيبة المبردة،

وأخذ سترة النجاة من بين يديَّ ووضعها إلى جانب الحقيبة ثم وضع المنشفة إلى جوارها. الظاهر أنه لم ينتبه إلى بقاء منشفتي معي؛ وبالتأكيد، لم تكن لدي أيّة نية في إزعاجه بهذا الأمر.

لقد أوقف السيارة في الظلّ عند وصولنا. لكنّها صارت الآن تحت الشمس. كانت مقاعدها السوداء حارة جدًا فأحرقت فخذيّ. فكّرت لحظة في وضع منشفتي الرطبة على المقعد. لكنه سيلاحظ هذا. بدلًا من ذلك، وضعت يديَّ على المقعد وجلست فوقهما محاولًا أن أظلّ قريبًا من الحافّة إلى أقصى حدٍّ ممكن.

أدار أبي محرك السّيارة وسار بها ببطء شديد جدًّا. كانت في تلك المنطقة المكشوفة المفروشة بالحصى، المعروفة باسم «حقل الرماية»، حجارة كبيرة كثيرة. وكان في الطريق التي سلكها بعد ذلك كثير من الحفر مما اضطره إلى مواصلة قيادة السيارة بذلك البطء الشديد نفسه. كانت الأغصان والأجمات الخضراء تحتك بجانبي السيارة وبسقفها. وكنت أسمع أحيانًا صوتًا غريبًا عندما يصطدم غصن بالسيارة. لا تزال حرارة المقعد لاسعة على كفّيّ، لكنها صارت الآن أهون من ذي قبل. لم أنتبه إلا في تلك اللحظة إلى أن أبي كان يرتدي سروال السباحة، ويجلس، مثلي، على مقعد شديد الحرارة. ألقيت نظرة سريعة على وجهه في المرآة. كان عابسًا، غير مشجّع على الكلام؛ لكني لم أرَ فيه ما يشير إلى أن حرارة المقعد تحرق فخذيه. ازدادت سرعة السيارة عندما خرجنا إلى الطريق الرئيسية المارّة تحت الكنيسة. اجتاز أبي الكيلومترات الخمسة الباقية حتى بيتنا بسرعة أكبر كثيرًا من الحد المسموح به.

قال لأمي عصر ذلك اليوم: «إنه يخاف الماء». لم يكن هذا صحيحًا، لكني لم أقل شيئًا لأنني لست غبيًّا!

وفي الأسبوع الذي أعقب ذلك، أتى جدّي وجدتي لأمي في زيارة إلى بيتنا. كانت تلك أول مرة يأتيان فيها إلى تيباكْن. هناك، في مزرعتهما في سيربوفاغ، لم يكونا أبدًا غير منسجمين مع المكان بل كانا منتميين إليه

تمامًا: جدّي بأوفروله الأزرق وقبعته السوداء ذات الحافّة الضيّقة، وجزمته المطاطية البنّية طويلة الساق، والتبغ الذي يبصقه دائمًا؛ وجدتي بفساتينها النظيفة مع أنها قديمة بالية، وشعرها الرمادي، وجسدها العريض، ويديها اللتين فيهما رعشة خفيفة دائمة. لكنهما خرجا من السيارة عندما توقّفت في الممر أمام بيتنا بعد أن ذهب أبي لملاقاتهما في كيفيك، رأيت فورًا أنهما غير منسجمَين مع المكان هنا. كان جدّي يرتدي بدلة الأحد الرمادية وقميصًا أزرق فاتحًا وقبعة رمادية، وفي يده غليونه الذي لا يمسكه من ساقه مثلما يفعل أبي، بل من رأسه. لاحظت أنه يستخدم ساق الغليون للإشارة بها عندما يتكلّم. لاحظت هذا عندما دار بهما أبي وأمي من حول البيت لكي يريا الحديقة. كانت جدّتي ترتدي معطفًا رماديًا خفيفًا، وحذاء رماديًا خفيفًا، وفي يدها حقيبة. لا أحد هنا يرتدي ملابس كهذه. ولا يرى المرء أبدًا أي شخص يرتدي ملابس تشبهها في آرندال. كانا كأنهما شخصان قادمان من زمن آخر.

ملأت غرابتهما غرف بيتنا. وعلى نحو مفاجئ، راح أبي وأمي يتصرّفان بطريقة مختلفة، أبي خاصّة: بدأ يتصرّف مثلما فعل في ليلة عيد الميلاد. صارت كلمة «لا» الدائمة عنده «لم لا؟»؛ وصارت عيناه اليقظتان دائمًا لطيفتين، وصار من الممكن حتى أن يضع يدًا ودودًا على كتفي أو على كتف إنغفِه على سبيل التحيّة. كان يحدّث جدتي مهتمًا، لكني استطعت رؤية حقيقة أنه غير مهتم. لاحظت هذا لأنه كانت هناك لحظات وجيزة يلتفت بها إلى جهة أخرى فتبدو عيناه من غير حياة على الإطلاق. وأما جدي الباسم المتحمّس (مع أنه صار يبدو هنا أصغر حجمًا وأشد ضعفًا مما كانه في بيته) فلم يبدُ عليه ما يشير إلى أنه لاحظ هذا الأمر لدى أبي. أو لعله لاحظه وتجاهله.

اشترى أبي بضعة سرطانات بحرية في إحدى الأمسيات خلال فترة إقامتهما عندنا. في نظره، تعتبر السرطانات البحرية مثلًا أعلى للاحتفال بالطعام. ومع أننا كنا لا نزال في بداية الموسم، فقد كانت تلك السرطانات التي أفلح في العثور عليها غنية باللحم. إلا أن جدّي وجدتي لم يكونا ممن يأكلون السرطانات. إذا علق سرطان بحري في شبكة جدي، فإنه يرميه بعيدًا.

سيروي أبي في وقت لاحق قصصًا عن هذا الأمر لأنه كان يراه مضحكًا، ولأنه كان يعتبره نوعًا من التطيّر. فلماذا تكون السرطانات البحرية أقل نظافة من الأسماك لمجرد أنها تزحف على القاع ولا تسبح في الماء على هواها؟ من المحتمل أن تأكل السرطانات البحرية جِيفًا - فهي تأكل كل ما يسقط إلى القاع - لكن، ما هي فرصة أن تكون هذه السرطانات تحديدًا قد صادفت جثثًا بشرية في أعماق خليج سكاغيراك؟

كنا جالسين في الحديقة بعد ظهر أحد الأيام نشرب القهوة والعصير. ثم ذهبت بعد ذلك إلى غرفتي حيث استلقيت على سريري أقرأ في مجلة. سمعت صوت خطوات جدي وجدتي صاعدة السلم. لم يقولا شيئًا، بل صعدا السلم بخطوات متثاقلة ودخلا غرفة المعيشة. كان ضياء الشمس ذهبيًا في غرفتي، وكانت في المرج الذي في الخارج بقع صفراء، بل حتى بنية، على الرغم من مسارعة أبي إلى تشغيل مرشّة المياه لحظة أعطى المجلس المحلي إذنًا بذلك. كان كل ما أستطيع رؤيته على امتداد الطريق، والبيوت كلّها، والحدائق كلّها، والسيارات كلّها، والأدوات والمعدات المستندة إلى الجدران كلّها، وعتبات البيوت كلّها، في حالة من نعاس ثقيل... هكذا بدت لي. كان صدري المتعرّق ملتصقًا التصاقًا مزعجًا بغلاف اللحاف. نهضت، وفتحت الباب، ومضيت إلى غرفة المعيشة، حيث كان جدي وجدتي جالسَيْن على كرسيَّيْن منفصلَيْن.

سألتهما: «هل تحبان مشاهدة التلفزيون؟».

قالت جدتي: «أجل. اقترب الآن موعد الأخبار، أليس كذلك؟ تعرف أن هذا ما نحب مشاهدته».

ذهبت إلى جهاز التلفزيون وشغّلته. مرت بضع ثوان قبل أن تظهر الصورة، ثم أنارت الشاشة ببطء، وظهر حرف «M» المميز للبرنامج الإخباري على التلفزيون النرويجي، وبدأ يكبر شيئًا فشيئًا تصاحبه نغمة بسيطة، دينغ دونغ دينغ دونغ، خافتة أول الأمر، ثم أقوى، ثم أقوى. تراجعتُ إلى الخلف خطوة. انحنى جدي في كرسيه ويده قابضة على غليونه.

قلت: «ها هي».

حقيقة الأمر أنه لم يكن مسموحًا لي أن أشغّل التلفزيون، ولا الراديو الكبير الجاثم على الرف عند الجدار. كان عليّ دائمًا أن أطلب من أمي أو أبي تشغيلهما إذا كان هناك ما أريد مشاهدته أو الاستماع إليه. لكنّي أفعل هذا الآن من أجل جدّي وجدّتي. لن يعترض أحد على مبادرتي... بكل تأكيد.

ومن غير سابق إنذار، بدأت الصورة تتراقص على الشاشة. تشوّهت الألوان. شرارة كهربائية وصوت مرتفع... «بفف». ثم صارت الشاشة سوداء.

مكتبة
t.me/t_pdf

أوه لا. أوه لا.

أوه لا. أوه لا.

سأل جدي: «ماذا أصاب جهاز التلفزيون؟».

قلت له: «لقد تعطّل». وامتلأت عيناي دموعًا.

أنا من جعل التلفزيون يتعطّل.

أجاب جدي: «يمكن أن يحدث هذا. الحقيقة أننا نفضّل الاستماع إلى الأخبار عن طريق الراديو».

نهض جدّي من كرسيه وسار بخطوات صغيرة متّجهًا إلى جهاز الراديو. ذهبت إلى غرفتي. جمّدني الخوف، واضطربت معدتي. رقدت على سريري. كان غلاف اللحاف لطيف البرودة على جلدي العاري الحار. تناولت مجلة من المجلات التي على الأرض. لكني كنت غير قادر على القراءة. سرعان ما سيأتي أبي ويذهب إلى جهاز التلفزيون ويضغط على مفتاح التشغيل. لو تعطّل التلفزيون وأنا وحدي في البيت، فلعلّ من الممكن أن أتصرّف كما لو أن شيئًا لم يحدث، فيظنّ أبي أن الجهاز قد كفّ عن العمل من تلقاء نفسه. لكن من الممكن أيضًا، على الرغم من ذلك، أن يستنتج أنني السبب في تعطّله لأن له أنفًا لا يخطئ أبدًا. تكفيه نظرة واحدة في اتجاهي حتى يعرف أن هناك أمرًا ليس على ما يرام ويستنتج الحقيقة. وأما الآن،

فأنا غير قادر على التظاهر بأنني لا أعرف ما حدث لأن جدّي وجدتي كانا شاهدَيْن. سوف يخبرانه بما فعلته؛ وإذا حاولت إخفاء أي شيء، فلن يكون من شأن هذا إلا أن يجعل الوضع السيئ يزداد سوءًا فيصير أسوأ كثيرًا مما هو الآن.

جلست في السرير. معدتي منقبضة لكن من غير أي أثر للحرارة والضعف اللذين يصيبانني عندما أمرض... كان ذلك إحساسًا باردًا، مؤلمًا، شديدًا لا تستطيع أية دموع أن تخفّف من وطأته.

بقيت برهة جالسًا في الفراش... أبكي.

ليت إنغفِه كان في البيت! لو كان هنا، لاستطعت البقاء في غرفته أطول وقت ممكن. لكنه ذهب لكي يسبح مع ستينار وكيرِه.

جعلني أقف على قدميَّ إحساسٌ بأنني سأكونَ أكثر قربًا منه إذا ذهبت إلى غرفته، مع أنها خالية الآن. فتحت باب غرفتي، وسرت إلى غرفته على أطراف أصابعي. كان سريره مطليًا بلون أزرق، وكان سريري مطليًّا بلون برتقالي. وعلى النحو نفسه، كانت أبواب خزانته زرقاء، في حين كانت أبواب خزانتي برتقالية. كانت في الغرفة رائحة إنغفِه. ذهبت إلى سريره وجلست عليه. كانت النافذة مفتوحة قليلًا.

وكان هذا أكثر مما أجرؤ على تمنّيه. في وسعي الآن سماع أصواتهم على السطيحة من غير أن يعرفوا أنني هنا. لو كانت النافذة مغلقة، لكان صوت فتحها كفيلًا بأن يكشف مكاني.

كان صوت أبي يعلو وينخفض بطريقة هادئة، مثلما يكون عندما يصفو مزاجه. ومن وقت لآخر، كنت ألتقط نبرة صوت أمي الأكثر لطفًا وإشراقًا. كان صوت الراديو آتيًا من غرفة المعيشة. ولسبب لا أعرفه، تكوّن لدي انطباع بأن جدي وجدتي نائمان، كلًا في كرسيه، وبأن فميهما مفتوحين وعيونهما مغمضة... لعلي رأيتهما جالسين هكذا في سوربوفاغ عندما ذهبنا لزيارتهما.

سمعت صوت قرقعة فناجين في الخارج.

هل يرفعون الفناجين عن الطاولة.

هذا صحيح لأنني سمعت بعد ذلك مباشرة صوت صندل أمي المنزلي عند دخولها البيت.

وعلى الفور، تمنّيت أن تكون معي، وحدها. عندها، سأكون قادرًا على إخبارها أولًا.

انتظرت إلى أن سمعت صوت فتح الباب في الأسفل. وبعد ذلك، عندما صعدت أمي إلى الطابق العلوي حاملة صينية وضعت فيها الفناجين والأطباق والكؤوس ووعاء القهوة اللامع ذي الغطاء الأحمر المستقرّ على حلقة من أصابع قماشية صنعها إنغفِه في ورشة أمي للأشغال اليدوية... عندها فقط، خرجت إلى فسحة السلم.

قالت لي أمي: «هل أنت جالس في الداخل في هذا الطقس الحار؟».

أجبتها: «أجل».

همّت بأن تتابع السير وتتجاوزني، لكنّها توقّفت وسألتني: «قل لي، قل لي، ماذا بك؟».

أطرقت برأسي.

«ماذا بك؟».

قلت: «لقد تعطل جهاز التلفزيون».

قالت: «أوه، لا. أمر محزن. هل جدك وجدتك هناك؟».

أومأت برأسي.

«كنت موشكة على الذهاب لكي آتي بهما. يا له من طقس بديع هذا المساء. وأنت أيضًا، اخرج واجلس معنا. يمكنك أن تشرب مزيدًا من العصير، إذا أحببت ذلك».

هززت رأسي وعدت أدراجي إلى غرفتي. أغلقت الباب ووقفت خلفه. لعل من الأكثر حكمة أن أنضمّ إليهم في الخارج! لن يفعل شيئًا إذا كانوا هنا، حتى إذا اكتشف أنني عطّلت التلفزيون.

لكن ذلك في حد ذاته يمكن أن يجعله أكثر غضبًا. عندما ذهبنا إلى سوربوفاغ آخر مرة، كان الجميع جالسين إلى طاولة العشاء، وكان كيارتان

قد قال له إن إنغفِه تشاجر مع بيورن آتلِه، الصبي الذي في المزرعة المجاورة. ضحك الجميع عند سماع ذلك. ضحك أبي أيضًا. لكن أمي أخذتني معها بعد ذلك إلى المتجر وذهب الجميع من أجل قيلولة بعد الظهر، وذهب إنغفِه إلى سريره لكي يقرأ مجلة، فذهب أبي خلفه ورفعه عن سريره وهزّه هزًا عنيفًا لأنه تشاجر مع ذلك الصبي.

من الأفضل لي أن أظلّ هنا. إذا قال جدي أو أمي إن التلفزيون قد تعطّل فقد يفقد أعصابه ونحن جالسون معهم.

عدت إلى الاستلقاء على سريري. لم أستطع ضبط ذلك الارتعاش في صدري. اجتاحتني موجة جديدة من المخاوف.

أوه. أوه. أوه.

سوف يأتي عما قريب.

كنت أعرف هذا.

سرعان ما يكون هنا.

وضعت يديَّ على أذنيَّ وأغمضت عيني وحاولت التظاهر بأن ما من وجود لأي شيء. ما من وجود إلا لهذه الظلمة ولصوت أنفاسي.

لكنّ إحساسًا بالعجز استولى عليّ، وبدأت أفعل عكس ذلك إذ جثوت على السرير ونظرت من النافذة إلى الأسفل، إلى فيض ضياء الشمس في ذلك المشهد كلّه، وإلى تلألؤ السقوف ولمعان زجاج النوافذ.

سمعت صوت فتح باب في الأسفل ثم صوت إغلاقه.

استدرت بعنف. نهضت عن سريري وجذبت الكرسي وجلست إلى طاولتي.

صوت خطوات على السلم. كانت خطوات ثقيلة، إنه هو.

لم أطق البقاء جالسًا مديرًا ظهري إلى الباب فنهضت من جديد. جلست على حافة السرير.

فتح أبي باب غرفتي. تقدّم خطوة داخل الغرفة ثم توقّف ونظر إلي.

كانت عيناه ضيقتين وشفتاه مشدودتين.

قال لي: «ماذا تفعل، يا ولد؟».

أجبته: «لا شيء». عيناي مسبلتان إلى الأرض.
قال لي: «انظر إليَّ عندما أكلّمك».
نظرت إليه. لكني لم أستطع. أطرقت برأسي من جديد.
قال: «هل أصاب الصمم أذنيك أيضًا؟ انظر إليَّ».
نظرت إليه. لكن عينيه... لم أستطع ملاقاة نظرتيهما.
سار في الغرفة ثلاث خطوات سريعة، ثم أمسك بأذني وشدّها وهو يجرّني حتى أقف على قدميّ.
«ماذا قلت لك عن تشغيل جهاز التلفزيون؟».
بذلت جهدًا كبيرًا حتى أستطيع التنفس. لم أكن قادرًا على الإجابة.
قال وهو يشد أذني بقوة أكبر: «ماذا قلت لك؟».
أجبته: «قلت إنني... قلت إنني... إنني... لا يجوز أن أشغّله».
ترك أذني وقبض على ذراعيَّ الاثنتين وهزّني. صاح بي: «الآن، انظر إليَّ».
رفعت رأسي. كادت دموعي تمنع عينيّ من رؤيته.
اشتد ضغط أصابعه على ذراعيَّ.
«ألم أقل لك ألّا تقترب من التلفزيون؟ ها؟ ألم أقل لك هذا؟ صار علينا الآن أن نشتري جهازًا جديدًا؛ فمن أين نأتي بالمال لشرائه؟ هل تستطيع أن تجيبني عن هذا السؤال؟».
قلت باكيًا: «لا».
ألقى بي على السرير: «عليك الآن أن تلزم غرفتك حتى أقول لك غير هذا. هل فهمت؟».
«فهمت».
«أنت محبوس في غرفتك اليوم، ومحبوس في غرفتك غدًا».
«فهمت».
ثم ذهب. كان بكائي شديدًا إلى حد جعلني لا أنتبه إلى الوجهة التي سار إليها أبي. أنفاسي مضطربة، متقافزة، كأنني أرتقي سلمًا. صدري يرتجف،

ويداي ترتعشان. استلقيت على سريري واستمر بكائي نحو عشرين دقيقة. ثم بدأ الأمر يهون. ركعت على السرير ونظرت من النافذة. كانت ساقاي مستمرّتين في الارتعاش، ويداي أيضًا، لكن قبضة الذعر بدأت تتراجع شدّتها؛ كنت قادرًا على الإحساس بهذا، وكان ذلك الإحساس أشبه بالدخول إلى غرفة هادئة بعد العاصفة.

رأيت من النافذة بيت برستباكمو وواجهة حديقتهم كلّها لأن حديقتهم مواجهة لحديقتنا. ورأيت بيت غوستافسن وواجهة حديقته، وجزءًا من بيت كارلسن، وجزءًا من بيت كريستنسن الذي في الأعلى. ومن تلك النافذة، كنت قادرًا على رؤية الطريق حتى عمود صندوق البريد. كانت الشمس معلّقة في السماء من فوق الأشجار عند الحافة المطلة على البحر. بدت لي الشمس كأنها قد ازدادت امتلاء في ذلك العصر. كان الهواء ساكنًا تمامًا فلم أرَ شجرة تتحرّك، ولا أجمة. لم يكن الناس يجلسون في حدائقهم الأمامية أبدًا، لأن من يجلس فيها يكون كمن «يعْرُض نفسه»، مثلما يقول أبي، ويجعل نفسه مرئيًا للجميع. كانت الحدائق الخلفية في بيوت منطقتنا كلّها مكانًا لأثاث الحدائق ولمواقد الشواء.

ثم حدث أمر. خرج كِنتْ آرنِه من باب بيت كارلسن. لم أرَ إلا رأسه من فوق السيارة المتوقّفة هناك. وكان شعره اللامع الأشقر إلى حد البياض يتحرّك في الشمس مثل رأس دمية مربوطة بالخيوط. اختفى بضع ثوانٍ، ثم ظهر ممتطيًا دراجته. أدار الدواسات إلى الخلف حتى يوقف الدراجة وانتصب واقفًا، ثم اندفع خارجًا إلى الطريق وقاد الدراجة بسرعة كبيرة قبل أن يخفض سرعتها بشكل مفاجئ لكي ينعطف ويتوقّف أمام بيت غوستافسن. لقد فقد كِنتْ آرنِه والده منذ سنتين. كان بحّارًا. وأنا لا أكاد أستطيع تذكّره، ولا أحتفظ في ذاكرتي إلا بصورة واحدة له عندما كنا نازلين في الطريق، وكان نهارًا مشمسًا وباردًا على الرغم من عدم وجود ثلج وقتها. كنت ممسكًا بزلاجتي البرتقالية الصغيرة ذات الأنصال الثلاثة والشرائط التي تربطها إلى الحذاء؛ وهذا يعني أننا كنا ذاهبين إلى بحيرة تيينّه. أتذكّر أيضًا عندما اكتشفت أنه مات. كان ليف

توره واقفًا عند صف الحواجز الإسمنتية الفاصلة بين نورداسن رينغفيي وإلغستين، عند بيتنا تمامًا، فقال لي إن والد كِنتْ آرنِه قد مات. نظرنا إلى بيتهم بينما كان يقول لي ذلك. قال إنه كان يحاول إخراج أحدهم من خزان يجري تنظيفه، وكان الخزان ممتلئًا غازًا، ففقد ذلك الرجل وعيه، ثم لم يلبث والد كنت أن فقد وعيه أيضًا. لم نكن نأتي أبدًا على ذكر ذلك عندما يكون كِنتْ آرنِه معنا، ولا حتى على ذكر الموت. انتقل للعيش في بيتهم رجل آخر كان اسمه كارلسن أيضًا - أمر غريب فعلًا!

إن كان داغ لوثار هو الأول في الترتيب، فإن كِنتْ آرنِه هو الثاني على الرغم من أنه يصغرنا بسنة كاملة، ومن أنه أصغر من داغ لوثار بسنتين اثنتين. يأتي ليف تورِه في المرتبة الثالثة، ثم غيّير هاكون رابعًا، ثم ترومب خامسًا، ثم غيّير سادسًا، وأنا في المرتبة السابعة.

صاح كِنتْ آرنِه أمام البيت: «ليف تورِه، هل ستخرج؟». ظهر ليف تورِه بعد ذلك بلحظات فقط. لم يكن يرتدي إلا بنطلون الجينز القصير الأزرق مع حذاء رياضي. صعد إلى دراجة رولف وانطلقا نازلين في الطريق إلى أن اختفيا. وكانت قطة برستباكمو مستلقية من غير حركة على الصخرة المسطّحة بين حديقتَيّ غوستافسن وهانسن.

استلقيت على السرير. قرأت قليلًا في المجلات، ثم نهضت وألصقت أذني بالباب حتى أسمع إن كان هناك ما يحدث في غرفة الجلوس. إلا أنني لم أسمع أي صوت. كانوا صامتين في الخارج. إن جدّي وجدّتي في زيارتنا؛ ومن غير المعقول ألا أحصل على طعام للعشاء. أم لعلّ هذا معقول!؟

صعدوا إلى الطابق العلوي بعد نصف ساعة. دخل أحدهم الحمام الذي كان ملاصقًا لغرفتي. أدركت أن من دخل الحمام ليس أبي لأن خطواته خفيفة، أخفّ وقعًا من خطوات أبي. لكنني لم أستطع تحديد إن كان ذلك الشخص أمي أم جدي أم جدتي، إلى أن تبع صوت تدفق الماء في المرحاض طرق شديد صادر عن أنبوب الماء الحار. لا يمكن أن يكون هذا الشخص أحدًا غير جدي أو جدّتي.

بدأت الآن أشعر بجوع حقيقي.

كانت الظلال التي امتدّت على الأرض في الخارج طويلة جدًا ومشوّهة الأشكال، بحيث ما عادت أبدًا شبيهة بالأجسام التي تلقيها. كانت الظلال كأنها مندفعة إلى الأمام بقوتها الذاتية كأن هناك واقعًا موازيًا مصنوعًا من ظلمة فيه أسيجة حدائق قاتمة، وأشجار قاتمة، وبيوت قاتمة فيها بشر قاتمون؛ وكأن تلك الظلال كلّها كانت محبوسة في النور الذي جعلها مشوَّهة وعاجزة، جعلها بعيدة عن عنصرها، مثلما يمكن أن يتخيّل المرء صخور البحر وأعشابه وأصدافه وسرطاناته عن الماء عند تراجعه عنها. أوه... أليس هذا ما يجعل الظلال أطول فأطول في كل مساء؟ إنها تمتدّ وتستطيل محاولة بلوغ الليل، بلوغ مياه موجة الظلمة التي تنداح على الأرض حتى تلبّي، ساعات قليلة، ما تتوق إليه الظلال أشدّ التوق.

نظرت إلى ساعتي. إنها التاسعة إلا عشر دقائق. يحين موعد النوم بعد عشرين دقيقة.

أسوأ ما في فترة بعد الظهر من الاحتجاز في الغرفة هو أن تكون عاجزًا عن الخروج، فتقف عند النافذة وتنظر إلى كل من في الخارج. أما عند حلول المساء، فإن الجزء الأسوأ هو أنه لا وجود لأية حدود فاصلة واضحة بين المراحل التي يتكوّن منها المساء في الأحوال العادية. فبعد جلوسي بضع ساعات، لا يكون عليَّ إلا أن أخلع ملابسي وأدخل فراشي. الاختلاف بين الحالتين (ذلك الاختلاف الذي يكون عادة كبيرًا جدًا) يصير غائبًا على نحو يكاد يكون تامًا عندما أكون معاقبًا بالبقاء في الغرفة. هذا ما يجعل إحساسي بنفسي مختلفًا عما يكونه عادة. أكون الشخص الذي هو أنا عندما أفعل أي شيء مما أفعله عادة، كتناول طعام العشاء، أو تنظيف أسناني، أو غسل وجهي، أو ارتداء بيجامتي؛ فلا تكتفي هذه الأفعال بالإفصاح عن نفسها، بل تملأ كياني كله لأنها تصير فجأة أشياء ليس عندي غيرها. عندما أكون جالسًا على سريري، أكون الشخص نفسه تمامًا الذي كنته عندما أستلقي عليه بعد خلع ملابسي. فالواقع أن ما من خطٍّ حقيقيٍّ فاصلٍ، وما من مراحل انتقالية.

كان ذلك إحساسًا مضجرًا ومزعجًا.

ذهبت إلى باب الغرفة ووضعت أذني عليه من جديد. كان كل شيء هادئًا أول الأمر، ثم سمعت بعض الأصوات، ثم عاد كل شيء هادئًا من جديد. ذرفت الدموع، ثم خلعت قميصي وبنطلوني القصير واستلقيت على السرير وسحبت اللحاف حتى ذقني. كانت أشعة الشمس لا تزال على الجدار المقابل. قرأت قليلًا في المجلات، ثم وضعتها على الأرض وأغمضت عينيَّ. كانت آخر فكرة تمرّ في ذهني قبل أن أغفو هو أن ما حدث لم يكن نتيجة غلطة مني.

استيقظت ونظرت إلى ساعتي. قال لي عقرباها المتوهّجان إن الساعة قد بلغت الثانية إلا عشر دقائق صباحًا. بقيْت برهة راقدًا بكل هدوء حتى أحاول معرفة ما جعلني أستيقظ. ما عدا صوت نبضات قلبي الذي كان وقعه أشبه بهمس في أذني، كان كل شيء صامتًا. لا سيارات على الطريق، ولا قوارب في لسان ترومويا البحري، ولا طائرات عابرة في السماء. لا وقع خطوات، ولا أصوات، ولا شيء. ما من صوت أبدًا في بيتنا.

رفعت رأسي قليلًا حتى أُبعد أذنيَّ عن كل ما يمكن أن يمسّهما، وكتمت أنفاسي. مرت بضع ثوانٍ سمعت بعدها صوتًا آتيًا من الحديقة. كان صوتًا حادًّا جدًّا، فلم ألتقطه أولَ الأمر؛ ثم أصابني الذعر لحظة سمعته.

إيبي - إيبي - إيبي - إيبي. إيبي - إيبي - إيبي. إيبي - إيبي - إيبي - إيبي. إيبي - إيبي - إيبي.

انتصبت جالسًا، ثم جثوت على ركبتيَّ وأزحت الستارة قليلًا حتى أنظر من النافذة. كان المرج في الخارج غارقًا في ضياء شاحب: قمر مكتمل فوق بيتنا. هبّة ريح جعلت العشب يبدو كأنه يجري مبتعدًا. كيس نايلون أبيض اللون عالق عند نهاية السور يخفق في الريح. فاجأتني فكرة أن شخصًا لا يعرف أن هناك ريحًا يمكن أن يظن ذلك الكيس يتحرّك من تلقاء نفسه. شعرت بتنميل في أطراف أصابع يديَّ وقدميَّ كأنني جاثٍ في موقع مرتفع عن الأرض. كان قلبي يخفق سريعًا. تقلّصت عضلات معدتي،

وابتلعت ريقي، ثم ابتلعته من جديد. لقد كان الليل وقت الأشباح والأشياء المخيفة... كان الليل وقت الرجل الذي من غير رأس، وكان وقت الهيكل العظمي المبتسم. لا يفصلني عن ذلك كله غير جدار رقيق.

سمعت ذلك الصوت مرة ثانية!

إيبي - إيبي - إيبي - إيبي. إيبي - إيبي - إيبي. إيبي - إيبي - إيبي - إيبي. إيبي - إيبي - إيبي.

مسحتْ عيناي المرج الرمادي في الخارج. هناك، عند الحافة، ربما على مسافة خمسة أمتار منّي، رأيت قط برستباكمو. كان القط مستلقيًا على العشب يصفع شيئًا بكفه ذات المخالب. لم أميّز ذالك الشيء، لكنه كان جسمًا رماديًا صغيرًا كأنه حجر أو كتلة صلصال. تحرّكت تلك الكتلة بضعة أمتار مقتربة من نافذتي. نهض القط ولحق بها. قبعت الكتلة ساكنة في العشب. ضربها القط بكفه بضع ضربات أخرى، ثم قرّب رأسه منها وبدا لي كأنه يدفعها بأنفه، ثم لم يلبث أن فتح فكيه والتقطها بهما. عندما انطلق الصوت من جديد، أدركت أنه صأي فأر. بدا لي كأن ذلك الصوت المفاجئ قد أربك القط. على أية حال، فقد لوّح برأسه وقذف بالفأر في الهواء. هذه المرة، لم يبق الفأر حيث سقط، بل انطلق مسرعًا عبر المرج. وقف القط ينظر إليه من غير أية حركة. بدا كأنه موشك على ترك الفأر وشأنه. وعندها، لحظة بلغ الفأر حوض الزهور عند بوابة حديقة برستباكمو، انطلق القط خلفه. وبعد ثلاث قفزات أمسك به من جديد.

سمعت صوت أبي في الغرفة المجاورة لغرفتي. كان صوته خفيضًا، مغمغمًا، من غير بداية أو نهاية، مثلما أسمعه مرات كثيرة عندما يتكلّم في نومه. وبعد لحظة، نهض أحد من السرير. أدركت من خفة الخطوات أنها أمي. وفي الخارج، كان القط قد بدأ يقفز صعودًا ونزولًا. بدا ذلك أشبه برقصة. هبة ريح أخرى عبثت بالعشب. رفعت رأسي ونظرت إلى شجرة الصنوبر فرأيت أغصانها الرشيقة تنثني وتميل، رقيقة سوداء ومن خلفها قمر كبير أصفر. فتحت أمي باب الحمام. سمعت صوت إنزال حلقة مقعد

المرحاض، فوضعت يديَّ على أذنيَّ وبدأت أهمهم لنفسي. كان الصوت الذي صدر عنها بعد ذلك صوتًا أشبه بالهسيس وكأن بخارًا يخرج منها... صوت بشع. عادة ما كنت أسدّ أذنيَّ لكي لا أسمع صوت تبوّل أبي العنيف على الرغم من أن سماعه كان أقل إزعاجًا من هذا الهسيس الذي سمعته من أمي. ثم عددت ببطء حتى العشرة ونظرت إلى القط. كان واضحًا أنه قد ملَّ اللعبة لأنه أمسك بالفأر بين فكيه واندفع مجتازًا السياج، ثم عبر الطريق حتى بلغ الممر في حديقة غوستافسن حيث ألقى بالفأر على الأرض عند الكارافان ووقف ينظر إليه. ظلّ الفأر راقدًا في مكانه، ساكنًا إلى أقصى ما يستطيعه أي كائن حيّ. قفز القطّ فصار فوق الجدار، ثم سار ببطء صوب المزولة الشمسية ذات الشكل الكروي على قمة عمود البوابة. أبعدت يديَّ عن أذنيَّ، وتوقّفت عن الهمهمة لنفسي. من الحمام، سمعت صوت تدفّق الماء في المرحاض. استدار القط بحركة حادة واندفع في اتجاه الفأر الذي لم يتحرّك بعد. صوت اندفاع الماء من الصنبور واصطدامه بقعر المغسلة. قفز القط عن الجدار، وسار إلى الطريق، ثم جثم كأنه أسد صغير. ولحظة أدارت أمي مقبض باب الحمام، وفتحتْه، سرت رعشة في جسد الفأر وكأن صوت الباب قد أطلق فيه نبضة حياة. وفي اللحظة التي تلت ذلك، انطلق جاريًا في محاولة أخيرة للفرار من القط الذي كان واضحًا أنه لم يرَ في هذا التطوّر ما يستدعي أكثر من جزء من الثانية حتى يتحوّل من الراحة إلى الانقضاض على طريدته. لكنه تأخّر هذه المرة. كان على المرج لوح أترنيت صار خلاصًا للفأر عندما أفلح في دسّ نفسه تحته قبل ثانية واحدة من وصول القط إليه. الظاهر أن حركة الحيوانين السريعة قد ظلّت حيّة في داخلي زمنًا طويلًا بعد أن عدت إلى فراشي وقلبي لا يزال ينبض سريعًا. هل جاءني هذا الإحساس لأن الفأر كان بدوره حيوانًا صغيرًا؟ غيّرت وضعيتي بعد وهلة فأزحت الوسادة حتى أسفل السرير، وجذبت الستارة فأزحتها جانبًا حتى أستطيع النظر إلى السماء المرصّعة بنجوم كأنها حبات رمل على شاطئ لا نستطيع رؤية آخره، شاطئ تترقرق أمواج بحره.

لكن، ماذا يوجد حقًّا بعد هذا الكون؟ قال داغ لوثار إن ما من وجود لشيء هناك. وقال غيير إن هناك نارًا مضطرمة. هذا ما كنت أظنه أيضًا؛ وأما صورة البحر فقد تبدّت لي لأن السماء المزدانة بالنجوم ظهرت لي على هذه الصورة. عاد الهدوء إلى غرفة أبي وأمي.

أغلقت الستارة، وأغمضت عينيَّ. وقعت تحت تأثير صمت البيت وظلمته، وسرعان ما استسلمت للنوم.

عندما نهضت صباح اليوم التالي، كان جدّي وجدتي جالسَيْن مع أمي في غرفة المعيشة يشربون القهوة. وكان أبي يسير في الحديقة حاملًا بيده مرشّة الماء. وضعها عند طرف المرج حتى لا تسقط دفقات الماء التي تطلقها على العشب وحده (كانت كأنها يد تلوّح في الهواء)، بل أيضًا على المساحة المزروعة خضارًا التي تحته. فاضت على الحديقة أشعة الشمس التي كانت الآن في الناحية الأخرى من البيت، فوق الغابة إلى جهة الشرق. وكانت السماء سديمية. تكاد تكون هكذا دائمًا وقت الصباح. كان إنغفِه جالسًا إلى طاولة الإفطار. البيض الأبيض الموضوع في فناجين البيض البنية ذكّرني بيوم الأحد. جلست في مكاني المعتاد.

سألني إنغفِه بصوت منخفض: «ماذا حدث يوم أمس؟ لماذا عوقبت بالحبس في غرفتك؟».

قلت له: «لقد عطّلت جهاز التلفزيون».

نظر إليَّ نظرة مستفهمة وهو يرفع شريحة خبز إلى فمه.

«نعم، لقد شغّلته من أجل جدّي وجدّتي. ثم تعطّل فجأة. ألم يقولوا أي شيء؟».

قضم إنغفِه لقمة كبيرة من شريحة الخبز التي وضع عليها طبقة من الجبن الصلب، ثم هز رأسه نفيًا. قطعت رأس البيضة بسكيني، ثم رفعته كأنني أفتح غطاءها وغرفت البياض الطري بملعقتي. مددت يدي إلى المملحة وسددت بأصابعي قسمًا من ثقوبها حتى لا يخرج منها إلا قدرًا قليلًا من

الملح. مددت المارغرين على قطعة خبز وسكبت لنفسي كأس حليب. فتح أبي باب البيت في الطابق السفلي. أكلت الجزء العلوي من البياض، وجسست الصفار بالملعقة لأرى إن كان طريًا أو جامدًا.

قلت لإنغفه: «إنني محبوس في غرفتي اليوم أيضًا».

«طيلة اليوم؟... أم حتى المساء فقط؟».

رفعت كتفيّ. كان صفار البيضة صلبًا فتفتت تحت حافة الملعقة.

«طيلة اليوم، على ما أظن».

كانت الطريق في الخارج خالية تلمع تحت الشمس. وأما في الخندق تحت أغصان أشجار التنّوب الكثيفة، فكان المكان ظليلًا، شبه مظلم.

أتت دراجة نازلة الطريق بسرعة كبيرة. كان الصبي الجالس عليها (لا بد أنه في الخامسة عشرة) واضعًا يدًا واحدة على المقود بينما استقرّت يده الأخرى على وعاء أحمر للوقود مربوط إلى الدراجة من خلفه. كان شعره أسود اللون، متطايرًا في الريح.

سمعت صوت خطوات أبي على السلّم، نظرت نظرة سريعة على الطاولة حتى أرى إن كان هناك أي شيء في غير مكانه. وجدت أن قطعة صغيرة من البيض المسلوق قد سقطت على الطاولة. دفعتها بيدي المتأهّبة حتى حافة الطاولة، ثم أسرعت فوضعتها في طبقي. ظل إنغفِه متقاعسًا عن الحركة حتى كاد يفوت الأوان، لكنه أفلح في دفع كرسيه إلى الطاولة والجلوس عليه منتصب الظهر (أفلح في ذلك، لكنه كاد يتأخّر). عندما دخل أبي، كان ظهره منتصبًا وقدماه مستقرّتين على الأرض بثبات.

قال أبي: «جهزوا لوازم السباحة، يا شباب، سوف نذهب إلى هوفِه ونمضي اليوم كلّه هناك».

«أنا أيضًا؟»... أردت أن أطرح هذا السؤال عليه لكنّي أمسكت نفسي لأنه قد يكون نسي أمر عقوبتي وحبسي في غرفتي، ومن الممكن أن يجعله سؤالي يتذكّر ذلك كله. وأيضًا، إذا كان يتذكر، لكنه غيّر رأيه، فمن الأفضل لي ألّا أتطرّق إلى ذكر الموضوع لأن هذا يمكن تفسيره بأنه كان مخطئًا يوم

أمس، أي بأنه فعل شيئًا غير صحيح. لا أريده أبدًا أن يظن هذا! وهكذا، ذهبت فأحضرت منشفتي وسروال السباحة من حبل الغسيل في غرفة السخّان، ثم وضعتهما في كيس بلاستيكيٍّ، ووضعت معهما نظارة الغطس فلعلها تكون مفيدة لي إذا كنا ذاهبين إلى واحد من الشاطئين الرمليين في هوفِه. جلست في غرفتي بعد ذلك أنتظر لحظة مغادرتنا.

انطلقنا بعد نصف ساعة متّجهين إلى الجهة القصيّة من الجزيرة في يوم لعله كان أفضل أيام السنة على الإطلاق. كان البحر شديد الهدوء لا يكاد يصدر عنه أي صوت. وهذا ما جعل كل شيء محيط بنا... الصخور العارية الصامتة دائمًا، والغابة الصامتة دائمًا في الأعلى... جعل ذلك كلّه كأنه غير حقيقي لأن صوت كل خطوة على الصخور، وكل قعقعة من زجاجة يبدو كأنه يصدر للمرة الأولى. بدت لي الشمس التي كانت في كبد السماء كأنها شيء عميق الغرابة والبدائية في هذا اليوم الذي يستطيع المرء فيه أن يرى البحر يتقوّس ويختفي نازلًا إلى أعماقٍ كامنةٍ خلف الأفق، ومن فوقه سماء شديدة الخفّة لكثرة ما فيها من ضياء وزرقة ناعمة ضبابية. إنغفِه وأنا وأمي وأبي ارتدى كل واحد منا ملابس السباحة وغمر في الماء الدافئ، كلٌّ بطريقته، جسده الذي جعلته الشمس حارًّا. لكن جدي وجدتي، ظلا جالسين مرتديين ملابسهما كلها، ولم يكن ظاهرًا عليهما أي تأثّر بما يحيط بهما أو بما نفعله، وكأن فستلاند وسنوات الخمسينيات لم تكن مظاهر طبعت نفسها عليهما ظاهريًا فحسب، أي من خلال ملابسهما وسلوكهما، وطريقتهما في الكلام، (أي من الخارج، إذا أردت التعبير عن الأمر بكلمات أخرى)، بل داخليًا أيضًا، وصولًا إلى أعماق روحَيْهما وإلى لب شخصية كل منهما. كان أمرًا غريبًا أن يراهما المرء جالسين على الصخور هناك، مضيّقين أعينهما في ذلك الضياء الساطع المنسكب علينا من كل اتجاه... بدا لي ذلك كله شديد الغرابة.

عاد جدي وجدتي إلى بيتهما في اليوم التالي. أخذهما أبي بالسيارة إلى كيفك واغتنم هذه الفرصة لزيارة والدَيه أثناء وجوده هناك. أخذتنا أمي -أنا

وإنغفِه- إلى بحيرة كيرستاد. كانت فكرتها هي أننا نستطيع السباحة هناك والاسترخاء. لكن أمي لم تستطع أول الأمر أن تعثر على طريق البحيرة. هذا ما جعلنا نمضي في جولة طويلة عبر غابات كلّها أجمات وأدغال. وبعد ذلك، اتضح أن الناحية التي بلغناها من البحيرة، كانت مياهها خضراء لكثرة ما فيها من طحالب جعلت صخورها زلقة أيضًا. وفوق هذا كله، بدأ المطر يهطل بعد لحظة من توقّفنا وإخراجنا الحقيبة المبرّدة والسلّة التي وضعت فيها أمي البسكويت والبرتقال.

حزنت كثيرًا على أمي التي أرادت أن تأخذنا في رحلة جميلة، لكنها لم تنجح في ذلك. لم أجد طريقة تسمح لي بأن أعبّر لها عن مشاعري. كان ذلك شيئًا من تلك الأشياء التي يكون عليك نسيانها في أسرع وقت ممكن. لكن النسيان لم يكن صعبًا على الإطلاق لأن هناك تجارب جديدة كثيرة جدًا كانت في انتظاري خلال تلك الأسابيع. سأبدأ الذهاب إلى المدرسة عمّا قريب. ونتيجة هذا، ستصير عندي أشياء جديدة كثيرة. أهم هذه الأشياء حقيبة ظهرية ذهبت مع أمي صباح يوم السبت التالي لشرائها من أرندال. كانت حقيبة مربّعة، زرقاء اللون، لامعة متألّقة كلّها، ولها حمّالتان بيضاوان. الحقيبة مقسومة إلى جيبين اثنين وضعت فيهما، على الفور، المقلمة البرتقالية التي صارت لي (فيها قلم رصاص وقلم حبر وممحاة ومبراة). وضعت أيضًا واحدًا من الدفاتر التي اشتريناها: دفتر على غلافه مربعات برتقالية وبنّية مثل دفتر إنغفِه تمامًا. وضعت أيضًا بعض المجلّات المصوّرة حتى تمتلئ الحقيبة. كنت أنظر إلى تلك الحقيبة عند قائمة طاولتي، أنظر إليها كل ليلة عندما آوي إلى فراشي، أنظر إليها بقدر من الألم الذهني لأن فترة لا تزال تفصلني عن اليوم الكبير، يوم بداية الدراسة في الصف الأول الذي سأذهب إليه ومعي كل من أعرفهم تقريبًا. لقد ذهبنا إلى المدرسة مرّة واحدة من قبل. كان ذلك في الربيع عندما سنحت لنا فرصة لقاء المرأة التي ستكون معلمتنا. وقد رسمنا قليلًا في ذلك اليوم. إلا أن هذا أمر مختلف، بل مختلف تمام الاختلاف، لأن هذا هو الأمر الحقيقي، الآن. كان هناك أطفال

يقولون إنهم يكرهون المدرسة. والواقع أن القسم الأكبر من الأطفال الأكبر سنًا كانوا يقولون إنهم يكرهون المدرسة. وإذا شئنا الصدق، فقد كنا نعرف أننا سنكرهها أيضًا. إلا أن ما كان موشكًا على الحدوث ظل، في الوقت نفسه، شديد الإغراء لنا. لم نكن نعرف إلا القليل، لكننا كنا نتوقّع الكثير؛ ثم إن حقيقة بداية ذهابنا إلى المدرسة في حد ذاتها تعني أننا «ترقّينا» فصرنا في مرتبة الأطفال الأكبر سنًّا. يحدث هذا بين ليلة وضحاها، يحدث ضربة واحدة، فنصير مثلهم. بعد ذلك، من المؤكّد أننا سنصبح قادرين على كره المدرسة كما نريد، لكن ليس الآن!... هل كنا قادرين على الحديث في أي أمر آخر! تقريبًا، لا. والحقيقة أن المدرسة التي أردنا الالتحاق بها، مدرسة روليدن التي يعمل فيها كل من أبي ووالد غيّير، المدرسة التي يذهب إليها الأطفال الأكبر سنًا كلّهم، لم يكن فيها مكان لنا لأن عدد التلاميذ الجدد صار أكبر من طاقتها على الاستيعاب نتيجة انتقال أسر كثيرة للعيش في تلك المنطقة. هذا ما اضطرنا للذهاب إلى مدرسة في الناحية الشرقية من الجزيرة، أي على مسافة خمسة أو ستة كيلومترات، حيث سيكون معنا أطفال كثيرون من تلك المنطقة، أطفال لا نعرفهم. وسوف يكون هناك باص يأخذنا إلى المدرسة ويعيدنا منها. كان هذا امتيازًا عظيمًا، ومغامرة أيضًا. سيأتي الباص كل يوم لكي يأخذنا!

أعطوني أيضًا بنطلونًا ذا لون أزرق فاتح، ومعه سترة زرقاء فاتحة وحذاء رياضي أزرق داكن على مقدّمته شرائط بيضاء. ارتديت ملابسي الجديدة مرّات كثيرة (عندما يكون أبي خارج البيت) وسرت أمام المرآة الطويلة، وأنا أضع الحقيبة على ظهري أحيانًا، على سبيل التجربة. وعندما اقترب اليوم الموعود، ووقفت على المصطبة أمام باب البيت حتى تلتقط لي أمي صورة، لم يكن الترقّب والإثارة وحدهما ما أثار نشوتي، بل أيضًا ذلك الإحساس الغريب الذي يشبه الإحساس بالنصر، ذلك الإحساس الذي يأتيني كلما ارتديت ملابس ذات جاذبية متميزة.

استحممت في الليلة التي سبقت يوم بدء المدرسة. وعندما استيقظت

في الصباح، كان البيت لا يزال في هدوء النوم، وكانت الشمس لا تزال خلف أشجار التنوب عند المنحدر الذي بعد الطريق. أوه، كم كان ممتعًا إخراج ملابسي الجديدة من الخزانة وارتداؤها بعد طول انتظار! غناء طيور في الخارج، فنحن لا نزال في الصيف. ومن خلف حجاب الضباب، كانت السماء زرقاء متّسعة، والبيوت التي لا تزال ساكنة إلى جانبي الطريق سرعان ما تزخر بالحركة والترقب ونفاد الصبر مثلما يحدث يوم الاستقلال. أخرجت المجلات من حقيبتي، ووضعتها على ظهري، وضبطت طول الحمالتين، ثم أنزلتها من جديد. رفعت سحّاب السترة، ثم أنزلته، ثم فكرت: يبدو شكلها أجمل عندما يكون السحاب مرفوعًا، لكن هذا يمنع ظهور التيشيرت من تحتها... ذهبت إلى غرفة المعيشة ونظرت إلى الشمس من نافذتها. برتقالة صفراء محمرّة تلوح من خلف الأشجار الخضراء. ذهبت إلى المطبخ، لكني لم أمسّ شيئًا، بل نظرت من نافذته إلى بيت غوستافسن فلم أر أية حركة فيه. وقفت أمام المرآة الطويلة أرفع السحّاب ثم أنزله... التّي شيرت جميل جدًا... خسارة إذا لم يكن ظاهرًا...

سأنظف أسناني! هذا أمر أستطيع فعله الآن.

صرت في الحمام، وأخرجت فرشاة الأسنان من الكأس، ووضعتها قليلًا تحت الماء، ثم وضعت عليها معجون الأسنان الأبيض. بدأت أنظف أسناني بحماسة، وأمضيت في ذلك بضع دقائق وأنا أنظر إلى نفسي في المرآة. أحسست بأن صوت الفرشاة على أسناني يملأ رأسي كله، يملأه من الداخل، فلم أنتبه إلى أن أبي قد استيقظ إلا عندما فتح باب الحمام. كان في سرواله الداخلي فقط.

«هل تنظف أسنانك قبل أن تتناول طعام الإفطار؟ كم تكون غبيًا أحيانًا! ضع تلك الفرشاة من يدك فورًا، واذهب إلى غرفتك».

لحظة وضعت قدميَّ على السجّادة الحمراء الممتدة من الجدار إلى الجدار في الممر، أطبق أبي باب الحمام من خلفه وبدأ يبول في المرحاض مصدرًا صوتًا مرتفعًا. جثوت على سريري ونظرت إلى بيت برستباكمو. هل

أرى رأسين متحرّكين في الظلمة خلف نافذة المطبخ؟ أجل، لا بد أنهما رأسان. لقد استيقظوا. كم يكون أمرًا حسنًا لو عندي جهاز توكي ووكي لكي أتحدّث به مع غيّير! سيكون ذلك أمرًا في غاية الروعة.

خرج أبي من الحمّام وذهب إلى غرفة النوم. استطعت سماع صوته، ثم سمعت صوت أمي. هذا يعني أنها استيقظت.

بقيت في غرفتي إلى أن نهضت أمي من الفراش وذهبَتْ إلى المطبخ الذي سبقها أبي إليه منذ برهة. جلست في مكاني، محتميًا خلف ظهرها. لقد اشتروا كورن فليكس -نحن لا نكاد نشتري الكورن فليكس أبدًا-. وبعد أن وضعت أمّي أمامي طبقًا عميقًا وملعقة، سكبتُ الحليب على الرقائق الذهبية التي كانت مثقّبة قليلًا وغير منتظمة الأشكال. استنتجت أن الكورن فليكس يكون ألذّ عندما يظل هشًّا مقرمشًا، أي قبل أن يمتص الحليب. لكني اكتشفت بعد بضع دقائق من الأكل أن تلك الرقائق صارت شديدة الطراوة وامتلأت بكل من طعمها الأصلي وطعم الحليب معًا، فضلًا عن السكر الذي كنت قد وضعت منه كمية وافرة. عندها، غيّرت رأيي: هكذا يكون طعم الكورن فليكس أكثر لذة.

أو... هل هو كذلك حقًّا؟

ذهب أبي إلى غرفة المعيشة حاملًا في يده فنجانًا. لم يكن يفطر عادة، بل يجلس هناك ويشرب القهوة ويدخّن. دخل إنغفِه المطبخ، وجلس على كرسيه من غير أن يقول أية كلمة. سكب لنفسه حليبًا مع الكورن فليكس ورشَّ السكر فوقهما، ثم بدأ يأكل بحماسة.

قال لي بعد حين: «أنت متحمّس اليوم، أليس هذا صحيحًا؟».

قلت له: «قليلًا».

قال: «ليس هذا شيئًا يستحقّ الحماسة».

قالت أمي: «بل يستحقّها. أنا واثقة من أنك كنت متحمسًا عندما بدأت الذهاب إلى المدرسة. أتذكّر هذا جيدًا. ألا تتذكره أنت؟».

قال إنغفِه: «نعم... أظنني أتذكّره».

عادة ما يركب دراجته ويذهب إلى المدرسة قبل وقت قليل من ذهاب أبي، إلا إذا كان لدى أبي ما يفعله هناك قبل بدء الدروس. هكذا يكون الأمر أحيانًا. لم يكن مسموحًا لإنغفِه أن يذهب معه بالسيارة إلا في مناسبات خاصّة جدًّا، كأن يكون الثلج قد هطل غزيرًا في الليلة الفائتة؛ وهذا حتى لا يكون لإنغفه أي تميّز نتيجة عمل أبيه معلمًا في المدرسة نفسها.

بقيْتُ جالسًا في المطبخ مع أمي بعد انتهاء الفطور، وبعد انصراف أبي وإنغفِه. هي تقرأ الصحيفة، وأنا أثرثر. سألتها: «هل تظنين بأننا سنكتب في درسنا الأول؟ أم إنهم يبدأون بالحساب عادة؟ يقول ليف تورِه إننا سنرسم حتى نشعر بالاسترخاء قليلًا في البداية؛ كما أن من يستطيعون الكتابة ليسوا كثرًا، أليس كذلك؟... ومن يعرفون الجمع أيضًا. الحقيقة أنني الوحيد الذي يعرف هذا، بحسب معرفتي على الأقل. تعلّمت عندما كنت في الخامسة والنصف، هل تتذكرين؟».

قالت أمي: «هل أتذكّر عندما تعلّمت القراءة؟ ماذا تعني بهذا؟».

«تلك المرة، عندما كنا بالقرب من موقف الباص، قرأت اللافتة! قرأتها كففتيريا! ضحكتِ مني، وضحك إنغفِه أيضًا. أعرف الآن أن الكلمة هي كافيتريا. هل تريدين أن أقرأ بعض العناوين في الصحيفة؟».

أومأت أمي برأسها. قرأت بصوت مرتفع. كانت قراءتي متقطّعة بعض الشيء، لكن كل شيء كان صحيحًا.

قالت لي: «لقد قرأت قراءة جميلة. ستكون جيدًا في المدرسة».

حكّت أذنها وهي تقرأ؛ حكّتها بطريقتها الخاصّة التي لا يستطيعها غيرها: وضعت أذنها بين إصبعيها وراحت تحركهما إلى الأمام والخلف بسرعة لا تُصدّق! مثلما تفعل قطة.

وضعت الصحيفة ونظرت إليَّ. سألتني: «ألست متحمّسًا للذهاب إلى المدرسة؟».

قلت فورًا: «وكيف إذًا!؟».

ابتسمت أمي وربّتت على رأسي، ثم نهضت وبدأت تنظف الطاولة.

ذهبت إلى غرفتي. لن تبدأ المدرسة حتى الساعة العاشرة. هكذا هو الأمر في اليوم الأول. على الرغم من هذا، فقد تأخّرنا في الوصول ذلك الصباح. هكذا هي الحال دائمًا مع أمي. تكون شاردة الذهن دائمًا عند فعل أشياء من هذا القبيل. رأيت من النافذة تزايد الحركة من حول البيوت التي فيها أطفال يبدأون المدرسة الآن، أي بيوت غيّير وليف تورِه وترونْد وغيّير هاكون وماريان: تسريح الشعر، وكيّ القمصان والفساتين، والتقاط الصور. وعندما جاء دوري في الوقوف أمام البيت مبتسمًا لأمي، وقد رفعت يدي حتى أحجب الشمس عن عينيَّ لأنها كانت في ذلك الوقت قد ارتفعت فوق أشجار التنوب... في ذلك الوقت، كانوا قد ذهبوا جميعًا. كنا آخر من تحرّك؛ وفجأة صرنا متأخّرين. هذا ما جعل أمي تمضي بي مسرعة لأنها لم تذهب إلى العمل اليوم استعدادًا لهذه المناسبة. فتحتُ باب الفولكس فاغن الخضراء، ودفعت مسند المقعد إلى الأمام وصعدت إلى المقعد الخلفي، في حين كانت أمي تبحث عن المفتاح في الحقيبة المتدلية من كتفها ثم تشغّل المحرك. أشعلتْ سيجارة، وتراجعت بالسيارة إلى الخلف بعد إلقاء نظرة سريعة من فوق كتفها، ثم وضعت السرعة الأولى وسارت بضعة أمتار صعودًا قبل أن تبلغ منحدر الطريق. تردّد هدير المحرك على الجدران القرميدية. انتقلت إلى وسط المقعد حتى أستطيع النظر من بين المقعدين الأماميين. خزانا الغاز الأبيضان بعد لسان ترومويا البحري، وشجرة الكرز البري، وبيت كرستين الأحمر، ثم الطريق المنحدرة صوب مرسى الزوارق حيث لا نكاد نذهب أبدًا، ثم على طول الطريق التي سأواصل الارتحال فيها ست سنوات فأحفظ كل فسحة صغيرة وكل جدار حجري. وبعد ذلك وصلنا إلى تلك النواحي الصغيرة في الجهة الشرقية من الجزيرة حيث لم تكن أمي تعرف طريقها. هذا ما جعلها متوتّرة قليلًا.

«هل كانت الطريق من هنا، يا كارل أوفِه؟ هل تتذكّر هذا؟». قالت هذا وهي تطفئ سيجارتها في مطفأة السجائر في السيارة وتنظر في المرآة.

قلت لها: «لست أتذكّر ذلك. لقد كانت المدرسة إلى جهة اليسار».

رأينا بعد ذلك متجرًا عند الرصيف البحري ومجموعة بيوت من حوله. ما من مدرسة هنا. كان البحر قاتم الزرقة، بل يكاد يكون أسود اللون في ظلال تلك البيوت. لم يتأثّر بالحرارة المرتفعة، وظل امتلاء لونه متميّزًا عن بقية الألوان في ذلك المكان لأنها بدت مبيضّة كلّها بعد موجة حرٍّ استمرت أسبوعًا كاملًا. ذلك التضادّ بين البحر البارد والألوان الأخرى، الأصفر والبني والأخضر الذاوي.

الآن، كانت أمي تقود السيارة في طريق غير معبّدة. علا الغبار من خلفنا. وعندما ضاقت الطريق وصار واضحًا أن ما من شيء أمامنا، انعطفتْ بالسيارة وعدنا أدراجنا. جرّبت اتجاهًا آخر، فمضت في طريقٍ منحدرةٍ صوب البحر، لكننا لم نجد المدرسة هناك.

سألتها: «هل تظنين أننا سنصل متأخرين؟».

أجابت: «ربما نتأخّر. تصوّر أنني لم أتذكّر أن أجلب الخريطة معي!».

قلت: «ألم تأتي إلى هذا المكان من قبل؟».

قالت: «بل أتيت. لكن ذاكرتي ليست قوية مثل ذاكرتك».

صعدنا التلة التي نزلنا منها قبل عشر دقائق، ثم انعطفنا فعدنا إلى الطريق الرئيسية عند الكنيسة الصغيرة. كانت أمي تتمهّل عند كل إشارة وتقاطع طرق وتنحني إلى الأمام لكي تنظر.

صحت مشيرًا بيدي: «ها هي المدرسة، يا ماما». لم نكن نراها من تلك النقطة، لكني تذكّرت تلك المساحة الخضراء إلى اليمين. كانت المدرسة في أعلى المرتفع الصغير الذي يليها. درب ضيّقة غير معبّدة حيث كانت سيارات كثيرة متوقّفة. ومع انعطاف أمي ودخولها تلك الدرب، رأيت ملعب المدرسة غاصًّا بالناس وبينهم رجل واقف على صخرة يشير بيديه وينظر إليه الجميع. كان واقفًا عند سارية العلم.

قلت: «علينا أن نسرع. لقد بدأوا! ماما، لقد بدأوا!».

قالت أمي: «صحيح، أعرف هذا. لكن علينا أولًا أن نجد مكانًا لركن السيارة. ربما هناك. نعم».

توقّفنا تحت مبنى الصالة الرياضية المبنية من الخشب. بناء أبيض كبير من زمنٍ مضى. أوقفت أمي السيارة إلى جانبه، على الأسفلت. لم نكن نعرف خريطة المدرسة نفسها؛ فبدلًا من الذهاب إلى آخر تلك الفسحة وسلوك مسار مختصر عبر ملعب كرة القدم، سرنا مع الطريق من الجهة الأخرى للملعب. سارت أمي مسرعة وجرّتني من خلفها. بدأت حقيبتي تعلو وتهبط بحركة رائعة عندما جريت خلف أمي. وكانت كل ضربة على ظهري تذكّرني بما هو في انتظاري هناك، بما هو لامع ومتألّق. وفي مركز ذلك كلّه بنطلوني الأزرق الفاتح وسترتي الزرقاء الفاتحة وحذائي الرياضي الأزرق الداكن.

بلغنا الملعب آخر الأمر، وكان الجمع قد بدأ حركته البطيئة إلى داخل مبنى المدرسة.

قالت أمي: «الظاهر أننا فوّتنا حفل الاستقبال».

قلت: «لا أهمية لهذا، يا ماما، هيا بنا».

لمحت غيّير مع أمه فجريت إليهما وأمي ممسكة بيدي. ابتسما لنا ابتسامة ترحيب. صعدنا الدرجات سائرين وسط حشد الأطفال وأهاليهم. كانت حقيبة غيّير مثل حقيبتي تمامًا، ومثلهما معظم حقائب بقية الأولاد؛ لكني رأيت أثناء مروري أن حقائب البنات كانت أكثر تنوّعًا.

سألت أمي مارتا، والدة غيّير: «أين نحن ذاهبون؟ هل تعرفين؟».

قالت مارتا ضاحكة: «أظنني لا أعرف. إننا سائرون خلف معلّمتهم».

نظرت في الاتجاه الذي أومأت صوبه برأسها. وهناك رأيت معلمتنا؛ إنها هي. توقّفت المعلمة عند السلم وقالت إن على كل مَنْ هم في صفها أن يتابعوا السير. فجرينا، أنا وغيّير، نازلين السلم. مررنا بالناس جميعًا ومضينا في الممر إلى آخره. لكن المعلّمة توقّفت أمام غرفة قريبة من السلّم فصرنا آخر التلاميذ تقريبًا، لا أوَّلهم مثلما تخيلنا.

كانت غرفة الصف مليئة بأطفال يرتدون ملابس جميلة، وبأمهاتهم. يرى المرء من النافذة حقلًا منبسطًا ضيّقًا. وعلى مسافة قريبة من خلفه تبدأ الغابة.

وقفت المعلمة أمام مكتبها القائم على منصّة قليلة الارتفاع. كان مكتوبًا على اللوح بطباشير وردية اللون «أهلًا بالصف الأول ب»، ومن حول الكلمات إطار من أزهار مرسومة. خرائط ولوحات على الجدار، فوق المكتب.

قالت المعلمة: «أهلًا بكم جميعًا. أهلًا بكم في مدرسة ساندنز. اسمي هيلغا تورغرسن. وسوف أكون معلمة هذا الصف. أستطيع القول لكم إنني في غاية الحماسة. سوف نستمتع كثيرًا. وهل تعرفون ماذا؟ لستم وحدكم في هذه المدرسة أول مرة. أنا جديدة أيضًا. أنتم أول صف أعلّمه».

نظرت من حولي. كان الكبار كلّهم مبتسمين. وكان التلاميذ كلّهم، تقريبًا، يمطّون رقابهم ويتبادلون النظرات. كنت أعرف غيّير هاكون، وتروند، وغيّير، وليف تورِه، وماريان. كان معنا أيضًا الصبي الذي يقذفنا بالحجارة، ذلك الذي لديه كلب مخيف. وأما الآخرون، فلم أر أحدًا منهم قبل ذلك.

قالت المعلمة من منصَّتها: «والآن، سوف أقرأ التفقُّد. هل تعرفون معنى كلمة تفقّد؟».

لم يجبها أحد.

قلت: «تقولين الاسم فيجيبك صاحبه».

نظر الجميع إليَّ. رسمتُ ابتسامة عريضة من حول أسناني الناتئة، فيما المعلمة تقول: «هذا صحيح. وسنبدأ بالحرف أ. تعرفون أنه الحرف الأول في الأبجدية. سوف نتعلّم هذه الأشياء كلّها في ما بعد. إذًا... الحرف أ: آن ليزبيت!».

قال صوت بنت: «نعم»، التفت الجميع في اتجاه ذلك الصوت. التفتُّ أنا أيضًا. كان ذلك صوت بنت نحيلة لها شعر أسود لامع. بدت كأنها هندية. قالت المعلمة: «آزغير».

أجابها صبي له أسنان كبيرة وشعر طويل: «نعم».

جلسنا على مقاعدنا بعد انتهاء المعلمة من التفقّد، في حين ظلّ الأهل واقفين عند الجدار. سلّمت المعلمة كلًا منا آلة تسجيل ودفترًا للتمرينات، فضلًا عن دفتر صغير وجدول مواعيد الدروس مطبوعًا على ورقة، وعلبة

للنقود، ونشرة صادرة عن مصرف توفير محلّي عليها صورة نملة صفراء. ثم حدّثتنا المعلّمة عن بعض الفعاليات التي ستجري خلال الخريف. كان من بين تلك الفعاليات دورة للسباحة تقام في بركة سباحة في مدرسة على الجزيرة المجاورة، لأن جزيرة ترومويا لم تكن فيها أية بركة للسباحة. سلمتنا أوراقًا مع كل منها قُصاصة مطبوعة يستطيع من هو مهتم بدورة السباحة أن يملأها ويعيدها إليها. رسمنا قليلًا بعد ذلك، وكان أهلنا واقفين ينظرون إلى ما نفعله، ثم انتهى الأمر كله. تبدأ المدرسة الحقيقية في اليوم التالي. وسوف يأتي الباص لأخذنا إلى المدرسة حيث نبقى فيها ثلاث ساعات من غير أهل واقفين خلفنا.

عند خروجنا من الصف، كانت عيناي لا تزالان مفتوحتين على اتساعهما فكل شيء فيه جدّة وغرابة؛ ثم استمرّ هذا الإحساس بعد صعود من كانوا في غرفة الصف إلى سياراتهم مع أهاليهم. في الأحوال العادية، لا يجتمع هذا العدد الكبير من السيارات إلا يوم السابع عشر من أيار حين يغادر الموقع هذا العدد كلّه من الأطفال دفعة واحدة. لكن خيبة الأمل بدأت تحلّ عليّ في طريق العودة إلى البيت، ثم صرت أزداد غمًّا كلما اقتربنا من الوصول.

لم يحدث شيء! كنت قادرًا على القراءة والكتابة؛ وكنت أتوقّع أن تسنح لي فرصة لإظهار ذلك منذ اليوم الأول... ولو قليلًا! وكنت أيضًا أتطلّع إلى وقت الاستراحة بين الدروس، وإلى سماع رنين الجرس في آخر الدرس وبداية الدرس الذي يليه. كنت متشوّقًا إلى استخدام مقلمتي، وإلى وضع أشياء في حقيبتي.

لا، لم يكن هذا اليوم على مستوى توقّعاتي. صار عليّ الآن أن أخلع الملابس التي رأيتها جميلة جدًّا، وأن أعلّقها في مكانها في الخزانة حيث ستظلّ تنتظر مناسبة رسمية أخرى في المستقبل. جلست على كرسي المطبخ أتحدّث مع أمي وهي منهمكة في إعداد طعام العشاء. كان أمرًا نادر الحدوث أن تكون معي وحدي في وسط النهار؛ وفوق هذا فقد كانت معي في الوقت الأكثر أهمية. هذا ما جعلني أستغل الفرصة إلى أقصاها وأمضي في الحديث معها.

قلت لها: «أتمنى لو أن عندي قطة ألعب معها. ألا نستطيع أن تكون لدينا قطة؟».

قالت أمي: «سيكون هذا شيئًا لطيفًا، فأنا أحب القطط. إنها حلوة المعشر».

«هل يعني هذا أن بابا لا يحب القطط؟».

«لست أدري. لكنّي أظنّه ليس مهتمًا بالأمر كثيرًا. ولعلّه يظن بأن وجود قطة في البيت قد يتطلّب عملًا كثيرًا».

«لكني أستطيع العناية بها. هذه ليست مشكلة».

«أعرف. علينا أن ننتظر ونرى».

«ننتظر ونرى، ننتظر ونرى. لكن، إذا كان إنغفِه يريد قطة، فإن هذا يجعلنا ثلاثة».

ضحكت أمي. قالت لي: «الأمر ليس بسيطًا هكذا. عليك أن تكون صبورًا. فمن يدري ما يمكن أن يحدث؟».

وضعت أمي الجزرة التي قشّرتها على لوح التقطيع، ثم قطّعتها ورفعت اللوح حتى تجرفها إلى قدر كبيرة كانت قد وضعت فيها عظامًا وقطعًا صغيرة من اللحم. نظرت من النافذة. عبر الثقوب الصغيرة الكثيرة في الستارة البرتقالية التي حاكتها أمي بنفسها، رأيت الطريق في الخارج خالية تمامًا. هكذا تكون دائمًا في منتصف النهار.

وفجأة، فاحت رائحة بصل واخزة. استدرت إلى أمي فرأيتها تقشر بصلة وقد مدت ذراعيها على طولهما. كانت عيناها ممتلئتين دموعًا.

عندما التفتّ إلى النافذة من جديد، رأيت غيّير يجري نازلًا في الطريق. لقد خلع ثيابه مثلي وارتدى ملابسه المعتادة. وبعد ثانية من ذلك، سمعت وقع خطواته على الحصى تحت النافذة نصف المفتوحة عندما سار مقتربًا في الممر المفضي إلى باب بيتنا.

صاح غيّير: «كارل أوفِه، هل ستأتي؟».

انزلقت عن الكرسي وقلت لأمي: «سوف أخرج قليلًا».

قالت: «لا بأس. أين تذهبان؟»

قلت: «لا أدري».
«إذًا، لا تبتعدا كثيرًا».
«لا، لن نبتعد».
ثم نزلت مسرعًا وفتحت الباب حتى لا يظنّ غيّير أن ما من أحد في البيت فينصرف. قلت له مرحبًا، ثم وضعت قدميّ في حذائي الرياضي.
همس لي وهو يربت على جيب بنطلونه القصير: «لدي علبة كبريت».
همست له: «غير معقول! من أين استطعت الحصول عليها؟».
«من البيت. وجدتها في غرفة الجلوس».
«هل سرقتها؟».
أومأ برأسه.
نهضت واقفًا وخرجت من البيت وأغلقت الباب من خلفي.
قلت: «هيا، دعنا نجد شيئًا نشعله».
«نعم، فلنشعل نارًا».
«لكن ماذا نشعل؟».
«هل هذا مهم؟ لا أهمية للأمر. سوف نجد شيئًا. العلبة نصف ممتلئة. نستطيع إشعال أشياء كثيرة».
قلت: «لكن علينا أن نذهب إلى حيث لا يستطيع أحد رؤية الدخان... ما رأيك في الصعود إلى أعلى الجبل؟».
«موافق».
أضفت: «نحن في حاجة إلى شيء لإطفاء النار. انتظر لحظة. سأحضر زجاجة ماء».
فتحتُ الباب من جديد وخلعت حذائي، ثم صعدت إلى أمي في الأعلى. التفتت صوبي لحظة دخولي المطبخ.
قلت لها: «سوف نذهب في نزهة. أريد زجاجة ماء».
«ألا تفضل العصير؟ تعرف أنه يمكنك أن تأخذ معك عصيرًا، فاليوم أول يوم لك في المدرسة».

ترددت. ينبغي أن آخذ معي ماءً. لكن هذا قد يثير شكوكها لأنني دائمًا أفضّل العصير على الماء. نظرت إليها وقلت: «لا، غيّير معه ماء، ولهذا فأنا أريد ماء مثله».

كان قلبي ينبض سريعًا وأنا أقول هذا.

قالت أمي: «كما تريد».

أخرجتْ من الخزانة التي تحت المجلى زجاجة عصير فارغة زجاجها أخضر داكن يكاد يكون عاتمًا. ملأت الزجاجة ماء، ثم وضعت عليها سدادتها وناولتني إياها.

«ألا تريد أيضًا أن تأخذ معك سندويتشًا؟».

فكرت في هذا العرض. ثم قلت لها: «لا، أعني نعم. أريد سندويتشين بمعجون الكبد».

بينما كانت تخرج الخبز وتقطّعه، فتحت النافذة ومددت رأسي منها.

صحت لغيّير: «سأنزل بعد دقيقة واحدة». نظر إليَّ بعينين جادتين، ثم أومأ برأسه.

انتهت أمي من تحضير السندويتشين وتغليفهما، ثم وضعتهما مع زجاجة الماء في كيس بلاستيكي فنزلت من غير تأخير. سرعان ما كنا نسير صاعدَين في الطريق. كان الحر قد جعل حافة الإسفلت طرية وسهلة التفتّت بينما كان أكثر قساوة حيث تمر السيارات. وكنا نستلقي أحيانًا على ذلك الإسفلت مثلما تستلقي القطط، ونستمتع بحرارته الكاوية. لكن ذهنينا كانا الآن منشغلين بأمر آخر.

سألته: «هل أستطيع رؤية الكبريت؟».

توقّف غيّير وأخرج العلبة من جيبه. هززتها قليلًا، مليئة! ثم فتحتها. كانت أعواد الثقاب حمراء كلّها.

أعدت العلبة إليه وقلت: «إنها علبة جديدة. ألن يلاحظوا أنك أخذتها؟».

قال لي: «لا أظن هذا. وإذا لاحظوا، فسوف أقول إنني لم آخذها. لن يستطيعوا إثبات أي شيء ضدي».

كنا قد بلغنا بيت مولدن وبدأنا السير في الدرب الضيقة الصاعدة صوب القمة. كان العشب جافًا أصفر اللون، بل بنيًا في بعض الأماكن. في بيت غيّير، كانت أمه صارمة وأبوه لطيفًا. وفي بيت داغ لوثار، كان الأب والأم لطيفين، أو لعل أباه كان أكثر صرامة من أمه بقدر بسيط. وأما في بيوت الآخرين جميعًا، فالأب صارم والأم لطيفة. لكنّ أيًا من أولئك الآباء جميعًا لم يكن في مثل صرامة أبي. كنت واثقًا من هذا.

توقف غيّير وانحنى حاملًا علبة الكبريت في يده. أخرج عودًا وأوشك على ضربه بحافة العلبة الخشنة.

قلت له: «ماذا تفعل؟ ليس هنا! هنا يرانا الجميع».

ضحك غيّير: «هيئ هيئ هيئ» لكنه انتصب واقفًا وأعاد العلبة إلى جيبه، ثم تابعنا السير.

بلغنا قمة التل فالتفتنا وألقينا نظرة على البحر، كعادتنا. أحصيت أربعة مثلثات بيضاء صغيرة في لسان ترومويا البحري. رأيت مركبًا كبيرًا على متنه شيء بدا لي أنه حفّارة مما يستخدم في جرف الرواسب من قاع البحر. كان هناك أيضًا زورقان صغيران راسيان عند غيّيرستادهولمن.

سوف نشعل نارًا، سوف نشعل نارًا.

كانت الإثارة والحماسة تغليان في جوفي ونحن نمضي متوغلَين في عمق الغابة. أشعة الشمس الساقطة على أرض تلك الغابة كأنها مخلوقات صغيرة مرتعشة، مخلوقات من نور بين ظلال الأغصان. توقّفنا عند الجذور الضخمة لشجرة تهاوت. أخرجت زجاجة الماء من الكيس، وحملتها بيدي مستعدًا لاستخدامها في حين انحنى غيّير وأشعل عود الثقاب، ثم قرّب لهبه الصغير الذي لا يكاد يُرى من بضعة أنصال عشب جافة كانت هناك. اشتعلت الأنصال على الفور، ثم انتقلت النار إلى الأعشاب المجاورة لها. صار اللهب منتشرًا في مساحة تعادل مساحة كف شخص كبير فرششتها بالماء. طفا في الهواء شريط دخان دقيق، ارتفع وحيدًا، مستقلًا عما كان سببًا له.

سألني غيّير: «أتظن أن أحدًا يمكن أن يرى الدخان من هنا؟».

أجبته: «يمكنك رؤية الدخان من مسافة غير معقولة. يستخدم الهنود إشارات الدخان على مسافة كيلومترات».

قال غيّير: «كان اشتعال النار سريعًا. ألم تره؟».

ابتسم، ثم مرّر أصابعه في شعره بحركة سريعة.

قلت له: «رأيته».

«هل نحاول مرة أخرى؟».

«نحاول. لكن هذه المرة أنا سأشعل النار».

قال وهو يناولني علبة الكبريت وتفتش عيناه المكان بحثًا عن بقعة مناسبة أخرى: «لا بأس».

يكون غيّير، دائمًا، نافد الصبر قبل أي نشاط، ثم يغرق فيه تمامًا فور بدئه. ومن بين الأولاد الذين كنت أعرفهم جميعًا، كان أكثرهم انسياقًا وراء مخيلته. فكلما لعبنا لعبةً -مستكشفين، أو بحارة، أو هنودًا، أو سائقي سيارات سباق، أو رواد فضاء، أو روبوتات، أو مهرّبين، أو أمراء، أو قرودًا، أو عملاء سريين- يكون غيّير قادرًا على الاستمرار في ذلك ساعات طويلة على عكس ليف تورِه وغيّير هاكون اللذين يضجران سريعًا، ويصيران راغبين في الانصراف إلى شيء آخر غير متأثّرين أبدًا بالألق الذي تستطيع المخيّلة إضفاءه على كل شيء. إلا أن غيّير يكون أكثر من سعيد بالموضوع نفسه فلا يملّه أبدًا، كمثل لعبنا في هيكل السيارة العتيق في أجمة أشجار الصفصاف النحيلة في المنطقة المستوية بين ساحة الألعاب وملعب كرة القدم. كانت في تلك السيارة مقاعد ومقود وعصا سرعة ودواسات ولوحة عدادات وعلبة قفازات؛ وكانت أبوابها لا تزال سليمة. كثيرًا ما كنا نلعب هناك، وكان الأولاد يتظاهرون بأنها سيارة حقيقية (هي سيارة حقيقية طبعًا)، فيضغطون على الدواسات، ويجذبون عصا السرعة، ويديرون المقود، ويصحّحون وضع المرآة الجانبية المكسورة، ويقفزون على المقاعد حتى تهتز السيارة كأنها تنطلق مسرعة. ويكون غيّير قادرًا على أن يجد متعة وتسلية في أي تنويع يُضاف إلى هذا كلّه، كأن نكون في مطاردة لعصابة

سرقت مصرفًا، ويتخيّل أن شظايا الزجاج المنتشرة على الأرضية المطاطية أمام المقعد الخلفي ناتجة عن إطلاق النار علينا. عندها، يقود السيارة واحد منا، في حين يتسلّق الآخر سطحها مرورًا بالنافذة حتى يطلق النار على من يلاحقوننا... لعبة يمكن أن تتّسع بحيث تشتمل على إيقاف السيارة في مكان آمن والخروج منها لتقاسم الغنيمة. وعندما لا يكون المطاردون قريبين منا، يمكن أن ننسلّ بين الأشجار ونعود إلى بيتنا في ضياء شمس المساء. أو يمكن أن نتخيّل أننا في مركبة تسير بنا على سطح القمر، فيصير المشهد من حولنا مشهدًا قمريًا كله، ونخرج من مركبتنا فلا نستطيع السير بخطوات طبيعية، بل نقفز قفزًا - أو نختار واحدًا من الجداول الكثيرة الجارية من حولنا، فنتتبعه حتى منبعه... من بين الأولاد جميعًا، كان غيّير الولد الوحيد الذي تثير هذه المغامرة اهتمامه. لكن ما كنا نفعله أكثر الأحيان هو الخروج بحثًا عن أماكن جديدة، أو إلى أماكن عثرنا عليها من قبل. قد نذهب إلى شجرة بلوط ضخمة شائخة ملأت الفجوات جذعها، أو إلى بركة عميقة في أحد الأنهار، أو إلى قبو ملأته المياه في بيت غير منجَز بناؤه بعد، أو إلى الأساسات الأسمنتية للعمود الضخم الذي يحمل الجسر، أو إلى الأمتار الأولى من كابلات الجسر نفسه المنطلقة من مكان تثبيتها في الغابة صاعدة إلى أعلى الجسر... كابلات ضخمة نستطيع تسلّقها، أو إلى سقيفة متداعية بين بحيرة تيينّا والطريق الواقعة إلى الجهة الأخرى، سقيفة صارت ألواحها الخشبية زلقة وداكنة اللون لشدة تآكلها. كانت تلك السقيفة أبعد نقطة في جولاتنا الاستكشافية، فلم نذهب إلى ما هو أبعد منها. السيارتان العتيقتان المرميتان، والبركة الصغيرة التي فيها «ثلاث جزر» لا تتجاوز مساحة الواحدة منها ما يتسع لأكثر من ضُمّة من العشب، وشجرة مائلة تكاد تحجب إحداها حجبًا تامًا. كان الماء هناك قاتمًا شديد العمق على الرغم من أن حافة الطريق تقع إلى جواره تمامًا. الصخرة البيضاء إلى جوار المسلك المؤدّي إلى محطة فينا للوقود... صخرة كريستالية يستطيع المرء أن ينتزع رقاقاتٍ صغيرة منها. مصنع القوارب إلى الناحية الأخرى من جسر

ترومويا، خلف غاملِه تيباكْن... مباني المصنع كلّها، وهياكل القوارب، وبكرات الروافع الصدئة، والآلات، ورائحة الزيت والقار والماء المالح، رائحة كانت تعجبني كثيرًا. نتجوّل في أرجاء هذه المنطقة الممتدة أكثر من كيلومتر أو كيلومترين ونذهب في كل اتجاه. نتجوّل فيها كل يوم تقريبًا، فيكون كل ما نجده أو نزوره سرًّا من الأسرار، ويكون لنا وحدنا. وأما مع الأطفال الآخرين، فقد كنا نشارك في ألعاب من قبيل «قلب العصا» أو «ركل العلبة»، أو نلعب معهم الكرة، أو نذهب إلى التزلج. وعندما نكون وحدنا، نفتش عن أماكن فيها ما يشد انتباهنا... هكذا كانت صحبتنا، أنا وغيّير.

وأما في هذا اليوم فقد كان كامنًا في ما نفعله، لا في المكان الذي نحن فيه.

فلنشعل نارًا! فلنشعل نارًا!

سرنا إلى شجرة تنوب على مسافة بضعة أمتار منا. كانت أغصانها الممتدّة على مستوى الأرض عارية، رمادية اللون، تبدو عتيقة إلى حدٍّ عجيب. كسرت قطعة من أحد تلك الأغصان، كسرته بين إبهامي وسبابتي. كان هشًّا فانكسر بكل سهولة. أعشاب متفرّقة على رابية صغيرة تقف الشجرة في أعلاها، بين رقعة تربة جافة وكتلة من أوراق التنوب الإبريّة التي تفسخت حتى صارت برتقالية اللون. جثوت، وقدحت عود الكبريت على الحافة الخشنة السوداء للعلبة، ثم وضعت العود المشتعل في العشب فسرَتْ فيه النار سريعًا. كان اللهب غير مرئيٍّ أول الأمر، ولم يظهر إلا في اضطراب الهواء فوق أنصال العشب التي راحت تتلوّى وتتهاوى سريعًا. لكن رقعة العشب كلها اشتعلت بعد ذلك، واندلع منها لهب واضح راحت مساحته تتسع سريعًا وبطيئًا مثل سرب من نملات مذعورة، يرى المرء فرارها سريعًا إذا نظر إلى كل نملة بمفردها، لكنه يراه بطيئًا إذا نظر إلى الجماعة كلها. وعلى نحو مفاجئ، علت النار حتى بلغت ارتفاع خصري.

صحت بغيّير: «أطفئها! أطفئها!».

رش غيّير الماء على النار من الزجاجة التي كانت في يده، فهسّت

وتقلّصت بينما كنت أطفئ شعلات اللهب الصغيرة التي في العشب عند الحواف مستخدمًا راحة يدي.

قلت بعد دقيقة من ذلك عندما انطفأت النار تمامًا: «أووف!».

ضحك غيّير وقال: «كادت تصير نارًا كبيرة حقًا! لقد اشتعلت بسرعة كبيرة».

نهضت واقفًا.

«أتظنّ أن من الممكن أن يكون أحدٌ قد رآها؟ ما رأيك في الذهاب إلى حافة الجرف لكي نرى إن كان هناك من ينظر في هذا الاتجاه».

لم أنتظر إجابته، بل سرت مسرعًا عبر الطحالب الناعمة والأعشاب الصغيرة النامية على الأرض بين الأشجار. أحسست بخوفٍ مفاجئ يطبق على جوفي؛ وبدأت أشعر بأن هوة تنفتح في داخلي كلما التفتتْ أفكاري إلى ما فعلناه. أوه، ماذا يمكن أن يحدث الآن؟ ماذا يمكن أن يحدث الآن؟

توقفت عند حافة الجرف، ورفعت كفي إلى جبهتي حتى أظلّل عينيَّ. سيارة أبي متوقّفة في الممر أمام البيت. لكني لم أرَ أثرًا له. لعله كان في الخارج، ثم دخل. رأيت غوستافسن سائرًا على العشب عند بيته. من الممكن أن يكون قد رأى الدخان وأخبر أبي... أو من الممكن أنه سيخبره في ما بعد. كان تفكيري في أبي، بل حتى حقيقة أن له وجودًا، تجعل الخوف يسري في جسدي كله.

التفتُّ إلى غيّير الذي كان واقفًا من خلفي حاملًا الكيس بيده. في الأسفل، كان طفل يشبه هاكون، شقيق غيّير الأصغر، يلعب في الرمل عند الحاجز الإسمنتي بين طريقنا وبيت إلغستين. سيارة تسير صاعدة الطريق، سيارة بدت كأنها منطوية على نفسها، كأنها حشرة، وكأن زجاجها الأسود هو عينها الوحيدة التي لا تعبير فيها. انعطفت السيارة يسارًا، ثم اختفت عن أنظارنا.

قلت: «لا نستطيع النزول مباشرة. إذا كان أحد قد رأى النار، فسوف يستنتج أننا من أشعلها».

لماذا فعلنا هذا؟ لماذا؟... أوه، لماذا؟

قلت: «يستطيعون رؤيتنا هنا أيضًا. هيا بنا!».

نزلنا المنحدر ذا الأشجار الكثيرة الذي كان خلفنا. وعندما بلغنا أسفله، سرنا عبر الغابة عائدين إلى البيت. كان مسارنا في الغابة على مسافة نحو عشرة أمتار من الطريق. توقّفنا عند شجرة التنوب الكبيرة، إلى جانب جدول عريض، ضحل، عكِر، حيث كانت الألوان كلها خضراء، لكن خضرتها كدِرة. كانت على لحاء الشجرة قطرات صمغ دبقة لونها يشبه لون السكر المحروق، لكن لها رائحة واخزة. كانت رؤية بيتنا ممكنة عبر الجذوع الرشيقة لشجرة السمان القريبة. ألقيت على كفيّ نظرة لأرى إن كان عليهما أثر من النار. لا شيء. لكنّي شممت فيهما أثرًا من رائحتها فغمرتهما في الماء ومسحتهما على بنطلوني حتى تجفّا.

مكتبة
t.me/t_pdf

قلت لغيّير: «ماذا نفعل بعلبة الكبريت؟».

رفع غيّير كتفيه: «أظن أن علينا أن نخبّئها».

قلت: «إذا وجدوها، فلا تقل لهم شيئًا عني، ولا عما فعلناه».

قال غيّير: «بالطبع. هذا هو الكيس. خذه».

سرنا صاعدين في الطريق.

قلت له: «هل ستشعل النار في أي شيء آخر اليوم؟».

قال: «لا أظن هذا».

«ولا حتى مع ليف تورِه؟».

«ربما غدًا...»، ثم أشرق وجهه كلّه... «ما رأيك، هل آخذ علبة الكبريت معي إلى المدرسة؟».

«هل فقدت عقلك؟».

ضحك غيّير. بلغنا الطريق، فعبرناها.

قال وهو يجري صاعدًا في اتجاه بيته: «إلى اللقاء».

مررت بسيارة أمي المتوقّفة على بقعة من عشب ذابل مُصفرّ خارج السور مباشرة إلى جانب حاوية القمامة ذات اللون الرمادي، ثم سرت على الحصى. أحسست بالخوف يتصاعد في داخلي من جديد. كانت سيارة أبي

الحمراء لامعة في ضياء الشمس الشديد. أطرقت برأسي غير راغب في رؤية العينين اللتين قد تكونان في انتظاري في نافذة المطبخ. كان التفكير فيهما وحده كافيًا لأن يجعل موجات من القنوط تجتاحني. ضممت يديَّ معًا وأغمضت عينيَّ عندما أفلحت في الوصول إلى باب البيت من غير أن أكون مرئيًا من نوافذ الطابق الأول.

قلت في نفسي، من غير صوت: «يا إلهي، خلّصني من هذا الأمر، ولن أفعل شيئًا سيئًا بعد الآن أبدًا. أبدًا أبدًا. أقسم بكل ما هو مقدس. آمين».

فتحت الباب، ودخلت البيت.

كانت الحرارة في الممر أقل مما هي في الخارج. وبعد الشمس الساطعة، كان المكان شبه مظلم. الهواء مشبع برائحة طعام مطهو ثقيلة. انحنيت وحللت رباط حذائي، ثم وضعته بعناية عند الجدار وصعدت إلى الأعلى محاولًا جعل وجهي يبدو طبيعيًا. توقّفت مرتبكًا في فسحة السلم في الأعلى. ما الذي أفعله عادة؟ أأذهب مباشرة إلى غرفتي؟ أم أدخل المطبخ لأرى إن كان ا جاهزًا؟

أصوات، وقعقعة أدوات الطعام في الأطباق.

هل تأخّرت؟

هل بدأوا تناول الطعام؟ أوه، لا. أوه، لا. ماذا أفعل الآن؟

في خضم هذا التوتر كله، أتتني مثل صرخة فرحة فكرة أن أستدير على أعقابي وأنزل السلم بهدوء وأخرج ثم أذهب إلى الغابة ولا أعود أبدًا.

عندها، سيصيبهم الحزن.

صاح أبي من خلف الباب المغلق: «أهذا أنت، يا كارل أوفِه؟».

ابتلعت رقيقي، وهززت رأسي، ورفرفت عيناي بضع مرات، ثم استنشقت نفسًا عميقًا، وقلت: «أجل».

صاح أبي: «نحن نأكل. تعال!». لقد سمع الرب دعائي واستجاب له. أبي في مزاج حسن. رأيت ذلك لحظة دخولي. كان مستندًا إلى ظهر كرسيه وقد مد ساقيه أمامه. ذراعاه مفتوحتان وفي عينيه لمعة متشاقية.

سألني: «ما الأمر الذي كان ممتعًا إلى حد جعلك تنسى وقت العشاء؟».

جلست إلى جانب إنغفِه. كان أبي جالسًا إلى جهة اليمين، وأمي إلى جهة اليسار. وكان طعام العشاء جاهزًا على طاولة الفورمايكا ذات الرسوم الرمادية والبيضاء والإطار الرمادي والقوائم اللامعة التي في أسفلها قطع رمادية من المطاط: أطباق الطعام البنية، وكؤوس خضراء مكتوب على كعوبها «دوراليكس»، وسلة من الخبز المحمّص، وقدر كبيرة فيها مغرفة خشبية.

قلت: «كنت في الخارج مع غيّير»، ثم انحنيت لأرى إن كانت هناك قطعة لحم في المغرفة التي رفعتها بعد لحظة.

سألني أبي: «وإلى أي مكان ذهبتهما؟». قال هذا وهو يرفع شوكة الطعام إلى فمه. كان على لحيته شيء لونه أصفر باهت، لعله قطعة بصل.

«ذهبنا إلى الغابة».

«آه، حقًا؟». قال هذا وهو يمضغ لقمته ثم يبتلعها وعيناه متّجهتان إليَّ طيلة الوقت.

«ظننت أنني رأيتكما صاعدين التل».

كنت مصعوقًا. قلت له بعد قليل: «لم نكن نحن».

«كلام فارغ: بما أنك لا تريد الاعتراف بأنكما صعدتما التل، فهذا يعني أنكما كنتما تتشاقيان. ماذا فعلتما؟».

قلت له: «لكننا لم نذهب إلى التل».

سرت نظرة بين أبي وأمي. سكت أبي ولم يقل المزيد. صرت قادرًا على تحريك رأسي من جديد. ملأت طبقي وبدأت الأكل. سكب أبي مزيدًا من الطعام في طبقه. لا تزال حركاته مسترخية تمامًا. أنهى إنغفِه طعامه. ظل جالسًا إلى جانبي، ناظرًا أمامه وقد وضع إحدى يديه على فخذه والأخرى على حافة الطاولة.

سألني أبي: «قل لي، كيف كان يومك الأول في المدرسة؟ هل أعطوكم واجبًا بيتيًا؟».

هززت رأسي نفيًا
«هل كانت المعلمة لطيفة؟».
أومأت برأسي.
«ماذا كان اسمها؟».
قلت: «هيلدا تورغرسن».
قال أبي: «هذا صحيح. وهي تعيش في... هل قالت شيئًا عن هذا؟».
أجبته: «تعيش في ساندوم».
قالت أمي: «تبدو المعلّمة لطيفة. إنها صغيرة السن. وهي مسرورة بالتعليم في المدرسة».
قلت: «لكننا وصلنا متأخرين». شعرت بجسدي كله يرتاح لأن الحديث اتخذ وجهة مختلفة.
قال أبي وهو ينظر إلى أمي: «أوه! لم تقولي لي إنكما تأخّرتما».
قالت أمي: «لقد ضللنا الطريق. وهذا ما جعلنا نصل متأخّرين بضع دقائق. لكني لا أظن أن شيئًا مهمًا قد فاتنا. هل فاتنا شيء، يا كارل أوفهِ؟».
أجبتها مغمغمًا: «لا».
قال أبي: «لا تتكلّم عندما يكون في فمك طعام».
ابتلعت ما في فمي وقلت: «حسنًا».
قال أبي: «وماذا عنك، يا إنغفهِ؟ هل كانت في اليوم الأول أية مفاجآت؟».
قال إنغفهِ وهو ينصب ظهره: «لا».
قالت أمي: «كانت لديك اليوم تمرينات كرة القدم، أليس كذلك؟».
أجابها إنغفهِ: «صحيح».
لقد غيّر إنغفهِ فريقه فترك فريق تراوما، فريق الجزيرة الذي يلعب فيه أصدقاؤه كلّهم والذي لديه ملابس رائعة: قمصان زرقاء عليها خط أبيض مائل، وشورتات بيضاء وزرقاء، وجوارب بيضاء. تخلّى عن هذا الفريق وانتقل إلى نادي سالترود في بلدة صغيرة واقعة إلى الخلف من لسان ترومويا البحري. اليوم كان لديه أول تمرين هناك. عليه أن يذهب بالدراجة

وحده عبر الجسر... أمر لم يفعله أبدًا من قبل. وعليه بعد ذلك أن يجتاز المسافة كلّها حتى الملعب. لقد قال إن المسافة تبلغ خمسة كيلومترات.

قال أبي: «وهل حدث في المدرسة اليوم أي شيء آخر، يا كارل أوفِه؟».

أومأت برأسي وابتلعت ريقي.

قلت له: «سوف نذهب إلى دورة للسباحة. إنها ستة دروس. لكنها في مدرسة أخرى».

قال أبي وهو يمسح فمه بظهر يده: «أمر جيد. هذه ليست فكرة سيئة أبدًا. غير معقول أن تعيش على جزيرة وأن تظل غير قادر على السباحة». لا تزال قطعة البصل عالقة بلحيته.

قالت أمي: «ثم إن الدورة مجانية أيضًا».

قلت: «إلا أنني في حاجة إلى قبعة سباحة. الجميع في حاجة إليها. وربما يلزمني سروال سباحة جديد أيضًا. ليس بنطلولًا قصيرًا، بل هو نوع من...».

قال أبي: «يمكننا أن نتدبّر أمر القبعة. لكن عليك الآن أن تكتفي بشورت السباحة الذي عندك».

قلت: «ونظّارة أيضًا».

قال أبي وهو ينظر إليَّ نظرة معابثة: «نظّارة أيضًا؟! سيكون علينا أن نهتم بهذا الأمر».

أزاح طبقه جانبًا واستند إلى الخلف في كرسيه. قال: «طعام لذيذ، يا ماما».

قال إنغفِه: «شكرًا، يا ماما»، ثم خرج من المطبخ. سمعنا صوت باب غرفته بعد خمس ثوانٍ.

بقيت جالسًا إلى الطاولة، فقد يكون أبي راغبًا في الحديث معي. لكنه نظر من النافذة برهة حيث كان أربعة صبيان يقودون درّاجات عند التقاطع الثاني، ثم نهض ووضع طبقه في المجلى وأخذ برتقالة من الخزانة ونزل إلى غرفة مكتبه، الصحيفة مطوية تحت ذراعه. لم يقل لأحد أي شيء آخر. ذهبت إلى غرفة إنغفِه عندما بدأت أمي ترفع الأطباق عن المائدة. كان

يضع حوائجه في حقيبته. جلست على سريره أنظر إليه. كان لديه حذاء كرة قدم حقيقي. حذاء أديداس له مسامير من الأسفل، وكذلك شورت آمبرو وجوارب صفراء وسوداء ماركه آي كي ستارت. لقد اشترت له أمي أول الأمر جوارب بيضاء وسوداء ماركة غرين، لكنها لم تعجبه فأعطتني إياها. لكن بيجامة أديداس الرياضية كانت أفضل قطعة لديه: بيجامة زرقاء لها خطوط بيضاء مصنوعة من مادة صقيلة لامعة، لا من ذلك القماش المرن ذي اللون الكامد الذي يُستخدم في ملابس الصالات الرياضية، والذي كانت البيجامات الرياضية كلها تُصنع منه. كنت أتشمّمها أحيانًا، وأدفن أنفي في قماشها الناعم لأن رائحته رائعة. لعلي كنت أراها رائعة لأنني كنت راغبًا جدًا في أن تكون لي بيجامة مثلها، فصارت تلك الرائحة جزءًا من رغبتي، أو لعلّي كنت أراها رائعة لأن تلك الرائحة (رائحة النسيج التركيبي) لم تكن تذكّرني برائحة أي شيء آخر، وبالتالي فقد كانت كأنها من خارج هذا العالم. على نحو ما، كان فيها وعد بالمستقبل. كان لديه أيضًا، غير هذه البيجامة، ملابس أديداس زرقاء وبيضاء مقاومة للبلل.

لم يقل شيئًا بينما كان يضع حوائجه في الحقيبة. أغلق سحّابها الأحمر ووضعها على مكتبه. نظر إلى جدول المواعيد الموضوع على المكتب.

قلت له: «هل أعطوك واجبات بيتية؟».

هزّ رأسه نفيًا.

قلت: «نحن أيضًا لم يعطونا شيئًا. هل جلّدت كتبك؟».

«لا، لدينا الأسبوع كلّه من أجل هذا الأمر».

«أنا سأجلّد كتبي الليلة. وسوف تساعدني ماما».

قال وهو ينهض واقفًا: «هذا من حسن حظك. أنا خارج الآن. إذا لم أعد قبل منتصف الليل، فهذا يعني أن الرجل الذي من غير رأس قد أكلني. أحب أن أرى كيف سيتمكن من أكلي».

ضحك إنغفِه، وخرج من الغرفة ونزل إلى الأسفل. وقفت أنظر إليه من نافذة الحمام فرأيته يضع قدمه على دواسة الدراجة، ثم يرفع الأخرى

فيمررها من فوقها، ثم ينطلق بقوة كبيرة حتى يبلغ المرتفع بسرعة تسمح له بأن ينحدر حتى التقاطع من غير أن يستخدم الدواستين.

خرجت إلى فسحة السلم بعد أن اختفى إنغفِه، ووقفت ساكنًا لحظة حتى أتمكّن من تحديد موقع أبي وأمي. لكن كل شيء كان صامتًا.

ناديتها بصوت منخفض: «ماما».

لا إجابة.

ذهبت إلى المطبخ فلم أجدها، ذهبت إلى الغرفة الخلفية فلم تكن فيها. هل يمكن أن تكون ذهبت إلى غرفتهما؟

ذهبت إلى تلك الغرفة ووقفت عند الباب لحظة.

لعلها في الحديقة؟

نظرت إلى زوايا الحديقة الأربع من عدة نوافذ فلم أر لها أثرًا.

والسيارة... هل لا تزال متوقّفة هناك؟

أجل، إنها هناك!

جعلتني عدم معرفتي بمكان وجودها أحس كأنني لم أعد «ممسكًا» بالبيت... صار البيت كله غارقًا في نوع من الارتباك، على نحو مقلق تمامًا. حتى أواجه ذلك الإحساس، ذهبت إلى غرفتي وجلست على سريري لكي أقرأ بعض المجلات. عندها، فاجأتني فكرة أنها -بالطبع- في غرفة مكتب أبي، في الأسفل.

لم أكن أدخل مكتب أبي أبدًا... تقريبًا. وفي المرات القليلة التي دخلت فيها مكتبه كان ذلك بغرض سؤاله عن شيء ما: مثلًا، إن كان يسمح لي بالسهر قليلًا لمتابعة برنامج في التلفزيون. أدق الباب أولًا، وأنتظر سماعه يقول ادخل. لكن تكلفة دق ذلك الباب كانت كبيرة، بل غالبًا ما كانت كبيرة إلى حد يجعلني أفضل الذهاب إلى فراشي من غير رؤية ذلك البرنامج. الواقع أنه دعانا إلى دخول مكتبه مرة أو مرتين عندما أراد أن يرينا شيئًا، أو أن يعطينا شيئًا... مغلّف بريدي عليه طوابع! كنا نضع المغلف في المغسلة في المطبخ الاحتياطي الذي لم يكن مستخدمًا -بقدر معرفتي- إلا لهذه الغاية. نضع

المغلف في المغسلة حتى يذوب الصمغ عن الطوابع التي نأخذها بعد ذلك ونتركها بضع ساعات حتى تجف قبل أن يصير ممكنًا وضعها في ألبوماتنا.

لم تكن فكرة دخول مكتبه في غيابه لتخطر في بالي أبدًا، حتى عندما أكون وحدي في البيت. كان خطر اكتشافه ذلك كبيرًا جدًا، فقد كان قادرًا على اكتشاف كل شيء يحدث، وكأنه يشم رائحته بطريقة من الطرق مهما بذلت جهدًا في إخفاء الآثار.

ذلك ما حدث أثناء تناول طعام العشاء عندما قال إنني كنت على التلة. صحيح أنه لم ير أي شيءٍ مما فعلناه، بل رآنا سائرين في اتجاه التلة فقط، لكنه عرف أننا كنا نفعل شيئًا خاطئًا. ولو لم يكن في ذلك المزاج الحسن لجعلني أعترف بكل شيء.

انبطحت على سريري وبدأت أقرأ مجلة تِمبو: مجلةً لإنغفه استعارها من إيان آتلِه؛ وقد قرأت فيها مرات كثيرة. كانت مجلة للأطفال الأكبر مني سنًا، وكانت لها في نظري هالة من الانتماء إلى عالم بعيد لكنه لامع جدًا. لم يكن لديَّ إطار مفضل لأحداث القصص المصورة - لا أهمية لأن تكون أحداث القصة جارية في الحرب العالمية الثانية، كما في سلسلتي «بافينجين»، أو «تانك»، أو في أميركا القرن التاسع عشر كما في «تكسويلر»، أو «جوناثان هكس»، أو «بلو بيري»، أو في إنكلترا بين الحربين العالمتين كما في «بول تمبل»، أو حتى تلك القصص الخيالية التي تظهر فيها شخصيات من قبيل «الشبح» و«سوبرمان» و«باتمان» و«الأربعة المذهلون» - إلا أن إحساسي بتلك القصص كان متغيّرًا لأنها تثير في نفسي مشاعر مختلفة؛ كتلك السلسلة في مجلة «تمبو» مثلًا حيث كانت تدور مجرياتها في حلبة سباق؛ أو في مجلة «بَستر»، أو في «جوني بوما» و«بيني غولدنفوت» على سبيل المثال، اللتين كانت لهما جاذبية خاصة ربما لأنهما أقرب إلى الواقع الذي أعرف أنه موجود. كان ممكنًا أن يرى المرء في الصيف راكبي دراجات مرتدين ملابسهم الجلدية مع خوذات مكتوب على حافتها «فورمولا 1». وكنا نرى في التلفزيون أيضًا سيارات السباق المنخفضة ذات الأجنحة، ونراها تتحطم

أحيانًا عند اصطدامها بالحاجز، أو بسيارات أخرى، فتنقلب وتشتعل فيها نار تحرق السائق فيموت أو يفلح في الخروج من ذلك الحطام المشتعل ويسير مبتعدًا عنه بخطوات هادئة.

عادة ما كنت أتأثّر كثيرًا بتلك القصص من غير أن أفكّر فيها، فقد كانت الغاية كلّها (بطبيعة الحال) ألّا يفكر المرء في شيء، أو ألّا يكون له تفكيره الخاص عندما يقرأ... ما عليه إلا أن يتابع الحدث! إلا أنني لم أطق القراءة طويلًا في ذلك المساء، بل وضعت المجلة جانبًا. ولسبب لم أعرفه، شعرت بأنني غير قادر على البقاء في مكاني، فقررت الخروج من جديد لأن الساعة لم تتجاوز الخامسة بعد. توقّفت في أعلى السلم فلم أسمع أيّ صوت. لا بد أن أمي لا تزال في الأسفل. ماذا تفعل أمي في الأسفل؟ نادرًا ما تذهب إلى غرفة مكتب أبي! على الأقل، هي لا تذهب إليها في مثل هذا الوقت! هذا ما كنت أفكر فيه عندما انحنيت في الممر لكي أربط شريط حذائي. طرقت باب مكتب أبي. الحقيقة أنني طرقت باب الممر حيث توجد ثلاث غرف: الحمام، وغرفة المكتب، والمطبخ الذي في نهايته غرفة مستودع صغيرة. كان ذلك المكان شقّة قائمة بذاتها؛ لكننا لم نكن نؤجّرها أبدًا.

صحت من خلف الباب: «أنا خارج الآن. سأذهب إلى بيت غيّير».

هذا ما كان مطلوبًا مني فعله: إخبارهم بأنني خارج، وتحديد المكان الذي أريد الذهاب إليه.

بعد صمت استمر بضع ثوان، سمعت صوت أبي المنزعج آتيًا من داخل المكتب. صاح قائلًا: «لا بأس، لا بأس». مرت بضع ثوانٍ أخرى من الصمت.

ثم جاءني صوت أمي أكثر لطفًا كأنه تعويض عن الانزعاج الظاهر في صوت أبي: «حسنًا، لا مشكلة، يا كارل أوفِه».

انطلقت خارجًا وأغلقت الباب من خلفي بهدوء تام، ثم جريت صاعدًا إلى بيت غيّير. وقفت في الخارج وناديته بضع مرات إلى أن ظهرت أمّه آتية من خلف البيت. كانت يداها في قفازي العمل في الحديقة، وترتدي شورتًا

كاكي اللون وبلوزة زرقاء، وفي قدميها حذاء أسود ذو نعل خشبي، وفي يدها مجرفة حمراء اللون.

قالت لي: «مرحبًا يا كارل أوفِه. لقد خرج غيّير منذ قليل مع ليف تورِه».

«أين ذهبا؟».

«لست أدري. لم يقل لي».

«لا بأس، إلى اللقاء».

استدرت وسرت في الممر بخطوات بطيئة وقد ملأت الدموع عيني. لماذا لم يعرّجا على بيتي؟

توقّفت عند الحاجز بين الطريقين، وبقيت لحظة ساكنًا في مكاني. كنت مصغيًا. ما من صوت. جلست على واحد من الحواجز. احتك الإسمنت القاسي احتكاكًا خشنًا بفخذيّ. كانت الهندباء النامية في الخندق، في الأسفل، رمادية لكثرة ما عليها من غبار. وإلى جانب الخندق، كانت هناك شبكة معدنية صدئة. علبة سجائر حال لونها في الشمس كانت عالقة بين القضبان.

أين يمكن أن يكونا قد ذهبا؟

هل نزلا إلى آبوكيلن؟

هل نزلا إلى المراسي؟

هل ذهبا إلى ملعب كرة القدم وساحة الألعاب؟

هل اصطحب غيّير ليف تورِه إلى واحد من أماكننا؟

هل صعدا الجبل؟

مسحت عيناي الجبل كله. لم أر أي أثر لهما. نهضت واقفًا وبدأت السير إلى الأسفل. عند تقاطع الطرق بالقرب من شجرة الكرز، كانت هناك ثلاث طرق يستطيع المرء الاختيار بينها إن كان ذاهبًا إلى مراسي زوارق الصيد. اخترت الجهة اليمنى فعبرت البوابة وسرت في درب ترابية تكسوها عساليج كثيرة تحت ظلال أشجار البلوط الضخمة، ثم خرجت إلى المساحة المنبسطة التي نلعب فيها كرة القدم عادة على الرغم من انحدار أرضها من

الجانبين وعلى الرغم من أعشابها التي يبلغ ارتفاعها الركبة، تلك الأعشاب التي داستها أقدامنا منذ بداية الربيع. كانت في تلك المساحة أيضًا أشجار فتية بعد الجرف ذي الصخور الرمادية... صخور عارية بشكل عام باستثناء بضع نباتات قصيرة متناثرة. اجتزت تلك المساحة وسرت عبر الغابة حتى بلغت الطريق. في الأسفل، كان مرسى القوارب الجديد الذي اقتطعوه من الصخور. كانت فيه ثلاثة أرصفة متماثلة كل منها مزوّد بممشى مصنوع من الخشب وبعوامات برتقالية اللون.

لم أجدهما هناك. لكنني سرت متجاوزًا إحدى العوامات. رأيت زورقًا راسيًا عند نهاية الرصيف. إنه زورق كانستروم. ذهبت لأرى ما يجري هناك. كان كانستروم وحيدًا على متن زورقه. رفع رأسه ونظر إليَّ عندما وقفت على مقربة من مقدّمة الزورق.

قال لي: «إذًا، أنت من يتجوّل في هذه الأماكن. لقد خرجت لصيد الأسماك، كما ترى».

لمعت نظّارته في الشمس. كان له شارب وشعر قصير وبقعة صلعاء في أعلى رأسه. وكان يرتدي شورتًا من الجينز وقميصًا عليه خطوط متقاطعة؛ وفي قدميه صندل.

«هل تحب أن ترى الأسماك؟».

حمل دلوًا أحمر اللون، وأماله في اتجاهي. كان الدلو ممتلئًا بأسماك ماكاريل الزلقة التي كانت جلودها لامعة بلون ضارب إلى الزرقة. كان بعضها لا يزال يتلوّى. وبدا لي أن تلك الحركة كانت تسري إلى أجساد الأسماك الأخرى المتلاصقة في الدلو فبدت كلها جسد مخلوق واحد.

قلت: «واو! هل اصطدت هذه الأسماك كلها؟».

أومأ برأسه.

«اصطدتها كلها في بضع دقائق. كان هناك سرب كبير منها، على مسافة من الشاطئ. لدينا الآن طعام يكفينا أيامًا كثيرة».

وضع الدلو على ممر المرسى الضيّق. ثم رفع من الزورق صفيحة وقود

قديمة ووضعها على الممر إلى جانب الدلو. ثم أخرج بضع صنارات صيد وعلبة فيها خطافات وطعوم. كان يهمهم بأغنية قديمة طيلة الوقت.

سألته: «هل تعرف أين هو داغ لوثار؟».

قال: «لا. لا أعرف. هل تبحث عنه؟».

قلت: «أجل، نوعًا ما».

«هل تحب أن تجلس في مقدمة الزورق، هنا؟».

هززت رأسي وقلت: «لا، لا أريد. الحقيقة أن لديَّ ما أفعله».

قال: «لا بأس»، ثم نزل إلى الرصيف وانحنى لكي يحمل الأشياء التي وضعها عليه. ابتعدت مسرعًا حتى لا أجد نفسي مضطرًا إلى السير إلى جانبه. جريت عبر موقف السيارات غير المعبّد، ثم سرت متوازنًا على حافة الرصيف طيلة المسافة حتى الطريق الرئيسية حيث كان هناك ممر يمضي منحدرًا بعض الشيء ويغوص نازلًا في أعماق الغابة. مضيت حتى «الصخرة»، المكان الذي يذهب للسباحة فيه كل من يعيش في هذه الناحية لأن هناك صخرة ارتفاعها متران يستطيع المرء أن يقفز منها إلى الماء ويسبح حتى غيّيرستادهولمن الواقعة إلى الناحية الأخرى من تلك القناة التي يبلغ عرضها عشرة أمتار. كنت أذهب إلى «الصخرة» أحيانًا على الرغم من أن الماء عميق، ومن أنني لا أحسن السباحة، وذلك لأن أشياء كثيرة تحدث هناك.

صرت الآن قادرًا على سماع أصوات آتية من الغابة. صوتٌ حادٌّ لطفل، وصوت شابٍّ أكثر منه عمقًا. وبعد ثانية واحدة، ظهر لي داغ لوثار وستينار من بين جذوع الأشجار التي تناثرت عليها بقع من ضوء الشمس. كان شعرهما رطبًا، ومع كل منهما منشفة.

صاح داغ لوثار عندما لمحني: «كارل أوفِه، مرحبًا! لقد رأيت أفعى عندما كنت سائرًا هنا».

سألته: «هل هذا صحيح؟ أين رأيت الأفعى؟ هل رأيتها هنا؟».

أومأ برأسه وتوقّف قبالتي. توقّف ستينار أيضًا واتخذ هيئة كان واضحًا منها أنه غير راغب في التحدث بل يريد متابعة طريقه بأسرع وقت ممكن.

كان ستينار في الصف الثامن في مدرسة أبي. شعره طويل داكن، وزغب خفيف على شفته العليا. كان يعزف الموسيقى؛ وكانت له في قبو بيتهم غرفته الخاصة التي لها مدخل مستقل.

قال داغ لوثار وهو يشير بيده على امتداد الدرب: «كنت أجري نازلًا، هناك. كنت أجري بأقصى سرعة، بسرعة كبيرة حقًّا. وعندما انعطفت، رأيت أمامي تلك الأفعى، رأيتها في طريقي. كدت أعجز عن التوقف في الوقت المناسب».

سألته: «وماذا حدث؟».

إن كان هناك شيء أخافه في هذا العالم فهو الأفاعي والديدان.

«ارتدّتْ بسرعة البرق واختفت بين الشجيرات».

«هل أنت واثق من أنها أفعى؟».

«بكل تأكيد. كانت على رأسها علامات على شكل خط متكسر». ابتسم لي. كان له وجه مثلث وشعر ناعم؛ له عينان زرقاوان، كثيرًا ما يرى المرء فيهما تعبير توتّر وحماسة.

سألني: «الآن، أنت لا تجرؤ على الذهاب إلى ذلك المكان، أليس كذلك؟».

قلت: «لست أدري. هل غيّير والآخرون هناك، في الأسفل؟».

هز رأسه وقال: «ليس هناك إلا يورن وشقيقه الأصغر، وكذلك إيفا وأم ماريان وأباها».

قلت: «هل أستطيع الصعود معكما؟».

قال داغ لوثار: «بالطبع. لكنّي لا أستطيع اللعب الآن لأننا ذاهبان لتناول طعام العشاء».

قلت: «وأنا أيضًا أريد الذهاب إلى البيت. ينبغي أن أجلّد كتبي».

ذهب داغ لوثار وستينار كلٌّ إلى بيته عندما بلغنا الطريق في نقطة قريبة من بيتنا. لكني لم أدخل البيت. بقيت واقفًا في الخارج أبحث عن غيّير وليف تورِه. لم أجدهما في أي مكان. بدأت السير غير عارف في أي اتجاه أمضي.

كانت الشمس حارة على كتفيّ؛ صارت الآن فوق حافة الجرف. ألقيت نظرة أخيرة في اتجاه الطريق، فقد يظهران الآن؛ ثم جريت إلى الممر الواقع خلف البيت. كان الجزء الأول من ذلك الممر ملاصقًا لسور حديقتنا؛ وكان جزؤه الثاني ملتفًّا من حول الجدار الحجري لحديقة بيت برستباكمو حيث يمضي نصف مختفٍ خلف أشجار الحور الرجراج الصغيرة الكثيرة النامية هناك، تلك الأشجارِ التي ترتعش كلّها في النسيم البحري الذي يهبّ بعد ظهر كل يوم، طيلة فصل الصيف. وبعد تلك النقطة، يبتعد الممر عن البيوت، فيعبر منطقة تتزاحم فيها أشجار فتيَّة غير دائمة الخضرة، قبل أن يبلغ منطقة مستنقعات في آخرها مرج صغير تحت شجرة زان عملاقة جذعها مائل من فوق أرض شديدة الانحدار. كانت شجرةً يغرق كل ما حولها في ظلالها.

غريب كيف تكون لكل شجرة ضخمة شخصيتها الخاصة بها!... شخصية تعبّر عنها من خلال هالةٍ وأشكال فريدة يخلقها الأثر المشترك لجذعها وجذورها ولحائها وأغصانها، وللنور والظلال. كان ذلك كأنها قادرة على الكلام؛ ليس عبر النطق -بطبيعة الحال- بل من خلال ما هي عليه... تبدو كأنها ترنو إلى من ينظر إليها. كان هذا كل ما تتحدّث عنه الأشجار... تتحدّث عن نفسها، ولا شيء غير ذلك. كنت أسمع هذه الأصوات كلما تجوّلت في منطقة البيوت أو في الغابة المحيطة بها، وكنت أحسّ الأثر الذي تخلقه هذه الكائنات الحية التي تنمو وتكبر ببطء شديد. كانت هناك أشجار التنوب عند الجدول، تحت البيت، جذوعها عريضة من الأسفل، عريضة إلى حد يصعب تصديقه، لكن لها لحاء رطب وجذور ظاهرة من الأرض كأنها لفافات من حبل ثخين ممتدة إلى مسافة كبيرة بعيدًا عنها. كيف تتتالى غصونها فترسم شكلًا هرميًا يبلغ الأرض، شكلًا يبدو متماسكًا ومليئًا إذا نظر إليه المرء عن بعد، لكن الأوراق الإبرية الصغيرة بديعة التكوين تظهر بلونها الأخضر الداكن عند الاقتراب منها. وهذه الأغصان الجافة كلها، أغصان كثيرة الثقوب، لونها رمادي قليلًا، نامية وسط ستارة كثيفة من غصون ليست رمادية، بل تكاد تكون سوداء تمامًا.

شجرة الصنوبر في أرض برستباكمو، شجرة عالية رشيقة تشبه سارية سفينة، لها لحاء محمرّ وكتلة مغزلية الشكل من أوراق صغيرة خضراء تهتز اهتزازًا خفيفًا في نهاية كل غصن؛ شجرة لا يرى فيها المرء نموًا إلا على مقربة من قمتها. شجرة البلوط خلف ملعب كرة القدم؛ تلك الشجرة التي يبدو جذعها في أسفله أشبه بصخرة منه بجسم خشبي. لكنها شجرة ليس لها شيء من كثافة شجرة التنوب وتراصّها لأن أغصان البلوط تنمو مبتعدة عن الشجرة فتشكّل خيمة قليلة الكثافة من أغصان صغيرة وأوراق ممتدة فوق أرض الغابة، خيمة خفيفة إلى حد يجعل المرء غير قادر أبدًا على تصديق أن هناك صلة رابطة بين الجزء السفلي من الجذع ونهايات الأغصان الرشيقة الدقيقة، على الرغم من أنه أصلها كلّها ومنبعها. كان في وسط جذعها شيء يشبه مغارة، وكأن الشجرة قد انتفخت هناك لكي ترسم شكلًا بيضويًا ذا إطار ناعم لكنه قاس، كثير العقد، فيه تجويف في مثل حجم رأس الإنسان تقريبًا. وأوراقها، مثل أوراق الأشجار جميعًا، تكرّر كلما نمت ذلك الشكل الجميل نفسه، شكل الورقة المنحني المشرشر قليلًا... أوراق تظلّ هكذا وهي معلّقة من أغصانها، خضراء، كثيفة، ناعمة، وعندما تصير راقدة على الأرض بعد بضعة شهور من ذلك وقد غدت هشة سريعة التكسّر، يتحول لونها فيصير بنيًا محمرًا. كانت الأرض من حول هذه الشجرة مكسوّة دائمًا بسجادة كثيفة من أوراق الخريف المشعّة بألوانها الصفراء والخضراء أول الأمر قبل أن تصير أكثر قتامة وأقل طراوة مع مرور الزمن.

وكانت هناك أيضًا الشجرة التي على المنحدَر عند بقعة أرض المستنقعات. لم أكن أعرف نوع تلك الشجرة. لقد كانت شجرة كثيفة كغيرها من الأشجار الكبيرة، لكن لها أربعة جذوع متماثلة ملتفة إلى الخارج التفافًا أفعوانيًا، ولها لحاء لونه أخضر ضارب إلى الرمادي، وفيه ثقوب واسعة كثيرة. ولأن جذوعها متباعدة، فقد كانت تغطّي منطقة لا تقل اتساعًا عما تغطيه شجرة بلوط أو تنّوب؛ إلا أن أثر ذلك الامتداد لم يكن مماثلًا من حيث جماله لأنه يبدو أكثر هشاشة. وكان معلّقًا من أحد أغصانها حبل فيه

عصا. لعل الأولاد الذين يعيشون في البيوت الواقعة على الطريق المقابلة هم من علّقوه؛ فبيوتهم قريبة من هذا المكان مثل بيوتنا. لم أجد أحدًا هناك، فتابعت طريقي صعودًا في المنحدر من تحت الأغصان. أمسكت العصا بيديَّ الاثنتين ورفعت جسدي إلى الأعلى. فعلت ذلك مرتين. وقفت برهة تحت تلك الشجرة مفكّرًا فيما أفعله بعد ذلك. جاءت أصوات وقعقعة أواني الطعام من البيت المواجه لذلك المنحدَر حيث يعيش رجل وامرأة عندهما طفل صغير. لم أستطع رؤية شيء، لكني خمّنت أنهم جالسون في الحديقة. هدير طائرة في مكان بعيد. تقدّمت بضع خطوات في أرض المستنقع الجافة، ونظرت إلى السماء. رأيت طائرة بحرية صغيرة تقترب من الشاطئ. كانت تطير على ارتفاع منخفض كثيرًا وهيكلها الأبيض يلمع في الشمس. انطلقت أجري من جديد بعد أنْ اختفت الطائرة خلف التلال، ودخلت المنطقة الظليلة الواقعة إلى الناحية الأخرى حيث صار الهواء أبرد قليلًا. نظرت إلى بيت كانستروم ظانًّا أنني سأراهم جالسين في الحديقة يأكلون أسماك الماكاريل هذه اللحظة. لكنّي لم أر أحدًا في الخارج. عندها، نظرت إلى الدرب في الأسفل حيث أعرف كل حجر وحفرة وأجمة ورابية. إذا أقيم سباق هنا، من بيتنا حتى متجر B-MAX، فلن يسبقني أحد لأنني قادر على الجري بعينين مغمضتين طيلة تلك المسافة. لن أكون في حاجة إلى التوقّف لأنني أعرف ما ينتظرني عند المنعطف القادم، وأعرف دائمًا أين أضع قدمي. كان ليف توره يفوز دائمًا كلما تسابقنا على الطريق، لكني سأفوز هنا... لم يكن لديَّ أيّ شك في ذلك. كانت هذه فكرة جيدة بعثت في نفسي شعورًا حسنًا حاولت استبقاءه أطول فترة ممكنة.

سمعت الأصوات في ملعب كرة القدم قبل وصولي إليه بمسافة كبيرة: صرخات وصيحات وضحكات كأنها آتية كلها من مسافة بعيدة، أو كأنها مسموعة عبر الغابة... أصوات فيها شيء يكاد يذكّر المرء بالقرود. توقّفت عند الفسحة الخالية من الأشجار. كان الملعب أمامي غاصًا بأطفال من أعمار مختلفة. لقد رأيت كثيرًا منهم قبل ذلك. تجمّع أكثرهم حول الكرة.

وكان كل واحد منهم يحاول أن يركلها، فتتحرّك جمهرتهم كلّها من مكان إلى مكان، تتقدّم وتتراجع، حركة وتوقّف. كان الملعب أرضًا داكنة اللون داستها أقدام كثيرة، أرضًا مستوية خالية واقعة وسط الغابة، منحدرة قليلًا عند أحد أطرافها حيث تبرز جذور كثيرة فوق سطح الأرض. وفي طرفيّ الملعب، كان هناك مرمَيان كبيران مصنوعان من عوارض خشبية، من غير شبكة. صخرة ناتئة تقطع أحد جانبي الملعب؛ وفي جانبه الآخر بقعة كبيرة من أرض غير مستوية فيها كتل كبيرة من أعشاب كثيفة. كان هذا المكان منشأ أحلامي كلها، تقريبًا. وكنت أرى الجري في أرجائه نعيمًا.

صحت: «هل تقبلون أن ألعب معكم؟».

كان سفح التلة يردّد صدى مكتومًا لكل ركلة تتلقاها الكرة.

التفت إلي رولف الذي كان واقفًا في المرمى.

قال لي: «يمكنك أن تقف حارس مرمى، إذا أردت».

أجبته: «حسنًا»، وجريت إلى المرمى الذي غادره رولف بحركة بطيئة.

صاح مخاطبًا الآخرين: «صار كارل أوفِه حارس مرمانا».

اتخذت موقعي بعناية بين العارضتين، وبدأت أتابع المباراة وأميّز، شيئًا فشيئًا، الأولاد الذين هم في فريقي. وقفت منحنيًا إلى الأمام، مستعدًّا لاقتراب الكرة. وعندما أتت أول كرة في اتجاهي، كرة بطيئة على مستوى الأرض، جثوت وأمسكت بها، ثم قذفتها بيدي ثلاث مرات إلى الأرض قبل أن أركلها في اتجاه الملعب. كانت الكرة رخوة عند اصطدامها بقدمي... كرة كبيرة، طرية، بالية، لونها مثل لون الأرض التي شوتها الشمس. كان اللون البرتقالي لطبقتها الداخلية ظاهرًا من تحت الخياطة. لم ترتفع الكرة كثيرًا، لكنها ابتعدت مسافة كبيرة في الملعب ثم سقطت في جهة الملعب اليمنى. كم كانت ممتعة رؤية الأولاد كلّهم يجرون خلفها. كنت أحب أن أقف حارس مرمى. وكنت أفعل ذلك كلّما سنحت لي فرصة لأن ما من شيء يشبه ذلك الإحساس الذي يغمرني كلما رميت بنفسي في اتجاه الكرة وتمكّنت من إيقافها. لكن المشكلة كانت أنني قادر على رمي نفسي في جهة

واحدة فقط... في جهة اليسار. وأما أن أرمي نفسي إلى جهة اليمين، فقد كان هذا يبدو لي شيئًا مخالفًا لقوانين الطبيعة... لم أكن قادرًا على فعله... إذا أتتني الكرة من تلك الجهة، فإنني أمدّ ساقي صوبها حتى أصدّها.

ألقت الأشجار ظلالها الطويلة على الملعب، وصارت رقع مترجرجة من العتمة تلاحق الصبية الراكضين الذين يجتمعون كلهم كتلة واحدة ثم يتفرقون، ثم يجتمعون ويتفرقون من جديد. لكن هناك من الأولاد من بدأ يسير بدلًا من أن يجري. وانحنى قسم منهم مسندًا يديه إلى ركبتيه. كم كانت خيبتي كبيرة عندما أدركت أن اللعبة توشك على الانتهاء.

قال أحدهم: «حسنًا، من الأفضل أن أعود إلى البيت».

قال ولد ثانٍ: «وأنا أيضًا».

قال ثالث: «فلنواصل اللعب قليلًا».

«ينبغي أن أذهب أيضًا».

«هل نشكل فريقين جديدين؟».

«أنا ذاهب».

«وأنا أيضًا».

تبخّر المشهد كله في غضون دقيقتين فقط. صار الملعب خاليًا.

مكتبة
t.me/t_pdf

كان ورق تجليد الكتب الذي اشترته أمي من أجلي شبه شفاف، أزرق اللون. جلست في المطبخ وفتحت لفافة من ذلك الورق، ثم قصصت قطعة. كانت أمي تسوّي حافة الورق المقصوصة إذا كانت مشرشرة أو غير مستوية. وكنت أضع الكتاب فوق الورقة، ثم أفتحه فاردًا غلافيه كأنهما جناحان وأطوي الورق عليهما، ثم أضع شريطًا لاصقًا على الزوايا. تراقب أمي ما أفعله وتصحّح ما ينبغي تصحيحه. كانت جالسة إلى جانبي تحوك كنزة من أجلي. لقد اخترتها بنفسي من واحدة من مجلات نماذج الأزياء التي عندها: كنزة بيضاء لها حواف بنية داكنة. كنزة مختلفة لأن لها ياقة مستقيمة مرتفعة، ولأن لها شقّين جانبيّين في أسفلها يجعلان حافّتها السفلية، عند ارتدائها،

تبدو شبيهة بإزار الوسط الذي يضعه الهنود. كنت معجبًا حقًا بتلك الملابس الهندية، وكنت منتبهًا إلى متابعة تقدّم أمي في حياكة تلك الكنزة.

كانت أمي تقوم بكثير من أشغال الإبرة. لقد حاكت ستائر الكروشيه في غرفة المعيشة والمطبخ. وخاطت الستائر البيضاء في غرفتينا: ستارة إنغفهِ بحاشية بنية ورسوم أزهار بنية؛ وستارتي بحاشية حمراء ورسوم أزهار حمراء. فضلًا عن هذا، كانت أمي تحوك لنا سترات صوف، وقبعات صوف، وجوارب صوف؛ وكانت تخيط رقعًا على بنطلوناتنا وستراتنا. وأما في الأوقات التي لا تفعل فيها ذلك، ولا تطبخ، ولا تغسل الأطباق، ولا تخبز، فقد كانت تقرأ. كانت لدينا رفوف ممتلئة كتبًا. وكان ذلك شيئًا غير موجود عند أيٍّ من الآباء والأمهات الآخرين. وكان لها أيضًا أصدقاء -بعكس أبي- أكثرهم نساء في سنّها يعملن معها. وكانت تزورهنّ من حين لآخر عندما لا تأتين لزيارتها. كنت أحبّهن جميعًا. كانت منهن واحدة اسمها داغني لديها ولد وبنت، تور وليف، كانا معي في الحضانة. وكانت هناك أيضًا آنه ماي البدينة الفَرِحة التي تجلب لنا الشوكولاته دائمًا. كانت تقود سيارة سيتروين، وتعيش في غرينستاد حيث زرتها مرة مع أطفال الحضانة. وكانت هناك أيضًا ماريت، أم لطفل اسمه لارس في مثل سن إنغفهِ، وطفلة اسمها ماريانهِ أصغر منه بسنتين. لم يكن أبي يحب أن تأتي صديقات أمي إلى بيتنا كثيرًا؛ إلا أنهن تأتين مرة واحدة في الشهر، وأحيانًا أكثر من مرة. وعند مجيئهن، يكون مسموحًا لي أن أجلس معهنّ وأستمتع بدفئهن برهة من الزمن. وفي بعض الأماسي، كنا نذهب إلى ورشة الفنون والحرف اليدوية في كوكيبلاسن: مكان تستطيع فيه أن تفعل أشياء كثيرة. كان أطفال العاملين الآخرين يذهبون إلى هذا المكان أيضًا. وهناك كنا نصنع هدايا عيد الميلاد.

كان وجه أمي لطيفًا، لكنه جاد. لقد دسّت خصلات شعرها الطويل خلف أذنيها.

قلت لها: «رأى داغ لوثار أفعى اليوم».

قالت: «أوه! أين كانت تلك الأفعى؟».

«كانت في الطريق الذاهبة إلى الصخرة. كاد يدوسها. لكن من حسن حظه أنها خافت مثله فهربت واختفت بين الأجمات».

«هذا من حسن حظه».

«هل كانت هناك أفاعٍ عندما كنتِ صغيرة؟».

هزت أمي رأسها نفياً وقالت: «لم يكن لدينا أية أفاعٍ في فستلاند».

«لماذا لم تكن لديكم أفاعي؟».

ضحكت أمي وقالت: «لست أدري. لعل الطقس هناك شديد البرودة بالنسبة إليها».

بدأت أؤرجح ساقيّ وأنقر بأصابعي على الطاولة وأدندن أغنية قبلاتك لي. *فلتكن قبلاتك كلها لي. إلى اللقاء، إلى اللقاء، إلى اللقاء.*

قلت: «اصطاد كانستروم اليوم كمية كبيرة من أسماك الماكاريل. لقد رأيتها. جعلني أرى الدلو الذي وضعها فيه. كان ممتلئًا إلى حافته. هل سيكون لدينا زورق عما قريب؟ ما رأيك؟».

قالت: «لا تستعجل كثيرًا! زورق وقطة معًا! حسنًا... الأمر ليس مستحيلًا؛ لكني متأكدة من أنه لن يحدث هذه السنة. ربما في السنة القادمة. أنت تعرف أن هذا كلّه يكلّف مالاً. لكن، يمكنك أن تسأل بابا».

أعادت إليّ المقص.

اسأل بابا... كررت هذه الجملة في ذهني، لكني لم أقل شيئًا. حاولت أن أجعل حدّ المقص ينزلق على امتداد الورقة التي كنت أقصها، لكنه توقّف. ضغطت عليه فنتج عن ذلك خطٌّ متعرج.

قالت أمي وهي تنظر من النافذة: «يا إلهي، لقد تأخّر إنغفِه».

قلت: «إنه في أيد أمينة».

ابتسمت لي أمي وقالت: «أظنّ هذا».

قلت: «الورقة. دورة السباحة. هل توقّعين الورقة الآن؟».

أومأت برأسها، فنهضت وخرجت جاريًا في اتجاه غرفتي. أخرجت

الورقة من حقيبتي وبدأت الجري عائدًا عندما سمعت باب البيت ينفتح في الأسفل. انتبهت إلى ما فعلتُه فكاد قلبي يتوقف. لقد جريت في البيت!

كانت هذه خطوات أبي الثقيلة على درج السلم. وقفت من غير حركة أمام باب الحمام. نظر أبي إليّ.

قال لي: «لا يجوز الجري داخل البيت. كم مرة ينبغي أن أقول لك هذا؟ الجري يجعل البيت كله يهتز. هل هذا مفهوم؟».

«أجل».

تقدّم فتجاوزني. رأيت ظهره العريض في قميصه الأبيض. تبخّرت سعادتي كلّها عندما رأيته متّجهًا إلى المطبخ. لكني كنت مضطرًا إلى الذهاب إلى المطبخ بدوري، إلى حيث ذهب أبي.

وجدت أمي جالسة مثلما كانت من قبل. وكان أبي واقفًا عند النافذة ينظر إلى الخارج. وضعت الورقة على الطاولة بكل هدوء. قلت لها: «ها هي».

لم يبق لي إلا كتاب واحد من تلك الكتب التي كنت عاكفًا على تجليدها. جلست وبدأت العمل عليه. لم تتحرّك إلا يديَّ. كان كل شيء آخر ساكنًا. كان أبي يتأمّل شيئًا ما.

قال: «لم يعد إنغفِه بعد، أليس كذلك؟».

قالت أمي: «لا. وقد بدأ تأخره يقلقني».

نظر أبي إلى الطاولة. قال لي: «ما هذه الورقة التي وضعتها؟».

أجبته: «دورة السباحة. قالت ماما إنها ستوقّعها».

قال لي وهو يرفع الورقة وينظر إليها: «دعني ألقي نظرة»، ثم تناول القلم عن الطاولة وكتب اسمه على الورقة وأعادها إليَّ.

قال لي مومئًا برأسه في اتجاه الطاولة: «ها هي. والآن، خذ هذه الأشياء كلّها إلى غرفتك. يمكنك أن تنهي العمل هناك. سوف نتناول الآن طعام العشاء».

قلت له: «نعم، يا بابا».

جمعت الكتب ولففت ورق التجليد ودسسته تحت ذراعي، ثم حملت

المقصّ وبكرة الشريط اللاصق بيد والكتب باليد الأخرى وخرجت من المطبخ.

كنت جالسًا إلى طاولتي أقص الورق من أجل الكتاب الأخير عندما سمعت صوت الدراجة على الحصى في الخارج. وبعد ذلك مباشرة، سمعت صوت فتح باب البيت.

كان أبي ينتظر إنغفِه في الممر عندما صعد السلم.

قال له: «كم تظن أن الساعة قد صارت الآن؟».

أجابه إنغفِه بصوت منخفض جدًا فلم أسمعه؛ لكنني أظن أن إجابته كانت مقنعة لأنني سمعته يدخل غرفته بعد لحظة من ذلك. وضعت الكتاب على الورقة التي قصصتها، وثنيت حوافّ الورقة، ثم وضعت فوقه كتابًا آخر لتثقيله ريثما أحرر طرف الشريط اللاصق. أفلحت أخيرًا في تحرير زاوية الشريط وجذبته قليلًا فتمزّق. لا بد لي من المحاولة مرة أخرى.

فُتح الباب من خلفي. إنه إنغفِه.

قال لي: «ماذا تفعل هنا؟».

قلت: «إنني أجلّد كتبي. ألا ترى هذا؟».

قال إنغفِه: «تناولنا كعكًا ومشروبًا غازيًا بعد انتهاء التمرين. كان ذلك في النادي. إن في فريقنا فتيات. كانت واحدة منهن لاعبة جيّدة جدًا».

قلتله: «فتيات؟ هل هذا مسموح به؟».

«الظاهر أنه كذلك. وقد كان كارل فريدريك عظيمًا».

أتى من النافذة صوت أشخاص يسيرون صاعدين الطريق. ألصقت قطعة الشريط اللاصق على الورق، وذهبت إلى النافذة لأرى ما يحدث في الخارج.

إنهما غيّير وليف تورِه. كانا واقفين عند الممر المفضي إلى بيت ليف تورِه؛ وكانا يضحكان لأمر ما. ثم افترقا وجرى غيّير المسافة القصيرة حتى مدخل بيته. رأيت وجهه عندما استدار. كانت على وجهه ابتسامة صغيرة. يده قابضة على شيء في جيب شورته.

التفتّ إلى إنغفِه: «ما المركز الذي ستشغله في فريقك؟».
قال: «لست أدري! قد أكون لاعب دفاع».
«وما لون شرائطكم؟».
«أزرق وأبيض».
«هل هي مثل شرائط فريق تراوما؟».
«قريبة منها»، قال.

نادى أبي من المطبخ: «هيا إلى الطعام». ذهبنا إلى المطبخ حيث كان على الطاولة، لكل واحد منا، طبق فيه ثلاث شرائح من الخبز وكأس حليب. وعلى شرائح الخبز جبن قاس، وجبن بني، ومربّى. كان أبي وأمي جالسَيْن في غرفة المعيشة، يتابعان التلفزيون. وكانت الطريق في الخارج رمادية، ومثلها تقريبًا كانت أغصان الأشجار إلى الجانبين؛ وأما السماء في الأعلى، فوق الأشجار، خلف لِسان ترومويا البحري، فكانت زرقاء اللون، مفتوحة، كأنها سماء فوق عالم آخر غير العالم الذي نحن فيه.

استيقظت في صباح اليوم التالي عندما فتح أبي باب غرفتي.

قال لي: «انهض، يا كثير النوم! الشمس مشرقة، والعصافير تغني».

أزحت اللحاف جانبًا وأنزلت قدميَّ إلى الأرض. كان البيت هادئًا تمامًا لا صوت فيه غير صوت خطوات أبي المبتعدة في الممر. إنه يوم الثلاثاء. يبدأ عمل أمي في وقت مبكر، وعلى إنغفِه أن يذهب إلى المدرسة في وقت مبكر؛ لكن عمل أبي اليوم يبدأ مع الحصّة الثانية في المدرسة.

مضيت إلى الخزانة وبحثت بين الملابس فاخترت قميصًا أبيض كان أفضل قميص عندي. أخرجت معه بنطلونًا أزرق اللون. لكنني قلت في نفسي إن ارتداء ذلك القميص سيكون مبالغة في التأنّق... سوف يلاحظ أبي ذلك، وقد يسألني عن سبب تأنّقي، بل قد يطلب مني أن أخلع القميص. من الأفضل لي أن أرتدي تي شيرت أديداس الأبيض.

وضعت ملابسي تحت إبطي، وذهبت إلى الحمام. لقد تذكّر إنغفِه، لحسن الحظ، أن يترك الماء في المغسلة من أجلي. أغلقت الباب من

خلفي. رفعت غطاء المرحاض وتبوّلت. كان بولي أصفر اللون مخضرًا وليس أصفر داكنًا كما يكون عادة في الصباح. حاولت اتخاذ الحيطة حتى تسقط آخر قطرات البول كلها في المرحاض، لكن بضع قطرات سقطت على الأرض: كرات شفافة صغيرة على أرضية اللينوليوم الذي كان لونها بين الرمادي والأزرق. جففت الأرض بقطعة من ورق المرحاض، ثم رميتها فيه قبل أن أجذب السلسلة. وقفت أمام المغسلة قبل أن يهدأ صوت الماء المنهمر في المرحاض. كان لون الماء في المغسلة أخضر شاحبًا. وكانت عائمة فيه رقاقات شفافة صغيرة لا يعلم ما هي غير الرب. ملأت حفنتيّ يدي بالماء وملت برأسي فوق المغسلة وسفحته عليه. كان الماء أبرد قليلًا من وجهي فسرَت في ظهري رعشة عندما مست برودته جلدي. دعكت الصابونة بين كفيَّ، ثم مسحت وجهي سريعًا بعد أن أغمضت عينيّ، ثم غسلت وجهي ويديّ بالماء. جففت يديّ ووجهي بالمنشفة ذات اللون البني الفاتح التي كانت معلّقة من الخطاف الخاص بي.

لقد انتهيت!

أزحت ستارة غرفتي جانبًا ونظرت إلى الخارج. ألقت أشجار الغابة التي ارتفعت الشمس فوقها قليلًا ظلالها الداكنة الطويلة على أسفلت الطريق اللامع. ارتديت ملابسي وذهبت إلى المطبخ. وجدت في مكاني على الطاولة طبقًا عميقًا فيه كورن فليكس، وإلى جانبه علبة الحليب الكرتونية. لم يكن أبي في المطبخ. هل ذهب إلى مكتبه حتى يجمع أشياءه قبل ذهابه إلى العمل؟

لا. سمعت صوت حركته في غرفة المعيشة.

جلست وسكبت الحليب فوق الكورن فليكس. غمست الملعقة في الطبق، ثم رفعتها إلى فمي.

أوه، يا إلهي!

كان الحليب فاسدًا... وذلك الطعم الذي ملأ فمي كله! كاد يجعلني أتقيأ. لكني ابتلعت ما في فمي لأنني سمعت في تلك اللحظة صوت

خطوات أبي آتية إلى المطبخ. دخل أبي وسار في المطبخ حتى وصل إلى الطاولة التي عند المجلى. استند إليها. نظر إليّ وابتسم. ملأت ملعقة أخرى ووضعتها في فمي. ثارت معدتي لمجرد تفكيري في طعم الحليب. لكني تنفّست عبر فمي وابتلعت اللقمة بعد أن مضغتها مرتين فقط.

أوه... مقرف!

لم تظهر على أبي أية نية في الخروج من المطبخ، فتابعت الأكل. لو خرج إلى مكتبه، لكنت قادرًا على إفراغ طبقي في سلة القمامة وتغطيته بشيء مما فيها. لكني لم أر خيارًا غير متابعة الأكل طالما بقي أبي في المطبخ، أو حتى في هذا الطابق.

استدار بعد لحظة وفتح الخزانة. تناول طبقًا مثل طبقي، وفتح الدرج فأخرج منه ملعقة وجلس قبالتي.

أبدًا لم يفعل هذا قبل الآن!

قال لي: «سوف أتناول القليل من هذا». أمسك بالعلبة التي عليها صورة ديك أحمر وأخضر، وصب منها بضع رقاقات ذهبية هشّة، ثم أضاف الحليب إليها.

توقّفت عن الأكل. أدركت أن مصيبة سوف تحدث.

وضع الملعقة في طبقه، ثم رفعها ممتلئة بالحليب والكورن فليكس ووضعها في فمه. تقلّص وجهه لحظةً صارت اللقمة على لسانه. بصقها في الطبق من غير أن يمضغها.

قال: «أوووف! الحليب فاسد! أوووف، شيء فظيع». ثم نظر إليّ. ستظل تلك النظرة في ذاكرتي طيلة حياتي. لم تكن عيناه غاضبتين كما توقّعت، بل حائرتين كأنه ينظر إلى شيء لا يستطيع فهمه. الحقيقة أنه نظر إليَّ كأنه لم يرني قبل ذلك أبدًا.

سألني: «هل تأكل الكورن فليكس مع هذا الحليب الفاسد؟».

أومأت برأسي.

قال: «لكن لا يمكن أن تفعل هذا. سوف أحضر لك علبة حليب أخرى».

نهض وأفرغ علبة الحليب الفاسد في المجلى وهو يهز يده بقوة، ثم غسلها وطواها ووضعها في سلة القمامة تحت المجلى. فتح البراد وأخرج منه علبة حليب جديدة.

قال: «أعطني هذا...»، ثم أخذ طبقي فأفرغ محتوياته في المجلى ونظفه بفرشاة الجلي وغسله بالماء ووضعه على الطاولة أمامي.

قال: «ها هو. ضع لنفسك مزيدًا من الكورن فليكس والحليب. هل فهمت؟».

أجبته: «فهمت».

أفرغ طبقه وغسله، ثم جلسنا نأكل صامتين.

خلال تلك الفترة، كان كل أمر في المدرسة جديدًا بالنسبة إلينا. لكن تفاصيل الأيام كلها كانت متماثلة فاعتدناها سريعًا، ولم تمض إلا بضعة أسابيع قبل أن لم يعد أي شيء قادرًا على إثارة دهشتنا. كان ما يقال من منصة المعلمة صحيحًا كله. وكانت حقيقةُ أنه يُقال من ذلك المكان تجعل ما هو بعيد جدًا عن التصديق قابلًا للتصديق من غير أية صعوبة. لقد سار المسيح على الماء؛ ذلك صحيح. وقد ظهر الرب أمام موسى على هيئة أجمة مشتعلة؛ هذا صحيح أيضًا. وسببُ الأمراض كائناتٌ صغيرة لا نستطيع أن نراها؛ هذا صحيح. والكائنات كلّها، بما فيها نحن، مؤلفة من جزيئات صغيرة جدًا جدًا، أصغر من الجراثيم؛ هذا صحيح. والأشجار في حاجة إلى ضوء الشمس حتى تنمو، هذا صحيح أيضًا. لكننا لم نكن مكتفين بقبول ما كانت المعلّمة تقوله بهذه الطريقة، بل قبِلنا أيضًا ما كانت تفعله من غير أي كلام. كان من بين معلمينا عدد من كبار السن ممن ولدوا قبل الحرب العالمية الأولى، أو خلالها، وعملوا في التعليم منذ عقد الثلاثينيات أو الأربعينات. معلمون شابت رؤوسهم، يرتدون بدلات رسمية، غير قادرين على حفظ أسمائنا... ولم يفلح في الوصول إلينا أبدًا أي شيء مما كان يُفترض أن يعطونا من معرفة وحكمة. كان منهم معلم اسمه ثوميسن. كان يقرأ لنا من كتاب، مرة كل أسبوع، في الاستراحة. يقف

خلف طاولته، صوته فيه خنخنة بسيطة، وبشرته شاحبة تكاد تكون صفراء، وشفتاه حمراوان مزرقّتان. كان الكتاب الذي يقرأ لنا فيه يتحدّث عن امرأة عجوز تعيش في البراري؛ وكان كتابًا يستحيل فهمه، بل يستحيل فهم كلمة واحدة منه. وهكذا كان ذلك الوقت، الذي لعل أستاذنا اعتبره وقتًا لطيفًا أو لفتة ودودًا إزاء أطفال المدرسة الصغار، فترة عذاب لنا لأن علينا أن نجلس صامتين ونستمع إلى سعال معلمنا وغمغمته بالكلمات وهو يشق طريقه عبر تلك القصة التي لا سبيل إلى فهم شيء منها. وكان لدينا معلم آخر في الخمسينات من عمره. اسمه مايكل بسَت، وهو من مكان ما في فستلاند، لكن بيته على جزيرة هيسويا. كان شديد التمسّك بالانضباط الصارم. ففي دروسه كان علينا أن نصطف ثم نسير إلى غرفة الصف. وبعد دخول الغرفة، نظل واقفين إلى جانب مقاعدنا، بينما يقف المعلم خلف طاولته ويمسح الغرفة كلها بعينيه إلى أن يسودها صمت تام. ثم ينهض واقفًا على قدميه وينحني لنا ويقول: «صباح الخير، أيها الصف». أو «يومًا طيبًا، أيها الصف». فنجيبه كلنا: «صباح الخير، أيها المعلم»، أو «يومًا طيبًا، أيها المعلم». لم يكن يجد أية مشكلة في صفع التلاميذ عندما يوبّخهم، أو في دفعهم حتى يصطدموا بالجدار. وكثيرًا ما كان يسخر من الأطفال الذين لا يعجبونه. كان يأخذنا إلى الصالة الرياضية حيث يجعلنا نقوم بتمرينات تشبه التمرينات العسكرية. وكانت لدينا أيضًا معلّمات من جيله، رسميات وصارمات مثله. كانت تحيط بهم جميعًا هالة لا نفهمها، لكننا نوليها احترامًا تلقائيًا، بل نخشاها في أحيانٍ كثيرة. أتذكّر أن إحداهن رفعتني ذات مرة عن الأرض ممسكة إياي من شعري بعد أن قلت شيئًا اعتبرتْه غير مهذّب. كان معلمونا سعداء بإرسال الملاحظات إلى أهالينا، لأن معاقبتنا باستبقائنا في المدرسة بعد انتهاء الدروس أو بمطالبتنا بالوصول في وقت مبكر كانت غير ممكنة نتيجة ارتباطنا بمواعيد الباصات. وإلى جانب أولئك المعلمين العجائز ممن أمضوا حياتهم كلّها في التعليم، كان لدينا أيضًا معلمون من جيل جديد: من جيل أهالينا، أو حتى أصغر منهم. وكانت معلمتنا، هيلغا تورغسن، واحدة

منهم. كانت من المعلّمات اللواتي ندعوهنّ «لطيفات»، فهي لم تكن تقسو علينا كثيرًا عندما نخالف الأنظمة، ولا تفقد أعصابها، ولا تصرخ أبدًا، ولا تضرب أحدًا أو تشدّه من شعره. كانت تحلّ كل مشكلة، دائمًا، عن طريق المناقشة وبصوت هادئ مضبوط، وكذلك من خلال حرصها على أن تكون في ذلك كله «شخصًا» بدلًا من لعب دور المعلمة؛ بمعنى أنه لم يكن هناك اختلاف كبير بين شخصيتها في حياتها الخاصّة عندما تخرج مع أصدقائها أو عندما تكون مع زوجها الذي ارتبطت به منذ فترة وجيزة، وبين شخصيتها في غرفة الصف. لكن هذا لم يكن مقتصرًا عليها وحدها، لأن المعلمين والمعلمات الشباب كلّهم كانوا مثلها؛ وكانوا من نحب أن يعلمونا. كان مدير المدرسة شابًّا أيضًا؛ وكان اسمه أوزموندسن. كانت سنه نحو ثلاثين عامًا، وله لحية وبنية قوية -ليس مختلفًا كثيرًا عن أبي-. لكننا كنا نخشاه؛ بل لعلنا كنا نخشاه أكثر مما نخشى المعلمين الآخرين. لم يكن ذلك نتيجة شيء يفعله، بل لأنه مدير المدرسة. إذا فعل المرء شيئًا سيّئًا جدًا، فإنهم يرسلونه إلى مكتبه. وأما حقيقة أنه لا يمارس التعليم اليومي، وأنه شخص لطيف لا يكاد المرء يحسّ وجوده في المدرسة، فلم تفلح في تبديد خوفنا منه. ثم إنه كان أيضًا صاحب شهرة أسطورية، لكن لسبب آخر. ففي السنة الماضية، اكتُشفت سفينة عبيد غارقة على مسافة أمتار من الصخور التي عند ساحل الجزيرة الشرقي. غرقت تلك السفينة في سنة 1968. وقد تحدّثت الصحف كلها عن اكتشافها، وعرضوها في التلفزيون أيضًا. كان مديرنا، أوزموندسن، واحدًا من الغطاسين الثلاثة الذين عثروا عليها. كان الغوص في نظري أرفع مكانة من أي شيء آخر، ربما باستثناء الإبحار. وكنت أعتبر الغواصّ أعظم شخص يمكن تخيله. كان ذلك أمر شبيهًا بأن يكون مديرنا رائد فضاء! كان موضوع الرسم المفضّل عندي دائمًا الغواصين والأنقاض الغارقة ورجال الإطفاء والصيادين وأسماك القرش، وكذلك السفن الشراعية المبحرة. كنت أرسم ذلك صفحة بعد صفحة بعد صفحة. وكلما شاهدت برنامجًا تلفزيونيًا عن الطبيعة، وعن الغوص بين الشعاب المرجانية، أو في قفص

للحماية من أسماك القرش، كنت أتحدّث عن ذلك أسابيع بأسرها. وها هو الآن هنا، ذلك الرجل الملتحي الذي شقّ سطح الماء قبل سنة واحدة وخرج منه حاملًا بين يديه ناب فيل عثر عليه في واحدة من سفن العبيد الغارقة التي يندر أن يتم العثور على سفينة سليمة منها.

دخل غرفة صفنا في اليوم الثاني لكي يحدّثنا قليلًا عن المدرسة وعن الأنظمة المهمة فيها. وبعد خروجه، قالت المعلمة إنه سيأتي يومًا من الأيام، في مستقبل غير بعيد كثيرًا، لكي يخبرنا عن السفينة التي ساهم في اكتشافها. كانت واقفة عند النافذة، واضعة يديها خلف ظهرها، وقد علت ابتسامة وجهها طيلة فترة وجوده في الصف. وذلك ما فعلتْه أيضًا عندما عاد بعد أسبوعين من ذلك، كما وعدتنا. روى لنا قصصًا جعلت الحماسة تشتعل في ذهني؛ لكن أملي خاب قليلًا عندما علمت أن تلك السفينة الغارقة في البحر كانت مستقرّة على عمق بضعة أمتار فحسب. كان في هذا انتقاص كبير من ذلك الإنجاز العظيم، فقد توقّعت أن تكون السفينة على عمق مئة متر، وأن يكون مع الغواصين خرطوم للتنفس أثناء صعودهم الذي ينبغي أن يستغرق ساعة كاملة نتيجة الضغط الشديد في الأسفل. ظلمة حالكة، وحزم مضيئة منطلقة من مصابيحهم الكاشفة، بل ربما غواصة صغيرة أيضًا أو حجرة غوص! وأما أن تكون السفينة في قاع البحر، في مكان قريب من الشاطئ، تمامًا تحت أرجل السابحين هناك حيث يستطيع الوصول إليها أي صبي مزود بنظارة غوص وزعنفتين في قدميه، فهذا أقل مما كنت أتوقّعه! لكنه جعلنا نرى صورًا لتلك السفينة تبين لنا منها وجود زورق غوص راسيًا على مقربة منهم، وتبين أنهم كانوا يرتدون بدلات الغطس وعلى ظهورهم أسطوانات الأوكسجين. عرفنا أيضًا أنهم خططوا للأمر حتى أدق التفاصيل مستخدمين وثائق وخرائط قديمة.

كاد أبي يظهر على التلفزيون ذات مرة، فقد أجروا معه مقابلة تكلّم فيها عن أمور سياسية. لكنا تابعنا نشرة الأخبار فلم يعرضوا فيها شيئًا؛ ثم لم تظهر المقابلة في اليوم التالي أيضًا على الرغم من جلوسنا جميعًا مترقّبين

رؤيتها. إلا أنهم بثّوا عبر الراديو مقابلة أخرى له كان موضوع الحديث فيها معرضًا للطوابع؛ لكني نسيت الأمر كلّه ولم أعد إلى البيت يومها إلا بعد بث تلك المقابلة، فوبّخني أبي.

في بداية المدرسة توقّف كثير من المعلّمين عند اسمي لأنهم كانوا من زملاء أبي -هذا ما أظنه- وافترضوا أنني أحمل اسمه نفسه. أعجبني هذا الأمر، وأعجبتني معرفتهم أنني ابن أبي. ومنذ اليوم الأول في المدرسة، بدأت أبذل أقصى جهدي حتى أكون التلميذ الأفضل في صفّي، لكن أيضًا لأنني أردت أن يعرف أبي كم كنت ذكيًا.

لقد أحببت المدرسة. أحببت كل ما يجري فيها من دروس ونشاطات. وأحببت الغرف التي يجري فيها ذلك كله.

كانت مقاعدنا منخفضة؛ وكانت قديمة: مقاعد مصنوعة من أنابيب حديدية ولوح خشبي للجلوس عليه، ولوح آخر لإسناد الظهر إليه. وكانت على طاولاتنا خدوش وبقع حبر تركها كل أولئك الذين استخدموها من قبلنا. اللوح، والطباشير، والإسفنجة. والحروف التي تنبت من إصبع الطباشير في يد المعلمة، حرف O، وحرف U، وحرف I، وحرف E، حرف A... حروف بيضاء كلها. يد المعلمة تصير بيضاء أيضًا. والإسفنجة الجافة التي تنتفخ ويصير لونها داكنًا عند غسلها بالماء. ذلك الإحساس الرائع عندما تمحو الإسفنجة كل شيء وتترك من خلفها أثرًا رطبًا يظل بضع دقائق قبل أن يختفي ويعود اللوح أخضر اللون نظيفًا مثلما كان. كان لمعلمتنا، التي تتكلّم بلهجة منطقة كارموي، نظارة كبيرة وشعر قصير. كانت ترتدي بلوزات وتنورات. كانت تسألنا عن أمور كثيرة، وتخبرنا أمورًا كثيرة. علمتنا ألا نتكلم كلنا دفعة واحدة، وألا يصيح الواحد منا بإجابته بل يرفع يده ويتكلّم عندما تشير إليه بإصبعها، أو عندما تومئ له برأسها. ففي البداية، كانت ترتفع في غرفة الصف غابة من الأيدي التي تلوح بصبر نافد، ويصيح التلاميذ: *أنا*، *أنا*، *أنا*، لأن أسئلة المعلمة لم تكن صعبة بل أسئلة يعرف الجميع إجاباتها. كانت

لدينا أيضًا الاستراحات بين الدروس، وكل ما يحدث في تلك الاستراحات، والأطفال الذين كانوا هناك جميعًا... أسراب تتجمّع وتتفرّق، ونشاطات تتوهّج في حياتنا ثم تخبو. المشاجب في الممر خارج غرفة الصف حيث كنا نعلق ستراتنا، ورائحة عشر سنين من الصابون الأخضر، ورائحة البول في المراحيض، ورائحة الحليب في خزائن الطعام، ورائحة عشرين علبة طعام فيها أنواع مختلفة من السندويتشات، علب تنفتح كلها في وقت واحد في غرفة الصف. ونظام عرفاء الصف: في كل أسبوع، يكون أحد التلاميذ مسؤولًا عن توزيع ما يتعيّن توزيعه على بقية التلاميذ، وعن مسح اللوح بعد الدرس، وجمع علب الحليب الفارغة في الاستراحة الطويلة. إحساس المرء في ذلك الأسبوع بأنه الشخص المختار لهذه المهام كلّها. وذلك الإحساس الخاص جدًّا الذي يمنحه السير في الممرات عندما يكون الجميع جالسين في الصفوف... كم تكون الممرّات مهجورة، والسترات معلّقة من مشاجبها على جانبي الممر، والأصوات الخفيضة الآتية من الغرف عندما يسير المرء مارًّا بها، وبقع ضوء النهار التي تجعل الأرضية تلمع لمعانًا باهتًا، لكنها تضيء آلاف شذرات الغبار السابحة في الهواء عندما يكون النهار مشمسًا فتبدو كأنها مجرّة صغيرة. وقد يغيّر هذا الجو بأسره انفتاح أحد الأبواب وخروج واحد من الأولاد، فتستقطب تلك الحركة الانتباه كله: تصير فجأة الشيء الوحيد المهم. كأن ذلك الولد يجتذب إليه الروائح كلّها، والغبار كله، والضوء كله، والسترات كلها، والأصوات الخفيضة كلها... وقد يتخيّله المرء شهابًا يجتذب إليه ما حوله من حطام وأجرام صغيرة، فيمتصها إلى ذيله الطويل الذي يبدو شاحبًا إذا قورن برأسه اللامع.

كنت أحب لحظة يقرع غيّير الجرس فنذهب كلنا إلى السوبر ماركت؛ وكنت أحب تنافسنا الذي يبدأ هناك لأن عليك أن تبكّر في الوصول وتضع حقيبتك الظهرية في موقع متقدّم من الصف –موقع متقدّم إلى أقصى حد ممكن– حتى تتمكّن من الحصول على أفضل مقعد في الباص. وكنت أحب الانتظار عند السوبر ماركت والنظر إلى بقية الأطفال الآتين من كل

اتجاه. كان بعضهم يعيش في المناطق السكنية المرتفعة خلف السوبر ماركت، وبعضهم الآخر في مناطق منخفضة في غامله تيباكْن، في حين كان بعضهم الآخر يعيش في مناطق في الأرض المنخفضة خلف التلال. وكنت أحب خاصّة أن أنظر إلى آنِه ليزبِت. لم يكن لديها ذلك الشعر الأسود اللامع فقط، بل كانت لها عينان داكنتان، وفم كبير أحمر. كانت آنِهْ سعيدة دائمًا، تضحك كثيرًا جدًا؛ وعيناها لم تكونا داكنتين فقط، بل لامعتين أيضًا وكأن في داخلها سعادة وافرة جدًا تجعل تلك العينين فائضتين بها. وكانت لها صديقة ذات شعر أحمر اسمها سولفيغ. كانتا جارتين؛ وكانتا معًا دائمًا، مثلنا وأنا وغيّير. كانت سولفيغ شاحبة لها نمش كثير. عيناها لطيفتين، لكنها لا تتكلّم كثيرًا. وكانت الفتاتان تعيشان في أعلى منطقة سكنية في تيباكْن. لم أزر تلك المنطقة إلا مرتين؛ ولم أعرف فيها أحدًا. لآنِه ليزبِيت أخت أصغر منها بسنة واحدة. لقد أخبرتنا بذلك عندما جاء دورها في التحدّث عن نفسها في الصف. ولها أخ أصغر منها بأربع سنين. كان معنا صبي آخر في الصف يعيش في تلك المنطقة اسمه فيموند: صبي قصير، ممتلئ الجسم، بطيء الحركة، بل لعله كان غبيًا قليلًا. كان آخر من يجري، وكان ضعيفًا يرمي الكرة مثلما ترميها فتاة مما جعله عديم الفائدة تمامًا في لعبة كرة القدم. لم يكن يعرف القراءة، لكنه يحب الرسم ويحب معظم الأشياء الأخرى التي يستطيع المرء القيام بها وهو جالس في الداخل. كانت أمه امرأة طويلة نشطة قوية البنية لها عينان حانقتان وصوت ثاقب. وأما أبوه فكان رجلًا نحيلًا شاحبًا يسير على عكازَيْن. قال لنا فيموند إن أباه كان مصابًا بمرض في العضلات، وبالناعور أيضًا. سأله أحدهم: الناعور... ما هو؟ أجاب فيموند قائلًا إنه المرض الذي يجعل الدم لا يتوقّف عن النزف. عندما يصيب بابا جرحٌ ينزف منه الدم، فإن الدم لا يتوقّف أبدًا بل يستمر ويستمر؛ فيصير عليه أن يتناول الدواء أو أن يذهب إلى المستشفى. يموت إذا لم يفعل ذلك.

عاش أطفال آخرون كثيرون في المنطقة السكنية التي كان فيها فيموند وسولفيغ وآنِه ليزبِت؛ لكنهم كانوا أكبر منا بسنة أو سنتين، أو أصغر منا بسنة

أو سنتين. لم يدخلوا عالمنا إلا عندما بدأنا المدرسة. يصح الأمر نفسه على بقية المناطق السكنية التي كان زملائي في الصف يعيشون فيها. كأن ستارة قد انزاحت، فاتضح لنا أن ما كنا نظنّه المسرح كله ليس إلا مقدمته الظاهرة فقط. البيت على سفح التل الذي كنا نرى حديقته المستوية من القمة فيبدو لنا كأنه متوازن عند حافة الجدار الأبيض النازل رأسيًا مسافة لعلها تبلغ خمسة أمتار، والسور المصنوع من شبك معدني أخضر في أعلاه... لم يعد ذلك البيت بيتًا فحسب، بل صار البيت الذي يسكنه سيف جوهانسن. وعلى مسافة خمسين مترًا بعد ذلك البيت، خلف غابة كثيفة، كانت نهاية الطريق حيث يعيش كلٌّ من غيّير ب وسْفيرّه وإيفيند. وإلى الأسفل قليلًا، لكن في منطقة مختلفة تمامًا، وفي عالم مختلف تمامًا، عاشت كريستين تامارا وماريان وآزغيّير.

كانت لهم جميعًا أماكنهم، وكان لهم أصدقاؤهم، وفي غضون بضعة أسابيع في أواخر الصيف، انفتح كل شيء أمامنا. كان ذلك جديدًا ومألوفًا في وقت واحد. وكان مظهرنا متماثلًا؛ وكنا نفعل الأشياء نفسها: هذا ما جعل كلًا منا منفتحًا على الآخرين. لكن كلًا منا -في الوقت عينه- كان لديه شيء خاص به، أو شيء خاص بها. كانت سولفيغ شديدة الخجل إلى حد يجعلها لا تتكلم إلا نادرًا. وكانت يوني تعمل في السوق كل سبت مع والديها وأخويها فتبيع الخضار التي يزرعونها بأنفسهم. وكان والد فيموند يسير على عكازين. وكانت كريستين تامارا تضع نظارة مع عصبة على واحدة من عينيها. وكان غيّير هاكون (الولد القوي جدًا على الدوام) يقف أمام اللوح مرتبكًا. كانت على وجه داغ ماغنِه ابتسامة دائمة. وقد أقاموا لغيّير شعائر الوفاة عند ولادته لأنهم ظنّوه موشكًا على الموت. وكانت تفوح من آزغيّير دائمًا رائحة بول غامضة. وكانت ماريانِه قوية كأنها صبي. وكان إيفيند قادرًا على القراءة والكتابة وماهرًا جدًا في كرة القدم. وكان ترونْد قصيرًا لكنه يجري سريعًا كالبرق. وكانت سولفيغ جيدة جدًا في الرسم. وكان والد آنِه ليزبِت غطاسًا. وأما يون، حسنًا... لقد كان لديه «أعمام أكثر من أي واحد منا»!

ذهبت مع غيّير إلى بيت يون ذات مرة، بعد انتهاء ثلاثة دروس في المدرسة،

وبعد أن نزلنا من الباص عند السوبر ماركت في الساعة الثانية عشرة. كانت الشمس مشرقة، والسماء زرقاء، والطريق جافة ومغبرة. وعندما بلغنا بيت يون، سألنا إن كنا راغبين في الصعود إلى الشرفة وتناول العصير. كنا راغبين في ذلك. سرنا خلفه حتى الشرفة. وضعنا حقائبنا على الأرض وجلسنا على الكراسي البلاستيكية التي كانت هناك. فتح يون باب الشرفة المفضي إلى البيت وصاح: «ماما... نريد أن نشرب العصير! لدي هنا بعض الأولاد من صفي».

أتت أمه إلى الباب. كانت في بيكيني أبيض اللون. شعرها طويل ذو لون أشقر داكن؛ وجلدها لوحته الشمس. وكانت نظارة شمسية كبيرة تحجب الجزء الأعلى من وجهها.

قالت: «شيء لطيف! سأرى إن كان لدينا عصير من أجلكم».

مضت عبر غرفة المعيشة، ثم خرجت من بابها واختفت. كانت تلك الغرفة توحي بالفراغ. شكلها مثل غرفة الجلوس في بيتنا، لكن أثاثها أقل من أثاث غرفتنا وجدرانها من غير لوحات. مرت في الطريق بنتان من صفنا. انحنى يون من فوق سور الشرفة وصاح قائلًا لهما إنهما تبدوان مثل قردتين.

ضحكتُ، وضحك غيّير.

تابعت الفتاتان سيرهما ولم تلتفتا إلينا. كانت ماريانِه أطول قامة من الأولاد جميعًا؛ وكانت جبهتها مرتفعة ووجنتاها مرتفعتان وشعرها طويلًا أشقر منسدلًا إلى جانبي وجهها مثل ستارتين. ومن حين لآخر، عندما تكون غاضبة أو متوترة، كانت تعبس وتظهر في عينيها نظرة خاصة جدًا. كانت تلك النظرة تعجبني. وكان من الممكن أيضًا أن تغضب وتفقد أعصابها فتضربنا ضربًا شديدًا... أمر لا تفعله بقية البنات.

خرجت والدة يون إلى الشرفة حاملة صينية فيها ثلاث كؤوس مع إبريق عصير. وضعت كأسًا أمام كل واحدًا منا؛ ثم ملأت الكؤوس الثلاث. عامت مكعبات الجليد متلاصقة على سطح السائل الأحمر. نظرت إليها وهي عائدة إلى الغرفة. لم تكن جميلة؛ لكن فيها شيء يثير انتباهك ويجعلك تنظر إليها.

سأل يون مطلقًا ضحكة صاخبة: «هل تنظر إلى مؤخّرة أمي؟».

لم أعرف ما كان يقصده بهذا! فلماذا أنظر إلى مؤخّرة أمه؟ كان الأمر محرجًا أيضًا لأنه قال تلك العبارة بصوت مرتفع. لا بد أنها سمعتها.

أجبته: «لا، لم أكن أنظر».

ازداد ضحك يون شدّة. صاح: «ماما! تعالي دقيقة واحدة».

أتت أمه. لا تزال ترتدي البكيني.

قال لها: «كان كارل أوفِه ينظر إلى مؤخّرتك».

صفعت أمه وجهه. واصل يون الضحك. نظرت إلى غيّير: كان يحدق في الفضاء ويصفّر لحنًا. عادت أم يون إلى الداخل. شربت كأس العصير دفعة واحدة.

قال يون: «هل تحبان رؤية غرفتي؟».

أومأنا برأسينا، ثم سرنا خلفه عبر غرفة الجلوس المعتمة وذهبنا إلى غرفته. كان على الجدار ملصق عليه صورة دراجة آلية؛ وعلى الجدار الآخر صورة لامرأة نصف عارية جعلت أشعة الشمس جلدها يبدو برتقالي اللون.

قال لنا: «إنها دراجة كاوازاكي 750. هل تريدان مزيدًا من العصير؟».

أجبته: «أنا لا أريد. عليَّ أن أذهب إلى البيت لتناول الطعام.

وأضاف غيّير: «وأنا أيضًا».

زمجر الكلب عند خروجنا. سرنا نازلين في الطريق من غير أن نقول شيئًا. لوّح لنا يون بيده من الشرفة. أجابه غيّير بتلويحة من يده.

لماذا أنظر إلى مؤخّرة والدة يون؟ أيكون هناك شيء لا أعرفه في ما يخص المؤخّرات؟ ولماذا قال لي هذا بصوت مرتفع؟ لماذا قاله لها أيضًا؟ ولماذا صفعته على وجهه؟ أليس أمرًا عجيبًا أن يكون يون قد واصل الضحك بعد أن صفعته أمه؟ كيف يمكن أن تواصل الضحك بعد أن تصفعك أمك؟... بل حتى بعد أن يصفعك أي شخص؟

لقد نظرتُ إلى أمه؛ وكان لديَّ إحساس غامض بالذنب لأنني نظرت إليها لأنها كانت شبه عارية؛ لكنّي لم أنظر إلى مؤخرتها... أصلًا، لماذا أنظر إلى مؤخرتها؟ كانت تلك أول مرة أذهب فيها إلى بيت يون؛ وكانت آخر مرة

أيضًا. كنا نلعب كرة القدم مع يون، ونذهب للسباحة معه أيضًا؛ لكنه لم يكن شخصًا نذهب إلى بيته! كان الجميع يخافه قليلًا لأننا نعرف جميعًا أنه قوي؛ وكنا نقول إنه يتصرّف بخشونة على الرغم من أنه لم يكن يفعل ذلك. كان يون يحب رفقة أولاد في صفوف أعلى؛ وكان الوحيد بيننا الذي ينخرط في مشاجرات، والوحيد الذي يواجه المعلمين بالكلام ويرفض فعل ما يطلبون منه فعله. كان يأتي متعبًا في الصباح لأن أمه تسمح له بأن يسهر على هواه. وعندما يتكلّم عن بيته أثناء الدروس -هذا ما كنا نفعله جميعًا- كان يخبرنا دائمًا بأن هناك «عمًا» مقيمًا معهم. لم يكن يتساءل، ولم نكن نتساءل، عن وضع أولئك «الأعمام»... فلماذا نتساءل؟ كان لدى يون أعمام أكثر من أي شخص أعرفه. لكن الأمر لم يكن يعني شيئًا أكثر من ذلك.

بعد أيام معدودة من ذلك، في يوم سبت في بداية شهر أيلول، في واحد من أيام الخريف المبكرة التي تسلّل إليها الصيف وملأها حتى الإشباع، عندما كانت الحقول حارة ومغبرة، والسماء زرقاء داكنة، والأوراق الذاوية الأولى تطير في الهواء على نحو يكاد يخالف الطبيعة، لأن الريح لا تزال خفيفة ولطيفة، ولأن كل وجه تراه يكون لامعًا بالعرق، كنت أسير مع غيّير في منطقتنا السكنية، وكان معنا طعام الغداء وزجاجة عصير. لقد اعتزمنا السير في وجهة سمعنا عنها: درب تنعطف يسارًا في آخر أرض مستوية طويلة على مقربة من بداية الدرب المفضية إلى محطة فينا. حتى نصل إلى ذلك المكان، كان علينا أن نجتاز أرضًا تابعة لبيت لا نعرف عنه إلا القليل... لم نكن نعرف عن ذلك البيت إلا أن الغضب يمكن أن يستبد بصاحبه أحيانًا، وذلك لأن مجموعة منا كانت تلعب كرة القدم في واحد من أيام الأحد في الربيع الماضي على العشب في الناحية البعيدة من أرضه، ناحية تحدّها صخور من إحدى جهتيها وجدول من الجهة الأخرى، عندما اندفع الرجل خارجًا من البيت بعد نصف ساعة من بداية اللعب وراح يصرخ ويلوّح بقبضتي يديه حتى قبل أن يقترب منا بحيث يصير صوته مسموعًا لنا. فما كان منا إلا أن جرينا على الفور هاربين.

لكننا لا نريد الآن أن نلعب كرة القدم هنا؛ لا نريد إلا أن نسير مجتازين أرضه على امتداد الجدول متجهين إلى تلك الدرب التي لم تكن أكثر من درب ضيّقة تناثرت فيها حجارة مسطحة صغيرة أكثرها أبيض اللون. بلغنا البوابة ففتحناها وسرنا فوجدنا أنفسنا في جزء من الجزيرة لم نعرفه من قبل. درب غارقة في الظلال بين صفّين من أشجار عالية. كان ذلك أشبه بالسير في نفق. وبعد مسافة، كان هناك منعطف في الدرب رأينا عنده صخرة بيضاء لامعة تحت ضياء الشمس. كان ذلك جرفًا أظن أن الحجارة التي نسير عليها قد أتت منه. توقفنا أمام تلك الصخرة. لم تكن متشقّقة أو «شبه متعفّنة» مثلما يكون أكثر الصخور التي جرى تفجيرها، ولم تكن متقشرة، أو خشنة قليلًا، مثلما تكون الصخور العارية والجروف المكشوفة التي يمكن أن يصادفها المرء في الغابة... لا... كان هذا الجرف صقيلًا تمامًا، بل يكاد يكون صقيلًا كالزجاج؛ وكانَ مؤلفًا من سطوح مائلة كثيرة. أيكون هذا عِرقًا من حجارة كريمة عثرنا عليه مصادفة؟ هكذا بدا لنا. لكن المكان كان شديد القرب من المنطقة السكنية: لا فرصة أبدًا لأن نكون قد اكتشفنا شيئًا لم يره أحد قبلنا. أدركنا هذا الأمر، لكن ذلك الإدراك لم يمنعنا من ملء حقيبتَيْنا بقطع صغيرة من تلك الصخور. تابعنا السير بعد ذلك. وتابع الجدول سيره مع الدرب، ثم لم يلبث أن صار جاريًا في أخدود عميق انتهى عندما بدأ انحدار الأرض، فصار الماء متدفقًا عبر سلسلة من شرفات صغيرة. حاولنا أن نبني سدًا حيث عاد الجدول محاذيًا للدرب. حملنا إليه حجرًا بعد حجر، وملأنا الشقوق بين الحجارة بكتل من الطحالب؛ ولم يمض أكثر من نصف ساعة إلا وقد أفلحنا في جعل المياه تفيض على الدرب. وفجأة، سمعنا صوت إطلاق نار. نظر كل منا إلى الآخر؛ وحملنا حقيبتينا وبدأنا نجري. إطلاق نار؟ لعلهم صيادون؟ صارت الدرب مستقيمة بعد بضع مئات من الأمتار. كانت غارقة في ظل أخضر داكن ناتج عن صفوف كثيفة من أشجار التنوب المتراصّة العالية. لمحنا طريقًا إسفلتية على مسافة مئة متر، أو أكثر قليلًا، فتوقّفنا لأن صوت إطلاق النار صار الآن أكثر وضوحًا. كان الصوت آتيًا من جهة اليسار. سرنا بين الأشجار

عابرين أجمات من التوت البري والخلنج والطحالب، ثم صعدنا منحدرًا هيّنًا فرأينا أمامنا، على مسافة نحو عشرين مترًا إلى الأسفل، أرضًا كبيرة خالية من الأشجار، غارقة في ضياء الشمس... أرضًا تمتلئ بالقمامة.

مكبّ قمامة!

مكبّ قمامة في الغابة!

رأينا بضعة نوارس تطير في آخر تلك المنطقة. كانت تصيح وتحوم فوق القمامة مثلما تطير فوق البحر. كانت رائحة القمامة حلوة قليلًا، لكنها رائحة نافذة وخزت أنفينا. ثم سمعنا صوت إطلاق النار من جديد. صوت غير مرتفع، وأصداؤه مبتورة مثلما تكون أصوات بعض المفرقعات. اقتربنا من حافة تلك الأرض سائرين بخطوات بطيئة. وهناك، على مرمى حجر منا، رأينا رجلين اثنين. كان أحدهما واقفًا إلى جانب سيارة محطمة، والآخر منبطحًا على الأرض إلى جانبه. وكانت بين يدي كل منهما بندقية مسدّدة في اتجاه القمامة. أطلقا النار بفارق ثانيتين بين الأول والثاني. كانت بين أكوام القمامة التي تعلو وتهبط كأنها تلال ووديان درب سار فيها الرجلان. كانا يرتديان ملابس الصيادين مع قفازات وأحذية مرتفعة الساق. كانا كبيرين، لكنهما ليسا عجوزين. ومن حولهما، كانت هناك سيارات وبرادات وفريزرات وتلفزيونات وخزانات وطاولات. رأيت أيضًا كراسي وآرائك وطاولات ومصابيح. رأيت زلاجات ودرّاجات وصنّارات صيد وشمعدانات وصناديق من الكرتون، وصناديق من الخشب وحاويات من البوليستيرين، وأكوامًا بعد أكوام من أكياس بلاستيكية منتفخة. كان ممتدًا أمامنا مشهد متسع من سلع كثيرة أكثرها مكوّن من أكياس من بقايا الطعام ومواد التغليف وأشياء ترميها كل أسرة في حاوية القمامة، كل يوم. لكن المنطقة التي رأينا الرجلين فيها، المنطقة التي كانا سائرين عبرها الآن، منطقة لعلّها تعادل خمس المساحة كلّها، كانت مليئة كلّها بأشياء كبيرة الحجم.

قال غيّير: «إنهما يطلقان النار على الجرذان. انظر».

كان الرجلان قد توقّفا. رفع أحدهما جرذًا يمسكه من ذيله. كان جانب

الجرذ ممزقًا، أو هكذا بدا لي. أدار الرجل الجرذ في الهواء عدة مرات ثم أفلته فطار في الهواء وسقط على بعض الأكياس، ثم انزلق إلى الأرض. ضحك الرجلان. ركل الرجل الثاني جرذًا آخر، ثم أدخل مقدمة حذائه تحت جيفته وقذف به في الهواء.

عاد الرجلان. كانت عيونهما متقلّصة تحت وجه الشمس. ألقيا التحية علينا. رجلان متشابهان، لعلهما شقيقان.

سألنا واحد منهما: «هل أنتما خارجان في نزهة، أيها الشابان؟».

كان شعره المتموّج الأحمر ظاهرًا من تحت قبعته الزرقاء. وجه عريض، وشفتان ثخينتان فوقهما شاربان كثيفان، أحمرا اللون أيضًا. أومأنا برأسينا.

قال الرجل الثاني: «نزهة إلى مكبّ القمامة! إن هنا أشياء من كل نوع، أليس كذلك؟». باستثناء شعره الأشقر الذي يكاد يكون أبيض اللون، وشفته العليا الخالية من الشعر، كان هذا الرجل صورة طبق الأصل عن الرجل الأول... «هل ستأكلان هنا هذا الطعام الذي معكما؟ فوق واحدة من أكوام القمامة؟». ضحك الرجلان وضحكنا معهما قليلًا.

قال الرجل الأول: «هل تحبان أن تريا كيف نطلق النار على الجرذان؟».

قال غبّير: «أجل، نحب هذا».

«إذًا، عليكما أن تقفا إلى الخلف قليلًا. هذا مهم. قفا ساكنين تمامًا حتى لا تشوّشا علينا».

أومأنا برأسينا.

انبطح الرجلان معًا هذه المرة. ظلا زمنًا طويلًا من غير أية حركة. حاولت رؤية ما ينظران إليه، لكني لم أر الجرذ إلا عند سماعي صوت الإطلاق. رأيته يتدحرج على الأرض كأن هبّة ريح مفاجئة عنيفة تدفعه أمامها.

نهضا واقفين. قال واحد منهما: «هل تريدان أن تأتيا معنا لرؤيته؟».

قال الثاني: «ليس هناك ما يستحقّ الرؤية. إنه جرذ ميت!».

قال غبّير: «أنا أريد رؤيته».

قلت من خلفه: «وأنا أريد رؤيته».

لكن الجرذ لم يكن ميتًا. كان يتلوى على الأرض. كان نصفه الأسفل شبه ممزق كله. ضرب أحد الرجلين رأسه بعقب بندقيته فسمعت صوت جمجمته تنسحق. كفّ الجرذ عن الحركة. نظر الرجل إلى عقب بندقيته وقد ظهر الانزعاج على وجهه. قال: «أوه. لماذا فعلت هذا؟».

قال الرجل الثاني: «لعلك أردت أن تبدو رجلًا عنيفًا. هيا بنا. دعنا نذهب. يمكنك أن تنظف عقب بندقيتك عندما نصل إلى السيارة».

عاد الرجلان من جديد إلى حافة تلك المنطقة؛ وعدنا من خلفهما.

قال أحدهما: «هل يعرف أهلكما أنكما هنا؟».

أجبته: «أجل».

قال: «جيد. أظنّهم قالوا لكما إن عليكما ألا تمسّا شيئًا هنا! تعرفان أن كل شيء هنا فيه بكتيريا وأوساخ».

أجبته: «نعرف».

«عظيم! إلى اللقاء إذًا».

مرت بضع دقائق سمعنا بعدها صوت السيارة تنطلق على الطريق. سرنا وحيدين. أمضينا بعض الوقت في الجري هنا وهناك، وفي النظر إلى الأشياء وإفراغ الأكياس ودفع الخزائن لرؤية إن كان هناك شيء خلفها. وكان كل منا يصيح مخبرًا الآخر عما وجده. كان أعظم مكتشفاتي كيس فيه مجلات حديثة العهد في حالة جيدة. مجموعة من أعداد «تمبو» و«بَستر»، ونسخة من «تِكست ويلر». كان في الكيس أيضًا عدد من مجلات الكاوبوي المستطيلة الصغيرة من عقد الستينيات. وجد غيّير مصباحًا كهربائيًا صغيرًا، ورسم غزال مطرزًا على القماش، وعجلتَيّ عربة أطفال. وعندما مللنا البحث، جلسنا على العشب ووضعنا ما وجدناه إلى جانبنا وأكلنا طعامنا.

مزق غيّير غلاف وجبته المصنوع من الورق المشمع ورمى به إلى أقصى مسافة استطاعها. لعله كان يظن أنه سيسقط وسط القمامة، لكن هبَّة ريح عصفت به لحظة أفلته من يده فلم يبلغ الغلاف منطقة القمامة بل سقط بين الأزهار.

قال لي: «لماذا لا نذهب ونتغوّط؟ ما رأيك؟».
أجبته: «حسنًا، أين؟».
رفع كتفيه وقال: «لست أدري».
سرنا في الغابة برهة باحثين عن بقعة مناسبة. لسبب من الأسباب، بدا لنا التغوط وسط القمامة أمر غير لائق... بدا لي أن ذلك سيكون شيئًا قذرًا. إحساس غريب لأن المكان كلّه قمامة، من أوله إلى آخره. لكن تلك القمامة كانت أكياسًا بلاستيكية لامعة، وصناديق من الكرتون وأدوات كهربائية مرمية وأكوامًا من الصحف. كان كل شيء طري أو لزج موضوعًا في كيس أو غلاف! هذا ما جعلنا نرى أن علينا التوغل في الغابة لفعل ذلك.
قال غيّير: «انظر إلى تلك الشجرة».
رأيت شجرة صنوبر طويلة منقلبة على الأرض؛ أظنّها كانت على مسافة عشرة أمتار منا. تسلّقنا جذع الشجرة وأنزلنا بنطلونينا. ودفعنا بمؤخرتينا إلى الخلف وقد أمسك كل منا بغصن من أغصان الشجرة. هز غيّير مؤخرته لحظة خروج الغائط منها فقذف به جانبًا.
قال لي ضاحكًا: «هل رأيت هذا؟».
«ها ها ها!»، ضحكت وحاولت أداء شيء مختلف. جعلتها تسقط مثلما تسقط قنبلة من طائرة فوق مدينة. كان إحساسي بخروجها رائعًا... لحظة صارت معلقة في الهواء قبل أن تنفصل وتسقط على الأرض!
أحيانًا، كنت أحتفظ بها عدة أيام حتى تتجمع كمية كبيرة. كنت أفعل ذلك أيضًا لأنه يمنحني إحساسًا ممتعًا في حد ذاته. عندما أصير مضطرًا حقًّا إلى التغوط، عندما أصير غير قادر على الوقوف منتصب القامة بل أجد نفسي مضطرًا إلى الانحناء قليلًا إلى الأمام، يصير في جسدي إحساس رائع إذا لم أترك الطبيعة تأخذ مجراها، وإذا ضغطت عضلات مؤخرتي بأقصى قوة أستطيعها لكي أُجبر الغائط على العودة من حيث أتى. لكن تلك اللعبة كانت خطيرة لأن تكرارها أكثر مما ينبغي يجعل تلك الكمية المتراكمة كبيرة جدًا فيصير إخراجها مستحيلًا. يا إلهي... كم يكون مؤلمًا إخراج تلك

الكمية الضخمة! كان ألمًا لا يطاق أبدًا، ألمًا يجعلني أتلوّى وكأن جسدي يتفجر متألّمًا كله، آآآآآخخخخخ! كنت أصرخ، أوووه؛ وعندها، تمامًا عندما يصير الأمر في غاية الشدة، يخرج كل شيء فجأة.

أوه، ما أجمل ذلك الإحساس!

كم يكون إحساسًا رائعًا!

ينتهي الألم.

ويصير الغائط في المرحاض.

يصير كل شيء في جسدي سلامًا ونورًا. الحقيقة أنني كنت أشعر بهناءة كبيرة أفقد معها أية رغبة في النهوض وتنظيف مؤخّرتي. لا أريد إلا أن أظل جالسًا هناك.

لكن، هل كان الأمر يستحق هذا؟ كان من الممكن أن أظل نهارًا كاملًا في حالة خوف شديد من محاولة إخراج تلك الكمية الكبيرة التي تجمّعت. وأظل غير راغب في الذهاب إلى المرحاض لأن الأمر مؤلم كثيرًا. لكن الأمر سيصير مؤلمًا أكثر فأكثر إذا لم أفعله، إذا واصلت تأجيله.

لذا... لا يكون لدي آخر الأمر من خيار غير الذهاب إلى المرحاض. أذهب وأنا مدرك تمامًا أن ذلك سيكون مؤلمًا إلى أقصى حدٍّ.

وفي إحدى المرات، بلغ بي الذعر حدًا جعلني أحاول العثور على طريقة لإخراج الغائط من جوفي. نهضت عن المرحاض قليلًا وأدخلت إصبعي في مؤخرتي؛ أدخلتها إلى آخرها. ها هي! ها هي هناك! شيء صلب كأنه حجر! وبعد أن وجدتها، بدأت أحرك إصبعي يمينًا ويسارًا في محاولة لتوسعة ممر الخروج. كنت أضغط قليلًا في الوقت نفسه. وبهذه الطريقة، تمكنت شيئًا فشيئًا من إزاحة كتلة الغائط جانبًا. أوه... لا يزال إخراج الجزء الباقي مؤلمًا... لكنه ليس مؤلمًا كثيرًا جدًا!

يا لها من طريقة!

لم تزعجني كثيرًا رؤية أن إصبعي صارت بنية اللون كلها. لم يكن غسلها أمرًا صعبًا. لكن الرائحة كانت مشكلة أخرى! فعلى الرغم من أنني غسلت

إصبعي كثيرًا ودعكتها كثيرًا، فقد ظلت رائحة الغائط الخفيفة عالقة بها طيلة النهار وطيلة الليل؛ بل إنني ظللت قادرًا على شمها عندما استيقظت في الصباح التالي.

كان لا بد من حساب هذه الحسنات والسلبيات كلها وتقديرها والموازنة بينها!

بعد فراغنا، مسح كل منا مؤخرته بأوراق النباتات، ثم نزلنا عن الشجرة لرؤية النتائج. كان لغائطي لون ضارب إلى الخضرة؛ وكان طريًا متناثرًا على الأرض. وأما غائط غيّير فقد كان لونه بنيًا فاتحًا، وفي نهايته بقعة سوداء. كان أكثر صلابة ولم يتفتت.

قلت له: «أليس أمرًا غريبًا أن تكون رائحة غائطي حسنة ورائحة غائطك كريهة؟»

قال غيّير: «بل رائحة غائطك هي الكريهة».

قلت له: «ليست كريهة».

قال: «أوووف! ما أبشعها!». قال هذا وهو يضغط على أنفه بإصبعيه ويعبث بغائطي مستخدمًا عصا طويلة.

حامت فوق الغائط بضع ذبابات. هي أيضًا، كان لونها ضاربًا إلى الخضرة.

قلت له: «حسنًا، ألا نذهب الآن؟ ربما نأتي في يوم السبت القادم لنرى كيف صار غائطانا».

قال: «لن أكون هنا يوم السبت القادم».

«أين ستذهب؟».

أجابني: «إلى ريزور. أظننا سنذهب لرؤية زورق هناك».

جرينا لكي نحضر أشياءنا، ثم سرنا عائدَين إلى البيت. سار غيّير حاملًا العجلتين اللتين عثر عليهما، واحدة في كل يد من يديه. وسرت حاملًا الكيس الذي فيه المجلات المصوّرة. جعلته يعدني بألا يقول في البيت شيئًا عما فعلناه، لأنني توقّعت أن يمنعونا من الذهاب إلى تلك المنطقة إذا

علموا بأمر هذه المغامرة. كنت قد أعددت تفسيرًا لظهور هذه المجلات عندي: استعرتها من شخص اسمه يورن يعيش في منطقة سكنية أخرى... من المحتمل أن يراها أبي فيطرح أسئلة مزعجة!

وقفت لحظة ساكنًا بعد دخولي عتبة البيت. لم أسمع شيئًا غير معتاد فانحنيت لكي أفك رباط حذائي. انفتح باب في مكان داخل البيت. خلعت فردة الحذاء الأولى ووضعتها إلى جانب الجدار. انفتح الباب الثاني. صار أبي واقفًا أمامي.

وضعت فردة الحذاء الثانية في مكانها وانتصبت واقفًا.

سألني أبي: «أين كنت؟».

«كنت في الغابة».

تذكّرت تفسيري فجأة، فأضفت ناظرًا إلى الأرض: «ثم صعدت إلى أعلى التل».

«ماذا لديك في هذا الكيس؟».

«إنها مجلات».

«من أين أتيت بها؟».

«استعرتها من شخص اسمه يورن. إنه يعيش هناك».

قال أبي: «هات لأرى».

ناولته الكيس، فنظر إلى محتوياته، ثم أخرج «تِكست ويلر».

قال لي: «سآخذ هذه»، ثم عاد إلى غرفة مكتبه.

مضيت في الممر، ثم صرت في منتصف السلم عندما سمعته يناديني.

هل اكتشف أمري؟ لعله شم رائحة القمامة!

استدرت وعدت أدراجي. كانت ركبتاي خائرتين لا تكادان تقويان على حملي.

رأيته واقفًا بالباب.

قال لي: «أنت لم تأخذ مصروف الجيب لهذا الأسبوع. لقد أخذ إنغفِه مصروفه منذ فترة. ها هو مصروفك».

وضع في يدي قطعة خمس كرونات معدنية.

قلت: «أوه، شكرًا».

قال: «لكن متجر B-Max مغلق الآن. سيكون عليك أن تذهب إلى محطة فينا إذا أردت شراء سكاكر».

كانت المسافة بعيدة إلى محطة فينا. ففي البداية، هناك التلة الطويلة، وبعدها منطقة سهلية طويلة أيضًا، ثم تأتي الدرب الطويلة عبر الغابة نزولًا إلى طريق مفروشة بالحصى تفضي إلى الطريق المعبدة حيث كانت محطة الوقود: كان هذا كلّه رائعًا، وكان سيئًا أيضًا. لم تكن لديّ مشكلة في التلة وفي المنطقة المستوية لأن هناك كثرة من البيوت والسيارات والناس، على الجانبين. إلا أن الدرب عبر الغابة كانت مشكلة بعض الشيء لأنك تسير بضعة أمتار تجد نفسك بعدها وقد اختفيت بين الأشجار حيث لا وجود لبشر ولا لشيء من صنع البشر. لا وجود هناك إلا لأغصان وأجمات وأوراق وأزهار، وبرك متناثرة هنا أو هناك، وكومة أشجار محتطبة ومقطّعة هنا أو هناك، ومرج صغير هنا أو هناك. كنت أغني عندما أسير في تلك المنطقة. كنت أكرر أغنية «*Gikk jeg en tur på stien*»[1]، أو أغني شيئًا من أغاني الأطفال، مثل: «*løy en liten blåfugl*»، أو «*jørnen sover*»، أو «*Jeg gikk meg over over sjø og land*»[2]، أغنّي فأحس بأنني لم أعد وحيدًا، مع أنني وحيد! أحس كأن الغناء ولدٌ آخر سائر معي. وإذا لم أغن، فإنني أكلم نفسي بصوت مسموع. كنت أقول لنفسي: *يا ترى، هل هناك من يعيش إلى الناحية الأخرى من الطريق؟* أو: *لا أدري إن كانت هذه الغابة مستمرّة إلى اللانهاية. لا، لا يمكن أن تكون مستمرّة لأننا نعيش على جزيرة. هذا يعني أن البحر يحيط بنا من كل ناحية. قد تكون عبّارة الدانمارك هناك الآن! أريد أن أشتري كيسًا من سكاكر نوكس بالسوس، من فضلك. وكيسًا من*

(1) بالنرويجية: «ذهبت في نزهة على الدرب».

(2) بالنرويجية: «طار طائر أزرق صغير»؛ «الدب نائم»؛ «عبرت البر والبحر».

سكاكر فوكس بالليمون. فوكس ونوكس، نوكس وفوكس. فوكس ونوكس، نوكس وفوكس.

إلى يميني منطقة واسعة مفتوحة تحت قمم الأشجار. ليست أشجارًا دائمة الخضرة، لكنها عالية تشكّل ذراها مظلّة كثيفة جعلت النباتات الصغيرة من تحتها نادرة جدًا.

وصلت بعد ذلك مباشرة إلى الطريق المفروشة بالحصى، فسرتُ فيها إلى أن تجاوزت البيت القديم الأبيض ومخزن الغلال القديم الأحمر، وسمعت هدير السيارات على الطريق الرئيسية في الأسفل. بعد أن بلغت ذلك كلّه، صارت محطة الوقود، بكلّ مجدها، على مسافة خمسين مترًا مني.

رأيت مضخات الوقود الأربع رافعة أذرعها إلى رؤوسها... تحيتها المعتادة نفسها! واللافتة البلاستيكية البيضاء الكبيرة القائمة فوق عمود مرتفع مكتوب عليها FINA بحروف زرقاء واهية الإنارة. كانت متوقّفة هناك دراجة كبيرة ثلاثية العجلات كأنها سيارة. وكان سائقها مدّليًا ذراعه من نافذتها المفتوحة ويتحدّث مع شخص واقف إلى جانبها. وإلى جوار الكشك، كانت هناك ثلاث دراجات آلية خفيفة. توقّفت سيارة عند واحدة من المضخات ونزل منها رجل في جيب بنطلونه الخلفي محفظة ثخينة. أمسك الرجل بخرطوم الوقود ووضع فوهته في خزان السيارة. وقفت إلى جانبه. بدأت المضخّة خرخرتها المألوفة، وراحت الأرقام تجري مسرعة على اللوحة التي كنت أعتبرها وجه المضخة. بدت لي الأرقام تجري بسرعة يصعب تصديقها. كان الرجل ينظر في اتجاه آخر أثناء حدوث هذا كلّه. فبدا لي ذلك كلّه دلالة على الإهمال... فكيف لا ينظر إلى ما يحدث هنا؟ لقد كان رجلًا يعرف ما يفعله.

ذهبت إلى الكشك وفتحت الباب. كان قلبي يخفق سريعًا لأنك لا تعرف ما ينتظرك في الداخل. هل يمكن أن يكلّمك أحدهم؟ وهل يمكن أن يسخر منك ويجعل الآخرين يضحكون جميعًا؟

قد يقولون: «آه، ها هو كناوسغارد الصغير. ماذا يفعل أبوك اليوم؟ أهو جالس في البيت يصحح أعمال التلاميذ؟».

من يأتون إلى هذا المكان كانوا في المدرسة؛ وكان أبي معلمهم. كانوا يرتدون بنطلونات جينز، بل حتى بنطلونات من الجلد، وسترات كثيرًا ما تكون عليها رقعٌ تحمل ماركات سيارات من قبيل بونتياك، أو فيراري، أو موستانغ. كان بعضهم يضع أوشحة ولهم جميعًا شعر طويل منسدل على أعينهم. كانوا يطوّحون برؤوسهم إلى الخلف عندما يريدون رؤية شيء أمامهم. كانوا في الخارج، يبصقون دائمًا ويشربون الكوكا كولا. وكان بعضهم يضع حبّات الفستق في الزجاجة حتى يشرب ويأكل في الوقت نفسه. كانوا يدخّنون أيضًا، كلهم تقريبًا؛ على الرغم من كون التدخين ممنوعًا هناك. لدى الصغار منهم دراجات؛ ولدى الأكبر سنًا دراجات آلية خفيفة. ومن وقت لآخر، ينضم إليهم فتيان أكبر سنًا يقودون سيارات حقيقية.

وهنا يأتي الجانب السيّئ. الدرّاجات، والشعر الطويل، والتدخين، وتضييع الوقت، وآلات اللعب... كان كل ما يحدث في محطة الوقود سيئًا! الضحك الذي يلاقوني به دائمًا كلما انتبهوا إلى أنني كناوسغارد الصغير... كان ذلك الضحك كابوسًا. لم يكن لدي ما أردّ به، فأضطر إلى خفض رأسي والانطلاق مباشرة إلى طاولة البيع وشراء أي شيء أجده.

«كناوسغارد الصغير خائف!».

هذا ما يمكن أن يصيحوا به إذا كانوا في ذلك المزاج المزعج. إلا أن تلك لم تكن قاعدة ثابتة: يتركونني وشأني بعض الأحيان، ويصيحون بي في أحيان أخرى. لا يمكنك التنبؤ بذلك أبدًا.

لقد تركوني وشأني هذه المرة. كان ثلاثة منهم واقفين من حول آلة ألعاب ذات ذراع واحدة، وكان أربعة آخرون جالسين إلى طاولة يشربون الكوكا كولا. رأيت أيضًا ثلاث فتيات على وجوههنّ كمية كبيرة من مستحضرات التجميل. كانت الفتيات تضحكن بأصوات مرتفعة من حول طاولة في الخلف.

أنفقت مالي كلّه على فوكس ونوكس؛ ولم تكن الكمية التي اشتريتها صغيرة، فوضعتها البائعة في كيس من النايلون الشفّاف أمسكته بيدي ثم أسرعت خارجًا.

سرت صاعدًا في الطريق المفروشة بالحصى حيث كان الهواء باردًا بعد أن مالت الشمس عن ذلك المكان. لكني قلت لنفسي إن هذا ليس سيئًا؛ ورحت أنظر بين جذوع الأشجار وتحت الأغصان في تلك الفسحة الكبيرة لأرى إن كان هناك شيء يتحرّك. رحت أتساءل أيضًا: ماذا أفعل؟ هل آكل فوكس ونوكس على التناوب، أم آكل سكاكر فوكس كلّها أولًا، ثم سكاكر نوكس كلها.

اهتزت أجمة إلى يميني.

توقّفت ونظرت إلى الأجمة. تراجعت ببطء بضع خطوات... من أجل السلامة...

مزيد من الحركة.

ماذا يمكن أن يكون هذا؟

قلت: «مرحبًا! هل هناك أحد؟».

صمت.

انحنيت والتقطت حجرًا. قذفت بالحجر صوب الأجمة، ثم جريت مبتعدًا بأسرع ما استطاعته ساقاي. وعندما توقّفت، لم أر أحدًا يجري خلفي، فضحكت.

قلت: «لقد علمكَ ذلك الحجر درسًا»، ثم تابعت السير.

من الأفضل ألا يفكر المرء في أرواح الموتى. اجعل ذهنك منصرفًا إلى أمور أخرى، طيلة الوقت. فعندما تبدأ التفكير في الموتى، وتتخيّلهم من حولك ومن خلف شجرة التنّوب تلك، أو هناك على سبيل المثال، يصير فجأة من المستحيل عليك أن تفكّر في أي شيء آخر. ثم لا يلبث ذعرك أن ينمو وينمو. ولا تجد آخر الأمر ما تستطيع فعله غير أن تجري هاربًا ويخفق قلبك سريعًا وتحسّ كأن صراخًا ينبعث في جسدك كلّه.

لذا، وعلى الرغم من أن كل شيء سار سيرًا حسنًا هذه المرة، فقد غمرني شعور بالارتياح عندما رأيت الدرب والبيوت في الأرض المستوية التي انفتحت أمامي.

الهواء الذي كان نقيًا متألّقًا عندما ذهبت، تحوّل إلى لون رمادي بعض الشيء. هواء رمادي يعوم فوق الأرض وبين البيوت على امتداد الطريق.

جريت بضع خطوات.

كانت بنتان واقفتين إلى جانب أحد البيوت. وكانتا تنظران إليَّ مع اقترابي سائرًا على العشب. ثم انطلقتا راكضتين في اتجاهي.

ماذا تريد هاتان البنتان؟

كنت أنظر إليهما تقتربان مني، لكني تابعت سيري.

توقفتا أمامي.

كانت إحداهما شقيقة توم الذي هو واحد من أضخم الأولاد في الحي: لديه سيارة حمراء لامعة. لم أرَ الفتاة الأخرى من قبل. كانتا في العاشرة من العمر، على الأقل.

قالت لي إحداهما: «أين كنت؟».

قلت لها: «في محطة فينا».

قالت الأخرى: «وماذا كنت تفعل هناك؟».

قلت: «لا شيء». وتحرّكت محاولًا الابتعاد عنهما.

وقفتا أمامي حتى تمنعاني من المرور.

قلت لهما: «ابتعدا عن طريقي. أنا ذاهب إلى البيت».

«ماذا لديك في هذا الكيس؟».

«لا شيء».

«أوه، بلى، لديك شيء هناك. فوكس ونوكس. أستطيع رؤيتها».

«وماذا؟ لقد اشتريتها من أجل أخي. إنه في الحادية عشرة».

«أعطنا هذه السكاكر».

قلت: «لا، لا».

مدّت إحداهما -أخت توم- يدها لكي تمسك بالكيس فأزحته جانبًا. دفعتني الفتاة الأخرى بيديها الاثنتين فجعلتني أقفز إلى الأمام وأسقط.

قالت لي: «أعطنا الكيس».

قلت: «لا»، وطوّقت الكيس بذراعيَّ بينما كنت أحاول النهوض واقفًا من جديد.

دفعتني البنت مرة أخرى.

سقطت على وجهي وبدأت أبكي.

صحت بهما: «إنها سكاكري! لا تستطيعان أخذها هكذا!».

«ظننا أنك اشتريت السكاكر من أجل أخيك...». قالت إحداهما هذا وهي تمسك بالكيس وتنتزعه من بين يدي. ثم جرت الفتاتان مبتعدتين بسرعة في اتجاه الطريق وهما تضحكان طيلة الوقت.

صحت من خلفهما: «إنها سكاكري! إنها سكاكري!».

بكيت طيلة المسافة حتى البيت.

لقد سرقت البنتان سكاكري! كيف يحدث هذا؟ كيف جاءتا إليّ وأخذتا سكاكري؟ إنها سكاكري! أعطاني أبي النقود، ومشيت طيلة المسافة ذهابًا إلى محطة فينا وعودة منها! ثم اعترضتا طريقي وأخذتا السكاكر! لقد دفعتاني وأوقعتاني! كيف فعلتا ذلك؟

صرت قريبًا من البيت فمسحت وجهي بكم كنزتي. رفرفت عيناي بضع مرات. هززت رأسي قليلًا حتى لا يرى أحد أنني كنت أبكي.

ذات مرة، عندما كنت في الخامسة، رمتني وينتْشِه، شقيقة ترونْد الصغيرة، بحجر أصابني في بطني. انفجرت باكيًا وجريت إلى سور حديقتنا حيث كان أبي يعمل. كنت واثقًا من أنه سينجدني، لكنه لم يفعل شيئًا. لم يقل لي إلا أن وينتْشِه بنت، وأيضًا إنها أصغر مني بسنة كاملة، وما من شيء يستحق البكاء. قال إنني أجعله يشعر بالحرج، وعليَّ أن أدافع عن نفسي، وإنه واثق من قدرتي على فهم هذا. لكنّي لم أفهمه. يعرف الجميع أن رمي الحجارة غير جائز، أليس كذلك؟ ويعرف الجميع أن رد الإساءة بمثلها أمر سيئ، وأنه

آخر ما ينبغي اللجوء إليه! لكن أبي لم يكن يعرف هذا. وقف هناك ناظرًا إليّ تلك النظرة الصارمة، طاويًا ذراعيه على صدره، عيناه متّجهتان إلى الناحية الأخرى من الطريق حيث كان الأطفال جميعًا يلعبون. أومأ برأسه وقال لي أن أواصل اللعب وأن أكفَّ عن إزعاجه.

والآن، بما أن فتاتين قد سرقتا سكاكري، فما من أمل في الحصول على أية مساعدة من جانب أبي.

وقفت ساكنًا في الممر وأصغيت، ثم خلعت حذائي ووضعته عند الجدار، وصعدت السلم بخطوات حذرة متّجهًا إلى غرفة إنغفِه، بينما كانت فكرة سكاكر فوكس ونوكس المسروقة تصفعني بقوة متجدّدة جعلت الدموع تعاود انهمارها من عينيَّ.

كان إنغفِه منبطحًا على سريره، رافعًا ساقيه في الهواء، يقرأ عددًا من مجلة «بستَر. لقد أفرغ كيسًا من السكاكر على الفراش بينه وبين المجلة التي يقرأها.

سألني: «لماذا تبكي؟».

أخبرته بما حدث لي.

قال: «ألم تكن قادرًا على الفرار منهما؟».

«لا. لقد اعترضتا طريقي».

«تقول إنهما دفعتاك فأوقعتاك. ألم تستطع أن تدفعهما؟».

قلت ناشجًا: «لا، لأنهما كانتا أكبر مني وأقوى مني».

قال إنغفِه: «من المؤكد أنه لا ينبغي لك أن تبكي بصوت مرتفع هكذا بسبب ما حدث. هل يريحك أن أعطيك بعضًا من سكاكري؟».

قلت بصعوبة: «أجل».

«لكني لن أعطيك الكثير. سأعطيك بعضًا منها. مثلًا هذه، وهذه، وهذه، وهذه. وربما هذه أيضًا. ها هي. هل تحسّن الوضع الآن؟».

قلت: «أجل. هل أستطيع أن أظل جالسًا هنا؟».

«يمكنك الجلوس هنا إلى أن تنتهي من أكل السكاكر. عليك أن تذهب بعد ذلك».

«لا بأس».

أكلت السكاكر، ثم غسلت وجهي بماء بارد، فانتعشت وأحسست كأنني أبدأ بداية جديدة. كانت أمي في المطبخ. وكنت أسمع الأصوات آتية من هناك. إنها تطهو الطعام؛ سمعت صوت المروحة. لم أسمع صوت أبي طيلة وجودي في الطابق العلوي. هذا ما جعلني متأكدًا من أنه في غرفة مكتبه.

دخلت المطبخ وجلست على أحد الكراسي.

سألتني أمي: «هل ذهبت اليوم واشتريت بعض السكاكر؟». كانت واقفة عند الموقد تحرّك ما بدا لي أنه لحم مفروم في تلك المقلاة. كان نشيش اللحم مسموعًا. وعلى الجهة الأخرى من الموقد قِدر تغلي بصوت غير مسموع لأن صوت المروحة كان طاغيًا عليه.

أجبتها: «أجل».

«هل مشيت طيلة المسافة حتى محطة فينا؟».

تقول أمي دائمًا «محطة فينا» ولا تكتفي بكلمة «فينا» مثلما نفعل.

أجبتها: «أجل. ماذا تطبخين؟».

«إنها خضار مع اللحم والأرز».

«مع الأناناس أيضًا؟».

ابتسمت أمي: «لا، ليس فيها أناناس. ذلك طبق مكسيكي».

«صحيح».

مرّت لحظة صمت. فتحت أمي كيسًا وصبت محتوياته فوق اللحم. ثم كالَتْ ماءً في إبريق وسكبته في المقلاة. بدأ الماء يغلي على الفور، فوضعت أمي الأرز فيه. جلسَتْ إلى الناحية الأخرى من الطاولة وضغطت بكفيها على ظهرها وتمطّت.

قلت لها: «ماذا تفعلين في عملك في كوكبلاسن؟».

«أنت تعرف هذا بالتأكيد!... ألا تعرفه؟ لقد ذهبت معي عدة مرات».

«أنت تعتنين بالأشخاص الذين يعيشون هناك».

«صحيح. يمكن التعبير عن الأمر بهذه الطريقة».

«لكن، لماذا هم هناك؟ لماذا لا يعيشون في بيوتهم؟».

فكّرت أمي مطوّلًا في هذا السؤال. الحقيقة أنها فكّرت فيه زمنًا طويلًا فلم تجبني إلا بعد أن انصرف ذهني إلى أمور أخرى.

قالت أخيرًا: «يعاني كثيرون من الأشخاص الذين يعيشون هناك من الإصابة بالقلق. هل تعرف معنى القلق؟».

هززت رأسي نفيًا.

«القلق هو أن تكون خائفًا من شيء لكنك لا تستطيع تحديده».

«وهل هم خائفون طيلة الوقت؟».

أومأت برأسها وقالت: «أجل، إنهم خائفون دائمًا. وأنا أذهب وأتحدّث إليهم. وأؤدّي معهم نشاطات كثيرة حتى أجعلهم أقل خوفًا».

قلت: «لكن... ألا يكونون خائفين من شيء بعينه؟ أم إنهم يشعرون بالخوف فقط؟».

«صحيح، هذا بالضبط. إنهم خائفون فقط. لكن ذلك الخوف يذهب عنهم آخر الأمر فيعودون إلى بيوتهم».

حلّت فترة صمت أخرى.

«لماذا تسأل عن هذا الأمر؟ هل كنت تفكر فيه؟».

«لا. المعلمة هي السبب. لقد طلبت منا التحدّث عن الأعمال التي يقوم بها أهلنا. قلتُ إنك تعملين في كوكبلاسن. فسألتني عما تفعلينه هناك. لم أكن واثقًا مئة بالمئة. لكن، هل تعرفين ما قاله غيّير؟ قال إن أمه تعلّم الناس الذين في مكان عملها كيف يربطون شرائط أحذيتهم».

«هذا أسلوب جيد في التعبير عن الأمر. فالأشخاص الذين تعمل معهم والدة غيّير ليسوا خائفين. إنهم يجدون صعوبة في أداء المهام الصغيرة التي يؤديها بقية الناس بكل سهولة... أشياء من قبيل الطبخ والغسل. ارتداء الملابس أيضًا. وهكذا، فإن مارتا تذهب إليهم وتساعدهم».

نهضت أمي وحرّكت القدر.

قلت: «إنهم مجانين، أليس هذا صحيحًا؟».

نظرت إليَّ أمي وقالت: «التعبير الصحيح هو أنهم أشخاص لديهم إعاقات عقلية. كلمة مجانين قبيحة جدًّا».

«هل هي قبيحة؟».

«أجل».

انفتح باب في الطابق السفلي.

نهضتُ وقلت لها: «أنا ذاهب لرؤية إنغفِه».

تحركتُ بأسرع ما استطعت، من غير أن أجري. إذا تحركت لحظة سماعي صوت الباب الأول في الأسفل، فسوف أصل إلى غرفة إنغفِه قبل أن يصعد أبي السلم ويراني في الممر. وأما إذا انطلقت عند سماع صوت الباب الثاني، فسوف يراني.

سمعت صوت خطوته الأولى على السلم لحظة أغلقت الباب من خلفي. لا يزال إنغفِه يقرأ في سريره. إنه يقرأ الآن واحدة من مجلات كرة القدم.

قال لي: «هل سيكون الطعام جاهزًا عما قريب؟».

أجبته: «أظن هذا. هل أستطيع استعارة مجلة؟».

قال: «خذ المجلة التي تعجبك. لكن، تعامل معها بحذر».

مر أبي أمام باب الغرفة. انحنيت فوق رزمة المجلات على الرف. كان إنغفِه يحتفظ بمجلات مصنّفة ضمن مجموعات، مجموعة *«الشبح»* مثلًا؛ في حين كانت مجلاتي متناثرة في الغرفة كلها. كان إنغفِه أيضًا عضوًا في *«نادي الشبح»*.

قلت له: «هل أستطيع أخذ مجموعة كاملة؟».

قال: «هذا غير ممكن أبدًا».

«إذًا، هل أستطيع أن آخذ المجلة السنوية؟».

قال: «تستطيع أن تأخذها. لكن، عليك أن تعيدها عندما تنتهي منها».

في أيام السبت، نأكل حلوى الأرز الباردة في الصباح؛ ونأكل لحمًا حارًّا في المساء (مع الخضار عادة). نتناول هاتين الوجبتين في غرفة الطعام، لا في المطبخ حيث نأكل في الأحوال العادية. ويكون لكل واحد منا منديل طعام.

يشرب أبي وأمي البيرة أو النبيذ؛ وأما نحن فنتناول العصير أو شرابًا غازيًا. نتابع التلفزيون بعد الأكل. وفي أحيان كثيرة جدًا، يقدّم التلفزيون عرضًا على طريقة برودواي من ستوديو موجود في أوسلو: نساء مرتديات جوارب شبكية طويلة وسترات وقبعات، وفي أيديهن عصي؛ ورجال في سترات رسمية وربطات عنق وقبعات بيضاء ينزلون سلمًا أبيضَ، حاملين عصيّهم وهم يغنّون هذه الأغنية أو تلك. كثيرًا ما تكون أغنيتهم «نيويورك، نيويورك»، عادة ما تكون مقدّمة هذا البرنامج سولفي فانغ التي تحبّها أمي. وكان من المساهمين المألوف ظهورهم على التلفزيون ليالي السبت كل من ليف يوستر وآرفِه أوبسال وداغ فرولاند. وكانت فِنتشِهْ ميرَه تقدّم سكتشًا تلعب فيه دور شابة تعمل في حضانة أطفال. ومن الممكن أن يعرض التلفزيون «مسابقة الأغنية الأوروبية» التي كنا نعتبرها أهم ما يعرض خلال السنة كلّها، ولا يفوقها أهمية إلا المباراة النهائية على كأس الفرق الإنكليزية، ونهائي كأس أوروبا في كرة القدم، ومباريات ويمبلدون.

في هذا المساء، كان رجل مرتديًا أسمالًا جالسًا على سطح بيت من البيوت يغني بصوت عميق إلى حد لا يصدق. كان يغني *«آول مان ريفا»*. وقد ظللت طيلة المساء أدندن بتلك الأغنية. كنت أغني *آول مان ريفا* وأنا أنظف أسناني... *آول مان ريفا* وأنا أخلع ملابسي... *آول مان ريفا* وأنا أستلقي في فراشي ثم أغفو.

كان أبي وأمي قد أغلقا باب غرفة المعيشة المنزلِق وجلسا فيها يتحدّثان ويدخنان ويستمعان إلى الموسيقى وينهيان زجاجة النبيذ بعد العشاء. وخلال الفواصل بين الأغاني، كنت أسمع صوت أبي الأجش وأسمع أمي تقول شيئًا لكني لا أستطيع تمييزه.

ثم نمت. كانا لا يزالان هناك عندما استيقظت بعد برهةٍ. هل سيجلسان الليل كلّه يتحدّثان، أم ماذا؟ جالت هذه الفكرة في ذهني، ثم غفوت من جديد.

أيام شهر أيلول الدافئة المتألّقة حين يطلق الصيف آخر ما لديه من طاقة قبل أن يتهاوى وينتهي فجأة ويحل موسم الأمطار محله. كنزات

وبنطلونات طويلة وسترات بدلًا من القمصان والبنطلونات القصيرة لأن مطر الخريف المدرار قد بدأ... جزمات مطاطية ومعاطف مشمّعة واقية من المطر. تزداد الجداول غزارة، وتنتشر برك الماء في الطرق الترابية، ويتدفّق الماء من المزاريب منسكبًا في الشوارع حاملًا معه رملًا وحصى وأوراق الصنوبر والتنوب الإبرية. تتوقّف حياة الشواطئ، ويكف الناس عن الذهاب في نزهات في زوارقهم في عطلة نهاية الأسبوع، ويصير الصيد سببًا وحيدًا للذهاب إلى المراسي. كانت لدى أبي أيضًا معدات لصيد الأسماك، صنارة، وبكرة، وعصا ذات خطاف، وطعوم للأسماك. وكان يرتدي مشمعه الواقي من المطر بلونه الأخضر الداكن ويسير مقعقعًا بما يحمله قاصدًا الناحية البعيدة من الجزيرة حيث يظل ساعات طويلة واقفًا وحده في أيام العطلة ويصطاد أسماك القدّ الكبيرة التي تتواجد في تلك المنطقة خلال فصل الشتاء. كان أمرًا حسنًا جدًّا أن تبدأ دورة السباحة في هذا الوقت من السنة، لأن هناك شيئًا غير طبيعي في فكرة السباحة في مسبح مغلق عندما تكون الشمس الحارة ساطعة في الخارج. كانت مواعيد السباحة في مساء كل ثلاثاء طيلة فصل الخريف. وقد التحق بالدورة كل من هم في صفي. نهضت في الصباح قبل أن تذهب أمي إلى عملها وقلت لها إن عليها أن تتذكّر شراء قبعة السباحة في طريق عودتها. ذكّرتها الليلة الماضية بأن الدورة تبدأ اليوم. كان عليها أن تشتري القبعة منذ زمن بعيد، لكن ذلك لم يحدث لسبب أو لآخر. وعندما سمعت صوت سيارتها آتية في الطريق، جريت إلى الممر في الطابق السفلي، وانتظرت. دخلت مرتدية معطفها، وقد علّقت حقيبة من كتفها. رأتني فابتسمت لي ابتسامة مرتبكة. لم أرَ كيسًا عليه علامة متجر الأدوات الرياضية. لعلها وضعت القبعة في حقيبة يدها؟... ففي آخر المطاف، لا تحتل قبعة السباحة حيّزًا كبيرًا!

سألتها: «هل أتيت بالقبعة؟»

قالت: «أوه، لا... هل تعرف ماذا؟».

«لقد نسيتها، أليس كذلك؟ لا تقولي إنك نسيتها! تبدأ الدورة اليوم».

«لقد نسيتها. كنت غارقة في أفكاري أثناء عودتي من العمل، فلم أتذكّرها. لكن... متى تبدأ الدورة؟».

قلت: «تبدأ الدورة في الساعة السادسة».

نظرت أمي إلى ساعتها.

«الساعة الآن الثالثة والنصف. يغلق المتجر في الساعة الرابعة. أستطيع اللحاق به قبل إغلاقه إذا ذهبت الآن. أستطيع فعل ذلك. قل لبابا إنني سأعود بعد ساعة واحدة».

أومأت برأسي وقلت لها: «إذًا، عليك أن تسرعي».

كان أبي في المطبخ يقلي لحمًا مفرومًا. غيمة من الأبخرة معلّقة في الهواء فوق الموقد. رأيت غطاء قدر البطاطس يهتز تحت ضغط البخار ويقعقع مصطدمًا بحافة القدر. كان أبي قد شغّل الراديو، ووقف مديرًا ظهره إليَّ ممسكًا الملعقة الخشبية بإحدى يديه، ومستندًا إلى حافة المجلى باليد الأخرى.

قلت له: «بابا».

استدار صوبي: «ماذا؟». أضاف عندما رآني: «ماذا تريد؟».

قلت: «ستعود ماما بعد ساعة. طلبت مني أن أقول لك هذا».

«هل أتت ثم ذهبت من جديد؟».

أومأت برأسي.

«لماذا؟ لماذا ذهبت؟».

«ذهبت لكي تشتري لي قبعة السباحة. تبدأ دورة السباحة اليوم».

بدا في عينيه انزعاج واضح. لكني لا أستطيع إنهاء الحديث من جانبي. لا أستطيع الاستدارة والانصراف.

وعندما، أشار برأسه في اتجاه غرفتي، ذهبت مسرورًا لأن الأمر انتهى بهذه السهولة.

نادانا بعد عشر دقائق. انسللنا إلى فسحة السلم خارجين من غرفتَينا؛ وسحب كل منا كرسيه بحركة حذرة وجلس عليه. انتظرنا إلى أن وضع أبي

البطاطس واللحم وكتلة من البصل المحمّر والجزر المسلوق في طبق كل منا قبل أن نبدأ الأكل جالسين بظهرين منتصبين وفي سكون تام لا حركة فيه إلا حركة ذراعينا وفمينا ورأسينا. لم يقل أحد شيئًا خلال الوجبة كلّها. وعندما فرغ طبقانا ولم يبق فيهما شيء غير قشور البطاطس والعظام التي نظّفناها من اللحم على أحسن وجه، شكرناه وعدنا إلى غرفتينا. استنتجت من الأصوات التي سمعتها من المطبخ أن أبي كان يعدّ القهوة هناك. نزل إلى مكتبه بعد توقّف تلك الأصوات، لعله نزل حاملًا بيده فنجان القهوة. استلقيت على السرير وبدأت أقرأ، لكن أذنيّ ظلتا منتبهتين إلى كل صوت خارج البيت... هدير سيارة مقتربة أدركت أنه صوت سيارة أمي، الفولكس فاغن بيتل، لحظة اجتازت السيارة المنعطف الذي في الأسفل... إن لسيارة فولكس فاغن بيتل صوتها المتميز... وحتى إن كنت مخطئًا، فقد صرت واثقًا كل الثقة عندما سمعت، بعد ثوانٍ قليلة، صوت السيارة تدخل طريق نورداسرينغفه. نهضت وذهبت إلى فسحة السلم. بما أن أبي في مكتبه، فهذا هو المكان الأمثل للانتظار.

انفتح الباب، وسمعت أمي تخلع حذاءها أولًا، ثم سمعتها تخلع سترتها وتعلّقها على المشجب الذي في الزاوية. ثم سمعت صوت خطواتها على السجادة في ممر الطابق السفلي. ثم بدأت الخطوات تصعد السلم، ثم ظهرت أمي أمامي.

سألتها: «هل اشتريتِها؟».

«أجل، كل شيء على ما يرام».

«هل أستطيع رؤيتها؟».

ناولتني كيس متجر إنترسبور الأبيض الذي كان في يدها. فتحتُه وأخرجت منه قبعة السباحة.

قلت لها: «لكن، ماما، إن عليها أزهارًا. لا أستطيع أن أضع قبعة عليها أزهارًا! إنه أمر سيئ! إنها قبعة للبنات! لقد اشتريت لي قبعة سباحة للبنات!».

«أليست جميلة؟».

أطرقت برأسي ونظرت إلى القبعة فطفرت الدموع من عينيَّ. كانت قبعة بيضاء عليها زهور تزيينية. لم تكن زهورًا مطبوعة على القبعة، بل بلاستيكًا نافرًا على هيئة زهور.

قلت: «عليك أن تعودي لاستبدالها».

«كارل أوفِه، حبيبي... لقد أغلق المتجر. لا أستطيع فعل ذلك».

وضعت يدها على رأسي ونظرت إليّ: «هل هي سيئة إلى هذا الحد حقًا؟».

«لا أستطيع الذهاب إلى الدورة بهذه القبعة. لن أذهب. سأظل في البيت».

قالت أمي: «لكن، يا كارل أوفِه».

الآن، صارت الدموع تتدحرج على وجنتي.

قالت أمي: «لقد كنتَ متشوقًا إلى بدء هذه الدورة. أنا واثقة من أن بضع زهور ليست شيئًا مهمًا إلى هذا الحد. أليس كذلك؟ لا تزال قادرًا على الذهاب. وسوف أشتري لك قبعة جديدة في المرة القادمة. سآخذ هذه القبعة لنفسي. أنا في حاجة إلى قبعة سباحة. وأظن أن هذه الزهور تبدو جميلة... إنها تعجبني».

قلت لها: «أنت لا تفهمين شيئًا. لن أستطيع الذهاب. هذه قبعة سباحة للبنات». قلت الكلمات الأخيرة صائحًا.

قالت أمي: «الآن، أظنك تتصرّف بطريقة غير منطقية».

في تلك اللحظة، سمعت صوت إغلاق باب مكتب أبي في الأسفل. إنه قادر على شم هذه الأمور من مسافة كيلومترات كثيرة. وبسرعة البرق، جففت دموعي وأعدت القبعة إلى الكيس. لكن الوقت قد فات. صار أبي في أسفل السلم.

قال لنا: «ماذا هناك؟».

قالت أمي: «كارل أوفِه لم تعجبه قبعة السباحة التي اشتريتها له. ولهذا فهو يرفض الآن أن يذهب إلى دورة السباحة».

قال أبي: «ما هذا الكلام الفارغ؟».

صعد السلم ورفع ذقني بيده.

قال: «سوف تذهب إلى الدورة بهذه القبعة التي اشترتها لك أمك. هل هذا مفهوم؟».

قلت: «أجل».

«وأيضًا، لا تنفجر باكيًا من أجل أمور تافهة كهذه. إنه أمر مخجل».

قلت له: «نعم». ومسحت عينيَّ بيديَّ مرة أخرى.

«اذهب إلى غرفتك وابق فيها إلى أن يحين وقت الذهاب إلى المسبح. اذهب الآن».

فعلت ما قاله لي.

سمعته يقول لها وهما يدخلان المطبخ: «لقد استغربت أصلًا أن تعودي إلى البلدة لشراء القبعة».

أجابته: «لكنه كان متشوقًا إلى بدء دورة السباحة... منذ زمن بعيد. وكان هذا أقل ما أستطيع فعله. لقد وعدته بشرائها، ثم نسيت».

أتت أمي بعد ساعة إلى غرفتي لكي تأخذني. نزلنا إلى الأسفل. لم أقل شيئًا لأنني قررت ألا أكلّمها، فارتديت سترتي وانتعلت حذائي. كان في يدي كيس نايلون فيه سروال السباحة ومنشفة وقبعة السباحة إياها. فتحت الباب فرأيت غيّير وليف تورِه منتظرين في الخارج. كان في يد كل منهما كيس نايلون. بدأ الظلام يرخي سدوله في الخارج، وصار الهواء مشبعًا بقطرات مطر خفيف. كان شعرهما رطبًا، وستراتهما تلمعان تحت ضوء المصباح الذي فوق الباب.

سلّما على أمي فسلَّمتْ عليهما، ثم انطلقتْ إلى السيارة وانطلقا خلفها. فتحت باب السيارة ودفعت مسند المقعد إلى الأمام فصعدنا وجلسنا في المقعد الخلفي.

وضعت المفتاح في مكانه وشغّلت المحرك.

قال ليف تورِه: «هل هناك مشكلة في هذه السيارة؟».

قالت أمي: «أجل. إنها سيارة عتيقة». تراجعت بالسيارة حتى صارت مؤخرتها في اتجاه التلة. بدأت ماسحتا الزجاج تتحركان يمينًا ويسارًا. أنار مصباحا السيارة الأماميان أشجار التنوب السوداء إلى الجهة الأخرى من الطريق فبدت كأنها قد تقدّمت صوبنا خطوة.

قلت: «غيّير يستطيع السباحة». ثم تذكّرت أنني قررت ألّا أقول شيئًا.

قالت أمي: «شيء عظيم». ضغطتْ ذراع مصباح الإشارة إلى الأسفل، وألقت نظرة سريعة عبر النافذة اليمنى قبل أن تنعطف في اتجاه الطريق. ثم تكرّر الأمر نفسه عند التقاطع التالي، لكنه كان معكوسًا: رفعت ذراع الإشارة إلى الأعلى وألقت نظرة عبر النافذة اليسرى.

قالت: «وماذا عنك، يا ليف تورِه؟ هل تستطيع السباحة؟».

تردّد صدى صوت المحرك على الصخور إلى جانبَي الطريق مع مضي السيارة صاعدة في اتجاه جسر ترومويا. توهّج في ظلام الليل ضوء المصابيح الحمراء التي في أعلى الجسر. إن كنت لا تعرف أن هناك جسرًا، فقد تظن أنها سابحة في الهواء... هذا ما فكرت فيه آنذاك.

هز ليف تورِه رأسه وقال: «قليلًا فقط».

عند اجتيازنا الجسر، كانت الظلمة الممتلئة مطرًا قد بدأت تدغم البحر باليابسة. لا يزال التمييز ممكنًا لأن ظلمة اليابسة أعمق قليلًا، وأشد كثافة من ظلمة الماء الهادئ التي كان فيها نوع من الألق. الأنوار المرئية على الجانبين بدت كأنها معلّقة وسط الهواء في البعيد، وظهرت أشبه بنجوم في السماء؛ في حين كان لا يزال ممكنًا تمييز الأنوار القريبة التي تضيء ما حولها... أنوار متوزّعة في المشهد بطريقة مختلفة تمامًا. مصابيح خضراء وحمراء متألّقة على الأعمدة أو في المنائر الصغيرة المنتشرة هنا وهناك. انحدرت السيارة صوب التقاطع الذي خلف الجسر، وبدأت بيوت وحدائق تظهر إلى أحد الجانبين، ومبانٍ صناعية إلى الجانب الآخر، مبانٍ صفراء خالية تظهر في ضوء مصباح السيارة والظلمة معلقة مثل خيمة فوقها. ماسحتا الزجاج تتحركان بسرعة كبيرة؛ والمطر صار أكثر غزارة. قال ليف تورِه إن رولف

كان في دورة السباحة نفسها. وهو يقول إن المعلمة متقدّمة في السن -في الأربعينيات- وهي صارمة جدًا. لكن رولف يقول أشياء كثيرة. إذا سنحت له فرصة لخداع ليف تورِه، أو أي أحد آخر، فهو لا يتأخر أبدًا. قلت إنني لم أجلب نظارة للسباحة، لكنّي قادر على الرؤية تحت الماء مما يعني أن هذه ليست مشكلة.

جعلنا غيّير نرى نظارته. كانت نظارة سباحة ماركة سبيدو لها زجاج أزرق ومطاط أبيض.

قال ليف تورِه: «وماذا عن القبعة؟».

ضحك غيّير وقال: «إنها قبعة أبي، وهي كبيرة قليلًا».

نظر إليَّ ليف تورِه وسألني: «أنا متأكد من أن أبي لا يستخدم قبعة سباحة، هل يستخدمها أبوك؟».

«لا أظن هذا. كم الساعة الآن، يا ماما؟ هل سنصل في الوقت الصحيح؟».

رفعت أمي ذراعها اليسرى ونظرت إلى ساعتها. قالت: «السادسة إلا خمسًا وعشرين دقيقة. هذا يعني أننا سنصل في الوقت الصحيح».

واصل ليف تورِه كلامه: «لماذا يقتصر استخدام قبّعات السباحة على النساء والأطفال؟».

قلت له: «ليس استخدامها مقتصرًا عليهم، فالسباحون الذين يشاركون في المسابقات يستخدمونها أيضًا».

قال غيّير: «سوف أحصل على واحدة من تلك القبعات البيضاء التي عليها العلم النرويجي، وذلك عندما يصير عندنا نقود. هذا ما وعدني به أبي اليوم. وقال إنني أستطيع الانضمام إلى نادٍ للسباحة بعد أن أتعلّم السباحة الصحيحة في هذه الدورة. سأنضم إلى واحد من النوادي التي في المدينة».

قلت: «لكن، ألم نتّفق على الالتحاق بنادٍ لكرة القدم؟».

قال غيّير: «صحيح. لكني أستطيع القيام بالأمرين معًا، أليس كذلك؟».

شغلت أمي مصباح الإشارة من جديد قبل أن تترك الطريق الرئيسية، ثم صعدت في جادة ترابية تؤدّي إلى مدرسة غير مُنارة وتوقّفت أمامها.

قالت وهي تشير إلى مبنى منخفض خلف المدرسة: «أظن أن المسبح هناك».

قال ليف توره: «إنه هو، فأنا أرى تروند وغيّير هاكون واقفَيْن هناك».

قالت أمي: «سأعود لأخذكم بعد ساعة من الآن».

نزلنا من السيارة حاملين أكياسنا وجرينا صوب المدخل في حين تراجعت سيارة أمي الخضراء إلى الخلف، ثم عادت أدراجها في الاتجاه الذي أتينا منه.

كانت غرفة تبديل الملابس باردة. أرضها بلون ضارب إلى الخضرة، وجدرانها بيضاء، والمصباح الذي في سقفها شديد الإنارة. بضعة مقاعد خشبية لونها كريْم مصفوفة على امتداد ثلاثة جدران ومن فوقها صف من المشاجب. دخل الغرفة خمسة أولاد؛ وراحوا يثرثرون ويضحكون وهم يخلعون ملابسهم. ألقوا علينا التحية.

قال سْفير: «الماء في بركة السباحة بارد».

أضاف غيّير ب: «بل هو شديد البرودة».

سأل ليف تورِه: «هل ذهبت إليها قبل الآن؟».

ردّ سْفير: «بالطبع».

جلست على المقعد الخشبي وجذبت كنزتي فخلعتها من فوق رأسي. وقفت وخلعت بنطلوني. ملأتني رائحة الكلور الخفيفة بالسعادة. أحب رائحة الكلور؛ وأحب برك السباحة؛ وأحب السباحة. غيّير ب وسْفير وداغ ماغنِه ذهبوا عُراة إلى حيث الدوش. لحق بهم ترونْد وغيّير هاكون. لقد قالوا لنا، بطريقة شديدة الصرامة، إن علينا أن نأخذ دوشًا قبل دخول بركة السباحة. نظرت إليهم جميعًا وهم واقفون على مسافة من الدوش يمد كل واحد منهم يده لكي يفتح الماء بحركة شديدة الحذر كأنه يتعامل مع حيوان لا يمكن توقّع ردة فعله. كانوا يختبرون درجة حرارة الماء لحظة تدفقه. وقفوا تحت الماء بعد أن صار دافئًا إلى حد كافٍ. ظهورهم جميعًا

إلى الجدار. شعورهم تلتصق بجباههم. خلعت سروالي التحتي وتركت ملابسي مكوَّمة على المقعد وانتظرت إلى أن ينتهي غيّير وليف تورِه. انفتح الباب، ودخل أربعة أولاد جدد كان من بينهم يون. كان هناك شيء لا أحبه في أن أكون عاريًا بينما لا يزال الوافدون الجدد مرتدين ملابسهم. هذا ما جعلني أخرج المنشفة وعلبة الصابون من حقيبتي وأتوجه إلى الدوش، إلى الدوش الأكثر بعدًا عنهم. لا تزال هناك ثلاث حجرات دوش خالية. ولحسن الحظ، لحق بي غيّير وليف تورِه على الفور.

أوه، ما أروع الوقوف تحت الماء الحار في تلك الحجرة التي تمتلئ ببطء بخارًا أبيض. يمكنني أن أظل واقفًا هنا إلى الأبد. لكن جلدي يصير أحمر اللون كلما وقفت تحت الماء الحار، مؤخّرتي خاصّة... فبعد عشر دقائق من تدفق الماء الحار عليها، تصير كأنها مؤخرة واحد من السعادين ذات المؤخرات الحمراء. من المستحيل ألا يلاحظوا هذا، وألا يعلّقوا عليه! لذا، اكتفيت بدقيقتين فقط، وألقيت نظرة سريعة على لون مؤخرتي، وأغلقت الماء. جفّفت جسدي بالمنشفة، وخرجت إلى غرفة تبديل الملابس حتى أرتدي سروال السباحة. لم يكن الدوش الحارّ يجعل جلدي أحمر اللون فحسب، بل كان يجعل مؤخّرتي ناتئة إلى الخلف أيضًا. كان أبي يقول إن لي «مؤخرة ناتئة». كان هذا صحيحًا؛ وكان أمرًا مهمًا ألا يلاحظه أحد هنا، وألا يعلّق أحد عليه. فهذا النوع من الأمور ينتشر سريعًا مثل سريان النار في الهشيم.

جلست قليلًا على المقعد، وانحنيت إلى الأمام واضعًا يدي على ركبتي ناظرًا إلى الآخرين وهم يخرجون من تحت الدوش واحدًا تلو الآخر. كلهم ذوو رؤوس كبيرة وشعر أشقر جعله الماء داكنًا قليلًا وجلد شاحب اللون بدأت تختفي عنه، بعد بضعة أسابيع فقط، علامات القمصان قصيرة الأكمام وسراويل السباحة. كانت أجسادهم نحيلة أيضًا: ما من أحد بدين في صفنا، ولا حتى فيموند الذي كان ممتلئًا قليلًا فقط، وكانت وجنتاه مدوّرتين. لكنه كان بدينًا في نظر الجميع... كان «بدين صفنا». لا بد أن يحمل أحد هذه الصفة. بدأ جلد ذراعيَّ يتحبحب في الهواء البارد. دعكتهما بيديّ بضع

مرات بحركة سريعة. حاولت استرجاع السعادة التي ملأتني بها رائحة الكلور فبدا لي الآن أنني غير قادر على الإحساس بها من جديد... كأنها استهلكت كلّها، أو كأن كل ما كان يجري هنا قد طغى عليها وأخفاها.

رأيت عبر الباب المفتوح قليلًا أن مصابيح بركة السباحة قد أضاءت.

صاح أحدهم: «سنبدأ الآن».

أسرع بالخروج من تحت الدوش بضعة أولاد كانوا لا يزالون هناك. ارتدى البقية سراويل السباحة، ووضعوا النظارات والقبعات.

انبعث صوت صفارة من الداخل. أخرجت القبعة من الكيس فجمعتها في قبضة يدي، ومضيت إلى بركة السباحة، خلف غيّير وقبل يون. في اللحظة عينها، أتت البنات من غرفة تبديل الملابس الواقعة إلى الجهة الأخرى. كانت المعلّمة واقفة عند حافة البركة تشير إلينا بأن نقترب منها. وكانت الصفارة معلّقة من رقبتها بخيط. كانت في يدها ورقة موضوعة ضمن غلاف شفّاف من البوليسترين.

صفّرت المعلمة من جديد. أتى آخر الأولاد راكضين، متضاحكين.

صاحت بهم المعلمة: «لا تركضوا. نحن لا نركض هنا أبدًا. الأرض زلقة وصلبة».

عدّلت وضع نظارتها.

قالت لنا: «مرحبًا، وأهلًا بكم في هذه الدورة. سوف نلتقي هنا ست مرات هذا الخريف. هدفنا تعليم كل واحد منكم كيف يسبح. وبما أن هذا هو درسنا الأول، فسوف نسير ببطء. في البداية، يمكننا أن نلعب في الماء قليلًا، ثم نتمرّن على حركات الذراعين والساقين على تلك المقاعد التي ترونها هناك».

قال سْفير: «خارج الماء؟ هل سنتعلّم السباحة خارج الماء؟».

«أجل، هذا بالضبط ما سوف نفعله اليوم. والآن، لدينا بضع قواعد بسيطة علينا الالتزام بها. الذهاب إلى الدوش قبل النزول إلى بركة السباحة. هل بينكم أحد لم يذهب إلى الدوش؟».

لم يقل أحد شيئًا.

«... جيّد. وعليكم جميعًا أن تضعوا قبعات السباحة. لا يجوز الجري هنا، ولا حتى عند الانتهاء. لا يجوز التدافع، فهو ممنوع في كل الأحوال! لا يجوز القفز إلى البركة. استخدموا دائمًا السلمين اللذين تروهما هناك».

سألها يون: «هل يعني هذا أننا نستطيع الغطس؟».

سألته المعلمة: «هل أنت قادر على الغطس؟».

قال يون: «أجل. قليلًا».

«لا. ليس مسموحًا لكم أن تغطسوا، ولا حتى قليلًا. إذًا، لا قفز، ولا غطس، ولا جري. وعليكم أن تنظروا إليَّ كلما سمعتم صوت الصفارة. هل تفهمون هذا؟».

«أجل».

«جيد. فلنبدأ بإجراء التفقّد. يجيبني من أقرأ اسمه».

كان اسم آنِه ليزبِت أول اسم في القائمة، كالعادة. كانت واقفة في آخر المجموعة مرتدية ثوب سباحة أحمر اللون، مبتسمة، بل تكاد تكون ضاحكة عندما أجابت المعلمة. شعرت بشيء كالوخز يجري في جسدي كله. وفي الوقت نفسه، كنت خائفًا من لحظة قراءة اسمي لأنني كنت أكره تلك الطريقة التي يجري بها اقتطاع كل اسم، كأنه لقمة خبز، ووضعه جانبًا. عادة ما كنت أحب هذا عندما أكون جالسًا في الصف فيلتفت الجميع إليَّ لحظة... وكم يكون صوتي قويًا وواضحًا... لكن الوضع هنا كان مختلفًا.

قالت المعلمة: «يون».

قال يون ملوّحًا بيده المرفوعة: «نعم، أنا هنا».

رمقته المعلمة بنظرة حادّة قبل أن تنتقل إلى الاسم التالي.

قالت: «كارل أوفِه».

قلت: «نعم».

نظرت إلي وقالت: «أين قبعة السباحة؟ ألم تجلب معك قبعة؟».

قلت وأنا أرفع يدي بالقبعة حتى تراها: «ها هي».

قالت: «إذًا، ضعها على رأسك، يا ولد».
قلت: «أفضّل الانتظار ريثما أنزل إلى الماء».
«ليس لدينا *أفضّل* هنا. ضع القبعة على رأسك».
فتحت القبعة التي في يدي، وفردت جوانبها، ووضعتها على رأسي. لكنهم انتبهوا إليها.
قال أحدهم: «انظروا إلى كارل أوفِه».
« معه قبعة نسائية».
«قبعة عليها أزهار. هذه قبعة للعجائز».
قالت معلمة السباحة: «صمتًا، صمتًا! القبعات كلّها مقبولة هنا. ماريانِه».
قالت ماريانِه: «نعم».
لكن الأمر لم يكن لينتهي بهذه السهولة، فقد سرَت الابتسامات واللكزات والتكشيرات الساخرة في كل مكان من حولي. أحسست كأن القبعة مشتعلة على رأسي.
وعند انتهاء التفقّد، ذهب الجميع بأقصى سرعة إلى السلّمين المثبتين عند زاويتي بركة السباحة. كان الماء باردًا؛ وكان من الأفضل أن يضع المرء جسده في الماء بأسرع ما يستطيع. قرفصت في الماء ودفعت بنفسي وسبحت عند القعر إلى أقصى مسافة استطعتها. كنت قادرًا على السباحة في الماء. مشكلتي عند سطحه فقط. لكن، ما أجمل ذلك الإحساس عندما ترى القعر على مسافة سنتمترات تحت جسدك والماء كلّه فوقك! بحثت عن غيّير لحظة خروجي إلى سطح الماء ووقوفي على قدميَّ.
قال سْفير: «هل استعرت قبعة أمك، أم ماذا؟».
«لا، لم أستعر قبعة أمي».
كان كل من غيّير وليف تورِه قد أمسك لوحًا من ألواح العوم واندفع إلى الأمام ممسكًا باللوح في يديه ومحركًا ساقيه بأقوى ما يستطيع. مضيت إليهما.
قلت لهما: «هل نبتعد قليلًا ونغطس؟».

وافقا على اقتراحي، فخضنا الماء بخطوات بطيئة ثقيلة مثلما تكون خطوات المرء عندما يسير في الماء. سرنا حتى غمرَنا الماء حتى آباطنا.

قال ليف تورِه: «هل صحيح أنك تستطيع فتح عينيك تحت الماء؟».

قلت: «صحيح. ليس عليك إلا أن تبقي عينيك مفتوحتين».

قال: «لكن هذا مؤلم».

قلت: «إنه لا يؤلمني»؛ وكنت سعيدًا بهذه الفرصة التي منحتني تميّزًا. أمضينا بعض الوقت في محاولة الغطس مثلما يفعل الغطاسون: يسبحون على سطح الماء، ثم يخفضون رؤوسهم ويغطسون وقد ارتفعت سيقانهم في الهواء. لم يستطع أحد منا فعل ذلك. لكن محاولة غيّير قاربت النجاح. كان ماهرًا في كل أمر يفعله في الماء.

ثم سمعنا صوت الصفارة فاجتمعنا عند المقاعد الزرقاء الضيقة حتى نتمرن على حركات الأيدي والأرجل. كدت أنسى أمر القبعة تمامًا، لكن ماريانِه أتت إلي وقالت: «لماذا أتيت بقبعة نسائية؟ هل رأيت هذه الأزهار التي عليها جميلة جدًا، أم ماذا؟».

قالت المعلمة: «يكفي كلامًا عن القبعة. هل اتفقنا؟». اتضح أنها كانت واقفة خلفنا تمامًا.

قالت ماريانِه: «حسنًا».

انبطحنا على المقاعد ورحنا نحرك أذرعنا وسيقاننا كأننا ضفادع ضخمة شاحبة اللون. كانت المعلمة تسير بيننا وتصحّح حركاتنا. ثم كان علينا أن ننزل إلى الماء من جديد، وأن يمسك كل منا لوح عوم لكي يتمرّن على حركة الساقين. لم نمض وقتًا طويلًا في فعل ذلك قبل أن ينتهي الدرس فجأة. وبعد اجتماع قصير عند نهاية بركة السباحة أثنت فيه المعلمة علينا جميعًا، وأخبرتنا عما سنفعله في الدرس القادم وذكّرتنا بالذهاب إلى الدوش قبل الانصراف، خرجنا متّجهين إلى غرفة تبديل الملابس. جلست على المقعد وكنت على وشك وضع القبعة في الكيس عندما انقض عليَّ سْفير وأخذها من يدي.

قال لي: «دعني أنظر إليها».

قلت: «لا. أعطني القبعة».

انقضضت عليه، لكنه قفز متراجعًا إلى الخلف. وضع القبعة على رأسه وبدأ يسير وهو يهز ردفيه.

راح يقول بصوت كأنه صوت بنت: «أوه، ما أجمل هذه الأزهار التي على رأسي!».

نهضت وقلت: «أعطني القبعة».

سار خطوتين متراقصتين إضافيتين وهو يقول: «إن لدى كارل أوفِه قبعة نسائية. إن لدى كارل أوفِه قبعة نسائية». جريت صوبه فخلع القبعة عن رأسه ودلاها بيده أمامي وتراجع بضع خطوات مبتعدًا عندي.

قلت: «أعدها إليّ. إنها قبعتي».

اندفعت صوبه مرة أخرى، فرماها إلى يون.

بدأ يون يغنّي: «إن لدى كارل أوفِه قبعة نسائية». استدرت إليه وحاولت الإمساك بالقبعة. أمسك بذراعي وضغط عليها وهو يحمل القبعة قبالة وجهي.

بدأت أبكي.

صحت: «أريد قبعتي. أعطني القبعة».

كادت الدموع تعمي عينيّ.

رماها يون وأعادها إلى سْفير.

رفعها سْفير في الهواء ونظر إليها. قال: «انظروا! ما أجمل هذه الأزهار! أوه، كم هي جميلة».

قال أحدهم: «أعد إليه القبعة. إنه يبكي».

«أوه، الولد الصغير المسكين. هل تريد استعادة هذه القبعة الجميلة؟». قال هذا وقذف بالقبعة إلى حيث كنت جالسًا. عدت إلى مكاني، ووضعت القبعة في الكيس، وحملت منشفتي وذهبت إلى الدوش. وقفت تحت الماء الحار لحظة قصيرة، جفّفت جسدي بعدها وارتديت ملابسي، وكنت أول

من يخرج من غرفة تبديل الملابس. وجدت حذائي بين الأحذية الكثيرة في صالة المدخل. فتحت الباب الزجاجي وخرجت إلى ساحة اللعب حيث كانت بقع الماء الضحلة الكبيرة ظاهرة لأنها تتموج قليلًا تحت وقع المطر المنهمر عليها خلافًا للإسفلت المحيط بها. لم أجد أحدًا هناك. سرت صوب مبنى المدرسة الذي شبه مماثل لبناء مدرستنا فرأيت سيارة أمي الخضراء متوقّفة تمامًا حيث أنزلتنا قبل ساعة مضت.

فتحت باب السيارة وجلست في المقعد الخلفي.

استدارت أمي صوبي وقالت: «مرحبًا». كان وجهها منارًا بضوء المصباح المعلّق عند حافة سطح المدرسة كأنه طائر جارح جاثم هناك.

أجبتها: «مرحبًا».

«هل سار كل شيء على ما يرام؟».

«لا بأس».

«إذًا، أين غيّير وليف تورِه؟».

«إنهما قادمان».

«هل صرت الآن قادرًا على السباحة؟».

«قليلًا. فقد سبحنا خارج الماء معظم الوقت».

«خارج الماء؟».

«أجل. على المقاعد حتى نتعلم الحركات الصحيحة».

قالت أمي وهي تستدير مبتعدة عني: «آه، فهمت». كان الدخان المتصاعد من السيجارة التي في يدها معلّقًا تحت زجاج السيارة الأمامي المائل؛ كان كثيفًا رمادي اللون. أخذت نفسًا آخر من السيجارة ثم سحبت منفضة السجائر المعدنية الصغيرة وأطفأتها فيها. خرجت مجموعة أطفال من باب مبنى بركة السباحة. مسحَ الساحة الإسفلتية ضوء سيارة ثم ضوء سيارة أخرى. تقدّمت السيارتان إلى حافة الإسفلت تقريبًا.

فتحت باب السيارة وقلت: «لعل من الأفضل أن أذهب وأقول لهما إننا هنا».

صحت: «غيّير! ليف تورِه! السيارة هنا».

نظر الاثنان إليّ، لكنهما لم يتحرّكا. ظلا واقفين مع الأطفال المتجمّعين عند المدخل.

صحت بهما: «غيّير! ليف تورِه! تعالا إلى السيارة».

وعندها تحرّكا. قالا شيئًا للأطفال الآخرين، ثم سارا جنبًا إلى جنب وعبرا الساحة مهرولين. كان الكيسان الأبيضان المتدليان من يديهما الشيئين الوحيدين اللذين يعكسان الضوء... بديا كأنهما رأسان متحرّكان.

قالا وهما يصعدان إلى المقعد الخلفي: «مرحبًا، يا سيدة كناوسغارد».

قالت أمي: «مرحبًا، هل كانت السباحة جيدة؟».

قالا: «ليست سيئة»، ثم نظرا إليّ.

قلت: «صحيح، كانت ممتعة. لكن المعلمة صارمة جدًا».

قالت أمي وهي تشغّل المحرك: «هل كان المعلم صارمًا حقًا؟».

أجبتها: «إنها امرأة».

قالت أمي: «أوه، فهمت».

بعد أربعة أيام، عندما كنت سائرًا في الغابة مع غيّير وليف تورِه وتورند بعد محاولة قصيرة غير ناجحة للعثور على الكنز في نهاية قوس قزح، جعلتني فكرة السباحة بين الأشجار (الفكرة التي تخطر في ذهني كثيرًا كلما صرت في الغابة) أتوقّف لأسأل نفسي إن كنت سأفلح يومًا في السباحة حقًا. لم يكن جدّي يحسن السباحة على الرغم من أنه عمل صياد أسماك في ما مضى. لم أعرف إن كانت جدتي تستطيع السباحة؛ لكنني وجدت صعوبة في تخيّلها تسبح.

كانت الغيوم تجري في السماء من خلف قمم أشجار الصنوبر المتمايلة في الريح.

تساءلت، كم الساعة الآن؟ فقلت: «هل معك ساعتك، يا غيّير؟».

هز غيّير رأسه.

قال تروند: «أنا معي ساعة».

مد ذراعه إلى الأمام ورفعها قليلًا لكي ينزلق كمّه فتصير ساعته ظاهرة.

قال لي: «إنها الواحدة وخمس وعشرون دقيقة... لا، الثانية وخمس وعشرون دقيقة».

قلت: «الثانية وخمس وعشرون دقيقة!؟».

أومأ برأسه فشعرت بمعدتي تتقلّص. إننا نتناول حلوى الأرز في الساعة الواحدة كل يوم سبت.

أوه، لا! أوه، لا!

بدأت أجري... وكأن الجري يمكن أن يفيدني شيئًا.

قال ليف تورِه من خلفي: «هل لديك صاروخ في مؤخرتك، أم ماذا؟».

أدرت رأسي في اتجاهه وقلت: «من المفترض أن أكون في البيت عند الساعة الواحدة من أجل الطعام. من الأفضل لي أن أذهب».

تسلّقت السفح الذي كسته أوراق أشجار التّنوب الصغيرة، وعبرت الجدول الصغير بطحالبه الخضراء، وتجاوزت شجرة الصنوبر العالية، وصعدت حتى الطريق. كانت كل من سيارتي أبي وأمي أمام البيت. لكني لم أر دراجة إنغفِه. هل كان في البيت، فأكل، ثم ذهب على دراجته؟ أم لعله تأخّر مثلي!؟

أبقت هذه الفكرة جذوة الأمل متّقدة في نفسي على الرغم من كونها بعيدة الاحتمال.

عبرت الطريق، وسرت في الممر الذي أمام البيت. من الممكن أن يكون أبي خلف البيت؛ ومن الممكن أن يظهر آتيًا في أية لحظة. قد يكون في انتظاري في الردهة؛ وقد يكون في مكتبه فيفتح الباب عندما يسمع صوت دخولي. قد يكون واقفًا عند شباك المطبخ منتظرًا ظهوري.

أغلقت الباب من خلفي ووقفت ساكنًا بضع ثوانٍ. صوت خطوات على أرض المطبخ من فوقي. هذه خطوات أبي. خلعت حذائي ووضعته عند الجدار، ثم حللت أزرار سترتي الواقية من المطر وخلعت بنطلوني الواقي من المطر وأخذتهما إلى غرفة السخّان حيث علّقتهما على الحبل

الذي هناك. توقّفت وألقيت نظرة على نفسي في المرآة التي فوق صندوق الدروج. كانت وجنتاي محمرَّتين، وشعري مشعثًا. رأيت بقعة مخاطٍ لامعة تحت أنفي. كانت أسناني ظاهرة كعادتها. يدعوني أبي «صاحب الأسنان الناتئة». صعدت إلى الأعلى، ودخلت المطبخ. كانت أمي تغسل الأطباق؛ وأبي جالس إلى الطاولة يأكل مخالب السرطانات البحرية. نظر الاثنان إليّ. كان قدر الأرز على الموقد وطرف المغرفة البلاستيكية ظاهرًا منها.

قلت: «لم أنتبه إلى الوقت. إنني آسف. كنا نلعب في الخارج».

قال أبي: «اجلس، لا بد أنك جائع، على ما أظن».

تناولت أمي طبقًا من الخزانة وسكبت فيه الأرز، ثم أتت بطبق عميق فيه سكّر وبمغلف المارغرين. أتت أيضًا بمملحة فيها قرفة مطحونة لم تكن على الرف إلى جانب غيرها من أوعية التوابل المصطفة هناك. وضعتها أمي إلى جانب الطبق.

قالت: «أين كنتَ إذًا؟ أوه، أنت في حاجة إلى ملعقة أيضًا».

أجبتها: «هنا وهناك».

قال أبي من غير أن ينظر في اتجاهي: «كنت مع...؟».

أزاح الأجزاء البيضاء الصغيرة الناتئة من نهاية المخلب البرتقالي ورفع المخلب إلى فمه. مصّه بقوة فسمعت صوت تحرك اللحم من مكانه وانزلاقه إلى فمه.

قلت له: «كنت مع غيّير وليف تورِه وترونْد». كسر المخلب الفارغ عند مفصله وبدأ يمص الجزء التالي. وضعتُ قطعة زبدة فوق الأرز على الرغم من أنه لم يكن حارًّا بالقدر الكافي لإذابته. نثرت القرفة في الطبق، ثم أضفت السكر.

قال لي: «لقد نظّفتُ مزاريب السطح. كان ينبغي أن تكون هناك».

قلت له: «آه، نعم».

«لكني سأخرج الآن لتقطيع الحطب. يمكنك أن تأتي معي فور فراغك من الأكل».

أومأت برأسي وحاولت أن أبدو سعيدًا بهذا، لكنه استطاع قراءة أفكاري.

قال لي: «سوف ننتهي قبل أن تبدأ المباراة. من يلعب اليوم؟».

أجبته: «ستوك ونورويتش».

قال مصحّحًا نطقي: «نوريتش».

قلت: «ناويتش».

كنت أحب فريق نورويتش، وأحب ملابسه ذات اللونين الأصفر والأخضر. وكنت أيضًا أحب فريق ستوك لأن قمصانه حمراء مخطّطة بالأبيض. لكني كنت أحب وولفرامبتون ووندرز بملابسه الذهبية والسوداء وشارته التي عليها رأس ذئب. فريق الذئاب... ذلك هو فريقي.

كنت أفضّل أن أذهب لكي أستلقي وأقرأ إلى أن تبدأ المباراة، لكني لم أستطع قول هذا لأبي؛ وبالنظر إلى ما كان يمكن أن يحدث فقد اعتبرت نفسي محظوظًا.

كان الأرزّ باردًا فتمكّنت من إنهائه في غضون عدة دقائق.

قال أبي: «هل شبعت؟».

أومأت برأسي.

قال: «إذًا، فلنذهب».

جرف بقايا السرطانات الفارغة وألقاها في سلة القمامة، ثم وضع الطبقين عند المجلى وخرج من المطبخ، فخرجت في أعقابه. سمعت صوت موسيقى آتيًا من غرفة إنغفِه. نظرت إلى الباب حائرًا. كيف يكون هذا ممكنًا؟ دراجته ليست في الخارج.

قال أبي: «هيا بنا». صار عند فسحة السلم. سرت خلفه. ارتديت سترتي وانتعلت حذائي وخرجت إلى الممر المفروش بالحصى. وقفت أنتظره هناك. خرج بعد بضع دقائق حاملًا في يده فأسًا. كانت في عينيه نظرة لعوب. مشيت خلفه على الممر المبلط، ثم عبر المرج الغارق في الماء. لم يكن السير على العشب مسموحًا لنا، لكن هذه القيود تصير لاغية عندما أكون معه.

منذ فترة طويلة، قطع أبي شجرة بتولا كانت عند السور في حديقة المطبخ. لم يبقَ منها إلا كومة جذوع خشبية يريد الآن تقطيعها. لم يكن مطلوبًا مني فعل شيء غير الوقوف هناك والنظر إليه حتى «يكون معه أحد»، كما كان يقول.

رفع المشمع الواقي من المطر عن الجذوع، ثم أخذ واحدًا منها ووضعه على كتلة خشبي كبيرة.

رفع الفأس أعلى من كتفه وركز لحظة فوق رأسه ثم هوى بها. تغلغل حد الفأس في الخشب الأبيض. قال أبي: «حسنًا... هل يجري كل شيء في المدرسة على ما يرام؟».

قلت له: «أجل».

رفع قطعة الجذع وقد انغرس نصل الفأس فيها، ثم هوى بها على كتلة الخشبي بضع مرات إلى أن انشقّت نصفين. تناول كل نصف وشقّه إلى اثنين، ثم وضع القطع الخشبية على الأرض إلى جانب الواجهة الصخرية. مسح حاجبه بكفه، ثم نصب قامته. كان واضحًا من حركة جسده أنه سعيد.

قال لي: «والمعلمة؟ كان اسمها تورغرسن، أليس كذلك؟».

قلت: «صحيح. إنها لطيفة».

«لطيفة؟»... قال هذا وهو يلتقط جذعًا جديدًا ويكرر ما فعله بالأول.

أجبته: «أجل».

قال: «هل لديكم أحد ليس لطيفًا؟».

تردّدت. توقف عن تقطيع الجذوع لحظة.

قال: «نعم... عندما تقول إنها لطيفة، فلا بد أن يكون هناك من هو غير لطيف. من غير ذلك، تفقد الكلمة معناها كله. هل فهمت؟».

قال هذا ثم تابع عمله.

قلت: «أظنني فهمت».

مرّت فترة صمت. التفتّ فرأيت مستوى الماء يرتفع فوق العشب، خلف الممر.

التفتُّ إليه من جديد وقلت: «مايكل بِشت، ليس لطيفًا تمامًا».
قال أبي: «مايكل بِشت! إنني أعرفه».
«هل تعرفه حقًا؟».
«أوه، نعم، أعرفه. يأتي إلى لقاءات جمعية المعلمين. عندما أراه في المرة القادمة، سأقول له ما قلته الآن من أنه ليس لطيفًا مع صفكم».
«لا، أرجوك، لا تقل له ذلك».
ابتسم أبي وقال: «بالطبع، لن أقول له. لا تقلق».
ثم حلّت فترة صمت أخرى. أبي يعمل، وأنا واقف وذراعاي متدليتان إلى جانبيَّ من غير حركة. كنت واقفًا أنظر إليه. بدأت قدماي تبردان. لم أكن أرتدي جوربًا ثقيلًا. بدأت أصابع يدي تبرد أيضًا.
لا أحد في الخارج. لم تكن من حولنا أية حياة عدا مرور سيارة من وقت لآخر. بدأت أنوار المنازل تزداد تألقًا. كان واضحًا أنها تزداد شدّة في ذلك الغسق الوليد الذي بدا، بالتضاد مع السماء المفتوحة، كأنه يتصاعد من الأرض. وكأن من تحتنا مخزنًا للظلمة التي تتسرّب كل مساء صاعدة عبر آلاف الثقوب، بل ملايين الثقوب، في الأرض.
واصلت النظر إلى أبي. كان العرق يسيل على جبهته. دعكت كفيّ معًا عدة مرات. انحنى أبي إلى الأمام. ضرط بينما كان يمسك بالجذع ويهم بالانتصاب واقفًا. أمسكت به متلبّسًا!
قلت له: «قلت لي إن على المرء ألّا يضرط إلا في المرحاض».
لم يجبني أول الأمر.
ثم قال من غير أن ينظر إلي: «الأمر مختلف عندما تكون في الخارج، في الهواء الطلق. عندها، يمكنك أن تفعل ذلك من غير حرج».
هوى بالفأس على الجذع فشقّه نصفين من الضربة الأولى. تردّد صدى الضربة على جدار البيت وعلى الجرف الذي في الأعلى. لكن الصوت المنعكس عن الجرف أتى بعد تأخر غريب، وكأن هناك رجلًا هوى بفأسه بعد ثانية واحدة من ضربة أبي.

هوى أبي بالفأس مرة ثانية على كل نصف، ثم رمى بالقطع الأربع فوق الكومة. تناول قطعة جذع أخرى.

قال لي: «هل تستطيع أن تبدأ بتكويم هذه القطع، يا كارل أوفِه؟».

أومأت برأسي واقتربت من الكومة الصغيرة.

كيف أفعل هذا؟ بماذا يفكّر أبي؟ أأضعها على امتداد الصخرة أم بشكل عمودي عليها؟ أأجعلها كومة ضيّقة أم واسعة؟

نظرت إليه مجدّدًا. لم يلاحظ نظرتي. قرفصت والتقطت قطعة خشب ووضعتها إلى جانب الصخرة بحيث استندت نهايتها إليها. وضعت قطعة أخرى إلى جانبها. وعندما صففت خمس قطع، وضعت قطعة فوقها. كان طولها بقدر عرض القطع الخمس معًا. وهكذا وضعت أربع قطع أخرى فوق المجموعة الأولى فصار لدي مربعان كبيران متساويان. والآن، يمكنني بناء مربعين آخرين إلى جانبهما، مثلهما، أو بدء طبقة جديدة فوق هاتين الطبقتين.

قال أبي: «ماذا تفعل؟ هل أنت غبي تمامًا؟ لا يصح وضعها هكذا».

انحنى وبعثر بيده الكبيرة القطع التي رتّبتها. نظرت إليه وصعدت الدموع إلى عينيّ.

قال: «عليك أن تضعها طوليًا. ألم تر كدس حطب قبل الآن؟».

قال هذا ونظر إلي: «لا تقف هكذا وتبكي كالبنات، يا كارل أوفِه. ألا تستطيع فعل أي شيء صحيح؟».

ثم تابع التقطيع. بدأت أرتّب القطع الخشبية مثلما قال لي. لكن النشيج كان يجعلني أهتز من حين لآخر. كانت يداي وقدماي تتجمّدان. على الأقل، ليس ترتيب القطع الخشبية طوليًا بالأمر الصعب. السؤال الوحيد هو متى أتوقّف. صففت القطع كلها وانتصبت واقفًا مسبلًا يديّ إلى جانبي، ونظرت إليه مثلما فعلت من قبل. كانت تلك اللمحة المرحة في وجهه قد اختفت. رأيت ذلك لحظة نظر إليّ بطرف عينه. لكن هذا لا يعني بالضرورة أن شيئًا سيحدث لأنني لم أقل ولم أفعل ما يمكن أن يزعجه. وفي الوقت

نفسه، كانت فكرة المباراة في التلفزيون تلحّ على ذهني. لا بد أنها قد بدأت منذ زمن. لقد نسي أمرها، لكني لا أستطيع تذكيره... لا أستطيع تذكيره بعد أن صار الوضع هكذا. كانت أصابع يديّ وقدميّ تؤلمني أكثر فأكثر. تابع أبي عمله. كان يتوقّف لحظة ويزيح شعره إلى الخلف بتلك الحركة المعتادة لديه: يرفع رأسه ويده معًا، ببطء.

لقد أعطونا منذ فترة وجيزة صندوق بريد في بوزنز. وكان معنى هذا أننا لم نعد نتلقى الرسائل في صندوق بريدنا الذي على التلة... تأتينا صحف فقط. وصار على أبي أن يذهب إلى البلدة لكي يأتي بالرسائل. جلست في السيارة معه يوم السبت الماضي. كان قد سرّح شعره أمام المرآة، ولعله أمضى دقيقة كاملة في تسريحه، ودقيقة أخرى في التربيت على خصلاته الكثيفة، ثم انطلقنا. لم أر ذلك من قبل. وعندما دخلنا، التفتت امرأة ونظرت إليه. كانت غير منتبهة إلى أن هناك شخصًا يعرفه جالسًا في السيارة ينظر إلى ما يجري هناك. لكن، لماذا التفتت إليه؟ هل كانت تعرفه؟ لم أرها أبدًا من قبل. لعلها والدة واحد من التلاميذ في صفه!

وضعت القطع الجديدة التي رماها فوق الصف الأول، ثم حركت أصابع قدميَّ إلى الأمام والخلف داخل حذائي، إلا أن ذلك لم يفدني شيئًا... مؤلم، مؤلم، مؤلم!

كنت أوشك على القول له إنني أتجمّد بردًا. استنشقت نفسًا عميقًا، ثم أحجمت عن الكلام. استدرت من جديد ونظرت إلى البركة اللامعة التي ما كان ينبغي أن تكون هناك. نظرت إلى فقاعة ضخمة شفافة تخرج إلى سطح الماء، تمامًا فوق غطاء فتحة مصرف المياه الصدئة. وعندما عدت إلى وضعي السابق، رأيت ستينار سائرًا في الطريق. كان يحمل علبة الغيتار على ظهره، خافضًا رأسه، وشعره الطويل الأسود متهدِّل إلى كتفيه يتأرجح قليلًا إلى الأمام وإلى الخلف.

قال عند مروره بنا: «مرحبًا، يا كناوسغارد».

نصب أبي قامته وأومأ له برأسه قائلًا: «مرحبًا».

قال ستينار من غير أن يخفّف من سرعة سيره: «أراك منهمكًا في تقطيع الحطب».

قال أبي: «هذا صحيح».

عاد أبي إلى عمله، ورحت أسير إلى الأمام والخلف، إلى الأمام والخلف.

قال أبي: «كف عن هذا».

قلت له: «حسنًا، لكنني أتجمّد بردًا».

رماني بنظرة صقيعية.

«أنت تتجمد بردًا، أليس كذلك؟».

مكتبة
t.me/t_pdf

ملأت الدموع عينيَّ من جديد.

قلت له: «كف عن ترديد كلماتي».

«أوه، هذا يعني أنه لا يجوز لي ترديد كلماتك!».

أجبته صائحًا: «لا يجوز».

تجمّد أبي.

أسقط الفأس من يده وجاء إليّ. أمسك بأذني ولواها.

قال لي: «هل صرت ترد في وجهي؟».

قلت: «لا». كنت مطرقًا إلى الأرض.

لوى أذني بشدّة أكبر: «انظر إليّ عندما أكلمك».

رفعت رأسي إليه.

«لا ترد في وجهي! هل تفهم هذا؟».

«أفهم».

ترك أذني، ثم استدار ووضع قطعة جذع جديدة. كان بكائي شديدًا إلى حد جعلني غير قادر على التنفس جيدًا. تجاهلني أبي وواصل التقطيع. لم يبق لديه الآن إلا جذعين. ثم انتهى منهما.

عدت إلى كدس الخشب وأضفت إليه القطع الجديدة. حرّكت أصابع قدميّ في حذائي. توقّفت دموعي، ولم يبق إلا ذلك الأثر الخفي للصدمة:

بقي على صورة نشيج يتصاعد إلى حلقي من حين لآخر فلا أستطيع ضبطه. جفّفت عينيّ بكميَّ. ألقى أبي أربع قطع خشبية فوضعتها على الكدس. وعندها، ومضت في ذهني فكرة أخرجتني من بؤسي. لن أتابع المباراة! سأذهب مباشرة إلى غرفتي وأتركه يتابع المباراة مع إنغفِه من غيري.

نعم!

نعم!

قال أبي وهو يرمي بقطع الخشب الأربع الأخيرة: «خذ؛ ها قد انتهينا».

سرت خلفه من غير أية كلمة، وخلعت حذائي، ثم خلعت الواقي المطري وعلقته، وصعدت إلى الأعلى فأدركت من الأصوات الآتية من غرفة المعيشة أن إنغفِه جالسًا هناك يتابع المباراة. مضيت إلى غرفتي.

جلست إلى طاولتي متظاهرًا بالقراءة.

فقط حتى تصله الرسالة!

لقد وصلته. فتح باب غرفتي بعد بضع دقائق.

قال لي: «لقد بدأت المباراة. هيا!».

قلت من غير أن أنظر في عينيه: «لا أريد مشاهدتها».

قال لي: «هل صرت الآن يابس الرأس؟».

دخل الغرفة، وأمسك بذراعي وجذبني حتى وقفت على قدميَّ.

قال لي: «هيا، تعال»، ثم ترك ذراعي.

وقفت في مكاني ساكنًا.

قلت: «لا أريد مشاهدة المباراة». أمسك بذراعي مرة أخرى من غير أن يقول أية كلمة، ثم جرني إلى خارج الغرفة -كنت أبكي- عبر بي الممر إلى غرفة المعيشة حيث دفعني إلى الأريكة إلى جوار إنغفِه.

قال: «والآن، اجلس هنا وتابع المباراة معنا. هل فهمت هذا؟».

كنت قد فكرت في إغماض عيني إذا أرغمني على الذهاب إلى غرفة المعيشة؛ لكني لم أجرؤ على فعل ذلك.

لقد اشترى أبي كيسًا من سكاكر النعناع الباردة، وكيسًا من توفي

الشوكولاته الإنكليزية. كانت التوفي سكاكري المفضّلة؛ إلا أن سكاكر النعناع الباردة كانت جيدة أيضًا. وكالمعتاد، كان الكيسان على الطاولة، إلى جانب أبي. ومن حين لآخر، كان يرمي واحدة لي وواحدة لإنغفِه. فعل الشيء نفسه اليوم. لكني امتنعت عن أكل السكاكر. تركتها أمامي ولم أمسّها. انتبه أبي إلى ذلك في آخر المطاف.

قال لي: «كل سكاكرك».

قلت: «لست راغبًا في أكلها».

نهض واقفًا وقال: «والآن، كل سكاكرك».

بدأت أبكي من جديد، وقلت: «لا. لا أريد أن آكلها. لا أريد أن آكلها».

قال: «بل ستأكلها!». أمسك بذراعي وضغط عليها.

قلت متألمًا: «لا أريد أن آكل... أية سكاكر».

أمسك برأسي من الخلف وضغط إلى الأمام حتى كاد وجهي يمس الطاولة.

قال: «هيا. ألا ترى السكاكر أمامك؟ كلها، كلها الآن!».

قلت: «حسنًا»، فتركني. لكنه ظلّ واقفًا فوقي إلى أن نزعت غلاف قطعة توفي ملبّسة بالشوكولاته ووضعتها في فمي.

كنا سنذهب إلى كريستيانساند في اليوم التالي لكي نزور جدي وجدتي، والديّ أبي. كثيرًا ما كنا نذهب إليهما في أيام الأحد عندما يخوض فريق آي كي ستارت (IK START) مباراة على أرضه. نتناول طعام العشاء عندهما، ثم يذهب إنغفِه مع أبي وجدي لمشاهدة المباراة، وتذهب أمي معهم أحيانًا. بينما أظل في البيت مع جدتي لأنني صغير جدًا.

ارتدى أبي وأمي ملابس أفضل من المعتاد. ارتدى أبي قميصًا أبيض وسترة تويد بنية اللون لها رقعتان بنيتان على المرفقين، ومعها بنطلون قطني ذو لون بني فاتح. ارتدت أمي فستانًا أزرق. وأما أنا وإنغفِه فقد ارتدينا قميصين وبنطلونين محزّزين: بنطلون إنغفِه بني، وبنطلوني أزرق.

في الخارج، كانت الغيوم كثيرة في السماء؛ لكنها كانت غيومًا خفيفة تدرجت ألوانها بين الأبيض والرمادي. صحيح أنها غيوم تحجب الشمس، لكنها لا تحمل مطرًا. كان الإسفلت جافًا، رماديًا؛ والحجارة جافة، لونها بين الأزرق والرمادي؛ وجذوع الصنوبرات العالية منتصبة في آخر منطقتنا السكنية، جافة محمرة اللون.

جلست مع إنغفِه في المقعد الخلفي. وجلس أبي وأمي في المقعدين الأماميين. أشعل أبي سيجارة قبل أن يشغّل السيارة. كنت جالسًا خلفه؛ وهذا يعني أنه غير قادر على رؤيتي إلا إذا ملت جانبًا. وعندما بلغنا التقاطع عند أسفل المنحدر المتجه إلى جسر ترومويا، ضممت يديَّ معًا وقلت في سري: «يا إلهي، خلّصني من هذا الأمر، ولن أفعل شيئًا سيئًا بعد الآن أبدًا. أبدًا أبدًا. أقسم بكل ما هو مقدس. آمين».

كنت أتلو هذا الدعاء كلما ذهبنا في رحلة طويلة بعض الشيء؛ وذلك لأن أبي يقود السيارة مسرعًا: يتجاوز حدود السرعة دائمًا، ويتجاوز السيارات الأخرى دائمًا. كانت أمي تقول إنه سائق ماهر؛ وقد كان ماهرًا حقًّا. لكني كنت أشعر بالذعر يطبق قبضته عليّ كلما تسارعت السيارة وكلما عبرت الخط الأبيض الذي في وسط الطريق.

الغضب والسرعة يسيران يدًا بيد. كانت أمي تقود السيارة بكل انتباه، ولا تزعج أحدًا، ولا يزعجها أن تكون السيارة التي أمامها بطيئة... تصبر وتظلّ خلفها. هكذا كانت في البيت أيضًا. لا تغضب أبدًا؛ ولديها دائمًا وقت لتقديم المساعدة؛ ولا يزعجها أن ينكسر شيء، فالحوادث تقع!... كانت تحب الحديث معنا وتبدي اهتمامًا بما نقوله؛ وكثيرًا ما كانت تقدّم إلينا مأكولات ليست ضرورية، كالمعجنات والفطائر وشراب الكاكاو والخبز الطازج لحظة خروجه من الفرن. وأما أبي فقد كان يحاول إفراغ حياتنا من أي شيء لا تكون له علاقة مباشرة بالوضع الذي نحن فيه: نتناول الطعام لأن تناول الطعام ضروري؛ وأما الوقت الذي نمضيه في الأكل فليست له قيمة في حدّ ذاته. وعندما نشاهد التلفزيون، فنحن نشاهد التلفزيون فحسب، ولا

يجوز لنا أن نتكلّم أو أن نفعل أي شيء آخر؛ وعندما نكون في الحديقة، يتعيّن علينا أن نسير على البلاطات الحجرية؛ وأما المرج الكبير المغري، فلم يكن من أجل السير عليه، أو الجري فيه، أو الاستلقاء على عشبه. لم نكن نقيم احتفالًا في البيت بعيد ميلادي، ولا بعيد ميلاد إنغفِه، وذلك انطلاقًا من المنطق نفسه: شيء لا ضرورة له! تناول الحلوى مع الأسرة بعد العشاء أمرٌ كافٍ تمامًا! لم يكن مسموحًا لنا أن ندعو أصدقاءنا إلى البيت. هذا جانب آخر من جوانب ذلك المنطق، فما الذي يجعلنا راغبين في الجلوس داخل البيت حيث يمكن أن نسبّب خرابًا وفوضى؟... لماذا نجلس في البيت إذا كان العالم الذي في الخارج موجودًا؟ سوف يصير أصدقاؤنا قادرين على إخبار أهلهم بما يرونه في بيتنا، وكيف نعيش... لعل هذا الاحتمال كان أحد العوامل التي لعبت دورها؛ فالمنطق نفسه سار هنا أيضًا. الواقع أن ذلك المنطق يوضح كل شيء. لم يكن مسموحًا لنا أن نلمس شيئًا من الأدوات التي يستخدمها أبي، لا مطرقة ولا مفك براغي ولا منشار ولا كمّاشة ولا مجرفة ولا مكنسة ثلج. لم يكن مسموحًا لنا أن نطهو شيئًا في المطبخ، ولا حتى أن نقطع شريحة خبز، ولا أن نشغّل التلفزيون أو الراديو. لو سُمح لنا بفعل شيء من ذلك، لانقلب البيت كله رأسًا على عقب؛ وأما الآن، فهو مرتب، وكل شيء في مكانه كما ينبغي له أن يكون. إذا استُخدم أي شيء في البيت، من جانبه أو من جانب أمي، فإن ذلك يتم بطريقة منهجية مناسبة. يصح قول الأمر نفسه على قيادته السيارة: يريد أن يتقدّم بأقصى سرعة ممكنة وبأقل قدر ممكن من التأخير، من نقطة الانطلاق إلى نقطة الوصول. وفي حالتنا هذه، من ترومويا إلى كريستيانساند التي كانت مسقط رأس هذا المعلم البالغ ثلاثين عامًا.

لا يمضي الوقت سريعًا مثلما يمضي في الطفولة؛ ولا تكون الساعة قصيرة مثلما تكون آنذاك. كل شيء مفتوح، وأنت تجري هنا، وتجري هناك، وتفعل شيئًا، ثم تفعل غيره، ثم تغيب الشمس فجأة وتجد نفسك واقفًا في

الغسق وكأن الزمن حاجز انتصب أمامك من غير توقّع. أوه، لا، هل صارت التاسعة حقًا؟ لكن الوقت، من ناحية أخرى، لا يمضي بطيئًا مثلما يمضي في الطفولة. لا تكون الساعة طويلة أبدًا مثلما تكون آنذاك. إذا غاب ذلك الانفتاح، وإذا غابت فرص الجري هنا وهناك وفي كل مكان، سواء كان ذلك الغياب في ذهنك أو في الواقع الحسّي، فإن كل دقيقة تصير كأنها حاجز أمامك، ويصير الزمن مثل غرفة أنت محبوس فيها. فهل يمكن أن يوجد ما هو أسوأ لك، في طفولتك، من الجلوس في السيارة ساعة كاملة في رحلة صرت تعرفها تمام المعرفة، في طريقك إلى شيء أنت مشتاق إليه؟ في سيارة يملأها الدخان المنبعث من سيجارتَي أبيك وأمك، ومع أب يتأفّف منزعجًا كلما تحركت في مقعدك فأصابت ركبتك -مصادفة- ظهر مقعده؟

آه، كم يمضي الوقت بطيئًا! آه، كم تصير مضجرة تلك المعالم التي تراها من النافذة! المضيُّ في الطريق الصاعدة من مركز آرندال، ثم عبور المنطقة السكنية إلى جسر هيسويا، ثم السير على امتداد ساحل الجزيرة كلّه، ومن بعد ذلك مصحّة كوكبلاسن حيث تعمل أمي، ثم نزولًا من عند المتاجر المنتشرة هناك، ثم يأتي عبور الجسر فوق نهر نيديلفا، ومن بعده سهول لا نهاية لها فيها بيوت وغابات وحقول ممتدة حتى نيدينز. لم نبلغ فيفيك بعد! ومن هناك، سنمضي مسافة طويلة حتى غرينستاد، هذا إذا لم نقل شيئًا عن المسافة بين غرينستاد وليليساند، وبين ليليساند وتينينز، وبين تينينز وجسر فارود، وبين جسر فارود ولوند...

جلسنا في المقعد الخلفي، وكنا صامتين ننظر إلى المشهد المتنوّع الذي تمضي الطريق فيه متعرّجة. المضائق الأخيرة بجزرها الصغيرة وجروفها الصخرية، ثم الغابات الكثيفة، نتجاوز أنهارًا وشلالات ومناطق سكنية وصناعية ومزارع وحقولًا، كلّها صارت مألوفة عندي إلى حد يجعلني عارفًا في كل لحظة ما سيظهر بعد قليل. لا نخرج من ذلك الضجر إلا عندما نمر بحديقة الحيوانات، فمن يدري إن كان من الممكن أن يظهر لنا من خلف ذلك الجدار المرتفع وتلك الأسوار السلكية العالية حيوان أو اثنان، فنراهما

مجانًا؟ ثم لا نلبث أن نتجاوز حديقة الحيوانات فنغرق في الضجر من جديد. نجلس ساعة على المقعد الخلفي من غير أية حركة، نجلس ساعة كاملة لا آخر لها قبل أن تبدأ المدينة باتخاذ شكلها من حولنا، فينتقل مركز الثقل من الرحلة بالسيارة إلى زيارتنا الوشيكة لبيت جدَّينا. كان دخول المدينة أشبه بدخول الزمن من جديد: تعود عقارب الساعة إلى تكتكاتها، فها هو متجر واسْن، وهناك أطفال من أقربائنا، يون أولفا وآن كريستين، طفلا شيلوْغ، شقيقة أمنا، وزوجها ماغنِه. وها هي أشجار الكستناء على امتداد الطريق، ومن خلفها البنايات القرميدية المرتفعة القذرة. وها هي الصيدلية، وها هو الكشك الذي يسمونه «روندنغن»، وها هي إشارة السير، وها هو محل التسجيلات الموسيقية، وها هي البيوت الخشبية البيضاء، وها هو الطريق الضيِّق... ثم يظهر فجأة، إلى جهة اليسار، بيت جدي وجدتي ذو اللون الأصفر.

تابع أبي قيادة السيارة حتى تجاوز البيت نازلًا في الشارع، ثم تراجع بها إلى الزقاق المقابل. عندها فقط، يصير ممكنًا أن يتقدّم بالسيارة في الممرّ القصير الصاعد المفضي إلى البيت.

بان وجه جدتي في نافذة المطبخ. ثم فتحت لنا الباب عندما نزلنا من السيارة التي توقّفت على مقربة من باب المرأب الخشبي ذي المقبضين الحديديين الأسودين، وسرنا في اتجاه الدرجات الحجرية الحمراء.

قالت: «ها أنتم هنا! ادخلوا!».

وعندما صرنا في الردهة الصغيرة قالت: «أوه، كم أنا مشتاقة إلى رؤيتكما أيها الولدان».

عانقت إنغفِه عناقًا طويلًا وراحت تهزّه إلى الأمام والخلف. أشاح بوجهه عنها، لكنه كان مسرورًا. ثم عانقتني عناقًا طويلًا وراحت تهزّني إلى الأمام والخلف. أشحت بوجهي مثله، لكني كنت مسرورًا. كانت وجنتها دافئة ورائحتها طيبة.

قلت عندما تركتني جدتي: «كان ممكنًا أن نرى ذئبًا في حديقة الحيوانات».

سألت وهي تداعب شعري: «هل رأيتما ذئبًا الآن؟».

قال إنغفِه: «لا، لم نر ذئبًا. كان ذلك فقط في خيال كارل أوفِه».

داعبتْ شعره وقالت: «أوه، لم تريا الذئب! على أية حال، أنا سعيدة برؤيتكما».

علّقنا ستراتنا في الردهة حيث كانت هناك خزانة جدارية مفتوحة، ثم سرنا على السجادة الممتدة من الجدار إلى الجدار وصعدنا السلم. غرفة المعيشة الفخمة في الطابق الأول كانت إلى يميننا، والمطبخ إلى يسارنا. لم تكن غرفة المعيشة هذه مستخدمة إلا في أمسيات عيد الميلاد وفي عدد من المناسبات الرسمية الأخرى. كان عند جدارها القصير بيانو عليه ثلاث صور لأبناء البيت الثلاثة مرتدين قبّعاتهم الطلابية. ومن فوقهم لوحتان على الجدار. وعند الجدار الطويل، خزائن عرضٍ داكنة اللون فيها تذكارات من أسفارهما مرتَّبة في الأعلى. كان من بين تلك التذكارات زورق جندول لامع، وإبريق شاي زجاجي لونه بنّي ضارب إلى الذهبي، له مصبٌّ طويل جدًا مزين بما كنت أظنّه ماسًا وعقيقًا. وفي آخر الغرفة أريكتان جلديتان بينهما خزانة زاوية مزينة بورود مرسومة عليها، ومن أمامها طاولة واطئة. وعبر النوافذ المتسعة، يرى المرء النهر والمدينة من خلفه. لكننا لم نكن ندخل تلك الغرفة في زياراتنا العادية -كانت هذه الزيارة عادية- بل ندخل الباب القائم إلى الجهة اليسرى ومن خلفه المطبخ وغرفتا المعيشة اللتان في الأسفل: الغرفة السفلى منهما متصلة بأفضل غرفة في البيت عن طريق باب منزلق يصعد المرء سلمًا من عدة درجات حتى يصل إليه. نافذة تشغل نصف مساحة الجدار الطويل تظهر منها الحديقة أول الأمر، ومن بعدها النهر الممتد حتى يلاقي البحر؛ وفي البعيد، يرى المرء منارة غرونينغن منتصبة عند الأفق.

كانت الرائحة زكيّةً هناك... لا في المطبخ وحده، حيث كانت جدتي تعدّ كرات اللحم مع المرق (أكلة تجيدها أكثر مما يجيدها معظم الناس)، بل إن كل شيء هناك كان فواحًا طاغيًا على كل ما عداه. وكان ذلك العبير دائم الحضور أيضًا... حلاوةٌ لها صلة غامضة بالفاكهة كانت عندي مرتبطة

بذلك البيت، وكانت تذكّرني به أينما شممتها خارجه، مثلما يحدث عندما يأتي جدي وجدتي لزيارتنا؛ وذلك لأن هذا الشذى يأتي معهما: كان مقيمًا في ثيابهما؛ وكنت ألاحظ ذلك لحظة يدخلان بيتنا.

قال جدّي عندما دخلنا المطبخ: «حسنًا... هل كان الزحام شديدًا في الطريق إلى هنا؟».

كان جالسًا على كرسيه، مباعدًا قليلًا بين ساقيه، مرتديًا دثارًا رماديًا فوق قميص أزرق. وكان كرشه متكوّرًا من فوق حافة بنطلونه الرمادي الداكن. شعره أسود مسرّح إلى الخلف، وقد تدلّت إحدى خصلاته على جبهته. في فمه سيجارة دخنها حتى منتصفها.

قال أبي: «لا؛ سار كل شيء بدقة الساعة».

سأل جدي: «كيف كانت نتائجك في قسائم المراهنة على كرة القدم في مباراة الأمس؟».

«لم تكن جيدة. لم أحصل إلا على سبع نقاط».

قال جدي: «حصلت على عشر نقاط، مرتين».

«هذا جيد حقًا».

«أخطأت في عددين اثنين، سبعة وأحد عشر. كانت المرة الثانية مزعجة. لقد سجلوا الهدف بعد انتهاء الوقت!».

«صحيح. وأنا أيضًا لم أفز بتلك النقطة».

قالت جدّتي من عند الموقد: «هل سمعت ما قاله أحد التلاميذ لإيرلينغ في ذلك اليوم؟».

ردّ أبي: «لا، ماذا قال؟».

«جاء إلى الصف في الصباح فسأله ذلك التلميذ: هل فزت في رهان كرة القدم، أم ماذا؟ قال إيرلينغ: لماذا تسألني؟ أجابه التلميذ: لأنك تبدو سعيدًا جدًا».

ضحكت جدتي وكررت العبارة الأخيرة: «لأنك تبدو سعيدًا جدًا».

ابتسم لها أبي.

سألت جدتي: «أيريد أحدكم فنجان قهوة؟».
قالت أمي: «أجلٍ، من فضلك. أحب أن أشرب الآن قهوة».
قالت جدتي: «إذًا، فلنجلس في غرفة المعيشة».
قال إنغفِه: «هل نستطيع الذهاب إلى الأعلى وأخذ بعض المجلات المصورة؟».
قال جدي: «اذهبا، لكن لا تُحدثا فوضى هناك».
قال إنغفِه: «نعم».
سرنا بخطوات بطيئة حذرة لأن الجري في هذا البيت كان ممنوعًا أيضًا. خرجنا إلى الممر وصعدنا السلم إلى الطابق التالي. إضافة إلى غرفة جدي وجدتي، كانت هناك غرفة عليّة كبيرة، على امتداد جدارها صناديق من الكرتون فيها مجلات مصورة قديمة، يعود تاريخها إلى أيام كان أبي طفلًا في عقد الخمسينيات. كانت في العليّة أشياء أخرى أيضًا، أشياء كثيرة، من بينها آلة كيٍّ عتيقة من أجل مفارش الطاولات وملاءات الأسرّة، وآلة خياطة قديمة، وعدد من الدمى والألعاب من بينها خُذروف من القصدير وشيء يشبه إنسانًا آليًا مصنوعًا من المعدن نفسه.
إلا أن اهتمامنا كان منصبًا على المجلات المصورة. لم يكن مسموحًا أن نأخذها معنا: علينا أن نقرأها هنا. وقد قرأنا منها الكثير، منذ وصولنا حتى مغادرتنا. أخذ كل منا مجموعة منها، ثم نزلنا إلى الأسفل ووجدنا مكانًا نجلس فيه، فلم يرفع أي منا رأسه إلى أن صار الطعام جاهزًا على الطاولة ونادتنا جدتنا لكي نأكل.
وبعد تناول الطعام، غسلت جدتي الأطباق، في حين وقفت أمي إلى جانبها لكي تجفّفها. كان جدي جالسًا إلى الطاولة يقرأ صحيفة؛ وأبي خلف نافذة غرفة المعيشة ينظر إلى الخارج. ثم أتت جدتي وسألتنا إن كنا نحب الخروج معها إلى الحديقة لأن هناك شيئًا تريد أن ترينا إياه. خرجنا، وخرجتا معنا. جلستْ أمي مع جدتي إلى الطاولة فتحدثتا قليلًا، لكنهما كانتا صامتتين معظم الوقت. نهضت لكي أذهب إلى المرحاض. كان المرحاض في الطابق

السفلي، لم أكن أحبه، لكني ظللت ممسكًا نفسي أقصى زمن استطعته حتى صرت الآن موشكًا على الانفجار. دخلت الممر، ونزلت السلم الخشبي ذا الصرير، واندفعت مسرعًا في الصالة المفروشة بالسجادة والمحاطة بثلاث غرف خالية خلف أبواب مغلقة. بلغت الحمام. كان مظلمًا. ارتجفت في داخلي خلال الثانية التي سبقت انبعاث الضوء. لكني بقيت خائفًا حتى بعد أن صار كل شيء مضاء من حولي. حرصت عندما تبولت على أن يسقط بولي على جدار حوض المرحاض حتى لا يصيب الماء مباشرة فيمنعني الصوت من سماع أي شيء. غسلت يدي قبل أن أجعل الماء يتدفّق في المرحاض لأن عليّ أن أندفع خارجًا لحظة أضغط على الرافعة الصغيرة إلى جانب الحوض. عليّ أن أخرج بسرعة لأن الصوت يكون مرتفعًا جدًا، ولأنه يكون مخيفًا إلى حد لا أستطيع معه أن أكون قريبًا منه. وقفت متأهبًا بضع ثوانٍ واضعًا يدي على الكرة الصغيرة السوداء. ثم ضغطت عليها واندفعت خارجًا إلى الممر الذي كان مخيفًا أيضًا لأن كل شيء فيه «يعبّر عن نفسه» بصمت. أسرعت إلى السلم غير قادر على الجري، بالطبع، وأنا أحس كأن هناك شيئًا في الأسفل يلحق بي... إلى أن دخلت المطبخ فبدد حضورُ الآخرين ذلك السحر الذي تلبّسني.

في الخارج، في الزقاق، كانت حركة الناس السائرين في طريقهم من البلدة إلى الملعب في تزايد. سرعان ما سوف يستعد أبي وأمي وإنغفِه للذهاب أيضًا. يذهب جدي إلى الملعب على الدراجة؛ وسوف ينطلق بعدهم بقليل. كان يرتدي معطفًا رماديًا، ووشاحًا بلون الصدأ، وقبعة قماشي رمادية أيضًا، وقفازين أسودين. رأيته من النافذة نازلًا المنحدر على دراجته من غير أن يحرّك دواستيها. أخرجت جدتي بعض الفطائر من الثلاجة لكي نتناولها عندما يعود الآخرون. وضعتها إلى جانب المجلى.

نظرت إليّ نظرة مازحة. قالت لي: «إن لدي شيئًا من أجلك».

«وما هو؟».

«انتظر لترى. أغمض عينيك».

وضعت يدَيّ على عينَيّ، وسمعتها تبحث في أحد الدروج. أتت وتوقّفت أمامي.

قالت لي: «تستطيع الآن أن تفتح عينيك وتنظر».

كان ذلك لوح شوكولاته. كان واحدًا من تلك الألواح المثلثية التي لا يراها المرء كثيرًا... نوع لذيذ جدًا.

قلت لها: «أهذا لي؟ كلّه؟».

«أجل».

«وماذا عن إنغفِه؟».

«لا، ليس في هذه المرة. لقد سُمح له بأن يذهب لرؤية المباراة. ينبغي أن تحصل على شيء، أنت بالمقابل أيضًا».

قلت لها: «أشكرك كثيرًا جدًا». مزّقت الغلاف المصنوع من الورق المقوى وأخرجت منه لوح الشوكولاته الملفوف بورق فضي.

غمزت لي بعينها وقالت: «لكن، لا تقل شيئًا لإنغفِه. هل اتفقنا؟ هذا سرٌّ بيننا».

جلست أقضم الشوكولاته؛ وجلست جدتي تحل الكلمات المتقاطعة.

قلت لها: «سوف يصير لدينا هاتفٌ عما قريب».

«هل هذا صحيح؟ إذًا، يستطيع كل منا أن يتّصل بالآخر».

«نعم. في الحقيقة، نحن في آخر القائمة. لكننا سنحصل على هاتف على أية حال لأن أبي يعمل في السياسة».

ضحكت جدتي وقالت: «في السياسة، يا كارل أوفِه؟».

قلت: «أجل، إنه يعمل في السياسة».

«صحيح. هذا صحيح. إنه يعمل في السياسة حقًّا. هل تعجبك المدرسة؟».

أومأت برأسي وقلت: «أجل. تعجبني كثيرًا».

«وما أكثر ما تحبه فيها؟».

قلت عارفًا إن إجابتي ستجعلها تضحك، أو تبتسم على الأقل: «الاستراحات».

بعد أن انتهيت من أكل الشوكولاته، وانهمكت جدّتي من جديد في حل الكلمات المتقاطعة، صعدت إلى العليّة وجلبت بعض الألعاب. نظرتْ إليَّ بعد برهة وسألتني إن كنت أحب الذهاب إلى الملعب أيضًا. قلت لها إنني أحب ذلك. ارتدينا ملابسنا، ثم أخرجت دراجتها من الكراج وجلست عليها ثم أجلستني من خلفها، لكنها أبقت إحدى قدميها على الأرض والتفتت إليَّ.

قالت: «هل أنت مستعد؟».

أجبتها: «مستعد».

«تمسّك جيدًا. ها قد انطلقنا!».

طوقت وسطها بذراعيّ. دفعتْ الأرض بقدمها، ثم وضعتها على الدواسة ونزلت التلة الصغيرة، ثم انعطفت يمينًا وبدأت تضغط على الدواستين.

سألتني: «هل أنت متمسك جيدًا؟».

أومأت برأسي، ثم انتبهت إلى أنها غير قادرة على رؤيتي فقلت لها: «أجل، أنا في أحسن حال».

لقد كنت في أحسن حال. كنت مرتاحًا لتمسّكي بها؛ وكانت رحلتي معها على الدراجة متعة لي. كانت جدتي الشخص الوحيد الذي يلمسني ويلمس إنغفِه. كانت الشخص الوحيد الذي يعانقنا ويربّت على أذرعنا. كانت أيضًا الشخص الوحيد الذي يلعب معنا. قد يلعب أبي معنا في عيد الميلاد. لكننا نفعل معه الأشياء التي يريد هو فعلها، كلعبة ماستر مايند، أو الشطرنج، أو الداما الصينية، أو ياتزي، أو كريزي إيتس، أو البوكر باستخدام أعواد الكبريت. كانت أمي تنضم إلينا عندما نلعب، لكن معظم الأشياء التي نفعلها معها تكون على طاولة المطبخ في البيت أو في ورشة الحرف والفنون في مكان عملها في كوكبلاسن. كان ذلك ممتعًا، لكنه ليس مثل اللعب مع جدتي التي لا تمانع في فعل أي شي نفعله، وتبدي اهتمامًا عندما يريها إنغفِه شيئًا من مجموعة الاختبارات الكيميائية التي عنده، أو عندما تساعدني في تركيب الأحجيات.

تباطأت عجلات الدراجة شيئًا فشيئًا إلى أن كادت تتوقّف تمامًا، فنزلت جدتي وراحت تدفع الدراجة إلى أعلى التل.

قالت لي: «ابق جالسًا حيث أنت، إذا أردت».

جلست أنظر إلى البلدة في حين واصلت جدتي دفع الدراجة وقد تقطّعت أنفاسها. بلغنا القمة، فامتطت الدراجة من جديد وانحدرنا في الطريق النازلة حتى الملعب. انفجر هدير مفاجئ ضخم كأنه صادر عن حيوان عملاق، ثم تبعه تصفيق. قليلة هي الأصوات التي تصعب مقاومتها إلى هذا الحد. مضت جدتي إلى أحد أطراف الملعب وأسندت الدراجة إلى سور خشبي. ثم جعلتني أقف عليها بضع دقائق وهي ممسكة بي حتى أستطيع رؤية ما يجري في الملعب. كان اللاعبون بعيدين جدًا فضعتُ بين التفاصيل الكثيرة، ولم أستطع أن أميّز شيئًا مما أراه غير القمصان الصفراء والبيضاء على أرضية الملعب العشبية الخضراء، والمتفرجين الواقفين من حول الملعب كأنهم كتلة سوداء نابضة. لكني التقطت المزاجَ العام، وتنفسته... سوف أستعيده في ذهني وأستمتع به في الأيام التالية.

عدنا إلى البيت، وبدأت جدتي في تحضير الوجبة التي سنتناولها قبل رحيلنا. وبعد انقضاء وقت قصير، انفتح باب الصالة وظهر جدي. كان تعبير وجهه كالحًا، فسألته جدتي عندما رأته: «لقد خسروا، أليس كذلك؟».

أومأ جدي برأسه وجلس على كرسيه فسكبَت له فنجان قهوة. لم أكن قادرًا أبدًا على فهم قوة العلاقة بين جدّي وجدتي. فمن جهة أولى، كانت جدتي تقدّم له الطعام دائمًا، وتطهو الوجبات كلها، وتغسل القدور والأطباق، وتقوم بأعمال المنزل كأنها خادمة له؛ ومن جهة أخرى، كانت غاضبة منه دائمًا، أو منزعجة، وتوبّخه أو تسخر منه... كانت حادّة اللسان، بل ميالة إلى التهكم في أحيان كثيرة أيضًا؛ في حين كان جدي لا يتكلّم إلا قليلًا جدًا مفضلًا عدم الرد عليها. أكان هذا لأنه ليس في حاجة إلى الرد عليها؟... لأن ما تقوله لن يغير أي شيء مهم؟ أم إنه كان غير قادر على الرد عليها. إذا كنا حاضرين، أنا وإنغفِه، خلال واحدة من هذه المناوشات، كانت

جدّتي تغمزنا بعينها كأنها تقول إن الأمر غير خطير، أو تعمدُ إلى استخدامنا في هجومنا عليه بأن تقول لنا أشياء من قبيل: «جدّكما غير قادر حتى على تبديل مصباح كهربائي بشكل صحيح». وأما جدي، فكان ينظر إلينا ويبتسم ويهز رأسه عندما يسمع اتهاماتها. لم أر أبدًا أي شكل من أشكال الصلة الحميمة بينهما باستثناء تبادل بعض الكلمات اللطيفة، وباستثناء القُرب الذي يبدو واضحًا عندما تخدمه.

قالت مجددًا عندما صعد أبي وأمي وإنغفِه السلم بعد عشر دقائق من وصول جدي: «سمعت أنهم قد خسروا».

قال أبي: «صحيح. لقد خسروا»... استخدم عبارة مستعارة من واحد من كتّابه المفضلين... «كل شيء أبديٌّ إلا ما يخسره المرء... أو، ما رأيك، يا أبي؟».

أجابه جدي مدمدمًا بشيء لم أفهمه.

أعطانا جدي وجدتي عندما غادرنا بيتهما في المساء كيسًا من الخوخ، وكيسًا من الإجاص، وكيسًا من الفطائر المُحلّاة. ودّعنا جدي في الطابق العلوي لأنه كان غير راغب في مفارقة كرسيه؛ لكن جدتي نزلت معنا إلى الأسفل وعانقتْ كلًا منا عناقًا طويلًا، ثم ظلت واقفة أمام البيت تلوح لنا بيدها إلى أن ابتعدنا ولم تعد قادرة على رؤيتنا.

من الغريب أن رحلة العودة كانت تبدو لي دائمًا أسرع كثيرًا من رحلة الذهاب إلى بيت جدي وجدّتي. كنت أحب السفر في السيارة ليلًا... لوحة عدادات السيارة مضاءة، والأصوات الخافتة الآتية من المقعد الأمامي، وأضواء مصابيح الشوارع عندما نمر بها فتنداح من فوقنا كأنها موجات من ضوء، ومساحات طويلة تامة الظلمة بين مصباح ومصباح. وكان كل ما نراه، كل ما هو موجود من حولنا، الإسفلت الذي ينيره مصباحا السيارة الأماميين، ولمحات من محيط الطريق تظهر عند المنعطفات، وقمم أشجار وأجمات وجزر بحرية صغيرة تظهر فجأة بين حين وآخر. ودائمًا، كان يسرّني خاصة، وصولنا إلى البيت في الليل، وسماع أصوات خطواتنا على حصى الممر،

وسماع الصوت الحاد لإطباق أبواب السيارة، ثم صلصلة المفاتيح، ورؤية انبعاث النور في الممر، وظهور تلك الأشياء المألوفة كلها. الأحذية بثقوب رباطاتها المحاطة بحلقات معدنية كأنها أعين، وألسنتها كأنها جبهات، نظرة باردة يلقيها علينا مأخذ كهربائي مزدوج فوق البطانة الخشبية عند أسفل الجدار، وحامل القبّعات الواقف في الزاوية مديرًا ظهره إلينا. ثم أصعد إلى غرفتي: أقلام الحبر والرصاص متجمّعة في كأس الأقلام كأنها عصبة من تلاميذ المدرسة يطل بعض المشاغبين فيها برأسه من فوق حافة الكأس مستعدًا في كل لحظة لأن يبصق إلى الأسفل لإثبات أنه غير مبالٍ بأحد أو بشيء. اللحاف والوسادة اللذان يكونان أنيقين مرتبين كأنهما شيء لا يجوز مسّه، كأنهما تابوت أو كبسولة في سفينة فضاء، أو يكونان مشعثين مجعّدين متّخذين شكل آخر حركات جسمي في الفراش... يسرّهما أن يصيرا مرتبَيْن من غير أن تبدر منهما أية بادرة في ذلك الاتجاه. نظرة المصابيح الثابتة. فم ثقب المفتاح، والبرغيان اللذان يثبتان اللوحة المعدنية فيبدوان كأنهما عينان، ومقبض الباب الذي هو أنف غريب الشكل في ذلك الوجه.

نظّفت أسناني، وصحت متمنيًا ليلة طيبة لأبي وأمي، ثم جلست في سريري حتى أقرأ نصف ساعة قبل النوم. كان لدي كتابان مفضّلان قبل النوم. حاولت أن أظل ممتنعًا عن القراءة فيهما زمنًا كافيًا قبل أن أكرّر قراءتهما بالطريقة نفسها التي قرأتهما بها أول مرة؛ لكن ذلك لم ينجح أبدًا، لأنني لم أطِق صبرًا فعدت إلى القراءة فيهما في وقت أبكر مما ينبغي. كان عنوان أحدهما «*دكتور دوليتل*»، كتاب يتحدّث عن طبيب قادر على أن يكلّم الحيوانات، فيمضي معها ذات يوم في رحلة طويلة إلى أفريقيا حيث يطارده أفراد من قبائل هوتنتوت ويلقون القبض عليه، لكنه يعثر في آخر المطاف على ما جاء باحثًا عنه: حيوان نادر متطاول الجسم له رأسان اثنان في نهايتَي جسمه. وكان اسم الكتاب الثاني «*غانغلز*»، كتاب عن فتاة تقف فوق نوافير المياه وتترك نفسها تتأرجح في الهواء من فوقها. وبعد مغامرات خائبة كثيرة، ينتهي بها الأمر إلى الوقوف متوازنة فوق البحر على نافورة ماء

منطلقة من حوت عملاق. لكني اخترت هذه الليلة كتابًا آخر من مجموعة كتبي، كتاب *«الساحرة الصغيرة»* الذي يحكي قصة ساحرة كانت غير قادرة على الانضمام إلى اجتماع السحرة في بلوكسبرغ لصغر سنها، لكنها ذهبت متسلّلة إلى ذلك المكان على الرغم من ذلك. تفعل تلك الساحرة أمورًا كثيرة لا ينبغي لها فعلها، كممارسة السحر أيام الآحاد... شيء كانت القراءة عنه أمرًا يصعب احتماله لأنها تفعل ما لا يجوز أن تفعله، ولأن أمرها سينكشف... وقد انكشف أمرها فعلًا، وقبضوا عليها؛ لكن كل شيء يصل إلى نهاية حسنة في آخر المطاف. قرأت عدة صفحات، لكنّي كنت أعرف القصة عن ظهر قلب فاكتفيت بالنظر إلى الصور. وبعد تصفح ذلك الكتاب، أطفأت المصباح، ووضعت رأسي على الوسادة، وأغمضت عينيَّ.

كدت أغفو؛ بل ربما أكون قد غفوت قليلًا لأنني شعرت وكأن شيئًا أعادني فجأة إلى سريري وإلى غرفتي... أعادني إليهما رنين جرس البيت.

دينغ - دونغ.

من عساه يكون هذا الذي يضرب الجرس؟ لا يضرب أحد جرس بابنا إلا ضيوف نتوقّع وصولهم، ضيوف يكونون جدي وجدتي في تسع من كل عشر مرات، أو بائعًا متجولًا يأتي مصادفة، أو واحدًا من أصدقاء إنغفه. لكن أيًا من أولئك جميعًا لا يمكن أن يأتي ويقرع الجرس في وقت متأخر من الليل!

جلست في فراشي. سمعت صوت خطوات أمي خارجة من غرفتها؛ ثم سمعتها تنزل السلم. أصوات مكتومة أتت من الأسفل. ثم صعدت أمي وتبادلت بضع كلمات مع أبي -كلمات لم أستطع فهمها- ثم عادت إلى الأسفل. لا بد أنها ارتدت معطفها هناك لأنني سمعت بعد قليل صوت إغلاق باب البيت، ثم سمعت صوت محرك سيارتها.

ماذا يجري؟ أين تذهب أمي الآن؟ كادت تبلغ الساعة العاشرة ليلًا.

وبعد بضع دقائق، نزل أبي أيضًا، لكنه لم يخرج من البيت، بل ذهب إلى غرفة مكتبه. نهضت عندما سمعت ذلك، وفتحت باب غرفتي بكل حذر، ثم انسللت عبر الممر ودخلت غرفة إنغفه. كان مستلقيًا يقرأ في سريره. لا يزال

مرتديًا ملابسه. ابتسم عندما رآني وجلس في فراشه.

قال لي إنغفِه: «أنت في سروالك الداخلي فقط!».

«من الذي كان بالباب؟».

«أظنّها السيدة غوستافسن؛ ومعها أطفالها كلّهم».

«أوه! لماذا؟ ولماذا ذهبت ماما؟ أين ذهبت؟».

رفع إنغفِه كتفيه وقال: «أظنها أخذتهم بالسيارة إلى بعض أقاربهم».

«لماذا؟».

«غوستافسن سكران. ألم تسمعه يصرخ عليهم منذ قليل؟».

هززت رأسي. لم أسمع شيئًا. قلت: «كنت نائمًا. لكن، هل كان ليف تورِه معهم؟ ورولف؟».

أومأ إنغفِه برأسه. فقلت: «يا للهول!».

قال: «سوف يعود بابا إلى الطابق العلوي. ومن الأفضل أن تكون في سريرك. وأنا سأتظاهر بالنوم أيضًا».

«لا بأس. تصبح على خير».

«تصبح على خير».

عدت إلى غرفتي، وأزحت الستارة، ونظرت إلى بيت غوستافسن. لم أستطع رؤية أي شيء غير معتاد. كان كل شيء هادئًا، من الخارج على الأقل!

لقد سكر السيد غوستافسن مرات كثيرة قبل ذلك. كان معروفًا عنه سكره. سرت شائعة في ليلة من ليالي ذلك الربيع أنه سكران، فتسلل ثلاثة أو أربعة منا إلى حديقتهم ووقفوا عند نافذة غرفة المعيشة ينظرون إلى داخلها. لكنهم لم يروا شيئًا هناك. كان جالسًا على الأريكة محدّقًا في البعيد من غير أية حركة. وفي مرات أخرى، كنا نسمع صراخه وصياحه عبر النافذة المفتوحة، نسمعه في المرج. كان ليف تورِه يضحك فحسب. لكن، لعل الأمر مختلف هذه المرة! الفرار من البيت!... لم يفعلوا هذا من قبل!

كان الوقت صباحًا عندما استيقظت. سمعت أصواتًا آتية من الحمام. قد يكون إنغفِه هناك. ومن الطريق في الخارج، على امتداد الجدار البالغ ارتفاعه ثلاثة أمتار المحيط بأرض غوستافسن والمحاذي للمرج المستوي، سمعت صوت سيارة أمي. عليها اليوم أن تذهب إلى عملها في وقت مبكر. أغلق إنغفِه باب الحمام وعاد إلى غرفته، ثم نزل إلى الأسفل.

دراجة إنغفِه!

أين دراجة إنغفِه؟

لقد نسيت تمامًا أن أسأله عنها.

لكن، لا بد أن هذا هو سبب خروجه في هذا الوقت المبكر: لن يذهب على الدراجة. عليه أن يسير إلى المدرسة على قدميه.

نهضت من فراشي، وأخذت ملابسي معي إلى الحمام فاغتسلت بالماء الذي تذكّر إنغفِه اليوم أيضًا أن يتركه من أجلي. ارتديت ملابسي وذهبت إلى المطبخ حيث وجدت أن أبي قد أعد لي ثلاثة سندويتشات ووضعها في طبق على الطاولة في مكاني ومعها كأس حليب. كانت علبة الحليب، والخبز، والجبن، وشرائح اللحم، والمربى، قد أعيدت إلى أماكنها كلّها، وكان أبي جالسًا في غرفة المعيشة يستمع إلى الراديو ويدخن.

في الخارج مطر. مطر خفيف متواصل مع هبّات ريح متقطّعة تجعله يصفع النوافذ بصوت يشبه نقر أصابع صغيرة على الزجاج.

يوم الاثنين هو اليوم الوحيد الذي أعود فيه من المدرسة فلا أجد أحدًا في البيت. ولهذا، كان معي مفتاحي الذي أحمله بخيط أضعه حول عنقي. لكني كنت أواجه مشكلة مع ذلك المفتاح: لا أستطيع جعله يفتح الباب! كان أول اثنين يومًا ماطرًا. سرت بجزمتي المطاطية وملابسي الواقية من المطر فاجتزت الممر المفروش بالحصى. المفتاح في يدي؛ وأنا مفعم بنشوة تخيل فتح الباب بالمفتاح... كنت مزهوًّا بنفسي. نجحت في إدخال المفتاح في القفل، لكنّي لم أستطع إدارته. لم يذعن لي حتى بعد أن ضغطت عليه بقوة كبيرة. ظل المفتاح من غير حركة. مضت عشر دقائق، فبدأت أبكي.

كانت يداي محمرّتين، وباردتين. كنت واقفًا في المطر والأطفال الآخرون جميعًا صاروا في بيوتهم منذ زمن طويل. في تلك اللحظة، مرّت جارة لم أكن أعرفها معرفة جيدة (امرأة متقدّمة السن تعيش مع زوجها في بيت في أعلى الحي عند الغابة التي خلف ملعب كرة القدم). كانت تسير نازلة في الطريق، فلم أتردّد عندما رأيتها لأن لا صلة لها بأبي وأمي على الإطلاق. جريت إليها، وسألتها، والدموع جارية على وجنتيّ، أن تأتي وتساعدني في فتح الباب. أتت المرأة. لم تجد أية مشكلة في إدارة المفتاح! أدارته فدار في القفل! انفتح الباب على الفور. شكرتها ودخلت البيت. أدركت أن لا مشكلة في المفتاح، وأن المشكلة عندي. لم يكن المطر يتساقط عندما حدث ذلك مرة ثانية؛ وهكذا فقد تركت حقيبتي الظهرية عند الباب وجريت صاعدًا إلى بيت غيّير. علّق أبي على تركي الحقيبة عندما عاد إلى البيت. قال إنه لا يجوز تركها على الأرض. وفي يوم الاثنين التالي، وكان نهارًا صافيًا أيضًا، أخذت الحقيبة معي متذرعًا بأن عليّ إنجاز بعض الفروض المدرسية مع غيّير: يعني هذا أنني في حاجة إلى وجود حقيبتي معي.

وضعت خلال تلك الفترة خطةً أستطيع اللجوء إليها عندما تسوء حالة الطقس في الخريف والشتاء. إنّ في غرفة السخّان نافذة صغيرة أشبه بكوّة في الجدار؛ لكنها ليست صغيرة إلى حد يجعلني غير قادر على الزحف عبرها. كانت النافذة على ارتفاع نصف متر أعلى من رأسي. وقد قدّرت أنني أستطيع فتح النافذة في الصباح، وأن ما من مخاطرة في ذلك لأنها تظل مطبقة على إطارها حتى عند فتح قفلها. أستطيع أن أجرّ حاوية القمامة التي في الخارج عندما أعود إلى البيت، فأقف عليها وأدخل غرفة السخّان عبر النافذة، ثم أفتح الباب من الداخل، وأعيد حاوية القمامة إلى مكانها، وأغلق النافذة، فأصير في البيت من غير أن يلاحظ أحد أنني لم أستطع إدارة المفتاح في القفل. كانت النقطة الوحيدة التي ظلت غير واضحة هي تحديد الوقت المناسب لفتح قفل النافذة. لكن ذهابي إلى غرفة السخّان سيكون أكثر الأشياء طبيعية في العالم عندما يتساقط المطر، وذلك لأن الملابس الواقية من المطر تكون

معلّقة هناك. ليس عليّ فعل شيء غير فتح القفل، ومن المستحيل أن يراني أحد أفعل ذلك، إلا إذا وقفت قريبًا من الباب. ثم إنني لم أكن غبيًا إلى درجة تجعلني أمسّ شيئًا هناك عندما يكون أبي في الممر.

أكلت السندويتشات الثلاثة، وشربت كأس الحليب. نظّفت أسناني في الحمام. وأخذت حقيبتي ونزلت إلى الأسفل فدخلت غرفة السخّان الصغيرة التي كان فيها خزانا ماء أسطوانيان. وقفت بضع ثوانٍ في سكون تام. لم أسمع صوت خطوات على السلم، فرفعت يدي وفتحت القفل. وبعدها، ارتديت الملابس الواقية من المطر، ووضعت حقيبتي على ظهري، ومضيت إلى الممر حيث كان حذائي... جزمة مطاطية زرقاء وبيضاء اشتروها لي على الرغم من أنني كنت أريد جزمة بيضاء كلّها. خرجت من البيت وجريت صاعدًا إلى بيت غيّير. مد رأسه من النافذة وصاح قائلًا إنه لا يزال يتناول طعام الإفطار، لكنه سيأتي سريعًا.

ذهبت إلى واحدة من البرك الرمادية أمام بيتهم وبدأت أرمي فيها حجارة صغيرة. لم يكن الممر أمام بيتهم مفروشًا بالحصى مثل معظم الممرات في البيوت الأخرى؛ ولم يكن مبلّطًا بالحجارة كما في بيت غوستافسن. كان ممرًا فيه تراب أحمر مرصوص وكثير من الحجارة الصغيرة المدوَّرة. لم يكن هذا هو الاختلاف الوحيد: ليس لديهم مرج خلف البيت، بل قطعة أرض صغيرة يزرعون فيها البطاطس والجزر واللفت والفجل، وخضار كثيرة غيرها. ومن ناحية الغابة، ليس لديهم سياج خشبي مثل الذي لدينا، ولا سور من شبك سلكي كما في بيوت كثيرة أخرى، بل جدار حجري بناه برستباكمو بنفسه. لم يكونوا يرمون قمامتهم كلّها في الحاوية، مثلما نفعل نحن: كان يحتفظون بعلب الحليب وصناديق البيض لاستخدامها بطرق كثيرة؛ كما كانوا يضعون بقايا الطعام كلّها في كومة كومبوست عند الجدار الحجري.

نهضت وألقيت نظرة في اتجاه آلة خلط الإسمنت. وعاؤها الأخضر المدوَّر كان يغطيه جزئيًا مشمَّع أبيض اللون بدا أشبه بوشاح على رأسها.

كان فمها مفتوحًا وكبيرًا من غير أسنان. ما الذي تراه فيدهشها إلى حد يجعلها تفتح فمها هكذا؟

رأيت والد غيّير هاكون نازلًا في الطريق بسيارته الفورد تاونس الخضراء. لوحت له فرفع يده عن عجلة القيادة ردًا على تحيتي.

وفجأة، تذكّرت آنِه ليزبيت. صعدت الفكرة من بطني وانتشرت مثل فرحة انفجرت في صدري.

لم تأت آنِه ليزبيت إلى المدرسة يوم الجمعة. وقد قالت سولفيغ إنها مريضة. لكننا في يوم الاثنين. لا بد أن تكون حالتها قد تحسّنت.

أوه، أتمنى أن تكون قد تحسّنت!

كنت أموت شوقًا إلى الوصول إلى متجر B–Max ورؤيتها هناك.

عيناها السوداوان اللامعتان. صوتها الفرح.

صحت: «غيّير! تعال!».

سمعت صوته مكتومًا من خلف الباب المغلق. فتح الباب بعد لحظة وقال لي: «هل نذهب عبر الدرب؟».

قلت: «هيا بنا».

وهكذا جرينا إلى خلف البيت وتسلقنا الجدار الحجري ونزلنا إلى الدرب. بعد أن كانت الأرض المستنقعية كتلًا من الأجمات والأعشاب العالية بينها قنوات جافة، صارت الآن مليئةً بالماء بحيث يستحيل السير في الدرب من غير أن تبتل الأقدام، حتى إن كانت في جزمات من المطاط؛ وذلك لأن القدم يمكن أن تغرق في واحدة من البرك إلى ما فوق حافة الجزمة. لكننا حاولنا على أية حال، وحاولنا المحافظة على توازننا في سيرنا فوق كتل الأعشاب... يقفز واحدنا من كتلة إلى أُخرى، وينزلق، ويضع يده على الأرض حتى ينقذ نفسه فيشعر بالأرض تغوص من تحته وبالماء تحت كم كنزته وسترته. كنا نصيح ونضحك، ويخبر واحدنا الآخر بما يجري له. عبَرنا ملعب كرة القدم الذي صار الآن موحلًا وزلقًا، ثم مشينا بين الأشجار التي سقطت أوراقها صاعدين في المنطقة العريضة من الدرب التي لعلها

كانت ممرًا للعربات ذات يوم: منطقة أعرض كثيرًا من الدرب نفسها، عليها كلّها سجادة من أوراق الأشجار المتساقطة. أوراق حمراء وصفراء وبنية ساقطة هناك مع لمحة من الخضرة تلوح من وقت لآخر. وفي الأعلى، كان هناك حقل صغير، أعشابه طويلة صار لونها أصفر مبيضًا، وصارت نائمة على الأرض كأنها ملتصقة بها. ومن فوق ذلك الحقل الصغير، كانت هناك رابية صغيرة عليها عمود هاتف قديم. استمرّت طريق العربات القديمة مسافة، ثم اختفت عندما وصلنا إلى الطريق الرئيسية المارة هناك على مسافة نحو عشرين مترًا من الحقل. وفي الأسفل، امتدت غابة أكثر أشجارها من السنديان. وبين شجرتين، رأينا سيارة مهجورة في حالة أسوأ كثيرًا من حالة السيارة التي نذهب إليها عادة لكي نلعب فيها. لعل هذه السيارة كانت في موقع أخفض من موقع السيارة الأولى بمئتي متر، لكنها لم تكن أقل جاذبية لنا، بل على العكس تمامًا في واقع الأمر: من المستبعد كثيرًا أن يأتي أحد لكي يلعب هنا.

أوه، رائحة السيارة المتروكة في الغابة الرطبة! رائحة المواد التركيبية المنبعثة من المقاعد الممزّقة، رائحة فيها عفونة ورطوبة، لكنها تظلّ حادة، وتظل منعشة بالمقارنة مع تلك الرائحة الثقيلة العفنة، رائحة الأوراق المتحلّلة المنبعثة من الأرض في كل مكان حولنا. أشرطة إحكام النوافذ المتراخية المتدلية من السقف كأنها مجسّات طويلة. والزجاج الذي تكسّر كله قطعًا صغيرة وضاع أكثره في الأرض، مع بقاء بعض شظاياه متناثرة على حصائر الأرضية البلاستيكية أو في تجاويف الأبواب مثل طبقة صغيرة من الماس. و... أوه، حصائر الأرضية السوداء! يكفي أن نهزّها حتى تفر منها أسراب من حشرات زاحفة باحثة عن ملجأ لها. العناكب، وسوس الخشب، وحشرات كثيرة طويلة السيقان. ومقاومة الدواسات الثلاث في الأرضية، تلك الدواسات التي لا نكاد نستطيع تحريكها. قطرات المطر التي تسقط من النوافذ على الوجه كلما أرغمت الريح مساراتها على الانحراف، وكلما أسقطتها عن أوراق الأشجار وعن الأغصان المتمايلة في الأعلى.

وفي بعض الأحيان، كنا نجد أشياء مرمية حول السيارة: زجاجات كثيرة، وأكياس فيها مجلات قديمة، مجلات إباحية ومجلات سيارات، وعلب سجائر فارغة، وزجاجات سائل تنظيف زجاج السيارة فارغة بدورها، وواقٍ ذكري أحيانًا، وجدنا مرة سروالًا داخليًا لا يزال ممتلئًا غائطًا. جعلنا ذلك نضحك زمنًا طويلًا، ونتخيل شخصًا يتغوط في ملابسه ثم يأتي إلى هذا المكان ويرمي فيه سرواله الداخلي.

لكننا كنا قد اعتدنا أن نتغوط في الغابة كلما خرجنا في نزهة. نتسلق شجرة ونتغوّط من هناك، أو نجثم على جرف ونتغوط من فوق حافته؛ أو نجثم على ضفة جدول ونتغوط. نفعل ذلك كله حتى نرى كيف يحدث وكيف يكون إحساسنا بحدوثه... حتى نرى لون غائطنا، أسود أو أخضر أو بنيًا أو بنيًا فاتحًا، وكم يكون طوله، وكم تكون ثخانته، وما يحدث بعد أن يصير على أرض الغابة، لامعًا بين الطحالب والأزهار، وهل يتجمّع الذباب حائمًا من حوله أو تتسلقه حشرات صغيرة. ثم إن رائحة الغائط تكون في الغابة أكثر حدّة وقوة وتميزًا! ومن حين لآخر، نعود إلى الأماكن التي تغوّطنا فيها لنرى ما جرى لغائطنا. يختفي أحيانًا، وفي أحيان أخرى لا نجد غير بقية جافة منه؛ ونجده بعض الأحيان مسطّحًا، منتشرًا، كأنه ذاب في بركة صغيرة.

لكن علينا الآن أن نذهب إلى المدرسة. لا وقت لدينا من أجل هذه النشاطات. نزلنا التلة وعبرنا مساحة الألعاب التي ليس فيها أكثر من هيكل معدني صدئ من أجل التسلق، وأرجوحة صدئة، وحفرة رمل قذرة لم يبق فيها أي رمل تقريبًا. صعدنا المنحدر، وتجاوزنا الحواجز الإسمنتية المرتفعة، وعبرنا الطريق، فصار متجر B-Max أمامنا. كان صف الحقائب المدرسية طويلًا، منذ الآن. رأينا بضع فتيات تثبن هنا وهناك على الرغم من المطر المنهمر، بينما كان الآخرون محتمين تحت حافة السقف البارزة أمام المتجر. لكني لم أر آنِه ليزبيت! ألم تأت؟

ظهر الباص قادمًا في تلك اللحظة. عبرت الطريق مع غيّير وبلغنا موقف الباص لحظة انعطافه إلى المساحة المعبّدة وتوقّفه أمام المتجر. كنا آخر

من صعد إليه فجلسنا في المقعد الأمامي. سرعان ما صارت النوافذ الكبيرة ضبابية بفعل الرطوبة التي أتينا بها. بدأ أطفال كثيرون يرسمون أشكالًا على هذا البخار المتكثِّف. أغلق السائق الأبواب وانطلق. ركعت على مقعدي وراحت عيناي تبحثان بين الوجوه في آخر الباص. لم تكن هناك... فأحسست كأن كل ما في العالم من معنى قد اختفى. سيكون عليَّ الآن أن أظلّ طيلة النهار من غير رؤيتها؛ وقد لا أراها يوم غد أيضًا. لم أرَ سولفيغ أيضًا. هذا يعني أنني لا أستطيع معرفة كم هي مريضة ولا كم من الوقت ستظل مريضة.

توقّف الباص أمام المدرسة بعد عشر دقائق، فجرينا عبر الملعب متجهين إلى المظلة الواقية من المطر حيث تجمّعنا مع الآخرين إلى أن رُن الجرس ووقفنا في الصف. صرت الآن أعرف أكثر الأطفال بالشكل، وأعرف بعضهم باسمه، أو بسمعته الشائعة بين الأطفال. كان لدينا درس تمرينات رياضية مع الشعبة الثانية التي كانت لها مزية بالمقارنة معنا: كانوا من هذه المنطقة، وكانوا هنا على أرضهم! كانت هذه مدرستهم، وكان المعلمون معلميهم. وفي نظرهم، لم نكن إلا نوعًا من المهاجرين من غير أية حقوق. وكانوا أيضًا أشد منا قوة؛ أعني أنهم كانوا أكثر ميلًا إلى التشاجر مع الآخرين، وإلى إثارة المشكلات والتكلّم بأصوات مرتفعة متشدّقة... على الأقل كان بعضهم كذلك، ولم يكن إلا قلة منا مثلهم، آزغير ويون كانا مثلهم. كانوا يدفعوننا كلما أحبّوا دفعنا؛ ففي كل لحظة، يمكن أن تشعر بذراع قد طوّقت عنقك ثم جذبتك إلى الخلف فتجد نفسك مرميًا على الأرض. وفي كل ثانية، يمكن أن تلكمك قبضة يد على كتفك (كان هذا مؤلمًا كثيرًا) عندما تكون مصطفًا مع الآخرين أو ذاهبًا إلى الدرس. وفي كل لحظة، يمكن أن يدوس أحد على أصابع قدمك في لعبة كرة القدم. لكنهم تعلّموا سريعًا أنهم غير قادرين على فعل تلك الأمور مع يون وآزغير، لأنهما ينتقمان ممن يفعل ذلك ويردان له الصاع صاعين. أولئك الأولاد الذين يعيشون في الناحية الشرقية من الجزيرة كانت ملابسهم أيضًا مختلفة عن ملابسنا،

أو ملابس بعضهم، على الأقل. كانت ملابسهم أكثر قِدمًا؛ وكان يبدو عليها أنها مستعملة كثيرة كأنهم لا يرتدون إلا ملابس ارتداها غيرهم من قبلهم، أخ واحد أو اثنان أو حتى ثلاثة أخوة... كان أشد ما أخشاه ويخشاه غيّير أن يعثر علينا بعض أولئك الأولاد عندما نكون في مكاننا السرّي. على أن تلك لم تكن مشكلة كبيرة، فليس عليك عادة إلا أن تكون منتبهًا عندما تتجول في الخارج حتى تجري الأمور على خير ما يرام. ولعل النتيجة الأكثر أهمية لتلك الخشية كانت زيادة التقارب بيننا حتى صرنا نعتبر نفسينا وحدة واحدة وصارت غرفة الصف ملاذًا آمنًا لنا.

رُن الجرس فاصطففنا. ظهرت المعلمة -نحيلة طويلة القامة كعهدها دائمًا- في أعلى السلم بوقفتها المتمايلة قليلًا وبحركات يدها المتوترة. سرنا إلى غرفة الصف فجلسنا في أماكننا بعد أن علّقنا ملابسنا الخارجية على المشاجب في الممر.

قال أحدهم: «آنِه ليزبيت مريضة اليوم أيضًا».

«وسولفيغ أيضًا».

«وفيموند أيضًا».

قال غيّير: «وليف تورِه».

تذكّرت عندها ما حدث ليلة أمس.

قال إيفيند: «فيموند مريض في رأسه».

«ها ها ها!».

قالت المعلمة: «لا، لا، لا. نحن لا نسيء إلى أحد في هذا الصف. وبالتأكيد، لا نسيء إلى أيّ شخص في غيابه».

قلت: «كان والد ليف تورِه سكرانًا ليلة أمس. اضطرت أمي إلى أخذهم بالسيارة إلى بيت أقرباء لهم. هذا سبب عدم حضوره اليوم».

«ششششش...». نظرت المعلمة إليَّ ووضعت إصبعها على شفتيها وهزت رأسها. ثم كتبت شيئًا في دفترها قبل أن تنظر إلى الأطفال من جديد.

«هل هناك غائبون غيرهم؟ لا؟ إذًا، فلنبدأ الدرس الآن».

تقدّمتْ خطوة إلى الأمام، وجلست على حافة طاولتها: «سنتحدّث هذا الأسبوع عن المزارع. هل ذهب أحدكم إلى مزرعة؟».

أوه، رفعت ذراعي إلى أقصى حد استطعته، حتى كدت أنتصب واقفًا، وصحت: «أنا، أنا، أنا. أنا ذهبت إلى مزرعة».

لم أكن الشخص الوحيد الذي لديه ما يقوله عن المزرعة. ولم تكن يدي المرفوعة اليد التي وقع اختيار المعلمة عليها. كانت يد غيّير ب.

قال غيّير ب: «لقد امتطيت حصانًا في ليغولاند».

صحت بصوت مرتفع: «لكن تلك ليست مزرعة. لقد ذهبت إلى المزرعة مرات كثيرة. إن جدتي وجدي...».

قالت المعلمة: «هل كان هذا دورك، يا كارل أوفِه؟».

قلت ناظرًا إلى الأرض: «لا».

تابعت المعلمة كلامها: «صحيح أن ليغولاند ليست مزرعة. لكن الحصان يكون في المزرعة عادة. هذا صحيح، يا غيّير. يوني؟».

يوني؟ من هو يوني؟

استدرت ونظرت. آه... إنها الفتاة التي تضحك دائمًا. فتاة ممتلئة شقراء الشعر.

قالت يوني وقد احمرت وجنتاها: «أنا أعيش في مزرعة. لكن، ليس لدينا حيوانات. إننا نزرع الخضار. يبيعها أبي في سوق البلدة».

قلت: «لكني ذهبت إلى مزرعة فيها حيوانات».

قال سْفير: «وأنا أيضًا».

قال داغ ماغنر: «وأنا أيضًا».

قالت المعلمة: «على كل منكم أن ينتظر دوره. وسوف ينال كل منكم فرصة للكلام».

أشارت إلى خمسة آخرين قبل أن أتمكّن أخيرًا من إنزال يدي وقول ما أردت قوله. حسنًا... جدّتي وجدي لديهما مزرعة. وهي مزرعة كبيرة. لديهما بقرتان وعجل. ولديهما دجاجات. لقد جمعت البيض مرات كثيرة،

ورأيت جدتي تحلب البقرتين في الصباح. تزيل الروث أول الأمر، ثم تطعم البقرتين، ثم تحلبهما. وأحيانًا، ترفع البقرتان ذيليهما وتتبوّلان.

اندفعت صوبي موجة من الضحك. شجعني ذلك فتابعت كلامي. قلت لهم وأنا جالس في الصف وقد احمرّ وجهي كثيرًا إن إحدى البقرتين تبولت عليّ ذات مرة.

نظرت من حولي واستقبلت الضحك الذي أعقب قولي ذلك. لم تقل المعلمة شيئًا. أشارت إلى شخص آخر، لكنّي نظرت إلى وجهها فأدركت أنها لم تصدقني.

وبعد أن فرغ الجميع من قول ما أرادوا قوله، قرأت المعلمة علينا مقطعًا من كتاب، ثم طرحت علينا أسئلة عما قرأته، ولم تنظر في اتجاهي إلى أن رُن الجرس. عندها، طلبت مني أن أبقى في الصف.

قالت لي: «كارل أوفِه، انتظر هنا. أريد أن أقول لك شيئًا».

وقفت إلى جانب طاولة المعلمة في حين أسرع بقية الأطفال خارجين من الصف. وعندما صرنا وحيدَيْن، استندت إلى حافة الطاولة ونظرت إلي.

قالت لي: «لا يمكننا إخبار الجميع بكل ما نعرفه عن أي شخص. مثلًا، ما قلته عن والد ليف تورِه. ألا تظن أن ليف تورِه سيكون منزعجًا نتيجة هذا».

أجبتها: «نعم، سيكون منزعجًا».

«لن يكون ليف تورِه راغبًا في أن يعرف أحد شيئًا عن هذا الأمر. هل تفهم هذا؟».

«أجل».

بدأت أبكي.

قالت: «إن لكل منا حياته الخاصة. هل تعرف معنى هذا؟».

نشقت في أنفي وقلت: «لا أعرف».

«هذا يعني كل ما يحدث في بيتك، وفي بيتي، وفي بيوتهم، وفي كل بيت. إذا رأيت ما يحدث في بيت شخص آخر، فليس أمرًا لطيفًا أن تذهب وتخبر الآخرين به، هل تفهم الآن؟».

أومأت برأسي.

«جيد، يا كارل أوفِه. لا تحزن. أنت لم تكن تعرف هذا. لكنك صرت تعرفه. إذًا، يمكنك الذهاب الآن».

نزلت السلم، وعبرت الممر، ثم خرجت منه إلى ساحة اللعب. ألقيت نظرة على المجموعات المختلفة الواقفة هناك. عدد من الفتيات يلعبن «القفزة الفرنسية» باستخدام شريط مطاطي، وبعضهم يلعبنها باستخدام حبل، وهناك من يلعبون لعبة «اللقّيطة». رأيت في ملعب كرة القدم جمهرة من الأطفال عند المرمى القريب مني. كانت في وسط الملعب بركة من وحل يكاد يكون أصفر اللون. غيّير وغيّير هاكون وإيفيند كانوا واقفين عند المقعد تحت الصخرة الصغيرة التي تنتصب فوقها سارية العلم. جريت وانضممت إليهم. كانوا يلعبون ببطاقات القوارب التي جلبها غيّير هاكون.

قال إيفيند: «هل كنت تبكي؟».

هززت رأسي وقلت: «هذا بسبب الريح».

«ماذا قالت لك المعلمة؟».

قلت: «لم يكن شيئًا كثيرًا. هل أستطيع الحصول على بطاقة».

قال إيفيند: «لقد كنت تبكي».

كان إيفيند أفضل من في الصف، مثلي ومثل سْفير. كان هو الأفضل في الحساب، وكان سْفير الثاني في الحساب، وأنا الثالث. وكنت أفضلهم في القراءة والكتابة. وأما إيفيند فكان الثاني، وبعده سْفير. لكن إيفيند كان أسرع مني، ولم يكن في صفنا كلّه من هو أسرع منه غير ترونْد. كنت السادس في السرعة. وكان أقوى مني أيضًا، فأنا ثاني أضعف واحد بين الأولاد؛ ولا يوجد أضعف مني غير فيموند. وبما أن فيموند كان أكثر الأولاد بدانة وبلاهة، فإن هذا لم يكن وضعًا حسنًا بالنسبة إليّ... ما من أحد يلقي إلى فيموند بالًا! وحتى ترونْد، أقصر الأولاد قامة في الصف كلّه، فقد كان أسرع مني. كنت ثالث الأولاد طولًا، أي أطول منه قليلًا، وكنت الرابع في كرة القدم، ولم يسبقني فيها غير آزغير وترونْد ويون. وكان إيفيند الخامس. كنت أفضل منه

في الرسم، لكني لم أكن في مثل مهارة غيّير الذي كان قادرًا على رسم كل شيء كما هو... وفيموند أيضًا. وأما عن رمي الكرة، فقد كنت أحتل المركز قبل الأخير. ومن جديد، لم يكن أحد أسوأ مني في ذلك غير فيموند.

قلت: «كانت الريح في عينيّ عندما خرجت من المدرسة. لم أكن أبكي. هل أستطيع الحصول على بطاقة؟».

كانت على أول بطاقة سحبتها صورة «إس إس فرانس» أكبر سفينة ركاب في العالم. إنها البطاقة المتفوّقة على أية بطاقة أخرى في المجموعات كلها.

في الدرس التالي، كتبنا في دفاترنا حروفًا من الأبجدية: حرف «U» كما في «KU» وحرف «A» كما في «LAM»، وحرف «Å» كما في «GÅS». وكان علينا أن نعيد كتابة هذه الحروف في البيت أيضًا، في دفاتر الواجبات البيتية. سألتنا المعلمة إن كان أحد منا يعيش قريبًا ممن تغيبوا عن المدرسة اليوم؛ وذلك حتى يخبرهم بهذا الواجب البيتي.

لكني لم أنتبه إلى الفرصة التي سنحت لي إلا في الدرس التالي الذي كان آخر الدروس. كان ذلك درس التمرينات الرياضية. أي إنني تذكّرت بينما كنت أجري في صالة الألعاب الرياضية الصغيرة. يمكنني الذهاب إلى بيت آنِه ليزبيت وإخبارها بما يتعيّن عليها كتابته في الواجب البيتي! أفعمتني تلك الفكرة فرحًا. وفور ارتدائنا ملابسنا وخروجنا من غرفة الملابس في طريقنا إلى حيث نصطف في انتظار الباص، أخبرت غيّير بخطتي. كشّر غيّير... نذهب إلى آنِه ليزبيت! لماذا؟ فمن ناحية أولى، لم نذهب إلى بيتها من قبل. وأما من ناحية ثانية، فإن فيموند قريب منها. ألا يستطيع فيموند إخبارها بأمر الواجب البيتي؟ قلت له إنه لا يفهم شيئًا، وإن الفكرة هي أن نكون نحن من يذهب إليها.

ظل غيّير متردّدًا، لكنّي واصلت الضغط عليه، فوافق على أن يذهب معي.

في هذا الصباح، لم يجعل الباص الجميع ينزلون عند B-Max، بل مضى

عبر الحي وراح ينزل الأطفال في طريقه واحدًا تلو آخر. يفعل الباص ذلك أحيانًا، فيكون المشهد غريبًا في كل مرة لأن ذلك الباص الضخم لم يكن منتميًا إلى هذا المكان، إلى هذه الطرقات الضيقة. كان أعلى من كل شيء كأنه سفينة كبيرة تسير في قناة. وقفنا على الرصيف ننظر إليه صاعدًا في الطريق وهو يئن لفرط الجهد ويطلق في أعقابه سحائب من دخان فائح برائحة الزيوت.

قلت لغيّير: «هل تصعد، أم أنزل؟».

قال: «بل اصعد أنت».

قلت: «لا بأس»، وسرت في الممر الذي أمام بيتنا. لحسن حظي، كان واضحًا أنه خالٍ. لم تعد السماء تمطر الآن، لكن كل شيء من حولي كان رطبًا. بقع رطوبة كبيرة داكنة على الجدار البني. وثقوب درجات الباب الحجرية ممتلئة ماء. وعلى مقبض المجرفة المستندة إلى الجدار قطرات ماء معلّقة مرتعشة. فتحت سحاب سترتي وأخرجت المفتاح لأرى إن كنت سأتمكّن من فتح الباب هذه المرة. لكن ما حدث في السابق حدث الآن أيضًا. دخل المفتاح في القفل، لكن الأسطوانة الصغيرة التي ينبغي أن تدور ظلت رافضة أن تتحرّك. نظرت إلى الطريق. ما من أحد هنا. ذهبت إلى حاوية القمامة التي عند السياج، وأخرجت منها الكيس الأسود نصف الممتلئ فوضعته على الأرض. أمسكت بمقبضي الحاوية ورفعتها. كانت أكثر ثقلًا مما توقعت، وكان عليَّ أن أنزلها إلى الأرض مرات كثيرة في طريقي إلى جدار البيت. حتى الآن، لا أرى أحدًا على التل. أتت سيارة، لكنها لم تكن سيارة أحد ممن أعرفهم، فحملت الحاوية واجتزت بها المسافة الباقية من المرج، ثم وضعتها تحت النافذة. تسلقت الحاوية، وفتحت النافذة، ودفعت برأسي وكتفيَّ عبرها. انتابني إحساس بفقدان السيطرة على الموقف لأنني لم أعد قادرًا على معرفة إن كان أحد ينظر إليّ من الخارج. لا أرى الآن غير الغرفة الصغيرة الفارغة التي أمامي. غرفة معتمة حارة. ملأني ذلك ذعرًا. انحنيت، واستدرت، وعندما صار نصف جسدي في الداخل، قبضت على الأنبوب المعدني فوق الخزان وسحبت نفسي إلى الداخل.

نزلت إلى الأرض، وخلعت حذائي -حملته عبر الممر ثم انتعلته من جديد عند العتبة - فتحت الباب وخرجت من جديد. نظرت إلى الطريق وقد جعلني التوتر والخوف أشعر بفراغ في داخلي. ما من سيارات هنا، وما من شيء. إذا لم يأت خلال الدقيقتين التاليتين... إذا لم يعد إلى البيت لأنه نسي فيه شيئًا أو لأنه مريض (لم يحدث هذا من قبل أبدًا لأن أبي لا يمرض أبدًا)، فسوف يتم كل شيء على ما يرام.

أطلقتْ شفتاي صيحة فرح. أسرعت إلى الحاوية وحملتها إلى مكانها، ثم أعدت الكيس إليها وطويت نهاياته على حافتها، ثم عدت مسرعًا إلى النافذة. ذعرت عندما رأيت أن الحاوية قد تركت آثارًا على العشب. كانت آثارها عميقة. مررت بيدي على العشب وحاولت تحريكه قليلًا حتى تختفي الآثار التي تركتْها حافةُ أسفل الحاوية عندما انغرست في الأرض فرسمت خطًا ظاهرًا في التربة الموحلة. نهضت ونظرت إلى نتيجة عملي.

لا تزال الآثار مرئية.

لكن، إذا لم تكن لديك فكرة عن أنها موجودة هناك، فقد تكون رؤيتها أكثر صعوبة!

لكن أبي يرى كل شيء. وسوف يراها.

قرفصت هناك من جديد وحركت العشب أكثر.

ها قد تم الأمر.

ينبغي أن يكون هذا كافيًا.

إذا رأى الآثار، فأنا قادر دائمًا على إنكار أي علم بها. استبعدت احتمال أن يكون قادرًا على تخيل أنني حملت الحاوية وعبرت بها المرج ثم وضعتها تحت النافذة حتى أدخل منها. لا، إذا رأى الآثار فسوف تكون لغزًا بالنسبة إليه، وسوف تكون أمرًا غير مفهوم أبدًا. إذا واصلت إنكار علمي بها (بصوت طبيعي وبتعابير وجه طبيعية)، فلن يستطيع التوصل إلى أي شيء.

مسحت يديَّ المتسختين الرطبتين بساقي بنطلوني، وصعدت إلى غرفتي حاملًا حقيبتي المدرسية. فتحت باب الخزانة وفكّرت أن أرتدي قميصي

الأبيض. وقد أدفأتْ قلبي فكرة أن آنِه ليزبيت سوف تراني جميلًا في هذا القميص، لكني عدت إلى رشدي وتخليت عن الفكرة لأن من الممكن أن يسألني أبي عن السبب الذي جعلني أغير ملابسي فأجد نفسي عالقًا في مشكلة سيعرف أبي كيف يحلّ خيوطها.

نزلت وأغلقت باب البيت من الداخل، وتسلّقت خزان الماء الحار، ثم استدرت وأخرجت قدمي من النافذة ودلّيت نفسي منها، ثم أفلتّها وسقطت على الأرض.

نهضت واقفًا، وسرت في الممر بأقصى ما استطعته من سرعة متظاهرًا بأن شيئًا لم يحدث.

الآن أيضًا، لم أر أية سيارة على الطريق. كان يون بيك، وغيّير هاكون، وكِنتْ آرنِه، وأوفيند سونْت، واقفين على دراجاتهم عند تقاطع الطرق. أتوا في اتجاهي عندما شاهدوني. بقيت في مكاني منتظرًا وصولهم.

قال غيّير هاكون وهو يوقف دراجته أمامي تمامًا: «هل سمعت؟».

«سمعت ماذا؟».

«لقد قَطع كابلٌ فولاذيٌّ عاملًا إلى نصفين في فيندهولمن في وقت مبكر من هذا الصباح».

«قطعه إلى نصفين!».

قال يون بيك: «نعم. انقطع الكابل عندما كانوا يقطرون مركبًا فأصابت نهايته رجلًا وقطعته إلى نصفين. أخبرني أبي بهذا. لقد صرفوا العمال كلهم إلى بيوتهم».

تخيلت رجلًا على زورق قطر ينقطع إلى نصفين: النصف العلوي، ذلك الذي فيه رأس وذراعان، واقف إلى جانب الجزء السفلي الذي فيه ساقان.

قال كِنتْ آرنِه: «ألا تزال عجلة دراجتك مثقوبة؟».

أومأت برأسي.

«تستطيع الجلوس خلفي».

قلت: «أنا ذاهب لرؤية غيّير. أين تذهبون أنتم؟».

رفع غيّير هاكون كتفيه وقال: «ربما ننزل إلى مرسى القوارب».
قال كِنتْ آرنِه: «أين كنت ذاهبًا؟».
قلت: «أنا ذاهب لرؤية شخص في الصف من أجل الواجب المنزلي».
قال غيّير هاكون: «من هو؟... إن كنت أستطيع أن أسألك».
قلت: «فيموند».
«هل تخرج مع فيموند!».
قلت: «لا. اليوم فقط. ينبغي أن أذهب الآن».
جريت صاعدًا في الطريق وناديت غيّير الذي خرج على الفور حاملًا بيده قطعة خبز.

تجاوزنا متجر B-Max بعد عشرين دقيقة من ذلك. وعبرنا الأرض المسطّحة التي لا تلبث أن تعلو، بعد المنعطف، مرتفعة إلى أعلى نقطة في منطقتنا السكنية حيث تبدأ الطريق المؤدية إلى حيث يعيش كل من فيموند وسولفيغ وآنِه ليزبيت. كان ممكنًا أيضًا أن نذهب إلى ذلك المكان إذا مشينا في الاتجاه المعاكس انطلاقًا من بيتنا، وذلك لأن الطريق التي تربط الطرق الجانبية والتجمّعات السكنية في الحي كلّه ترسم دائرة تقع داخلها طريق رينغفي الدائرية الخاصة بمنطقتنا. وكأن ذلك لم يكن كافيًا!... فالطريق الخارجية الرئيسية ترسم دائرة أيضًا، لكن دائرتها تشمل الجزيرة كلّها. هذا يعني أننا نعيش ضمن دائرة واقعة ضمن دائرة واقعة ضمن دائرة ثالثة. بعد مئة متر من السوبر ماركت، تسير الطريقان الخارجيتان في مسارين متوازيين؛ لكنك لا تستطيع رؤية ذلك لأن واجهة صخرية قد يبلغ ارتفاعها عشرة أمتار تفصل بين الطريقين قبل أن يتّصل بها جدار حجريٌّ مرتفع. كان فوق الجدار سياج سلكي أخضر، ومن خلفه منحدر صخري تأتي بعده الطريق التي كنا سائرين فيها. كنا نسمع أصوات السيارات المنطلقة سريعًا في الأسفل على الرغم من عدم قدرتنا على رؤيتها. كان صوت السيارات مثيرًا فنزلنا حتى السياج. تكون السيارة القادمة صاعدة من محطة فينا فنسمع صوتها خافتًا في البداية، ثم يعلو صوتها ويعلو إلى أن تمر من تحتنا ماضية

في طريقها، ويتضخّم هدير محرّكها بفعل الواجهة الصخرية. قررنا أن نرمي الحجارة على السيارات. وبما أننا لا نستطيع رؤيتها، فقد كانت المهارة كامنة في ضبط التوقيت احتكامًا إلى صوتها. حمل كل منا حجرًا في يده وانتظرنا قدوم السيارة التالية. كان الحجران كبيران، أكبر من كفّينا؛ لكنهما لم يكونا ثقيلين إلى حد يجعلنا غير قادرين على رميهما من فوق السور بحيث يسقطان رأسيًا مسافة عشرة أمتار إلى الطريق التي في الأسفل. بدأ غيّير. رمى الحجر عندما كانت السيارة تحتنا، لكنه أخطأها بالطبع! سمعنا الصوت الخافت لاصطدام الحجر بالإسفلت وتدحرجه إلى الأسفل. وعندما جاء دوري، رميت حجري أبكر مما ينبغي: لعل السيارة كانت لا تزال بعيدة نحو خمسين مترًا عندما اصطدم الحجر بالطريق.

كانت امرأة سائرة على الرصيف حاملة بكل يد كيسًا. توقفت المرأة وكلمتنا مع أننا لم نرها قبل ذلك أبدًا.

قالت لنا: «ماذا تفعلان هنا؟».

أجاب غيّير: «لا شيء».

قالت: «اصعدا. المكان خطير هنا لأن الانحدار شديد».

تابعت المرأة سيرها، لكنها ظلت تنظر إلينا، ففعلنا ما قالته لنا وصعدنا إلى الرصيف.

سرنا متوازنين على حافة الرصيف طيلة المسافة حتى بيت فيموند. كانت أخته في الخارج راكعة على ركبتيها تلعب في حفرة الرمل. سترتها الواقية من المطر صفراء اللون، وبنطلونها أصفر أيضًا؛ ومعها دلو أزرق ومجرفة خضراء.

قال لي غيّير: «هل ندخل لرؤية فيموند أولًا؟».

قلت له: «لا، دعنا لا نذهب إليه. فلنذهب إلى آنِه ليزبيت».

كان لنطق اسمها مفعول كهربائي جعل آلاف القنوات العصبية تفرقع في داخلي وتنفتح عندما قلت *آنِه ليزبيت*.

قال غيّير: «ما هذا؟».

«ماذا تقصد؟».

«بدت هيئتك غريبة».

«غريبة؟ لا. أنا طبيعي تمامًا».

سرنا بضع خطوات صاعدين في الطريق التي كانت تغطي قسمًا منها طبقة رقيقة من ماء جارٍ إلى الأسفل؛ وكانت تلك الطبقة رقيقة إلى حد جعلها تبدو كأنها مترقرقة في مكانها لا جارية نزولًا. رأينا حافة سقف البيت الذي تعيش فيه آنِه ليزبيت. كان البيت واقعًا على قمة التل؛ مرج ممتد أمامه، وأشجار في الأسفل. رأيت نافذة مضيئة في الطابق العلوي... لعل هذه غرفتها! كان بيت مورفانغ واقعًا إلى الناحية الأخرى من الطريق، وكذلك بيت سولفيغ؛ ومن تحتهما تمتد الغابة خضراء، داكنة، رطبة. مررنا بالبيتين، ثم انتهت الطريق بساحة صغيرة مفروشة بالحصى واقعة عند أول الغابة. ومن هناك، كان الممر المفضي إلى بيت آنِه ليزبيت. مصباح مضيء فوق باب البيت.

قلت له عندما وصلنا إلى الباب: «هل تقرع الجرس؟».

رفع غيّير ذراعه ووقف على أصابع قدميه، ثم ضغط على مفتاح الجرس. كان قلبي يخفق عنيفًا. انقضت بضع ثوانٍ، ثم فتحت أمها الباب.

قلت لها: «هل آنِه ليزبيت هنا؟».

أجابت: «أجل».

قال غيّير: «نحن في صفها. لقد أحضرنا لها الواجب البيتي».

قالت الأم: «ما ألطفكما! هل تحبّان أن تدخلا؟».

كان شعرها أشقر وعيناها زرقاوان -مختلفة تمامًا عن آنِه ليزبيت- لكن مظهرها كان مريحًا أيضًا.

صاحت: «آنِه ليزبيت! لديك زائران من صفك!».

جاء صوت آنِه ليزبيت من الأعلى: «أنا قادمة».

قلت: «أليست مريضة؟».

هزت أمّها رأسها وقالت: «لم تعد مريضة. لكنا جعلناها تبقى في البيت يومًا إضافيًا من باب الاحتياط فقط».

قلت: «أوه، نعم».

صوت خطوات على السلم، ثم ظهرت آنِه ليزبيت وفي يدها قطعة خبز. ابتسمت لنا ابتسامة كبيرة وقالت: «مرحبًا».

قلت: «ظننا أنك مريضة!».

قال غيّير: «لقد أحضرنا لك الواجب البيتي».

كانت ترتدي كنزة بيضاء مرتفعة الياقة وعليها خطوط حمراء، ومن تحتها بنطلون أزرق اللون. وكان الجلد فوق شفتيها أبيض اللون كالحليب.

قالت: «ألا تريدان أن نذهب ونلعب في الخارج؟ بقيت في البيت طيلة النهار. وكنت في البيت طيلة يوم أمس أيضًا».

أجبتها: «أجل، لا بأس. ما رأيك، يا غيّير؟».

قال غيّير: «نعم».

ارتدت معطفها الأحمر الواقي من المطر، ثم انتعلت جزمتها البيضاء. صعدت أمها إلى الطابق العلوي.

صاحت آنِه ليزبيت: «إلى اللقاء، يا ماما»، ثم جرت خارجة من البيت فجرينا خلفها.

توقّفت عندما بلغت نهاية الساحة المفروشة بالحصى والتفت إلينا فجأة. قالت لنا: «ماذا نفعل؟ هل ننزل إلى بيت سولفيغ؟».

نزلنا إلى بيت سولفيغ. انضمت سولفيغ إلينا، واقترحت آنِه ليزبيت أن نلعب لعبة القفز. وهكذا وقفنا، أنا وغيّير، ومن حول سيقاننا شريط مطاطي مشدود راحت سولفيغ وآنِه ليزبيت تقفزان داخلتين إليه وخارجتين منه تبعًا لنظام حركات دقيق تتقنانه تمامًا. وعندما جاء دوري، شرحت لي آنِه ليزبيت ما ينبغي فعله. تألّقت عيناها الداكنتان. انفجرت ضاحكة عندما أخطأت و... أوه، شممت رائحة شعرها عندما تطاير أمام وجهي.

كان ذلك رائعًا إلى أقصى حدٍّ. كان كل شيء رائعًا إلى أقصى حد. ازدادت كثافة الغيوم فوقنا، واكتسى لونها الرمادي مسحة من لون أزرق مائل إلى السواد. وكانت السماء كأنها جدار منتصب فوق الغابة. ثم بدأ

هطول المطر. رفعنا إلى رؤوسنا القبعات المتصلة بستراتنا الواقية من المطر، وواصلنا اللعب. كان المطر يسقط على القبعات، ويجري على وجوهنا والحصى يصرّ تحت أقدامنا. وفجأة، أضاء المصباح الذي في قمة العمود عند نهاية الطريق. وبعد قليل ظهرت سيارة تقترب بحركة بطيئة.

قال آنِه ليزبيت: «هذا بابا».

توقّفت السيارة - كانت سيارة فولفو إستيت. توقفت عند آخر الممر وخرج منها رجل ضخم قوي له لحية سوداء. لوح لها بيده فجرت إليه. انحنى وعانقها، ثم دخل البيت.

قلت لنا: «سوف نتناول الطعام الآن. ماذا عن الواجب البيتي؟».

أخبرتها بما طلبته المعلمة. أومأت برأسها، ثم ودّعتنا وذهبت.

قالت سولفيغ ذات العينين الحزينتين وهي تلف الشريط المطاطي: «عليَّ أن أذهب أيضًا».

قلت لها: «ونحن أيضًا».

بلغنا تقاطع الطرق فاقترحت أن نجري طيلة المسافة إلى المتجر؛ وهذا ما فعلناه. وهناك، اقترح غيّير ألّا نعود إلى البيت عبر طريق غريفلينغفين، ولا عبر الغابة، بل عبر الطريق الرئيسية نزولًا حتى هولتيت. فعلنا ذلك. ومن هناك، سلكنا دربًا عبر أزهار الخلنج حتى بلغنا طريق رينغفين التي مشينا فيها حتى وصلنا إلى البيت. لكن شيئًا غريبًا حدث بعد أن مضينا بضعة أمتار في تلك الطريق. جاء الباص نازلًا المنحدر فالتفتُّ بحركة تلقائية ورأيت إنغفِه جالسًا فيه. كان قريبًا جدًّا مني... قبالتي تمامًا! عجبًا! ماذا يفعل إنغفِه هناك؟ هل كان ذاهبًا إلى آرندال؟ الآن؟ وما الذي يجعله يذهب إليها؟

قلت: «كان ذلك إنغفِه. لقد رأيته في الباص».

قال غيّير: «أوه، نعم». لم يبد اهتمامًا كبيرًا بالأمر. عبرنا المرج الذي أمام البيت. ثم مشينا في الشارع.

قال غيّير: «لقد أمضينا وقتًا ممتعًا هناك».

قلت: «صحيح. ما رأيك في أن نذهب ثانية، في وقت لاحق؟».

قال غيّير: «موافق. لكن أظن من الأفضل ألا نخبر أحدًا بهذا. ففي النهاية، هما فتاتان!».

«حسنًا. لن نخبر أحدًا».

كنا في مكان مرتفع، فرأيت سيارة أبي متوقّفة أمام البيت. كانت سيارة والد غيّير أمام بيتهم أيضًا. إنهما معلمان، وهما يعودان من العمل قبل بقية الآباء.

تذكّرت حاوية القمامة التي استخدمتها حتى أدخل من النافذة.

قلت لغيّير: «ألا تحب أن نفعل شيئًا آخر؟ نذهب إلى مكان آخر؟ دعنا نذهب إلى الشجرة التي عليها أرجوحة».

هز غيّير رأسه: «إنها تمطر. وأنا جائع. سوف أذهب إلى البيت».

أجبته: «لا بأس. إلى اللقاء».

قال غيّير: «إلى اللقاء»، ثم جرى إلى بيته. أغلق الباب خلفه بعنف جعل الزجاج يهتز. نظرت إلى بيت غوستافسن. هناك ضوء في نافذة المطبخ. هل عادوا إلى البيت؟ أم إن الأب وحده هناك؟ كان في بيتهم كراج، فكان مستحيلًا أن أعرف إن كانت السيارة هناك أم لم تكن.

استدرت ونظرت إلى التل. رأيت والد ماريانِه يرفع غطاء حاوية القمامة ويرمي فيها كيس نايلون مطويًا. يرتدي كنزة صوفية طويلة. ذقنه غير حليقة. كان يبدو غاضبًا على الدوام؛ لكني لم أكن واثقًا من أنه غاضب بالفعل لأنني لم أتحدّث معه ولم أسمع عنه شيئًا. كان بحّارًا يغيب عن البيت فترات طويلة من السنة وعندما يأتي إلى البيت، يظلّ فيه معظم الوقت.

أغلق الرجل الباب من غير أن يلاحظ وجودي.

أتت من عند تقاطع الطرق شاحنة ضخمة صفراء تحمل صخورًا. اهتزت الأرض عند مرورها، وعلت سحابة من دخان كثيف منطلقة من أنبوب العادم المرتفع عند مقدّمتها.

ذات مرة، أراني إنغفِه صورة أكبر شاحنة في العالم. كانت الصورة في كتاب عن برنامج مركبة الفضاء أبولو استعاره من المكتبة. كان كل ما يتعلّق بتلك الشاحنة أكبر شيء في العالم. لقد بنوها خصيصًا لنقل الصاروخ مسافة

بضعة كيلومترات حتى قاعدة الإطلاق. لكنها كانت بطيئة بقدر ما هي كبيرة. قال إنغفِه إنها تسير بسرعة السلحفاة.

لكن إطلاق الصاروخ كان أكثر جاذبية. كنت مستعدًا للنظر إلى تلك الصور مرات لا تنتهي. وقد رأيت إطلاق الصاروخ في التلفزيون أيضًا. يمكن أن يتوقّع المرء انطلاق الصاروخ من منصته بسرعة يصعب تصديقها؛ لكن الأمر لم يكن كذلك. على العكس تمامًا، كان ارتفاع الصاروخ شديد البطء خلال الأمتار الأولى، وشكّل الدخان والنار المنبعثان منه نوعًا من وسادة تحته، بدا لي أنها ظلت ثابتة في مكانها لحظة قصيرة قبل أن يبدأ الصاروخ حركته البطيئة مرتفعًا، مرتعشًا قليلًا، مطلقًا زئيرًا هائلًا يمكن سماعه على مسافة كليومترات كثيرة. ثم تسارع الصاروخ وتسارع إلى أن بلغ سرعة مذهلة لا يستطيع العقل تخيّلها وانطلق كالسهم، أو كالبرق، مخترقًا السماء الزرقاء الصافية.

كنت أتخيل أحيانًا انطلاق صاروخ من هذه الغابة. سيكون قد أنشئ سرًا في مكان خفيّ خلف الجبل. ثم نراه في يوم من الأيام يرتفع بطيئًا، بطيئًا جدًا، ويعلو فوق الأشجار الواقفة هناك في الأسفل، يعلو أبيض اللون نقيًا على تلك الخلفية الخضراء والرمادية ومن تحته سحابة من نار ودخان. ثم يرتفع فوق الغابة ويكاد يقف لحظة معلّقًا في السماء قبل أن تزداد سرعته وينطلق إلى الأعلى متسارعًا ويتردّد زئير محرّكاته العملاقة بين بيوتنا.

كانت تلك فكرة حسنة!

نزلت إلى البيت مهرولًا، واجتزت الممرّ المفروش بالحصى إلى أن بلغت الباب، ففتحته وبدأت أخلع حذائي على السجادة الصغيرة هناك عندما خرج أبي إلى الممر قادمًا من غرفة مكتبه.

رفعت رأسي ونظرت إليه.

لم يبدُ لي أنه غاضب.

قال لي: «أين كنت؟».

قلت: «كنت ألعب مع غيّير».

مكتبة
t.me/t_pdf

قال: «لم يكن هذا ما سألتك عنه. سألتك أين كنت؟».
قلت: «ذهبنا إلى متجر B-Max. لعبنا خلفه».
«أوه... ماذا كنتما تفعلان هناك؟».
«لا شيء. كنا نلعب».
«عليك أن تعود إلى المتجر. إننا في حاجة إلى شراء البطاطس. هل تظن أنك تعرف كيف تشتري البطاطس؟».
قلت له: «أجل».
أخرج محفظته من جيب بنطلونه الخلفي وسحب منها ورقة نقدية.
قال: «دعني أرى جيوبك».
نصبت قامتي ودفعت بحوضي إلى الأمام.
ناولني الورقة النقدية.
قال: «ضع هذه في جيبك. لا تتسكّع هنا وهناك».
أجبته: «حسنًا». عاد إلى المطبخ، فانتعلت جزمتي من جديد وأغلقت الباب بلطف من خلفي وانطلقت جاريًا.

عاد إنغفِه إلى البيت قبيل جلوسنا لتناول طعام العشاء. لم يكد يدخل غرفته حتى نادانا أبي قائلًا إن الطعام صار جاهزًا. لقد قلى لنا قطع لحم مع البصل، وسلق البطاطس والقرنبيط. أخبرتنا أمي بأن امرأة ستأتي للمساعدة في تنظيف البيت. إنها امرأة كبيرة السن اسمها السيدة ييلن. سوف تأتي مرة واحدة في الأسبوع، ومن المنتظر أن تأتي بعد ظهر هذا اليوم. قالت أمي إنها اتصلت بها من العمل، وإنها بدت لها امرأة لطيفة. كنت أعرف أن أبي لا يريد استخدام أحد لتنظيف المنزل. لقد قال هذا مرة. لكنه ظلّ صامتًا الآن مما جعلني أفترض أنه غيّر رأيه. كنت أترقّب وصول تلك المرأة. ففي المرات القليلة التي يأتينا فيها زوار، يكون ذلك أمرًا ممتعًا على الدوام... ربما لأنهم عندما يأتون يملأون البيت بشيء جديد مختلف عما هو مألوف. ثم إن ذلك كان جيدًا أيضًا لأنهم يُبدون دائمًا قدرًا من الاهتمام بي وبإنغفِه.

يقولون إذا كانت تلك أول مرة يروننا فيها: «إذًا، هذان هما ولداكما، أليس كذلك؟». وإذا لم تكن تلك أول مرة، فهم يقولون: «كم صارا طويلين!». بل إنهم يطرحون علينا بعض الأسئلة أحيانًا... أسئلة عن المدرسة أو كرة القدم.

ذهبت إلى غرفة إنغفِه بعد فراغي من الأكل. تناول شريط كاسيت عن الرف. كان الشريط الذي يستمع إليه دائمًا، *«بايلدرايفر»*. وضعه في آلة التسجيل.

قلت له: «رأيتك في الباص. أين كنت ذاهبًا؟».

أجابني: «إلى البلدة».

استلقى على سريره وبدأ يقرأ في مجلة مصوّرة.

«ماذا فعلت هناك؟».

قال: «كفاك أسئلة! ذهبت لشراء قطعة من أجل دراجتي».

«هل تعطّلت دراجتك؟».

أومأ برأسه ثم نظر في عينيّ. قال لي: «لا تقل هذا لأحد. ولا حتى لماما».

«أقسم أنني لن أخبر أحدًا. فلأسقط ميتًا إذا فعلت ذلك».

«إن الدراجة في بيت فرانك. هل تعرف تلك القطعة التي تثبّت المقود؟ حسنًا، إنها مكسورة. لكن والد فرانك وعدني بأن يصلحها. سوف تكون جاهزة يوم غد».

قلت: «تخيل لو أن بابا رآك في آرندال! أو أن أحدًا يعرفه بابا رآك هناك!».

هز إنغفِه كتفيه وتابع القراءة. ذهبت إلى غرفتي. رُن جرس الباب بعد قليل. انتظرت إلى أن نزلت أمي وصارت في الطابق السفلي قبل أن أفتح باب غرفتي. وبعد لحظات من ذلك، صعدت السلم سيدة في سن الكهولة. كانت ممتلئة الجسم، أو ربما عليّ القول إنها كانت عريضة. سيدة تضع نظارة ولها شعر رمادي.

قالت أمي: «هذا كارل أوفِه، ابننا الأصغر».

حييتها بإيماءة من رأسي. ابتسمت لي.

قالت: «اسمي السيدة يبلن. أنا واثقة من أننا سنكون صديقين».
ربتت على كتفي. أحسست بدفء يغمر جسدي.
قالت أمي: «إنغفِه ابننا الأكبر. إنه في غرفته».
قلت: «هل أناديه؟».
هزّت أمي رأسها وقالت: «لا حاجة إلى ذلك».
بدأت أمي جولة معها على غرف البيت، فعدت إلى غرفتي. بدأ الغسق يحل في الخارج. وكانت نقرات المطر ناعمة على السقف والجدران. كان الماء ينهمر مخرخرًا في المزاريب. قطرات مطر ضخمة تصطدم بزجاج النافذة وتجري عليه راسمة خطوطًا يستحيل التنبؤ بمساراتها. أنار مصباحُ سيارة شجرةَ التنّوب فوق صفٍّ صناديق البريد. هذا جاكوبسن عائد من عمله. لمعت صناديق البريد الخضراء والعارضة التي تحملها لمعانًا صامتًا تحت ضوء السيارة. كانت كأنها تقول، *لا، لا، لا نريد ضوءًا، لا نريد ضوءًا!*
انبطحت على فراشي ورحت أفكّر في آنِه ليزبيت. غدًا نذهب إلى هناك مرة أخرى. لكني كنت راغبًا في رؤيتها في المدرسة قبل ذلك. كان يكفيني أن أراها. لا يلزمني أكثر من ذلك حتى تسري البهجة في جسدي كلّه، في كل جزء منه. سأطلب منها أن تخرج معي في يوم من الأيام. وفي يوم من الأيام ستكون في غرفتي وسأكون في غرفتها. صحيح أنهم لا يسمحون لي بدعوة أحد إلى غرفتي، لكنهم سيسمحون بمجيئها... سأعرف كيف أتدبّر ذلك... حتى إذا اضطررنا إلى الدخول من تلك النافذة الصغيرة في غرفة السخّان.
جلست إلى طاولتي، وأخرجت الكتب من حقيبتي، وكتبت واجبي البيتي. انصرفت السيدة يبلن، ثم سمعت إنغفِه ذاهبًا إلى المطبخ. كان ذلك يوم اثنين. وفي كل اثنين يبدأ إنغفِه إعداد الوافل، أو الفطائر في أول المساء. كنت أجلس في المطبخ مع أمي وهو يعمل. يكون المطبخ دافئًا وتكون رائحة الوافل أو الفطائر لذيذة. وكنا نتحدّث عن كل شيء تحت الشمس. وبعد أن ينتهي إنغفِه، نأكل الفطائر مع الجبن البني والزبدة التي تذوب عليها، أو نأكل الوافل مع السكر والزبدة التي تذوب عليه أيضًا. وكنا نشرب

شايًا بالحليب. ينضم أبي إلينا بعض الأحيان، أحيانًا قليلة. وحتى عندما ينضم إلينا، فإنه لا يطيل الجلوس في المطبخ بل يعود إلى مكتبه سريعًا. كنت قادرًا على كتابة الحروف، بالطبع؛ لكن المسألة الآن هي كتابة كمية كافية منها. انتهيت وذهبت إلى المطبخ. كان مصباح الفرن الفارغ مضاء. وكان إنغفِه واقفًا يحرك شيئًا في وعاء عميق وقد طوى كمَّي قميصه وارتدى مريلة المطبخ. كانت أمي جالسة تحوك.

جلست في مكاني وقلت لها: «ألم تنتهي بعد؟».

قالت: «بقي يوم أو يومان»، وجذبت خيط الصوف كأنها جالسة في زورق تصطاد الأسماك بالخيط... «هذا متوقف على مقدار ما أستطيع إنجازه اليوم».

قلت لها: «ذهبت اليوم مع غيّير إلى بيت آنِه ليزبيت وسولفيغ».

«أوه، من هما؟ هل هما بنتان في صفك؟».

أومأت برأسي.

قال إنغفِه: «هل بدأت الآن تلعب مع البنات؟».

«أجل، فماذا؟».

«هل أنت عاشق أم ماذا؟».

نظرْت إلى أمي متردّدًا، ثم إلى إنغفِه. ثم قلت: «أظنّ هذا».

ضحك إنغفِه: «أنت لا تزال في السابعة. لا يمكن أن تكون عاشقًا».

قالت أمي: «لا تضحك منه يا إنغفِه».

احمر وجه إنغفِه قليلًا، وراح ينظر إلى الوعاء الذي أمامه.

قالت: «المشاعر هي المشاعر سواء كنت في السابعة أو في السبعين، يظلّ معناها كما هو».

ثم حلّت فترة صمت قال إنغفِه بعدها: «لكن هذا لا يمكن أن يسفر عن أي شيء».

قالت أمي: «قد تكون محقًّا في هذا. لكن من الممكن أن تكون لديك مشاعر تجاه شخص آخر، أليس كذلك؟».

قلت له: «لقد كنت واقعًا في غرام آنِه».

قال: «لم أكن كذلك».

«أنت من قال لي هذا».

قالت أمي: «حسنًا، لا بأس... ما أخبار العجين؟ هل سيكون جاهزًا عما قريب؟».

قال إنغفِه: «أظن هذا».

قالت أمي وهي تنهض واقفة وتضع الكنزة التي تحوكها في السلّة: «دعني أنظر إليه». التفتت إلي وقالت: «كارل أوفِه، ما رأيك في أن تدهن الصينية بالزبدة».

أخذتُ المقلاة الصغيرة التي فيها زبدة ذائبة، فأبعدتُها عن حرارة الفرن، وناولتني فرشاة، ثم أخرجت الصينية من دُرج في أسفل الفرن. كانت الزبدة جاهزة؛ وكان ذلك واضحًا من لونها: رأيت فقاعات كثيرة ومساحات كبيرة من اللون البنّي الفاتح في ذلك السائل الأصفر الرقيق. يصير لون الزبدة أكثر امتلاء وصفاء إذا سخنتها ببطء. غمست الفرشاة بالمقلاة ومسحت بها الصينية. من الممكن أن تجعل الزبدة المسخّنة ببطء شعرات الفرشاة أكثر قساوة؛ ولذلك فإن عليك أن تنقر بها على الصينية نقرات سريعة لا أن تمررها مسافة طويلة. وأما عندما تصير الزبدة سائلًا رقيقًا بني اللون، فإن تغطية سطح الصينية بها تصير أكثر سهولة. لم يستغرق الأمر أكثر من عشر ثوانٍ قبل أن تصير الصينية جاهزة. جلست من جديد، وبدأ إنغفِه يشكّل كعكعات الفطائر. انفتح باب في الأسفل. وبعد ذلك، سمعت صوت خطوات أبي الثقيلة على السلم. شددت ظهري في جلستي على الكرسي. جلست أمي من جديد ووضعت الكنزة في حجرها، ثم رفعت رأسها عندما ظهر أبي بالباب.

دس إبهامين في حزامه وجذب بنطلونه إلى الأعلى وقال: «أرى أن كل شيء هنا يسير على قدم وساق. وأظن أنه سيكون لدينا ما نأكله بعد قليل».

قالت أمي: «بعد ربع ساعة تقريبًا».

قال أبي: «أهذه فطائر، يا إنغفِه؟».

اكتفى إنغفهِ بأن أومأ من غير أن ينظر إليه.

قال أبي: «جيد». استدار وذهب إلى غرفة الجلوس. صرّت الأرضية تحت ثقل وزنه. توقف عند التلفزيون فشغّله قبل أن يجلس على الكنبة الجلدية البنية.

كنت أعرف ذلك الصوت. إنه صوت الرجل الذي يقدّم البرنامج الطبي. صوت أجش قليلًا، بل يبدو للأذن كأنه صدئ. يظل ذلك الرجل مائلًا برأسه إلى الخلف عندما يتكلّم كأنه يخاطب السقف، في حين تظل عيناه ناظرتين إلى الأسفل كأنهما ترشدان صوته إلى الوجهة الصحيحة.

نهضت وذهبت إلى غرفة المعيشة.

كان ظاهرًا في الشاشة جرح مفتوح ودم وجلد ولحم بشري محاط بملاءة زرقاء. قلت لأبي: «هل هذه عملية جراحية؟».

قال: «هذا صحيح؟».

«هل أستطيع مشاهدتها؟».

«تستطيع مشاهدتها. لا أظن أن في هذا أي ضرر».

جلست على حافة الأريكة. كان ذلك الجرح عميقًا في الجسم. رأيت فيه شيئًا يشبه عمودًا. ورأيت مشابك معدنية كثيرة تحافظ على الجرح مفتوحًا، وتكشف عن طبقة من اللحم تظهر كأنه لم يعد فيها دم، ومن تحتها عضو لامع يبدو مثل غشاء. كان ذلك العضو في أسفل الحفرة، وكان عليه دم. ضوء شديد أبيض يغمر ذلك كلّه. يدان في قفازين مطاطييّن تعملان هنا وهناك. الظاهر أنهما اعتادتا هذا النوع من العمل. ومن حين لآخر، تظهر صورة أكثر اتساعًا. عندها، يصير واضحًا أن ذلك شق جراحي في جسد مريض مستلقٍ على طاولة مغطاة بنسيج أزرق يبدو كأنه مصنوع من مادة بلاستيكية. يرى المرء أيضًا أن اليدين لجرّاح ينصبُّ عليه اهتمام حلقة من خمسة أشخاص واقفين من حوله، كلّهم في ملابس خضراء. كان الاثنان اللذان في الوسط منحنيين فوق جسد المريض من تحت المصباح الشبيه بسحليّة، بينما كان الثلاثة الآخرون واقفين خلفهما عند صوانٍ حافلة بأدوات متنوّعة لم أر مثلها من قبل.

نهض أبي واقفًا. قال: «لا، لا أستطيع مشاهدة هذا. كيف يعرضون هذه الأشياء على شاشة التلفزيون في مساء يوم اثنين».

سألته: «هل أستطيع المتابعة؟».

قال وهو متجه صوب السلم: «أجل، بالطبع».

كان العضو الذي في القعر نابضًا. كان الدم يغمره، ثم ينبض فينزاح الدم عنه فيبدو كأنه يرتفع قليلًا، ثم يعود الدم ليغمره من جديد فيكون عليه أن يزيحه عنه بأن يرتفع مرة أخرى.

أدركت فجأة أنني أنظر إلى قلب بشري.

شيء محزن إلى حدٍّ فظيع!

لا لأن القلب ينبض ولا يستطيع الفرار... لا، ليس لهذا السبب. الفكرة هي أن القلب لا يجوز أن يراه أحد، بل ينبغي أن يُسمح له بأن ينبض في السر، خفيًا عن أعيننا. الأمر واضح؛ وأنت تفهمه عندما تراه... حيوان صغير من غير عينين ينبغي أن يخفق وينبض داخل صدرك من غير أن يكون مرئيًا!

لكني واصلت المشاهدة. كانت البرامج الطبية مادتي المفضلة في التلفزيون، خاصة في تلك المرات القليلة التي يعرضون فيها عمليات جراحية. قررت منذ زمن بعيد أن أصير جرّاحًا عندما أكبر. يذكر أبي وأمي هذا الأمر أمام الآخرين، أحيانًا. يظنان أن فيه طرافة لأنني قلت ذلك عندما كنت صغيرًا جدًا؛ إلا أنني كنت أعني ما قلته: ذلك ما أردت أن أصيره عندما أكبر، أن أُحدث شقوقًا جراحية في أشخاص آخرين، وأن أجري لهم عمليات جراحية. كثيرًا ما كنت أرسم عمليات جراحية ودمًا وسكاكين ومصابيح. سألتني أمي مرات كثيرة عن السبب الذي يجعلني أرسم هذا الدم كله... فلماذا لا أختار شيئًا آخر: بيوت وعشب وشمس، مثلًا؟ لم يكن رسم تلك الأشياء التي تقترحها أمي أمرًا مزعجًا لي، لكنها لم تكن ما أريد رسمه. الغوّاصون، والسفن المبحرة، والصواريخ، والعمليات الجراحية. هذا ما كنت أحب رسمه وتلوينه، لا البيوت والعشب والشمس.

عندما كان إنغفِه صغيرًا جدًا، وكانوا يعيشون في أوسلو، قال إنه يريد

أن يصير عامل تنظيفات عندما يكبر. كانت جدتي تكرّر هذه القصة كثيرًا وتضحك منها كثيرًا. وعندما ترويها، تضيف إليها أن أبي أراد أن يصير عاملًا متجولًا عندما كان صغيرًا. كانت تضحك من هذا مثلما تضحك من رغبة إنغفِه، وكثيرًا ما تتدحرج دموعها على خديها لشدة الضحك على الرغم من أنها كررت تلك الحكاية مئات المرات. لكن رغبتي في أن أصير طبيبًا جرّاحًا لم تكن مضحكة بالطريقة نفسها. لقد كان لها معنى مختلف! إلا أنني كنت أيضًا في سن أكبر كثيرًا من السن التي عبّر فيها إنغفِه عن رغبته في أن يصير عامل تنظيفات.

خطوة بعد خطوة، أُزيلت المشابك والأنابيب من الشق الجراحي الذي في جسد المريض. ثم ظهر مقدم البرنامج على الشاشة وبدأ يتحدث عما شاهدناه. نهضت وذهبت إلى المطبخ حيث كانت الفطائر تبرد على الصينية، وإلى جانبها إبريق الماء الحار من أجل الشاي. كانت أمي تجهّز الطاولة وتضع عليها أطباقًا وفناجين وسكاكين ومجموعة متنوّعة من الإضافات التي سنضعها على الفطائر عندما نأكلها.

انخفضت الحرارة في اليوم الذي أعقب ذلك، وتوقّف المطر. كانت جزمتي الشتوية التي استخدمتها في السنة الماضية قد صارت صغيرة على قدمي. بدلًا منها، عثرت لي أمي على جوارب صوف ثقيلة حتى أرتديها تحت جزمتي المطاطية العادية. كانت سترتي الشتوية الزرقاء مناسبة لي، فارتديتها للمرة الأولى منذ السنة الماضية. وبعد ذلك، فور أن صرت خارج البيت، بدت قبعتها المنفوخة الزرقاء التي وضعتُها على رأسي وشددتها إلى وجهي شيئًا أشبه بسقف أسود يعلو مجال نظري. كانت آنِه ليزبيت مرتدية سترة شتوية ذات لون أزرق فاتح مصنوعة من نسيج صقيل لامع بعكس سترتي التي كانت خشنة، كامدة اللون، وعلى رأسها قبعة بيضاء يظهر شعرها الأسود من تحتها، ووشاح أبيض على رقبتها، وبنطلون أزرق، وجزمة حمراء جديدة. كانت واقفة مع بعض الفتيات، ولم تبادلني النظر عندما حدّقت فيهن.

كان لون سترتها جذّابًا إلى حدٍّ غير معقول.

أردت لنفسي سترة مثلها.

بعد وصولنا إلى المدرسة، وبعد أن وضع كل منا حقيبته في صف الحقائب، اقترحت على غيّير أن نخطف قبّعات البنات. سوف يخطف قبعة سولفيغ، وسوف أخطف قبعة آنِه ليزبيت. كانت تقف وظهرها في اتجاهي. استدارت سريعًا عندما أمسكت بالقبعة، ثم صرخت. انتظرت إلى أن لاقت عيناها عينيّ، ثم جريت مبتعدًا. لم أجرِ بسرعة كبيرة لا تسمح لها بأن تلحق بي، ولا بسرعة منخفضة تجعل الجميع يرون أنني أتعمَّد انتظارها.

كنت أسمع وقع خطواتها على الإسفلت من خلفي.

ثم... طوَّقتني ذراعاها.

أوه! أوه! أوه! أوه.

انضغطت سترتها الثخينة إلى حد عجيب على سترتي. ابتسمت وصاحت: «أعطني القبعة. أعطني القبعة»، فلم أعد قادرًا على إطالة اللحظة أكثر من ذلك بأن أرفع القبعة عاليًا فوق رأسها، لأن الفرحة كانت قوية في داخلي فعجزت عن ذلك. أعطيتها القبعة وبقيت واقفًا في مكاني أنظر إليها وهي تضعها على رأسها وتسير مبتعدة عني.

ثم التفتت وابتسمت لي!

و... عيناها، أوه، عيناها! كم كانتا سوداوين، وكم كانتا جميلتين، وكم كانتا متألّقتين! كان ذلك مثل دخول مكان فيه نور مشعّ يجعل كل ما عداه يشحب لونه ويضيع معناه. رُن الجرس فسرنا إلى السلم، ثم عبر الممر، ثم جلسنا على مقاعدنا وأخرجنا كتبنا. فعلت كل ما قيل لي أن أفعله: أصغيت عندما كان عليَّ أن أصغي؛ وثرثرت كعادتي؛ ورسمت سفني الغارقة والغواصين السابحين من حولها؛ وأكلت طعام غدائي الذي في العلبة؛ وشربت حليبي؛ ولعبة كرة القدم في الاستراحات؛ وجلست إلى جانب غيّير في الباص، وغنينا طيلة الطريق إلى البيت؛ وركضت عبر سرب الأطفال بحقيبتي المعلّقة إلى ظهري نازلًا التلة الأخيرة. كنت حاضرًا، جسدًا

وروحًا؛ لكني كنت غائبًا لأن سماء جديدة صارت موجودة في داخلي على نحو مفاجئ، سماء تكتسي في رحابها أكثر الأفعال والأفكار اعتيادية مظهرًا جديدًا.

عندما ذهبنا لرؤية آنِه ليزبيت في البيت، وجدناها واقفة وسط حشد من الأطفال عند الساحة القريبة من بيتها. كانت بنتان تديران حبلًا بينهما كأن آلةً تديره. كان الحبل يلسع الأرض مثل سوط. والأولاد والبنات يدخلون ذلك الحبل فيقفزون صعودًا وهبوطًا، بضع مرات، ثم يخرجون حتى يدخل من يليهم. كانت آنِه ليزبيت مرتدية الوشاح نفسه والقبعة نفسها؛ وابتسمت لنا عندما توقّفنا أمامهم.

قالت: «العبا معنا. هيا!».

وقفنا في الصف. أردت أن أثير إعجابها، وأن أقفز داخل ذلك المغزل الدوّار الذي يرسمه الحبل في الهواء، لكني لم أفلح في القفز أكثر من مرتين قبل أن يصيب الحبل ساقي وأخرج منه. الغريب أن غيّير الذي لم يكن معروفًا عنه تناسق الحركات، الذي راحت ساقاه وذراعاه تتأرجحان بطريقة غريبة، حقّق نجاحًا جيّدًا جدًا، كان يقفز ويقفز ويقفز ويقفز. ثم قذف بنفسه خارجًا بعزم وقوة جعلاه يسير بضع خطوات إضافية حتى لا يتعثر ويسقط على الأرض، تمامًا مثلما يفعل عداء بعد وصوله إلى شريط نهاية السباق.

ستظنّ آنِه ليزبيت الآن أن غيّير أفضل مني.

ثم زالت عني كآبة تلك الفكرة في اللحظة التي تلت ذلك، لأن دورها قد حان. جرت وراحت ترقص داخل الحبل -عبقرية مطلقة- يكون ثقلها أول الأمر على ساق واحدة، ثم على الساق الأخرى، وهي تنظر أمامها من غير التفات كأن لا علاقة لرأسها بما كان جسدها يفعله. لكنها نظرت إليَّ عندما قفزت خارجة ولم تعد في حاجة إلى التركيز، نظرت إليَّ وابتسمت لي. كانت ابتسامتها تقول: *هل رأيت ذلك؟ هل رأيتني الآن؟*

كان الماء في البقعة المنخفضة الأكبر مساحة في تلك الساحة، حيث كنا واقفين، أصفر اللون تقريبًا. وكان رماديًا مخضرًّا في البرك الصغيرة، كمثل لون الحجارة الصغيرة المحيطة بها، لكنه أشفُّ قليلًا. وبالطبع، كان الماء أكثر لمعانًا من الحجارة. تناهى خرير جدول من الغابة في الأسفل. وسُمع أيضًا صوت آلة هناك. لم أذهب إلى ذلك المكان من قبل. سرتُ إلى طرف الحافّة لكي أنظر من الأسفل. من المنزل الذي فوقي عند حافة الغابة، يبدأ الانحدار الشديد لصفحة صخر عريضة؛ ومن تحتها أرض سبخية صفراء اللون. كانت أشجار الصنوبر كثيفة خلف تلك المنطقة لكنّي رأيت بين جذوعها سقيفة عمال خضراء ومولدًا كهربائيًا أصفر اللون. إنه الآلة التي تصدر ذلك الصوت.

ثم بدأ الحفر في الأسفل. لم أستطع رؤية الذين يحفرون، لكن صوت الحفر الرتيب، راتا تا تات، مع تلك النغمة الهشّة التي تكاد تكون غنائية، نغمة اصطدام المعدن بالصخر... كانت نغمة مثل خِمارٍ فوق الصوت كله، نغمة لا تخطئها الأذن. أعرفها معرفة جيدة.

استدرت فرأيت غيّير يومئ برأسه بحركات متناغمة مع حركة الحبل حتى يألف الإيقاع استعدادًا لدوره. لكنه لم ينجح هذه المرة فقد علقت قدمه بالحبل على الفور. ومع استئناف حركة دوران الحبل الميكانيكية، سار في اتجاه المكان الذي كنت فيه. دخلت آنِه ليزبيت الحبل الدائر بعده. لكنها لم تكد تدخل حتى أصابها الحبل في ذراعها. بدا لي -تقريبًا- أنها فعلت ذلك عامدة متعمّدة.

قالت: «هل أنت آتية معي، يا سولفيغ؟».

أومأت سولفيغ برأسها وتركت الصف. أتت الاثنتان في اتجاهنا.

قالت آنِه ليزبيت: «ماذا نفعل الآن؟».

قلت: «هل نذهب ونبحث عن بعض الزجاجات الفارغة؟».

قال غيّير: «نعم، فلنذهب».

قالت آنِه ليزبيت: «أين نبحث عنها؟ أين توجد زجاجات فارغة؟».

قال غيّير: «على امتداد الطريق الرئيسية، وفي الغابة خلف ساحة اللعب، ومن حول السقائف. وأحيانًا، عند الصخرة الكبيرة. لكننا لا نجدها هناك في الخريف أبدًا».

قلت: «وعند موقف الباص، وتحت الجسر».

قال غيّير: «وجدنا مرة كيسًا كاملًا من الزجاجات الفارغة، وجدناه في خندق قريب من المتجر. أعدنا الزجاجات إلى المتجر فحصلنا على أربع كرونات».

نظرت إليه سولفيغ وآنِه ليزبيت نظرة إعجاب. ألم أكن صاحب فكرة البحث عن الزجاجات؟ أنا من طرح الفكرة، لا غيّير!

بدأنا السير من غير تفكير. كانت السماء رمادية مثل الإسمنت الجاف. ما من نسمة تحرّك الأشجار. كل شيء هادئ، متأمّل، كأنه منطوٍ على نفسه. إلا أشجار الصنوبر: كانت منفتحة حرة، تعانق السماء، كما عهدها دائمًا. كانت واقفة كأنها في استراحة مطمئنة. وأما أشجار التنوب فكانت منطوية على نفسها، غارقة في ظلمتها الخاصّة بها. كانت الأشجار الحولية التي فقدت أوراقها تبدو قلقة، متوتّرة، بجذوعها النحيلة وأغصانها المتفرّعة. وأما أشجار السنديان العتيقة التي كانت كثيرة على المنحدر الذي بعد الطريق حيث كنا متجهين الآن، فلم تكن خائفة من شيء... كانت تشعر بالوحدة. لكنها قادرة على احتمال هذه الوحدة فهي واقفة هنا منذ سنين كثيرة جدًا، وسوف تظل واقفة هنا بعد سنوات كثيرة جدًا.

قالت آنِه ليزبيت مشيرة إلى المنحدر الذي على امتداد الطريق: «إن هناك أنبوبًا يعبر من تحت الطريق».

كان التراب فوق الأنبوب أسود اللون. يعني هذا أنهم وضعوه منذ فترة وجيزة. لم تنبت هناك أية أزهار بعد.

نزلنا المنحدر. نعم، كان هناك أنبوب مار تحت الطريق؛ أنبوب من الإسمنت لعل قطره أكثر من نصف متر.

قلت: «هل زحفتما عبر هذا الأنبوب؟».

هزت الفتاتان رأسيهما.
قال غيّير: «ما رأيك في أن نزحف إلى الجهة الأخرى؟».
انحنى واضعًا يده على حافة الأنبوب ونظر في الظلمة.
قالت سولفيغ: «ألا يمكن أن نعلق داخل الأنبوب؟».
قلت: «نحن قادران على اجتيازه، لذا اعبرا الطريق إلى الجهة الأخرى وانتظرانا هناك».
قالت آنِه ليزبيت: «هل تجرؤان على هذا؟».
قال غيّير: «بالطبع». ثم التفت إليَّ وقال: «من يذهب أولًا؟».
قلت: «يمكنك أن تبدأ».
قال: «حسنًا». انحنى وحشر نفسه بالأنبوب. صار واضحًا لي أن الأنبوب أكثر ضيقًا من أن يسمح لي بالسير على أربع، لكنه ليس شديد الضيق بحيث لا يستطيع المرء أن يزحف فيه. بعد بضع دقائق من التلوي وتحريك جسده كله، اختفى غيّير داخل الأنبوب. نظرت إلى آنِه ليزبيت، ثم انحنيت وأدخلت نفسي. ملأت أنفي رائحة شيء راكد تشبه رائحة العفونة. وضعت مرفقيّ على قعر الأنبوب ودفعت بجسدي كله إلى الأمام، وصرت أتحرك كالدودة. عندما صار جسدي كله داخل الأنبوب، رفعت رأسي لكي أرى إلى أبعد مدى ممكن، ثم رحت أدفع الإسمنت بذراعيّ وركبتيّ وقدميّ متوغلًا في الظلمة. على امتداد الأمتار الأولى، كنت قادرًا على رؤية خيال غيّير متحرّكًا أمامي، لكن الظلمة لم تلبث أن اشتدت فغاب عني.
صحت به: «هل أنت هناك؟».
أجابني: «نعم».
«هل أنت خائف؟».
«قليلًا. وأنت؟».
«وأنا أيضًا، قليلًا».
اهتز كل شيء فجأة. لا بد أن سيارة أو شاحنة قد عبرت من فوقنا. ماذا يحدث إذا انكسر الأنبوب؟ ماذا يحدث إذا لم يتحمل الثقل وبقينا عالقين فيه؟

بدأت أطراف أصابع قدمي ويدي ترتعش نتيجة هذا الإحساس البسيط بالذعر. كنت أعرف هذا الإحساس، وأعرف أنه يمكن أن يظهر عندما أتسلق جبلًا فيصيبني الشلل فجأة. أخاف فلا أعرف كيف أتصرّف، وأظلّ واقفًا في سكون تام غير قادر على الصعود، وغير قادر على النزول على الرغم من إدراكي حقيقة أن هناك سبيلًا واحدًا للخلاص، وأن حركاتي هي وحدها من يستطيع إخراجي من ذلك الموقف. لكني لا أستطيع حراكًا. عليَّ أن أتحرك، لكني لا أستطيع. عليّ أن أتحرّك، لكني لا أستطيع... عليَّ أن... لا أستطيع.

قلت له: «ألا تزال خائفًا؟».

أجابني: «قليلًا. هل سمعت صوت السيارة؟ ها هي واحدة أخرى آتية».

ومن جديد، اهتز الأنبوب من حولي.

بقيت ساكنًا في مكاني. كانت بقع من الماء مستقرة في عدة أماكن من قعر الأنبوب. بدأ الماء يدخل في بنطلوني.

قال غيّير: «بدأت أرى ضوءًا».

فكرت في الثقل الهائل فوق الأنبوب. لا تتعدّى ثخانة جداره بضع سنتيمترات. بدأ قلبي يخفق عنيفًا. أردت فجأة أن أقف منتصب القامة. ثم ازدادت تلك الرغبة في داخلي، لكنها انهارت تحت وطأة إدراكي أن ذلك مستحيل لأن الأنبوب الإسمنتي ملتف من حولي كأنني دودة في شرنقة. عجزت عن الحركة.

يجلس إنغفِه فوقي أحيانًا ويحيطني بساقيه عندما أكون راقدًا تحت اللحاف. يمسكني بقوة فلا أستطيع أن أتحرك أبدًا. يكون اللحاف مشدودًا على صدري، وذراعايّ مثبتتين تحت قبضتَي يديه، وساقاي عديمتي الجدوى تحت ثقله وتحت اللحاف المشدود. يفعل إنغفِه هذا لأنه يعرف أنني أكرهه كثيرًا جدًّا. يفعل إنغفِه هذا لأنه يعرف أن الذعر يصيبني بعد بقائي بضع ثوانٍ مثبتًا بهذه الطريقة. يعرف أنني سوف أستجمع قوّتي كلّها محاولًا تحرير نفسي؛ وعندما أعجز عن ذلك، عندما أكون واقعًا في قبضته، أبدأ الصراخ بأعلى صوت أستطيعه. أصرخ وأصرخ كأن مسًّا أصابني... يكون

قد أصابني مسٌّ حقيقي لشدة ذعري، ولأنني لا أستطيع تحرير نفسي، ولأنني عالق في ذلك الوضع، ولأنني عالق تمامًا... أصرخ من أعماق رئتيّ.

والآن، أحسّ تلك القبضة نفسها ممسكة بقلبي.

لا أستطيع الحركة.

بدأ ذعري يكبر ويزداد.

كنت أعرف أنه لا ينبغي لي التفكير في أنني غير قادر على الوقوف، وأن علي أن أزحف إلى الأمام بصبر حتى يجري كل شيء على ما يرام. لكنني لم أستطع. لم أستطع التفكير في شيء غير أنني صرت عاجزًا عن الحركة.

صحت: «غيّير».

أجابني صائحًا: «لقد كدت أخرج. أين أنت؟».

«أنا عالق هنا».

صمتٌ استمر عدة ثوانٍ.

ثم صاح غيّير: «أستطيع العودة لمساعدتك. لكن علي أولًا أن أخرج وأستدير».

كانت نوبة الذعر أشبه بإطلاق نفس محبوس، فقد فارقتني الآن. حركت ذراعيّ إلى الأمام، ثم دفعت بركبتيّ. احتك نسيج سترتي بسقف الأنبوب من فوقي. فوق ذلك السقف بسنتمترات فقط، هناك أطنان من التراب والحجارة. توقّفت. تعبت ساقايّ وذراعاي. رقدت منبطحًا في الأنبوب.

ماذا ستظن آنِه ليزبيت وسولفيغ الآن؟ كيف ستنظران إليّ؟

أوه، لا. أوه، لا.

ثم عاد الذعر. صرت عاجزًا عن الحركة. إنني عالق هنا. لا أستطيع الحركة. أنا عالق هنا، لا أستطيع الحركة. تحرك شيء في مكان ما في الظلمة التي أمامي. صوت قماش يحتك بالإسمنت. سمعت أنفاس غيّير التي أعرفها تمامًا: غالبًا ما يتنفّس من فمه.

ثم رأيته؛ رأيته وجهه الأبيض في الظلمة.

قال لي: «هل أنت عالق هنا؟».

قلت: «لا».

أمسك بكم سترتي وجذبني. رفعت ظهري وحرّكت ذراعًا إلى الأمام، ثم حرّكت الذراع الأخرى، ثم ساقًا، ثم الساق الأخرى. كان غيّير يزحف إلى الخلف من غير أن يفلت كمي، لكنه لم يكن يجرني لأنني كنت أدفع بنفسي إلى الأمام، بالطبع، على الرغم من إحساسي بأنه يجرّني فعلًا. كانت رؤية وجهه الأبيض، المثلثي مثل وجه ثعلب، والتركيز الشديد الظاهر عليه، تعني أنني لم أعد أفكر في الأنبوب، ولا في الظلمة، ولا في عجزي عن الحركة. هذا ما جعلني أتحرّك، وأزحف شيئًا فشيئًا فوق إسمنت الأنبوب الرطب، ثم بدأ النور يزداد، ثم يزداد، ثم خرجت قدما غيّير من الأنبوب وتبعهما جذعه، وصرت قادرًا على إخراج رأسي إلى ضوء النهار.

كانت آنِه ليزبيت وسولفيغ واقفتين معًا عند فتحة الأنبوب تنظران إليّ.

قالت آنِه ليزبيت: «هل علقت في الداخل؟».

أجبتها: «أجل. علقت قليلًا هناك، لكن غيّير ساعدني».

نفض غيّير التراب عن يديه، ثم نفضه عن ركبتي بنطلونه. نصبت قامتي. كان الفضاء تحت السماء الزرقاء رحبًا. وكانت الأشكال كلها في غاية الوضوح.

قال غيّير: «هل ننزل إلى هاواي الصغيرة؟».

أجبته: «فكرة حسنة».

كان الجري في الغابة أمرًا رائعًا. سطح الماء في البحيرة الصغيرة أسود اللون كله. والأشجار الناهضة فوق الجزيرتين الصغيرتين ساكنة تمامًا. قفزنا إلى الجزيرتين، أنا وآنِه ليزبيت إلى واحدة، وسولفيغ وغيّير إلى الأخرى.

بدت شفتا آنِه ليزبيت في غاية الحيوية، كانتا تنفتحان وتبتسمان بكل سهولة، بل تفعلان ذلك أحيانًا من تلقاء نفسيهما لأن تعبير عينيها يظلّ من غير تغيّر. كان باديًا عليهما أنهما تلبيان أدنى دعوة من عقلها. تفكّر في أمر من الأمور، فتنفرج شفتاها عن أسنانها البيضاء الصلبة، تنفرج شفتاها الحمراوان الناعمتان ويتبع ذلك أحيانًا شيئًا تقوله أو بريق سعادة في عينيها؛ وفي أحيان أخرى، تكون ابتسامة شفتيها غير متصلة بأي شيء غيرهما.

قالت على نحو مفاجئ: «أنتما بحاران. وأنتما آتيان إلينا. لم تريانا منذ زمن بعيد جدًا. هل نلعب هذه اللعبة؟».

أومأت برأسي. أومأ غيّير برأسه أيضًا.

قفزت الفتاتان إلى الشاطئ، وابتعدتا قليلًا في الغابة.

صاحت آنِه ليزبيت: «الآن، تستطيعان القدوم إلينا».

أرسينا مركبينا، وقفزنا إلى الشاطئ، ثم سرنا في اتجاههما. لكن الظاهر أن سرعة سيرنا لم تعجبهما: كانت آنِه ليزبيت نافدة الصبر، ترفع قدمًا وتضع أخرى كأنها ترقص. انطلقت راكضة في اتجاهي؛ وعندما بلغتني، طوقتني بذرعيها واحتضنتني وألصقت خدها بخدي.

قالت لي: «اشتقت إليك كثيرًا جدًا. آوه، يا زوجي العزيز».

تراجعتْ خطوة إلى الخلف وقالت: «مرة أخرى!؟».

عدت إلى البحيرة جريًا، وقفزت إلى الجزيرة الصغيرة، ثم انتظرت إلى أن صار غيّير على الجزيرة الأخرى. كررنا ما فعلناه لكن مع اختلاف واحد: هذه المرة، جرينا صوب الفتاتين بأقصى سرعة استطعناها.

طوقتني بذراعيها من جديد.

كانت دقات قلبي سريعة؛ فأنا لم أكن واقفًا في الغابة والسماء عالية من فوقي فحسب، بل كنت أيضًا واقفًا على أرضٍ داخل نفسي، وكنت أنظر إلى شيء مضيء، مفتوح، سعيد.

كانت لشعرها رائحة التفاح.

كنت قادرًا على الإحساس بجسدها عبر نسيج سترتها المبطنة الثخين. وجهها الصقيل البارد ملتصق بوجهي، يكاد يكون متوهجًا.

كررنا ذلك ثلاث مرات. ثم مضينا متعمّقين في الغابة. بدأ انحدار الأرض بعد بضعة أمتار فقط؛ كانت أوراق أكثر الأشجار التي هناك قد تساقطت فاكتست الأرض بساطًا أحمر وأصفر وبنيًا، فصارت كأنها أرضية من حولها جدران مبنية من جذوع الأشجار العارية. سمعنا صوت جدول يجري في مكان قريب. كشفت الغابة عن درب تمضي منحدرة في اتجاه

الطريق الرئيسية، لكنا لم نستطع رؤيتها إلا بعد أن صرنا على مسافة أمتار قليلة منها. كان هناك حقل منحدر من الناحية الأخرى، ومن بعده لسان ترومويا البحري يلوح رماديًا كالصلصال، في حين اكتست السماء التي من فوقه لونًا رماديًا فاتحًا.

كانت السيارات سريعة الحركة على الطريق، فواصلنا السير في الخندق المحاذي له. عادة ما تكون الزجاجات التي نعثر عليها في هذا المكان جديدة ونظيفة دائمًا، في حين تكون الزجاجات التي في الغابة مدفونة في العشب، وفي داخلها أوراق أشجار؛ وتكون ممتلئة أحيانًا بحشرات صغيرة، فنحسّ عندما نرفعها عن الأرض كأننا نرفع جزءًا من الأرض نفسها.

إلا أننا لم نجد أية زجاجات في هذا اليوم. وعندما بلغنا بيت لارسن -هو بيت متداعٍ أشبه بسقيفة كان جزءًا من مزرعة في يوم من الأيام، لكنه صار الآن محصورًا في زاوية بين الغابة والطريق، وكان صاحبه معلّمًا في مدرسة أبي نفسها، تقول الإشاعات إنه ذهب إلى المدرسة ثملًا عدة مرات- عبرنا الطريق وسرنا في الدرب المنحدرة غير المعبَّدة حتى بلغنا غامله تيباكن. كنا نبحث عن الزجاجات طيلة الطريق، لكننا لم نلبث أن فقدنا حماستنا لهذا الأمر. سرنا مسافة قصيرة فبلغنا منطقة فيها بيوت. كانت بيوتًا بيضاء، وكل منها قائم في نهاية حديقة معتنى بها جيدًا. وكانت تلك الحدائق مليئة بأشجار الفاكهة وأجماتها. كانت الألوان حادة الوضوح حيث كنا سائرين: أوراق الأشجار كلّها صفراء لامعة وحمراء فاقعة، ولون السماء كامدًا، لون رمادي شاحب يحسّه المرء باردًا قليلًا. جعلني هذا أشعر كأنني سائر في أسفل صفيحة معدنية، السماءُ غطاؤها والتلال الناهضة في كل ناحية من حولي جدرانها. مررنا بعد بضع مئات من الأمتار بأرض خاصّة كبيرة فيها مرج ممتد صوب الغابة التي في الأعلى. كان البيت الذي في آخر ذلك المرج صغيرًا إلى حد مفاجئ بالمقارنة مع اتساع الأرض. رأينا دربًا صغيرة ضيقة مفروشة بالحصى صاعدة في اتجاه البيت، فسرنا متجاوزين صندوق البريد الذي في بداية الأرض لأننا رأينا شيئًا غير البيت نفسه، وغير الجدول

الكبير المتدفّق نازلًا من الغابة: رأينا سيدة كبيرة السن تحاول جرّ شجرة مقطوعة علقت في مجرى الماء.

أظن أن الشجرة كانت أكبر منها بثلاث مرات. وأيضًا، كانت لها شبكة واسعة من أغصان صغيرة تحيط بها.

لا بد أن المرأة لاحظت وجودنا لأنها نصبت قامتها بعد لحظة قصيرة ونظرت في اتجاهنا. لوّحت لنا بيدها، لكن ذلك لم يكن تحيّة لنا: كانت تشير إلى نفسها ففهمنا أنها تطلب منا أن نذهب إليها.

جرينا صاعدين في الدرب بأسرع ما استطعنا، ثم عبرنا المرج الناعم الرطب وتوقّفنا أمامها.

قالت لنا: «الظاهر أنكم أقوياء. هل تظنّون أنكم قادرون على مساعدة امرأة عجوز؟ أريد إخراج هذه الشجرة من الجدول. لقد علقت فيه».

اندفعنا إلى العمل وقد أثار امتداحها لنا الحماسة في نفوسنا. خاض غيّير في الماء إلى المسافة التي استطاعها، ثم أمسك غصنًا. فعلت مثله، لكن من الجانب الآخر. بدأت آنِه ليزبيت وسولفيغ تشدان جذع الشجرة. لم تتحرّك الشجرة أول الأمر، لكن غيّير بدأ يصيح: «هيا - يا! هيا - يا!»، حتى نشدّها كلنا معًا. شيئًا بعد شيء، أفلحنا في تحريك الشجرة وإخراجها من الماء. وعندما تحررت مما كانت عالقة به، دفع التيار ذروتها في اتجاهنا، لكننا ثبّتنا وأخرجناها كلنا إلى الأرض الجافة.

قالت المرأة: «أوه، ما أروعكم! أشكركم جزيلًا جدًا! لم أكن قادرة على إخراجها بمفردي. أنتم أقوياء جدًّا! أحسنتم صنعًا! انتظروا، وسوف أعطيكم شيئًا لكي أعبّر عن امتناني لكم».

سارت إلى البيت منحنية الظهر والرأس، واختفت داخله.

قلت: «ماذا تظنون أنها ستعطينا؟».

قال غيّير: «ربما تعطينا قليلًا من البسكويت».

قالت آنِه ليزبيت: «أو كيسًا من الفطائر. ماما تحتفظ دائمًا ببعض الفطائر في متناول يدها».

قالت سولفيغ: «أظنها ستعطينا تفاحًا». وافقتها من كل قلبي عندما قالت ذلك لأنني رأيت أشجار تفاح كثيرة خلف الدرب.

لكن المرأة لم تلبث أن ظهرت من جديد -لا تزال منحنية القامة- وأتت إلينا خالية اليدين. ألم تجد عندها شيئًا؟

قالت لنا: «الآن، انظروا إلي. هذه لكم مع جزيل شكري. من منكم سيكون مسؤولًا عنها؟ إنها لكم جميعًا».

فتحت كفّها فرأينا فيها قطعة نقدية. خمس كرونات.

خمس كرونات!

قلت: «أنا سأكون مسؤولًا عنها. أشكرك شكرًا جزيلًا».

قالت المرأة: «بل أنا من أشكركم جميعًا. أتمنى لكم حظًّا طيبًا».

نزلنا مسرعين، ممتلئين فرحة وحبورًا. ومن غير تضييع أية ثانية في التفكير، عدنا أدراجنا من حيث أتينا؛ وكنا نناقش ما سنفعله بهذا المال. أردنا، أنا وغيّير، أن نذهب إلى المتجر مباشرة، لكي نشتري سكاكر لنا جميعًا. كانت آنِه ليزبيت وسولفيغ تريدان شراء السكاكر أيضًا، لكنهما لم تكونا مستعدّتين للذهاب إلى المتجر على الفور، لأن وقت العشاء صار قريبًا مما يعني أن عليهما أن تعودا إلى البيت. قرّرنا أن نحتفظ بالمال، وأن نشتري به سكاكر في اليوم التالي.

اتجهت سولفيغ وآنِه ليزبيت في الطريق المؤدية إلى بيتيهما. وتابعت السير مع غيّير على الطريق الرئيسية حتى بلغنا المتجر. وقفنا هناك، ولم نطق الانتظار مثلما اتفقنا، فقد كانت قطعة الكرونات الخمس كأنها تحرق جيوبنا. لم نعد قادرين على التفكير في أي شيء غيرها. ببساطة، كان أي تأجيل لاستخدامها أمرًا مستحيلًا فقررنا أن نشتري السكاكر الآن ونخبئها إلى اليوم التالي لكي نفاجئ آنِه ليزبيت وسولفيغ بها. دخلنا، واشترينا السكاكر. لكننا لم نكد نفعل ذلك ونبدأ السير في اتجاه الطريق حتى ظهر والد غيّير آتيًا بسيارته الفولكسفاغن بيتل. توقّف إلى جانبنا، ثم مال بجسده فوق المقعد المجاور له وفتح الباب.

قال: «اصعد إلى السيارة».

«هل يستطيع كارل أوفِه أن يأتي معنا؟».

«لا، ليس في هذه المرة، نحن لسنا ذاهبين إلى البيت. سنذهب إلى البلدة. ربما في مرة أخرى، يا كارل أوفِه».

قال غيّير: «حسنًا»، ثم استدار إلي وقال لي بصوت مسرحي هامس: «لا تأكل أيًا من هذه السكاكر».

هززت رأسي متعهِّدًا له بذلك، ثم وقفت أنظر إلى أن انطلقت السيارة بعد أن صعد إليها. جريت بعد ذلك إلى الحاجز الإسمنتي عند حافة الطريق، فقفزت فوقه ونزلت في الطريق المفضية إلى منطقة الألعاب مارًّا بحطام السيارة، ثم اجتزت ملعب كرة القدم ومضيت عبر الغابة حتى بلغت الحافة الصخرية الواقعة بعد المستنقع. تمامًا قبل أن أصير مكشوفًا على بيتنا، توقّفت وقسمت السكاكر إلى أربعة أقسام متساوية (كانت حتى الآن موضوعة في كيس واحد)، ثم وضعتها في جيوب سترتي الأربعة. رميت الكيس، وجريت إلى الطريق، ثم اتخذت اتجاه البيت وسرت في الممر المفروش بالحصى. كانت نافذة غرفة المعيشة مضاءة. كانت سيارة أبي هناك واقفة في مكانها المعتاد عند الجدار؛ ودراجة إنغفِه أيضًا.

كان الجزء المعدني الصغير الذي يثبت المقود في مكانه ذا لمعانٍ مختلفٍ عن بقية الأجزاء المعدنية من حوله. كان لامعًا أكثر منها. سوف ينتبه إليه أبي، بكل تأكيد!

فتحت الباب ودخلت. إذا صادفت أبي عند الباب، فسوف أعلّق سترتي في مكانها، كالمعتاد. وأما إذا بقي في غرفة مكتبه، أو في غرفة المعيشة، فسوف أصعد السلم مرتديًا سترتي ثم أخبئ السكاكر في غرفتي، وأنزل من جديد لكي أعلّق السترة في مكانها بعد أن أفرغ جيوبها. إذا رآني عندما أكون نازلًا لتعليق السترة وسألني عن السبب الذي جعلني أرتديها داخل البيت، فسوف أقول له إنني صعدت مسرعًا لأنني كنت في حاجة ملحة للذهاب إلى المرحاض.

كان البيت هادئًا.

ها هو أبي. إنه في الأعلى، في غرفة المعيشة.

خلعت حذائي بهدوء، وسرت في الممر، ثم صعدت السلم ودخلت الحمام. أنزلت سحاب البنطلون، وتبوّلت. جذبت السلسلة، وغسلت يديَّ بماء بارد، وجففتهما، ثم انتظرت إلى أن توقف صوت الماء قبل أن أفتح الباب. ألقيت نظرة سريعة صوب غرفة المعيشة؛ لا شيء. ذهبت إلى غرفتي ورددت اللحاف جانبًا، ثم أفرغت جيوبي بكل ما فيها من سكاكر وغطيتها باللحاف من جديد وخرجت إلى فسحة السلم.

قال أبي من غرفة المعيشة: «كارل أوفِه، هل هذا أنت؟».

أجبته: «أجل».

أتى من الغرفة وقال لي: «أين كنت؟».

قلت: «كنت في غامله تيباكن مع غيّير».

«ماذا كنتما تفعلان هناك؟». كانت شفتاه مشدودتين. وعيناه باردتين.

أجبته، وكنت سعيدًا بأن صوتي ظل ثابتًا: «لا شيء. كنا نتجوّل هناك. هذا كل ما فعلناه».

«ولماذا أنت مرتد سترتك؟».

صعدت مسرعًا لأنني كنت أريد أن أتبول. سوف أخلعها الآن.

تابعت سيري ونزلت السلم. عاد أبي إلى غرفة المعيشة. علّقت سترتي وعدت سريعًا. أخافتني فكرة أن السكاكر بقيت هناك، غير محميّة. أضأت مصباح الطاولة المعدني المدوّر الصغير. ملأتْ بصلة المصباح المتطاولة الرشيقة الحيّز الفارغ بنورها الأصفر. جلست على السرير. أصلحت من وضع اللحاف فوق السكاكر.

والآن، ماذا؟ اجتاحتني مشاعر متضاربة. في لحظة، كنت موشكًا على البكاء؛ وفي اللحظة التي تلتها، كنت ممتلئًا سعادة.

تناولت كتابًا عن الفضاء كان من كتب أبي في طفولته. لقد سمح لي باستعارته عندما مرضت آخر مرة. كان الكتاب غاصًّا بصور ورسوم عن

الأسفار الفضائية في المستقبل. معدات رواد الفضاء، وأشكال الصواريخ، وسطوح الكواكب. سمعت صوت خطوات أبي في الممر.

فتح الباب ونظر إلي. لم يأت بأية حركة للدخول؛ ولم يقل شيئًا. أغلقت الكتاب وجلست منتصب الظهر. ألقيت نظرة سريعة في اتجاه السكاكر.

كان أمرًا مستحيلًا أن يرى المرء أن هناك شيئًا تحت اللحاف.

قال أبي: «ماذا لديك هناك؟».

قلت: «أين، ماذا تعني؟ ليس لدي أي شيء».

قال أبي: «تحت اللحاف».

«ليس لدي أي شيء تحت اللحاف».

نظر إلي من جديد. ثم أتى إلى السرير وأزاح اللحاف جانبًا.

قال لي: «أنت تكذب عليّ، يا ولد! كيف تكذب على أبيك». أمسك بأذني ولواها.

قلت: «لم أكن أقصد ذلك».

«من أين أتيت بالسكاكر؟ من أين أتيت بالمال لشرائها؟».

بدأت أبكي. قلت له: «أعطتني إياه سيدة عجوز. لم أفعل أي شيء سيئ».

قال أبي: «أعطتك إياه سيدة عجوز؟...». شدّ على أذني بقوة أكبر... «ولماذا تعطيك سيدة عجوزًا مالًا».

صحت: «آه، آه».

قال: «اصمت. لقد كذبت عليّ، أليس هذا صحيحًا؟».

«صحيح، لكني لم أقصد ذلك».

«انظر إليَّ عندما أكلمك. هل كذبت علي؟».

رفعت رأسي ونظرت إليه. كان الغضب يغلي في عينيه.

أجبته: «أجل».

«إذًا، قل لي الآن من أين حصلت على المال، هل فهمت هذا؟».

«فهمته. حصلت على المال من سيدة عجوز. لقد ساعدناها فكافأتنا».

«من؟».

«غيّير، وأنا، و...».

«أنت وغيّير ومن؟».

«لا أحد، أنا وغيّير فقط».

«أيها الكاذب الصغير، تعال، تعال».

شد أذني مرة ثانية، وفي الوقت نفسه جذبني من ذراعي وأرغمني على الوقوف. شهقت وبكيت وأحسست بأنني فارغ من داخلي.

قال لي من غير أن يترك أذني: «انزل إلى مكتبي».

قلت: «أنا... لم... أفعل... أي... شيء... سيئ... لقد... كانت... النقود... هدية».

فتح الباب الأول بقوة جعلته يصطدم بالجدار، ثم جرني عبر الباب الثاني، ثم تركني.

سألني: «كيف حصلت على المال؟ لا أريد سماع أية أكاذيب».

«لقد ساعدنا... امرأة عجوزًا».

«وما هي تلك المساعدة؟».

«كانت هناك شجرة... شجرة عالقة في الجدول. سحبنا الشجرة وأخرجناها من الجدول».

«ثم أعطتكم نقودًا من أجل ذلك؟».

مكتبة
t.me/t_pdf

«نعم».

«كم أعطتكم؟».

«خمس كرونات».

«أنت تكذب يا كارل أوفِه. من أين أتيت بالمال؟».

صحت: «أنا لست كاذبًا».

امتدت يده سريعًا وصفعتني على خدي.

قال بصوت كالهسيس: «لا تصرخ». وقف أمامي... «لكن، هناك طريقة لمعرفة الحقيقة. سأتصل بالمرأة العجوز وأسألها إن كان ما تقوله الآن صحيحًا».

نظر في عيني وهو يقول ذلك، ثم سألني: «أين بيتها؟».
قلت: «بيتها في... في غامله تيباكن».
ذهب أبي إلى الهاتف الموضوع على طاولة مكتبه. رفع السماعة وطلب رقمًا. وضع السماعة على أذنه وقال: «مرحبًا! اسمي كناوسغارد. أتصل لأمر متعلّق بابني. يقول إنك أعطتيه اليوم خمسة كرونات، هل هذا صحيح؟».
صمت قصير.
«لم تعطه شيئًا!؟ لم يساعدك ولدان في هذا اليوم!؟ ولم تعطهما خمسة كرونات!؟ أوه، نعم، فهمت. أعتذر لأنني أزعجتك. أشكرك شكرًا جزيلًا. مع السلامة».
وضع أبي السماعة.
لم أستطع تصديق أذنيّ.
نظر إلي وقال: «تقول إنها لم تر أي أولاد. وبالتأكيد، تقول إنها لم تعط أحدًا خمسة كرونات».
«لكن ما قلته صحيح. لقد أُعطينا خمسة كرونات».
هز أبي رأسه: «ليس هذا ما قالته. لذا... كفاك كذبًا! من أين أتيت بالمال؟».
فاضت عيناي بالدموع من جديد. قلت وأنا أبكي: «من... السيدة... العجوز».
نظر أبي إلي: «لن نتكلمّ أكثر من هذا. اذهب الآن وارمِ السكاكر في سلة المهملات. وسوف تظلّ في غرفتك بقية هذا المساء. وسوَف يكون عليّ أن أتحدّث قليلًا مع برستباكمو».
قلت له: «لكن السكاكر ليست لي».
«أليست لك؟ قلت لي إنك أعطيت خمس كرونات! ألم يكن المال مالك أنت؟».
قلت: «إنه مال غيّير أيضًا. لا أستطيع أن أرمي السكاكر في القمامة».
حدق أبي فيّ فاغرًا فمه. كانت عيناه غاضبتين. قال بعد حين: «افعل

ما قلته لك. ولا أريد أن أسمع منك أية كلمة أخرى. هل تفهم هذا؟ أنت تسرق، وتكذب، وفوق هذا ترد في وجهي أيضًا! إذًا، افعل ما قلته لك».

جمعت السكاكر كلّها في كفيّ يديّ، ثم رميتها في سلة القمامة في المطبخ وعدت إلى غرفتي.

ذهبنا مرات كثيرة لرؤية آنِه ليزبيت وسولفيغ في ذلك الخريف وذلك الشتاء. ذهبنا مرات كثيرة بقدر ما استطعنا. كنا نتجوّل ونلعب في الظلمة، وتلمع ملابسنا الواقية بحبات المطر تحت نور مصابيحنا اليدوية التي كانت تحفر أنفاقًا ضيّقة من نور في الغابة التي تحت البيوت. وكنا نجلس في غرفة واحدة معهن فنرسم ونستمع إلى الأغاني. نذهب إلى مصنع الزوارق، وإلى الرصيف الكبير الذي هناك. نتسلّق التلة خلف المصنع حيث لم يذهب أحد منا قبل ذلك، ثم ننزل في الغابة تحت الجسر، وبالقرب من أساساته الإسمنتية الضخمة.

وفي أيام السبت، كانت جولتنا تصل إلى مقلب القمامة السرّي. كانت حماسة الفتاتين لذلك المكان مثل حماستنا. أخرجت مع غيّير طاولة وأربعة كراسٍ ومصباحًا وصندوق دروج، ثم وضعناها كلّها بين الأشجار ورتبناها كأنها غرفةً معيشة. كان ذلك رائعًا جدًا لأننا في الخارج، في الغابة، في ضوء الشمس، لكننا داخل غرفة المعيشة! كنا داخل غرفة المعيشة مع سولفيغ وآنِه ليزبيت.

لم يضعف أبدًا إحساسي بالإثارة كلما نظرت إليها. كانت جميلة جمالًا مؤلمًا. سترتها الزرقاء الفاتحة الثخينة ذات النسيج اللامع. قبّعتها البيضاء. والإطار الصوفي في أعلى جزمتها. وجهها عندما ترمينا بنظرة غاضبة لسبب من الأسباب. ابتسامتها المتألّقة مثل تألّق بليون ماسة.

وعندما بدأ تساقط الثلج، صرنا نتجول في المنطقة كلها باحثين عن أماكن مناسبة للقفز منها أو للتزلج عليها، أو للحفر فيها. وجنتاها المحمرتان في ذلك الوقت، ورائحة الثلج اللطيفة المتميزة التي تتغيّر كثيرًا بتغير درجات الحرارة لكنها تظل في كل مكان من حولنا؛ والاحتمالات كلّها، الاحتمالات

التي كانت قائمة. في إحدى المرات، كان الضباب معلّقًا في الهواء بين الأشجار، والهواء مشبعًا بقطرات مطر دقيقة؛ وكنا في ملابسنا الواقية من المطر التي تكاد تنزلق على الثلج من غير احتكاك، بحيث نستطيع الانزلاق مثلما تفعل الفقمات. وذات مرة، صعدنا إلى أعلى المنحدر فانبطحتُ على الثلج وامتطت آنِه ليزبيت ظهري وامتطت سولفيغ ظهر غيّير، ثم انزلقنا على بطنينا طيلة المسافة حتى الأسفل. كان ذلك أفضل يوم من بين أيامي كلها. كررنا ذلك الانزلاق مرة بعد مرة. إحساسي بساقيها المطبقتين على ظهري، وإحساسي بيديها المتشبّثتين بكتفيّ. وصرخات الفرح التي تطلقها عندما تزداد سرعتنا، والتدحرج الرائع بعد أن نصل إلى أسفل المنحدر... نتدحرج بسيقان وأذرع متشابكة. ذلك كله تحت الضباب المعلّق من غير حركة وسط أشجار الصنوبر الخضراء الداكنة، وتحت قطرات المطر الدقيقة العائمة في الهواء التي تستقر طبقةً رقيقة على وجهينا.

اكتشفنا في ذلك الشتاء أماكن كثيرة كانت من بينها غابة عارية تحت الطريق المحيطة بالمنطقة السكنية كلّها، وفوق محطة فينا اللذين كانا مكانين منفصلين تمامًا في وعينا، لكنهما صارا الآن متصلين على نحو مفاجئ. الدرب القديمة النازلة إلى هناك التي نمر بآخرها عندما نكون ذاهبين إلى محطة فينا كانت لها نهاية أخرى من الأعلى حيث يعيش أطفال لم نرهم قبل ذلك. أطفال كان لديهم أيضًا ملعب لكرة القدم، صحيح أنه كان ملعبًا صغيرًا لكن له مرميان حقيقيان. اكتشفنا أيضًا الطريق التي تحت بيتيّ آنِه ليزبيت وسولفيغ، حيث تقع البيوت العليا هناك على مرمى حجر من بيتيهما. اتضح أن داغ ماغنِه، الذي كان في صفنا، جارٌ لسولفيغ. كانت مفاجأة لنا عندما اكتشفنا أن بيتيهما متقاربان كثيرًا: إنهما من عالمين مختلفين لأن بينهما حزامًا من الغابة. أظن أن تلك الغابة هي ما خدعنا. لم يكن عرض ذلك الحزام من الأشجار أكثر من عشرين أو ثلاثين مترًا، لكن ما خلفه كان يمثّل ما هو أكثر من البيوت التي هناك؛ فمن الناحية الشعورية، كنا نشعر بأن تلك المسافة تبلغ عدة مئات من الأمتار. كان الأمر هكذا على امتداد المنطقة السكنية كلّها. لكنه لم يكن

مقتصرًا عليها وحدها، فقد كان هذا إحساسنا تجاه مقلب القمامة أيضًا لأنك، إذا سلكت الطريق من فارفيك وتابعت السير فيها باستقامة (قلائل من كانوا يفعلون هذا)، بدلًا من الانعطاف يمينًا ودخول الطريق الذاهبة إلى هوفه، فسوف تجد نفسك في مقلب القمامة. وإذا انعطفت يمينًا عند نهاية الأرض المستوية الطويلة وسلكت الطريق الذاهبة شرقًا في اتجاه المدرسة، فلن تجتاز أكثر من مئتي متر قبل أن يكشف مقلب القمامة عن نفسه، بكل مجده، بين الأشجار. مناطق كانت منفصلة في ما مضى (في عالمها القديم الخاص بها، إن جاز القول) صارت الآن متّصلة فجأة. فما عدد الناس الذين كانوا يعرفون أن بحيرة تيبنّا واقعة تمامًا إلى جانب بحيرة غيرستاد؟ وأن بحيرة غيرستاد التي تستطيع السير إليها من ساندوم الواقعة في الجهة الأخرى من الجزيرة! يمكن الوصول إليها أيضًا عبر طريق متفرّعة من الطريق الذاهبة إلى المدرسة!

مفاجأة أخرى أيضًا: كانت السيدة يلن التي تأتي لتنظيف بيتنا تعيش مع زوجها في البيت الذي بعد بيت آنِه ليزبيت. لم يكن لديها أطفال. وكان استقبال الزائرين يسعدها دائمًا. كنت أذهب إليها وحدي، ومع الثلاثة الآخرين أيضًا. تأتي لتنظيف بيتنا فأخبرها بأشياء كثيرة، بل حتى بأشياء لم أكن أقولها لأمي وأبي. علّمتني السيدة يلن كيف أفتح باب البيت بالمفتاح الذي كان معي – الطريقة هي أن أجذب المفتاح مسافة صغيرة جدًا قبل إدخاله كله في القفل، ثم أديره.

وهكذا، كانت السيدة يلن هي من ائتمنته على سرّي، عندما أفلح واحد من الحجارة التي كنا نلقيها على السيارات دائمًا، في الطريق التي في الأسفل، في إصابة واحدة منها. كنت أنا من ألقى ذلك الحجر. كنا واقفين عند السياج الأخضر؛ وكان غيّير قد رمى حجرًا على سيارة فلم يصبها. حملت حجرًا وانتظرت قدوم سيارة أخرى. كان الحجر أكبر من يدي؛ ولشدة ثقله، لم أستطع قذفه بل دفعته دفعًا. كانت السيارة عند المنعطف، آتية في اتجاهنا. ازدادت سرعتها في المنطقة المنبسطة من الطريق. الآن!

طار الحجر في الهواء. أدركت لحظة فارق يدي أنه سيصيب السيارة.

لكني لم أتوقّع أن يكون صوت اصطدامه بسقف السيارة مرتفعًا إلى ذلك الحد. ولم أكن أتوقّع أن يعقب ذلك زعيق المكابح وصوت انزلاق الإطارات على إسفلت الطريق.

نظر غيّير إليّ بعينين مذعورتين. قال لي: «فلنهرب سريعًا».

تسلق غيّير الصخور، ثم اجتاز الطريق مسرعًا وتسلّق المرتفع الصغير واختفى خلفه.

لم أتحرك. أصابني شلل تام. عجزت عن تحريك أية عضلة من عضلاتي. كان ذعري أشد من أن أستطيع حراكًا؛ فحتى عندما سمعت صوت إغلاق باب السيارة في الأسفل، وصوت محركها يعمل من جديد، وعندما سمعتها متّجهة إلى حيث أقف... لم أتحرّك من مكاني.

وبعد ثلاثين ثانية من ذلك، أتت السيارة صاعدة الطريق. دموعي منهمرة على وجنتيّ، وساقاي مرتعشتان لا أكاد أستطيع البقاء واقفًا عليهما... رأيت السيارة تتوقّف على الطريق على مسافة ثلاثة أمتار فوقي. لم يفتح سائقها الباب وينزل من السيارة بل دفعه بقوة شديدة وقفز من مقعده قفزًا. كان وجهه محمرًّا لشدة غضبه.

صاح بي وهو نازل في اتجاهي: «هل أنت من رمى بالحجر؟».

أومأت برأسي.

أمسك بذراعيّ الاثنتين وهزّني.

«كان من الممكن أن تقتلني. هل تدرك هذا؟... لو أصاب الحجر زجاج السيارة الأمامي! هل تفهم هذا... لقد حطّمت سيارتي! هل تعرف كم ستكون تكلفة إصلاح السقف؟ أوه... سوف يكلفك هذا مبلغًا كبيرًا جدًّا».

أرخى الرجل قبضتيه عن ذراعي.

كنت أبكي بكاء شديدًا جعلني غير قادر على رؤية شيء.

قال: «ما اسمك؟».

قلت له: «كارل أوفِه؟».

«ما اسم عائلتك؟».

«كناوسغارد».

«وهل بيتكم قريب من هنا؟».

«لا».

«إذًا، أين تعيش؟».

قلت: «في نورداسن رينغفه».

نصب الرجل قامته بعد أن كان منحنيًا فوقي. قال لي: «سوف تتلقى اتصالًا مني... بل عليّ القول إن والدك سيتلقى اتصالًا مني».

صعد الرجل إلى الأعلى بقفزة واحدة من ساقيه الطويلتين. ثم جلس في السيارة وأغلق بابها بعنف شديد. وانطلقت السيارة مسرعة.

جلست على الأرض باكيًا. لا أمل لي أبدًا.

بعد لحظة، ناداني غيّير من فوقي. نزل من مخبئه راكضًا، وانهال علي بأسئلة كثيرة عما جرى وعما قيل. أدركت أنه سعيد لأنني كنت من ألقى بذلك الحجر، وأنه سعيد لأنني قلت للرجل اسمي. لكن ما كان مُلحًّا على معرفته قبل أي شيء آخر هو السبب الذي منعني من الهرب. ففي حقيقة الأمر، كان لدينا متّسع من الوقت حتى نبتعد عن المكان تمامًا. لو هربت لما استطاع الرجل أبدًا أن يمسك بي، ولما عرف أبدًا أنني من قذف سيارته بذلك الحجر.

جفّفت دموعي وقلت له: «لست أدري. لكني لم أستطع الهرب. فجأة، صرت عاجزًا عن الحركة».

قال غيّير: «ألن تخبر أمك وأباك؟ من الأفضل أن تخبرهما. إذا قلت لهما الحقيقة، سوف يغضبان منك، لكن ذلك سينتهي سريعًا. إذا لم تقل لهما شيئًا، وإذا اتصل الرجل بهما، فسوف يكون الأمر أكثر سوءًا».

قلت له: «لا أجرؤ على ذلك، لا أجرؤ على إخبارهما».

«هل قلت له اسم أبيك؟».

«لا. قلت له اسمي فقط».

«لكن اسمك ليس في دليل الهاتف. إن عليه أن يتّصل بأبيك. أنت لم تقل له اسم أبيك، أليس كذلك؟».

قلت: «لا». هذه بارقة أمل!

قال غيّير: «في هذه الحالة، من المؤكّد أن من الأفضل ألّا تقول لهما شيئًا. قد لا ينتج أي شيء عن هذا كلّه».

عدت إلى البيت فوجدت فيه السيدة ييلن. أدركت على الفور أنني كنت أبكي، فسألتْني عما أصابني. طلبت منها ألّا تقول كلمة لأي إنسان، فوعدتني بذلك. ثم أخبرتها بما جرى. داعبت وجنتي وقالت إن أفضل شيء أن أذهب وأخبر أبي وأمي بما جرى. قلت لها إنني لا أجرؤ على فعل ذلك. وهكذا انتهى الحديث بيننا. أمضيت الأيام التي أعقبت ذلك كلّها في خوف دائم كان يجعلني أتجمّد ذعرًا كلما رن جرس الهاتف. كان ذلك ذعرًا أشد من أي ذعر عرفته في ما مضى. ظلمة هائلة خيّمت فوق تلك الأيام كلّها. لكنه لم يكن المتصل في أية مرة من المرات! يكون ذلك شخصًا آخر، دائمًا، فبدأت أصدق أن كل شيء سيمر ويختفي من تلقاء نفسه.

ثم اتصل الرجل.

رُن جرس الهاتف، فرفع أبي السماعة في الأسفل. ثم مضت نحو ثلاث دقائق قبل أن يعيد السماعة إلى مكانها. عرفت ذلك من التكّة التي سمعتها من جهاز الهاتف الذي في الأعلى. صعد أبي السلم. كانت خطواته حازمة، كلها تصميم. ذهب لرؤية أمي. كان صوتاهما في المطبخ مرتفعين. جلست أبكي على سريري. انفتح باب غرفتي بعد بضع دقائق، دخل أبي وأمي. لم يحدث هذا من قبل أبدًا. كان وجهاهما جادّين، مكفهرّين.

قال أبي: «اتصل بي الآن رجل، يا كارل أوفِه. قال لي إنك رميت حجرًا على سيارته فأتلفت سقفها، هل هذا صحيح؟».

أجبته: «أجل».

قال لي: «كيف يمكن أن تفعل شيئًا من هذا القبيل؟ ما مشكلتك؟ كان من الممكن أن تقتله! ألا تدرك هذا؟ ألا تفهم مدى خطورة هذا الأمر، يا كارل أوفِه؟».

أجبته: «نعم».

قالت أمي: «لو أصاب الحجر زجاج السيارة الأمامي، لكان ممكنًا تمامًا أن تخرج السيارة عن الطريق أو أن تصطدم بسيارة أخرى، وكان من الممكن أن يقتل سائقها».

«نعم».

قال أبي: «عليّ الآن أن أدفع له تكلفة إصلاحها. ستبلغ التكلفة عدة آلاف الكرونات. ليس لدينا ذلك المال كله. من أين تظنّنا سنأتي بالمال؟».

«لست أدري».

قال وهو يستدير مبتعدًا: «أوه، أيها الولد اللعين!».

قالت أمي: «أنت أيضًا لم تقل لنا شيئًا. مر أكثر من أسبوع منذ أن حدث ذلك. عليك أن تخبرنا عندما يقع أمر من هذا النوع. هل تفهم هذا؟ عدني بأنك ستخبرنا».

أجبتها: «نعم. لكنّي أخبرت السيدة يبلن».

قال أبي: «السيدة يبلن!؟ أخبرتها ولم تخبرنا؟».

«أجل».

نظر إليّ بعينيه الباردتين الغاضبتين.

قالت أمي: «لماذا فعلت هذا؟ كيف يمكن حتى أن تفكر في قذف السيارات بالحجارة؟ لا بد أنك كنت تعرف أن هذا شيء خطير».

قلت: «لم نكن نظنّ أننا سنصيب شيئًا».

قال أبي: «لم نكن! هل كان هناك أحد غيرك؟».

«كان غيّير معي. لكني أنا من قذف بالحجر الذي أصاب السيارة».

التفت أبي إلى أمي وقال: «يبدو أن عليّ أن أتحدّث مع برستباكمو».

التفت إليّ وقال: «أنت محبوس في غرفتك اليوم، واليومين القادمين. ولن تتلقّى مصروفًا لهذا الأسبوع ولا للأسبوع التالي. هل تفهم هذا؟».

«أجل».

ثم خرجا من الغرفة.

لقد مر كل شيء وانقضى. وسوف يمر هذا الأمر أيضًا وينقضي. تكون

الظلمة على أشدها بين الفعلة وانكشافها، أي عندها يبدو كل شيء عاديًا من غير أن يكون عاديًا... هذا ما كان مخيفًا جدًا. عندما يهتز كلّ شيء من خلف الواجهة الساكنة للحياة المعتادة اليومية. ففي ذات مرة، قبل سنة من ذلك، جعلني أمر مماثل أجري هاربًا. لم يكن ذلك حجَرًا، بل سكينًا جلبت لي سوء الطالع. حصل الأولاد الآخرون جميعًا على سكاكين الكشافة، إلا أنا. كنت صغيرًا جدًا، وغير مسؤول أيضًا. ثم، في أحد الأيام، في تصرّف كان يشبه طقسًا احتفاليًا، أعطاني أبي سكينًا. قال إنه ووالدتي يثقان بي. أخفيت خيبة أملي؛ فقد اشترى لي سكينًا من سكاكين البنات: لم يكن في الصورة التي على غمدها كشافٌ يرتدي بنطلونًا، بل فتاة كشافة ترتدي تنورة. لا يستطيع المرء توقّع أن يفهم الكبار هذه التفاصيل. تركت فرحتي بالحصول على سكين تغلب خيبة أملي، فقد صرت الآن قادرًا على مجاراة الآخرين في القطع والنحت بالسكين، وفي رميها أيضًا. ولم يكن عليَّ إلا أن أحرص على إخفاء الغمد عن أعين الآخرين. في ذلك اليوم، نحتُّ سيفًا مع ليف تورِه. قطعة خشب طويلة جعلت نهايتها مدببة مثل نصل السيف، وقطعة خشب قصيرة ثبّتها عليها بالمسامير فصارت مقبضًا للسيف. رحنا نتجول في المنطقة السكنية كلّها وسيفانا في يدينا. وجدنا فتاتين مع كل منهما عربة أطفال مصغّرة. تسللنا خلفهما حينًا من الزمن قبل أن نشن الهجوم متخيلين أننا قرصانان وأن العربتين سفينتان. مرّة بعد مرّة، غرسنا سيفينا في الغطائين الجلديين اللذين فوق العربتين. صاحت الفتاتان ثم زعقتا وهربتا قائلتين إنهما ستشكواننا، فبدأت فعلتنا تثير قلقنا، وجعلتنا حريصين على تتبّعهما ومراقبتهما. ذهبتا إلى البيت أول الأمر، ثم خرجتا وسارتا إلى بيت غوستافسن وإلى بيتنا. خشينا سوء العاقبة فقرّرنا الهرب. صعدنا الجبل ومضينا في الغابة حتى بلغنا القمة، ثم سرنا بأقصى ما استطعنا من سرعة حتى بلغنا الجرف الذي فوق بحيرة تيينّا. لم يكن أي منا قد ذهب إلى ذلك المكان من قبل. كانت المسافة إلى البيت بعيدة، وقلت في نفسي إننا نستطيع النوم هناك قبل أن نغادر المكان في الصباح التالي.

جلسنا على حافة صخرة ورحنا ننظر إلى ما حولنا. كانت الشمس منخفضة في السماء من خلفنا. وكان المشهد أمامنا غارقًا في ضيائها الذهبي. جلسنا زمنًا لعله طال نصف ساعة. ثم أراد ليف توره أن يعود إلى البيت. قال إنه جاع. حاولت إقناعه بأننا هربنا من البيت وبأننا لا نستطيع العودة. لكنه تشبّث برأيه، وقال إنه لا يريد النوم في العراء في أية حال من الأحوال. وهكذا عدنا أدراجنا معنا. كان أبي في انتظاري عندما وصلت إلى البيت. كان في الحديقة. أمسكني بقوة من ذراعي وجرني إلى غرفتي، وقال لي إنني محبوس فيها. صودرت السكين على الرغم من أنني لم أستخدمها في الهجوم على البنتين، بل استخدمت السيف. لم يكن أبي وأمي قادرَين على إدراك الاختلاف بين الاثنين. كان الطعن بالسكين أمرًا لا يمكن التفكير فيه أبدًا. وأما السيف فكان مصنوعًا من الخشب، وهو ما استخدمناه في هجومنا. كان عليهما أن يصادرا السيف. لكنهما أخذا السكين. سمعتهما يتحدّثان عن الأمر. كان أبي يقول: «انظري، انظري إلى غمد السكين. لقد أتلفه تمامًا». كان يشير بهذا إلى الثقوب الكثيرة التي أحدثتها في الغمد بغية إخفاء حقيقة أن الكشاف الذي عليه كان مرتديًا تنورة، لا بنطلونًا. لكنه فسر ذلك بأنه دليل على طيشي وقلة نضجي. جلست في غرفتي محبوسًا تلك الليلة والليلة التي تلتها، وكنت أنظر من النافذة إلى ليف توره يلعب في الخارج. لقد صفعه أبوه على وجهه وانتهى الأمر. لم تكن الصفعات أمرًا يزعجه.

لكن ذلك كله انقضى وصار ماضيًا! ينقضي كل شيء ويصير ماضيًا! حصلت الفتاتان على عربتين جديدتين، وركّب صاحب السيارة سقفًا جديدًا، وانتهى حبسي في غرفتي، وعدت أتلقى من أبي نقودًا لمصروفي، وظلّت الطريق عند بيتنا تزدحم بالأطفال في الأماسي، وظلت الغابة في الأسفل مفتوحة دائمًا... نهارًا وليلًا... في الشتاء وفي الربيع.

لم تكن آنِه ليزبيت وسولفيغ تأتيان إلينا. نحن كنا نصعد إليهما. وهكذا كان لنا عالمان اثنان: واحد خارج بيتينا حيث ننضم إلى تجمعات الأطفال

كل مساء، ونجري خلف كرة القدم، ونلعب في الطريق، ونبني أعشاشًا في الغابة، ونجري هنا وهناك فندسّ أنفينا في كل زاوية وفي كل ناحية في منطقتنا السكنية. وعندما أتى البرد وتجمّدت المياه، صرنا نتزلج على جليد بحيرة تيينّا فتردّد التلال المحيطة بالبحيرة الأصداء الرائعة لانزلاق نصل الزلاجة الفولاذي على الجليد. يأتي كل يوم ممتلئًا بتلك المسرّة الكثيفة. كان لنا عالم آخر، فوق، معهما، حيث يبدو كل شيء شبيهًا بما لدينا في بيتنا... فهنا أيضًا أطفال يلعبون ويلقون بأنفسهم في كل شيء يستطيع المرء أن يلقي نفسه فيه. وهنا أيضًا، كانوا يجرون خلف كرة القدم في الطريق، ويلعبون ألعابًا في الظلام. هنا أيضًا، يتراكضون ويجرون، وهنا أيضًا كانوا يتزلّجون على الجليد عندما تتجمد المياه، وعلى الثلج عندما يتساقط الثلج. لكن ذلك كان مختلفًا. كانت المتعة هنا موجودة في مكان آخر -لست أدري كيف- لا في ما نفعله، بل في مَنْ نفعله معهم. كانت المسرّة عظيمة إلى حد يجعلها تظلّ قائمة حتى إذا لم تكن سولفيغ وآنِه ليزبيت موجودتين. لعبنا في إحدى الأمسيات تنس الطاولة في كراج بيت داغ لوثار؛ وتسلّلنا في أمسية أخرى إلى سقيفتين للعمال عند الطريق الجديدة في الغابة. وفي أمسية غيرها، جلسنا في غرفة غيّير نلعب الداما الصينية. وفي أمسيات أخرى، أقف إلى جانب سريري عندما أخلع ملابسي فتداهمني فكرة آنِه ليزبيت ووجودها كله، تأتيني فجأة وبقوة كبيرة تجعلني أترنح سعادة وشوقًا. ثم إنها لم تكن وحدها من يستوطن تلك المشاعر لأن أمها الجميلة وأباها صاحب المنكبين العريضين يكونان حاضرين أيضًا. كان أبوها سائقًا؛ وكانت لديه أسطوانتا أوكسجين لونهما أصفر في حمام القبو. أختها وأخوها الصغيران أيضًا؛ وكل ما في بيتهم من غرف؛ وذلك الشذى اللطيف الذي يملأ الغرف كلها. أشياؤها الكثيرة في غرفتها مختلفة كثيرًا عما كان في غرفتي من أشياء... دمى كثيرة، وملابس للدمى، وكثير من التزيينات والأشياء الوردية. كان هناك أيضًا ما نفعله معًا، ما كانت حماستها وبهجتها تضفيان عليه بريقًا. كان ذلك الشعور موجودًا في المدرسة خاصة حيث يظل كل منا مع نفسه إلى

أن تنشأ حالة تجمعنا معًا: قد نكون واقفين مع الأطفال في دائرة نلعب «*خذ هذا الخاتم ودعه يتجول*»(1)؛ فكنت أنا من تعطيه آنِه ليزبيت الخاتم. أو أكون أنا من تمسك به عندما نغني الكلمات الأخيرة من أغنية «*برو برو بريل*»(2). فتطوّقني ذراعاها، أو عندما أجري خلفها في لعبة أخرى فتتباطأ خطواتها حتى أتمكن من الإمساك بها. أوه... لو كان الأمر بيدي، لوددت أن أظل جاريًا خلف آنِه ليزبيت طيلة عمري شريطة أن أطوقها بذراعيَّ آخر الأمر.

هل كنت أعرف أن ذلك لا يمكن أن يدوم؟

لا، لم أكن أعرف! كنت أظنّه مستمرًا ومستمرًا إلى الأبد. جاء الربيع، وجاءت معه خفّة في كل شيء. وفي يوم من الأيام، انتعلت حذائي الرياضي الجديد وجريت به بعد شهور من السير بخطوات ثقيلة منتعلًا جزمات شتوية مختلفة. الآن، صار الجري أشبه بالطيران. البنطلونات والسترات السميكة التي تجعل كل حركة خرقاء، وتجعلها غريبة، حلت محلها الآن بنطلونات خفيفة وسترات خفيفة. القفّازات والأوشحة والقبّعات اختفت كلها في الخزائن حتى الشتاء التالي. ألواح التزلج، وأحذية التزلج على الجليد، والعربات الصغيرة ذات المزالج، وُضعتْ في السقائف والأقبية. أُخرجت الدراجات وكرات القدم. والشمس التي ظلّت زمنًا طويلًا منخفضة في

(1) (Ta den ring og la den vandre) «خذ هذا الخاتم ودعه يتجول». لعبة أطفال شعبية في النرويج: يقف أحد الأطفال وسط الحلقة وفي يده خاتم، ثم يتقدّم ويمسك أكف الأطفال الواقفين في الحلقة، واحدًا تلو آخر. يدس الخاتم خفيةً في يد واحد منهم، ثم يكمل الدورة على بقية الأطفال ويعود إلى مركزه. في أثناء ذلك، يغني الأطفال كلهم أغنية. تصل الأغنية إلى مقطع يتساءل عمن صار الخاتم في يده. يوجّه الطفل في المركز إصبعه إلى أحد الأطفال في الحلقة، ثم إلى من يليه، وهكذا. وعندما يحزر أحد الأطفال اسم من يحمل الخاتم، يقف في وسط الحلقة بدلًا من الطفل الذي كان هناك، وتتكرّر الدورة من جديد.

(2) (Bro bro brille) «جسر، جسر، منظار». لعبة أطفال شعبية في البلاد الاسكندنافية: يشبك طفلان أيديهما عاليًا مشكلين «جسرًا» يمر بقية الأطفال من تحته وهم يغنون الأغنية، ثم يمسك الطفلان بمن يكون تحت الجسر لحظة الوصول إلى الكلمات الأخيرة.

السماء ترسل أشعتها من أجل الرؤية فقط، ارتفعت الآن عاليًا وصارت تزداد علوًّا في كل يوم يمر، وسرعان ما صارت شمسًا حارة ترغمنا على وضع ستراتنا في حقائبنا الظهرية عندما عودتنا من المدرسة وقت الظهر بعد أن ارتديناها صباحًا. لكن أبلغ دلالة على مجيء الربيع كانت رائحة حرق فضلات الحدائق. كانت الناحية كلها تفوح بتلك الرائحة. الأمسيات ذات البرودة اللطيفة، والظلمة المزرقّة، والبرودة المتصاعدة من خنادق وحفر لا تزال فيها بقايا الثلج... بقايا صلبة كالجليد فيها تراب وحصى. طنين أصوات الأطفال المتواصل في الخارج، وأطفال يطاردون كرة القدم في الطريق، وأطفال على دراجاتهم، وأطفال يؤدّون حركات بهلوانية على الرصيف... كل شيء نابض بالحياة وبالخفّة... يكون عليك أن تجري، وأن تقود الدراجة، وأن تصيح، وأن تضحك، وذلك كله وسط الرائحة النفّاذة الغنية لاحتراق أعشاب الربيع، رائحة صارت فجأة ملء أنوفنا أينما ذهبنا. ومن حين لآخر، كنا نجري إلى أماكن مرتفعة ننظر منها إلى ما يجري: ألسنة اللهب الواطئة الكثيفة كأنها أمواج برتقالية اللون، تكاد تبدو رطبة لشدة كثافة الألوان في عتمة المساء... نيران يشرف على كل منها أب فخور بما يفعله، أو أم فخور بما تفعله: رفش على الكتف، وقفازان في اليدين، شيء يشبه صورة فارس قديم من فقراء فرسان الطبقة الوسطى. ومن حين لآخر، يشعلون نارًا حقيقية ويراقبونها جيدًا. يكون ذلك عندما يحرقون كل ما اجتمع في الحديقة من قمامة خلال فصل الشتاء.

ما قصّة النار؟

لقد كانت شديدة الغرابة هنا؛ وكانت عتيقة جدًّا بحيث لا يكون فيها شيء يمكن ربطه بما هو محيط بها. فماذا تفعل النار إلى جانب كارافان غوستافسن؟ وماذا تفعل النار إلى جانب لعبة آنِه لينِه التي كانت على شكّل حفّارة؟ ماذا تفعل النار إلى جانب أثاث الحديقة المبتل ذي اللون الحائل عند بيت كانستروم؟

ترتفع ألسنة اللهب ممتدّة صوب السماء بتدرجات ألوانها الصفراء

والحمراء، وتأكل أغصان الصنوبر الصغيرة التي تفرقع تحت لسعها، وتذيب البلاستيك فيصدر هسيسًا، ويتلوى إلى هذه الناحية وتلك بحركات يستحيل توقّعها بحركات كانت جميلة بقدر ما هو صعبٌ تصديقها... لكن، ماذا تفعل تلك الأشياء كلها هنا، بيننا نحن النرويجيين المعاصرين في أمسيات عادية في عقد السبعينيات؟

كان عالم آخر يتكشّف مع تلك النيران، ثم يرحل معها عندما ترحل. كان ذلك عالم الهواء والماء، التراب والحجارة، الشمس والنجوم، عالم الغيوم والسماء، عالم الأشياء القديمة كلّها التي هي هناك دائمًا، والتي كانت هناك دائمًا... لهذا السبب، كانت أشياء لا يفكّر المرء فيها. لكن النيران تأتي فتجعلك تراها. وما إن تراها حتى تصير غير قادر على منع نفسك من رؤيتها في كل مكان، في المواقد كلِّها، وفي المدافئ التي تعمل بالحطب، وفي المصانع والورشات كلّها، وفي السيارات المتحرّكة في الطرقات أو المتوقّفة عند البيوت في الأمسيات... هذا لأن النار تشتعل هنا أيضًا. كانت السيارات بدورها شيئًا عتيقًا على نحو عميق. كان هذا التقادم الهائل مستقرًا في كل شيء، من البيوت المبنية بالحجارة أو الخشب، إلى المياه الجارية في الأنابيب داخلة إلى البيوت وخارجة منها. على الرغم من ذلك، ولما كان كل شيء يحدث للمرة الأولى بالنسبة إلى كل جيل، وبما أن هذا الجيل قد قطع مع الجيل الذي قبله، فإن كون هذا كله قديمًا يتخذ مكانًا له في آخر أعماق وعينا (إذا تمكّن من دخول وعينا أصلًا) لأننا لم نكن نرى أنفسنا أَبناء عقد السبعينيات المعاصرين فحسب، بل نحسب أيضًا أن كل ما يحيط بنا ينتمي إلى ذلك العقد أيضًا. مشاعرنا التي كانت مشاعر كل من يعيش هناك في تلك الأماسي الربيعية، كانت مشاعر معاصرة ما من تاريخ لها غير تاريخنا نحن. وعند من كانوا منا أطفالًا في ذلك الوقت، كان معنى هذا أن ما من تاريخ لها أبدًا. كان كل شيء يحدث أول مرة. وما كنا نفكّر أبدًا في إمكانية أن تكون تلك المشاعر قديمة أيضًا... لعلّها ليست في مثل قِدم الماء أو التراب، لكنها في مثل قِدم البشرية نفسها. أوه، لا... فلماذا

نظن غير هذا؟ المشاعر المتدفّقة في صدورنا، المشاعر التي تجعلنا نصيح ونزعق ونضحك ونبكي كانت مجرد جزء منا... كانت شيئًا يشبه مصباح البراد الذي يضيء كلما فُتح بابه، أو يشبه جرس البيت الذي يرن إذا ضُغط على مفتاحه.

أكنت أظن حقًّا أن هذا سيدوم؟

أجل، هكذا كنت أظن. لكنه لم يدم.

في يوم من الأيام قبيل نهاية شهر نيسان، قلت لآنِه ليزبيت إننا سنصعد إليهما بعد المدرسة، فقالت لي إننا لا نستطيع الصعود إليهما.

قلت لها: «لم لا؟».

قالت: «سيأتي أحد آخر».

قلت: «من هو؟».

ظننت أنه قد يكون عمًّا من الأعمام، أو عمّة.

قالت مبتسمة ابتسامتها الماكرة: «إنه سرّ».

قلت: «هل هو أحد من صفّنا؟ ماريانِه أو سولفي أو يوني؟».

قالت: «إنه سر. أنتَ وغيّير لا تستطيعان المجيء. إلى اللقاء».

ذهبتُ إلى غيّير وقلت له ما قالته آنِه ليزبيت. قرّرنا أن نذهب سرًّا بعد المدرسة ونتجسّس عليهما. وضعنا حقيبتينا في البيت، ثم سلكنا طريقًا مختلفة إلى الأعلى، واجتزنا موقع البناء الذي في الغابة السفلى حيث كانوا قد أقاموا أساسات البيوت الجديدة. ثم مضينا عبر الأشجار، فعبرنا المستنقع وصعدنا إلى الساحة التي بين البيوت هناك.

لا أحد!

هل هم في الداخل؟ بطبيعة الحال، لم نكن نستطيع قرع الجرس لأنه لا ينبغي لنا أن نكون هناك. سرنا نازلين. خطرت في ذهن غيّير فكرة ذكية: سنقرع جرس بيت فيموند. أتى فيموند إلى الباب. كان ذلك التعبير الغبي نفسه ظاهرًا على وجهه المدور. أجل، لقد نزلتا منذ بعض الوقت.

هل كانتا وحدهما؟

لا، كان هناك آخرون.

من؟

لم ير وجوههم.

أولاد أم بنات؟

يظن بأنهما ولدان اثنان. ظنهما أول الأمر أنا وغيّير لأننا نأتي كثيرًا؛ لكنه يدرك الآن -بالطبع- أنهما كانا شخصين مختلفين.

ضحك فيموند. ضحك غيّير أيضًا.

من يمكن أن يكونا؟

وماذا يفعلان معهما؟

قلت لغيّير: «هيا بنا. فلنلحق بهم».

قال غيّير: «لكنهما لا تريدان أن نكون معهما. أليس من الأفضل أن نظل في بيت فيموند قليلًا؟».

حدّقت فيه. كانت عيناي متّسعتين إلى أقصى حد.

قلت لفيموند: «لا تقل لأحد شيئًا مما دار بيننا».

أومأ برأسه، فسرنا واجتزنا الأرض التي أمام بيته، ثم نزلنا إلى الطريق.

أين يمكن أن يكونوا قد ذهبوا؟

كان الاحتمال الأكبر أنهم ذهبوا إلى المتجر، لكن شيئًا جعلني أحس بأنهم لم يبتعدوا عن البيت كثيرًا. سلكنا الطريق التي تحت بيتهما. لن تكون رؤية البنتين صعبة، ولن يكون سماعهما صعبًا.

توقّفت عند مفترق الطرق حيث تصعد إحدى الطريقين إلى بيت داغ ماغنِه وإلى بيتهما. قلت لغيّير: «هل نصعد؟».

رفع غيّير كتفيه.

صعدنا ذلك المنحدر الخفيف. كان بيت داغ ماغنِه واقعًا في وهدة صغيرة. وكان متّصلًا به كراج فيه دراجات وأدوات وإطارات للسيارة، وكدس حطب تحت الشرفة.

بلغنا قمة المنحدر، فرأينا داغ ماغنِه في النافذة. كان ينظر إلينا. حتى

نتفادى إعطاء انطباع مفاده أننا ذاهبان لرؤيته، عبرنا الأرض التي أمام بيتهم من غير أن ننظر إليه، ثم نزلنا فدخلنا الغابة الواقعة إلى الناحية الأخرى. كان هواء الغابة مشبعًا بالربيع؛ والأعشاب التي ابيضّت منذ زمن بعيد بدأت الآن تتحوّل إلى لون أخضر؛ لكن الأشجار لا تزال من غير أوراق. هذا ما سمح لنا بأن نرى مسافة طويلة أمامنا في تلك الغابة الفتية.

هناك. تمامًا تحت المنحدر المؤدّي إلى بيت سولفيغ، رأيت شيئًا يتحرّك، أزرق وأحمر.

قال غيّير: «ها هم هناك».

توقفنا ساكنين حيث كنا.

كانوا يضحكون ويتحدّثون متحمّسين.

همست: «هل تستطيع معرفتهما من هنا؟».

هز غيّير رأسه.

اقتربنا قليلًا. حرصنا على أن نظل مختبئين خلف الأشجار. جثمنا على الأرض عند صخرة عندما صرنا على مسافة نحو عشرين مترًا منهم.

مددت رأسي ونظرت إليهم.

إن معهما إيفيند وغيّير ب.

إيفيند وغيّير ب!

يا للهول! من يستطيع أن يفهم هذا؟ إيفيند وغيّير ب! إنهما في صفنا! إنهما جاران، وصديقان عزيزان، بيتاهما بعد بيت سْفيرَه، أي تمامًا بعد بيت سيف الذي نستطيع رؤيته من الطريق.

ما الفرق بيننا وبينهما؟

لا يكاد يكون هناك أي فرق!

هما صديقان عزيزان، ونحن صديقان عزيزان. إيفيند واحد من أفضل التلاميذ في الصف، وأنا واحد من أفضل التلاميذ في الصف. غيّير وغيّير ب، كلاهما، يخرجان ويتجوّلان معنا.

لكن إيفيند كان أحسن مني شكلًا. كان له شعر متموّج، ووجنتان

مرتفعتان، وعينان ضيّقتان. وكانت لي أسنان ناتئة، ومؤخّرة ناتئة. كان أيضًا أقوى مني.

رأيته الآن متعلّقًا من غصن شجرة يابسة يحاول أن يكسره. وكان غيّير ب واقفًا من ناحية أخرى يدفع الغصن بأقصى ما يستطيع من قوة. آنِه ليزبيت وسولفيغ واقفتان تنظران إليهما.

إنهما يستعرضان قوتيهما.

ما أسوأ هذا!

ماذا نفعل؟ هل نذهب إليهم ونتصرّف بشكل طبيعي؟ هل نصير مجموعة من ستة أشخاص؟

التفتُّ إلى غيّير. همست له: «ماذا نفعل؟».

أجابني هامسًا: «لست أدري. هل نذهب ونضربهما؟».

أجبته: «ها ها، إنهما أقوى منا».

همس: «لكننا لا نستطيع البقاء هنا طيلة النهار».

«هل ننسحب؟».

«أجل، فلنذهب من هنا!».

انسللنا مبتعدين خفية مثلما اقتربنا. وعند مفترق الطرق، سألني غيّير إن كنت راغبًا في الذهاب إلى بيت فيموند.

«لا، لا أريد الذهاب بكل تأكيد».

قال: «إذًا، سأذهب وحدي، إلى اللقاء».

«إلى اللقاء».

استدرت بعد بضعة أمتار، ونظرت إليه. لقد حمل في يده عصا صغيرة. كان سائرًا على الرصيف الممتد مع الجدار يضرب بها هذه الركبة مرة وتلك الركبة مرة أخرى. بكيت طيلة الطريق حتى البيت، وحرصت على السير في الدرب المحاذية لملعب كرة القدم حتى لا يراني أحد.

حدث هذا في يوم جمعة. جريت إلى بيت غيّير في ساعة مبكرة من صباح يوم السبت، لكنه كان ذاهبًا إلى آرندال مع أبيه وأمه. كان أبي وأمي

ينظِّفان البيت؛ وقد ذهب إنغفِه بالباص إلى آرندال مع ستينار، كان معنى هذا أنني بقيت وحدي. مضيت إلى الحمام وأقفلت الباب من خلفي. بحثت في سلة الملابس المتّسخة حتى وجدت بنطلوني البني القبيح الذي كان متسخًا عند الركبتين. ارتديته، ثم جريت إلى غرفتي وبحثت عن كنزتي الصفراء المقرفة فارتديتها أيضًا. نزلت إلى الأسفل من غير أن يراني أبي وأمي، ودخلت غرفة السخّان حيث كانت جزمتي المطاطية التي هي أبشع حذاء عندي. حملت الجزمة إلى الممر حيث أدخلت قدميَّ فيها. أخذت عن المشجب سترتي الرمادية الرقيقة التي اشتروها لي في الربيع الماضي. صارت الآن صغيرة جدًا، وصارت مهلهلة؛ وفوق هذا، كان سحّابها معطلًا مما يعني أنني سأسير بها من غير إغلاقها. رأيت أن هذا الأمر مناسبًا لي لأن الكنزة الصفراء البشعة التي تحتها ستظل ظاهرة.

بعد ارتداء تلك الملابس التي كانت أكثر ما استطعت إيجاده قبحًا، انطلقت إلى المنطقة التي تعيش فيها آنِه ليزبيت. عيناي مسبلتان إلى الأرض طيلة الوقت لأنني أردت أن يراني الناس ويعرفوا أنني حزين جدًا. وإذا صادفت آنِه ليزبيت -هذا ما كان هدف تلك المحاولة- أريدها أن ترى ما فعلَته بي. الملابس القذرة البشعة التي ارتديتها، والرأس المنكس... هذا كلّه من أجلها، فلعلّها تفهم!

لم أكن أريد قرع جرس بيتها لأن هذا سيجعلني مضطرًا إلى الحديث معها. لا... غايتي كلّها أن تلمحني وتدرك بنفسها كم كنت حزينًا لما فعلته بي.

بلغت بيت فيموند، لكنّي لم أعثر على أثر لها. سرت في الطريق الصاعدة إلى بيتها على الرغم من أن هذا يمكن أن يودي بخطتي كلّها؛ فما الذي أنا قادم لفعله هنا إن لم أكن أريد مقابلتها؟ هل أنا قادم لكي أرى بيورن هيلكِه، مثلًا؟ لقد كان أصغر مني بسنة؛ وكانت فكرة اللعب معه غير واردة أبدًا. هذا على الرغم من أنه يلعب كرة القدم وعلى الرغم من أنه طويل القامة بالنسبة إلى سنه.

وقفت في الساحة متسائلًا إن كنت سأصعد إلى بيت بيورن هيلكِه. لكن

رؤية بيتها أحزنتني، فلم ألبث أن انحدرت إلى الغابة ومررت بمواقع البناء التي فجروا صخورها في الآونة الأخيرة. كانت الآليات الإنشائية والغرف المؤقتة القابلة للنقل ساكنة كلّها تنظر عبر نوافذها السوداء الخالية إلى الطريق الممتدّة عبر الأرض المنبسطة. وقفت برهة أنظر إلى صالة الأبرشية الجديدة التي يجري بناؤها، ثم إلى الحقل الذي كنا نلعب فيه كرة القدم وإلى البوابة المؤدّية إلى الدرب الذاهبة إلى مقلب القمامة الذي كان على مسافة نحو مئة متر من هذه النقطة. بدأت النزول بخطوات بطيئة. في وسط التلة التي كنت سائرًا عندها، يقع بيت إيفيند وبيت غيّير ب مختبئين خلف الأشجار والصخور العالية. لقد ذهبنا إلى ذلك المكان بضع مرات لكي نلعب. كما أخذناهما في الشتاء، قبل هطول الثلج، إلى بحيرة تيينّا حيث تزلّجنا. لقد ذهبت مرة إلى حفلة عيد ميلاد غيّير ب؛ ومرة إلى حفلة عيد ميلاد سْفير. في تلك المرة، أضعت قطعة الكرونات العشرة التي كانت هديتي له. وجدت المغلّف فارغًا عندما وصلت مرتديًا أفضل ما لديَّ من ملابس. بدأت أبكي لأن ذلك لم يكن أمرًا حسنًا، لم يكن أمرًا حسنًا على الإطلاق! لكن هناك سببًا آخر أيضًا، فعشرة كرونات مبلغ كبير! ولحسن حظي، ذهب أبوه معي للبحث عنها. سرنا عائدين في الطريق التي أتيت منها، وهناك رأيتها، زرقاء لامعة على الإسفلت الأسود. إنها قطعة الكرونات العشرة! وهكذا، لم يعودوا قادرين على الظن بأنني كذبت عليهم، وبأنني أخذت المال لنفسي وتظاهرت بأنه ضاع مني.

على العشب في حديقة عند الطريق، رأيت الولد صاحب الشعر الأسود الطويل والتقاطيع الهندية يلعب بكرة ويجعلها تقفز على ركبتيه وقدميه.

قال: «مرحبًا».

قلت: «مرحبًا».

قال: «كم مرة تستطيع أن تجعل الكرة تقفز هكذا؟».

«أربع مرات».

«ها ها... هذا لا شيء».

«كم مرة تستطيع أنت؟».

«جعلتها تقفز ست عشرة مرة منذ فترة غير بعيدة».

قلت له: «أرني ذلك».

وضع الكرة على الأرض، ثم وضع قدمه عليها. وبحركة سريعة، جعل الكرة تطير في الهواء. واحد، اثنتان، ثلاث ركلات لم تلبث الكرة بعدها أن طارت مبتعدة عنه. مد ساقه كثيرًا بحركة هائجة فأصاب الكرة إصابة أخيرة جعلتها تصطدم بالحافة الصخرية.

قلت له: «هذه أربع مرات فقط».

«هذا لأنك تراقبني. تجعلني أفكر في ما أفعله. سوف أحاول مرة أخرى، هل ستنتظر؟».

قلت: «سأنتظر».

هذه المرّة، ركل الكرة ركلة صغيرة رفعتها إلى مستوى فخذه، ثم صار الأمر سهلًا، وراحت الكرة تقفز من ركبة إلى أخرى قبل أن يفقد تحكّمه بها.

قلت له: «ثماني مرات».

«صحيح. لكني سأريك الآن».

«علي أن أذهب».

قال: «لا بأس».

كان أبوه رجلًا بدينًا يضع نظارة. وكان شعره كثيفًا رمادي اللون. رأيته واقفًا عند النافذة ينظر إلينا. جريت عبر الطريق، وتذكّرت فجأة تلك الملابس التي ارتديتها، فأبطأت سيري وخفضت رأسي إلى الأرض من جديد.

بلغت أسفل التلة فوجدت أبي يتراجع بالسيارة خارجًا من الممر الذي أمام البيت. أشار لي بيده، ثم انحنى عبر المقعد الأمامي وفتح لي الباب.

قال لي: «اقفز إلى السيارة، سنذهب إلى البلدة».

قلت له: «لكن، ملابسي. هل أستطيع تبديل ملابسي أولًا؟».

قال: «كلام فارغ، اقفز إلى السيارة».

جذبت الرافعة الصغيرة إلى جوار المقعد، لأدفعه إلى الأمام حتى أصعد إلى المقعد الخلفي.

قال لي: «اجلس في المقعد الأمامي».

سألته: «في المقعد الأمامي؟». لم يحدث هذا من قبل.

قال: «أجل. ليس لدينا النهار كلّه. هيا، هيا».

فعلت مثلما قال لي.

وبعد أن أغلقت الباب، انطلق بالسيارة نازلًا في الطريق.

قال لي: «ملابسك متّسخة قليلًا، لكننا ذاهبان في رحلة صغيرة فحسب. لا أهمية للأمر».

بدأت أعبث بحزام المقعد، ولم أر الكثير مما كنا نمر به إلى أن استقر الحزام في مكانه الصحيح فوجدت أننا قد بلغنا جسر ترومويا.

قال: «أحببت الذهاب إلى سوق الأسماك، وإلى متجر للتسجيلات. ألا تحب مرافقتي؟».

قلت له: «بلى».

كان يقود السيارة واضعًا يدًا واحدة على المقود، واليد الأخرى مستقرة على عصا السرعة وبين أصابعها سيجارة مشتعلة. قاد السيارة مسرعًا كعادته دائمًا.

بقينا صامتين وقتًا غير قليل.

كان فيندهولمن إلى يسارنا، وكذلك حوض السفن بروافعه الكبيرة كأنها سحالي عملاقة، ومصنع الألياف الزجاجية أيضًا. كان موقف السيارات في الخارج نصف ممتلئ. رأيت منصة نفط ضخمة عائمة في اللسان المائي. هذه منصّة لشركة كونديب سيقطرونها إلى البحر في الأسبوع القادم.

التفت أبي إليّ بعد بلوغنا النفق الصغير ووصولنا إلى بلدة سونغه. قال لي: «هل كنت في الخارج مع غيّير اليوم؟».

أجبته: «لا. إنهم في آرندال».

قال: «هذا يعني أننا يمكن أن نصادفهم هناك».

حلّت فترة صمت أخرى. أزعجني هذا الصمت. لقد كان أبي في مزاج حسن، وهو لا يستحق مني مقابلته بالصمت. لكن، ماذا أقول؟ اهتديت إلى شيء بعد قليل.

سألته: «أين ستركن السيارة؟».

ألقى في اتجاهي نظرة جانبية سريعة وقال: «سوف نجد مكانًا».

«لن تذهب إلى سكايتيبانن، أم ماذا؟... من الممكن دائمًا العثور على مكان لركن السيارة هناك يومِ السبت».

قال أبي: «سيكون هذا حلًّا أخيرًا».

وجد مكانًا في تيهولمن. انطلق بخطوات سريعة بين البيوت المرتفعة المبنية من عوارض خشبية، فكان علي أن أهرول حتى أواكب سيره. كنت خجلًا من ملابسي لأنني كنت أبدو فيها شخصًا غبيًا، فرحت أنظر منتبهًا إلى الناس الذين أمر بهم لأرى إن كانوا ينظرون إليّ أو يضحكون مني.

وفي سوق الأسماك مسحت عينا أبي الواجهات الزجاجية وهو واقف في صف الانتظار.

قال لي: «ما رأيك في شراء القريدس، يا كارل أوفهِ؟ هل يعجبك هذا؟».

أومأت برأسي.

«وما رأيك في أن نشتري أيضًا قطعة من سمك القدّ».

لم أقل له شيئًا. فابتسم ونظر إليّ: «أعرف أنك لا تحبّ سمك القد، لكنه جيد من أجلك. سيعجبك مذاقه عندما تكبر».

أجبته: «أشك في هذا كثيرًا».

كنت راغبًا في الحديث وفي قول أشياء كثيرة مثلما أفعل عندما أكون مع أمي، لكنّي كنت عاجزًا حتى عن بدء حديث معه. إلا أنني كنت سعيدًا بأنه جعلني أرافقه؛ وكان أمرًا مهمًا أن أعبّر له عن سعادتي.

جاء دوره فأشار إلى البائعة وأخبرها بما يريده شراءه. حدّقت فيه امرأة أخرى واقفة خلف واجهة البيع. انتبهت المرأة إلى أنني أنظر إليها، فخفضت عينيها وواصلت تغليف السمكة التي كانت أمامها على لوح التقطيع. كان

في أبي شيء متميّز عند وقوفه بين الناس عند واجهة البيع، شيء في إشارته وفي كلامه جعلني أظنه راغبًا في أن يزيح عن ذهنه كل شيء موجود من حوله. لم يكن ذلك شيئًا في مظهره، ولا في وجهه الذي تحتل لحيته مساحة كبيرة منه، ولا في عينيه بلونهما الأزرق الفاتح، ولا في شفتيه المجعّدتين قليلًا، ولا في جسده الطويل الرشيق... كان هناك شيء آخر، شيء «يشعّه».

«ها قد انتهينا»... قال هذا وهو يتلقى بقية النقود من البائعة ويمسك كيس القريدس والسمك بيده... «فلنذهب الآن».

في الخارج، تحت السماء الرمادية، وبين الناس الذين امتلأت بهم الأرصفة وممرات المشاة كما يحدث دائمًا، في كل يوم سبت، سرنا من حول منطقة بولن، المنطقة المركزية في الخليج، واتّجهنا إلى متجر التسجيلات الموسيقية. قفزت في سيري بضع قفزات إلى جانب أبي حتى يرى أنني مسرور. ابتسمت عندما نظر إلي. عبثت بشعره ريح آتية من جهة البحر فرفع يده وأعاد خصلاته إلى مكانها.

دخلنا متجر «موزيك كيورنت» فقال لي: «هل يمكنك أن تحمل الكيس قليلًا؟»

أومأت برأسي وحملت الكيس بيدي بينما راح أبي يقلّب الأسطوانات الموسيقية وينظر إليها.

كان أبي وأمي يستمعان إلى الأغاني والموسيقى عندما نذهب إلى النوم، في أمسيات الجمعة والسبت خاصة. وكثيرًا ما يكون ذلك الصوت آخر ما أسمعه قبل أن أغفو. وفي أحيان كثيرة، كان أبي يشغّل تسجيلات موسيقية عندما يكون وحيدًا في مكتبه. أخبرني ستينار ذات مرة أنه أحضر إلى الصف أسطوانة لـ«بينك فلويد» وأسمعهم إياها. قال لي هذا بصوت يوحي بالرهبة.

قال أبي من غير أن يرفع عينيه عن الأسطوانات التي كانت أمامه: «ألا تحب أن تختار لنفسك شريط كاسيت؟».

أجبته: «ليست عندي مسجلة لكي أستمع إليه».

قال: «تستطيع استعارة مسجلة إنغفِه. وبعد ذلك، سنهتم بأن تحصل

على مسجلة هدية في عيد الميلاد. أمر حسن أن يكون لديك عدة أشرطة كاسيت في ذلك الوقت، فلا معنى لوجود المسجلة من غير كاسيتات».

اتجهت خجِلًا إلى خزانة الكاسيتات. لم تكن موضوعة في علب كالأسطوانات، بل على رفوف ضيقة على الجدار. كان أحد الرفوف مخصصًا لكاسيتات إلفيس برسلي. اخترت واحدًا منها على غلافه صورة إلفيس مرتديًا بدلة من الجلد، واضعًا الغيتار في حضنه وهو يبتسم.

اشترى أبي أسطوانتين؛ وعندما وضعهما على طاولة البيع قال للبائع إنني أريد شراء واحد من الكاسيتات، وإنني سأشير له إليه. أتى البائع إلى خزانة الكاسيتات حاملًا المفتاح في يده. أشرت إلى كاسيت إلفيس ففتح قفل الباب الزجاجي وتناول الكاسيت ووضعه في كيس صغير إلى جانب الكيس الكبير الذي كانت فيه أسطوانتا أبي.

قال لي أبي عند خروجنا متجهين إلى السيارة: «اختيار جيد. هل تعرف أن إلفيس كان الأول بين المغنين عندما كنت صغيرًا؟ كنا نسمّيه 'إلفيس بلفيس'! لا يزال لدي عدد من أسطواناته القديمة. إنها في بيت جدك وجدتك. لعل علينا أن نحضرها إلى البيت عندما نذهب إليهما في المرة القادمة!... هكذا يمكنك أن تستمع إليها».

قلت: «صحيح، سيكون ذلك أمرًا جيد. وقد يعجب إنغفِه أيضًا».

قال لي: «أعتقد أنها صارت كبيرة القيمة الآن». توقّف وأخرج المفاتيح من جيبه. نظرت إلى ناقلات النفط الضخمة الراسية بعيدًا في لسان غالتِه البحري، إلى جهة ترومويا في ذلك المضيق. كانت كبيرة جدًا فبدت بين تلك التلال المنخفضة كأنها آتية من عالم آخر.

فتح أبي باب السيارة من ناحيتي. قلت له: «هل أستطيع الجلوس في المقعد الأمامي في طريق عودتنا إلى البيت؟».

قال: «ممكن. لكنك ستجلس فيه اليوم فقط، هذا واضح؟».

أجبته: «واضح».

وضع الأكياس على المقعد الخلفي، ثم أشعل سيجارة قبل أن يثبّت

حزام مقعده. كنت قد سبقته إلى فعل ذلك! شغّل محرك السيارة. وفي طريق العودة، جلست أنظر إلى غلاف الكاسيت حينًا وعبر النافذة حينًا آخر. على امتداد لانغبروغا، كان هناك صف من السيارات المتوقّفة لشدة الزحام، لكن السيارات التي في الخليج كانت قد بدأت تتحرّك قليلًا. مررنا بمبنى راديو وتلفزيون «باي» الذي كان إلى جانب الطريق، وبصالة مزادات الأسماك التي كانت مؤلّفة من مبانٍ منخفضة من الحجارة بيضاء عليها أعلام مرفرفة. وعبر اللسان البحري بأمواجه المتلاطمة المكلّلة بالبياض، رأيت سكيلسو: مجموعة بيوت مبنية من جذوع الأشجار واقعة على امتداد التلّ، ومن تحتها مرسى للعبّارة ومن خلفه «ورشة الأعمال الميكانيكية»، وبائعو المستلزمات البحرية، وبعد ذلك تأتي غابة على طول ساحل الجزيرة. وأما على البر الرئيسي، حيث تصعد الطريق وتهبط كثيرًا، فكانت هناك بيوت وحواجز بحرية طيلة الطريق حتى محطة الوقود، ثم تأتي سونغِه وفيندهولمن، ومن بعدهما الطريق الذاهبة إلى جسر ترومويا. معالم وتفاصيل كثيرة تعبث بها كلّها ريح آتية من جهة الجنوب. ومع سَيْرنا، عاودني التفكير في آنِه ليزبيت فأظلم مزاجي. لعلّ منصة شركة كونديب البحرية هي ما ذكّرني بها، فقد كنت أفكر في الذهاب إلى جسر ترومويا مع غيّير والفتاتين لمشاهدة المنصة عندما يقطرونها إلى البحر. أما الآن، فلن أذهب!... أو... هل أذهب؟ لم تأت آنِه ليزبيت إلى غرفتي بعد... لم يحدث ما كنت أتخيله كل ليلة قبل نومي من أنها ستكون هناك في يوم من الأيام، جالسة على سريري وبين أشيائي كلّها! كانت تلك الفكرة تجعل البهجة تومض في ذهني مثل ألعاب نارية: آنِه ليزبيت، هنا، إلى جانبي!

لماذا يصير إيفيند هو من يزورها بدلًا مني؟ لقد كنا نستمتع كثيرًا عندما نلتقي!

يجب أن يذهب إيفيند. ويجب أن نعود معًا مثلما كنا.

لكن، كيف يمكن تحقيق ذلك؟

من تحتنا، كان لسان ترومويا البحري ممتدًا إلى الشرق وإلى الغرب.

كان زورق يدخل اللسان في ذلك الوقت مقتربًا من اليابسة. رأيت شخصًا واقفًا على مؤخرته ممسكًا دفته بيده.

خفّف أبي سرعة السيارة وأعطى إشارة انعطاف إلى اليسار، ثم انتظرَ إلى أن عبرت سيارتان كانتا خلفنا واجتاز الطريق فوصلنا إلى المرتفع الأخير في اتجاه بيتنا. رأيت ليف توره، ورولف، وغيّير هاكون، وترونْد، وغيّير الكبير، وكِنتْ آرنِه، يلعبون كرة القدم في الطريق. نظروا إلينا عندما مررنا بهم ثم توقّفنا في الممر أمام بيتنا.

رفعت يدي لهم عندما نزلت من السيارة.

صاح كِنتْ آرنِه: «هل تأتي وتلعب معنا؟».

هززت رأسي وقلت: «سوف آكل الآن».

أمسك أبي بيدي عندما سرنا في اتجاه البيت وابتعدنا عن الأولاد في الشارع.

قال لي: «دعني ألقي نظرة. لم تختف الثآليل بعد!».

قلت له: «لا».

ترك يدي وقال: «هل تعرف كيف تتخلص منها؟».

«لا أعرف».

«سأقول لك. إنني أعرف طريقة قديمة. تعال إلى المطبخ بعد قليل وسوف أقول لك. أنت تريد التخلّص منها، أليس كذلك؟».

«بالتأكيد».

كان أول ما فعلته عندما صعدت إلى الأعلى خلع البنطلون والكنزة وإلقاؤهما في سلة الملابس المتّسخة في الحمام، وارتداء الملابس التي كنت قد ارتديتها قبلهما. وبعد ذلك، وضعت شريط الكاسيت على مكتبي عند الجدار، وجعلت وجهه إلى الأعلى بحيث أستطيع رؤيته أينما كنت في غرفتي. ذهبت إلى المطبخ بعد ذلك، فوجدت أبي جالسًا وقد وضع أمامه طبقًا صغيرًا من القريدس. كانت قِدر حلوى الأرز تغلي على الموقد؛ وأمي تسقي الأزهار في غرفة المعيشة.

قال أبي: «يمكننا إنجاز هذا الأمر قبل أن نأكل. إنه أشبه بالسحر. فعلته لي جدتي عندما كنت صغيرًا. وقد نجح. كانت الثآليل منتشرة على يديَّ الاثنتين. لكنها اختفت بعد بضعة أيام».

«ماذا فعلت جدتك؟».

قال: «سوف ترى».

نهض وفتح باب البراد وأخرج شيئًا ملفوفًا بورق تغليف أبيض وضعه على الطاولة وفتح غلافه. كانت في ذلك الغلاف شرائح من البيكون.

«في البداية، سوف أغطي أصابعك بدهن البيكون. ثم نذهب إلى الحديقة وندفن البيكون. بعد بضعة أيام من الآن، ستكون الثآليل قد اختفت».

«هل هذا صحيح؟».

«إنه صحيح! هذا هو الأمر الغريب جدًا! لكنها تختفي. ما عليك إلا أن تنتظر وترى. أعطني يديك».

مددت له يدي فأمسكها بيده وتناول شريحة بيكون وراح يدلكها بعناية من حول أصابعي كلها، ثم دلك بها باطن كفي وظاهرها.

قال: «أعطني اليد الأخرى». أعطيته يدي الأخرى فتناول شريحة بيكون ثانية، وكرر ما فعله أول مرة.

قال لي: «هل مسحتُ كل شيء بدهن البيكون؟».

أومأت برأسي.

«إذًا، فلنخرج إلى الحديقة. عليك الآن أن تحمل البيكون وتدفنه هناك».

نزلت السلم من خلفه، ثم وضعت حذائي من غير أن أمسّه بيدي -كانت في كل واحدة منها شريحة بيكون- ثم سرت خلفه فدرنا من حول البيت ووصلنا إلى حديقة المطبخ عند السياج المحاذي للغابة. كانت في يد أبي مجرفة. غرس المجرفة في الأرض وضغط عليها بقدمه وبدأ يحفر. توقف عن الحفر بد بضع دقائق.

قال لي: «ألقِ البيكون في الحفرة».

فعلت ما قاله لي فردم الحفرة بالتراب، وذهبنا.

سألته: «هل أستطيع الآن أن أغسل يدي؟».

قال: «أجل، بالطبع. شريحتا البيكون اللتان دفناهما ستشفيان الثآليل».

«متى تشفيانها؟».

«حسنًا... أسبوع، أو أسبوعان. الأمر متوقّف على مدى إيمانك بأن هذا سيحدث».

خرجت إلى الشارع بعد تناول الطعام. لم أجد أحدًا يلعب كرة القدم هناك؛ لكن غيّير هاكون وكِنتْ آرنِه وليف تورِه كانوا لا يزالون في الخارج. رأيتهم يركضون على الجدار المحاذي للطريق لكي يروا المسافة التي يستطيع كل منهم اجتيازها قبل أن يسقط. إذا جرى المرء بسرعة كافية، فمن الممكن أن يفلح في اجتياز ثلاث خطوات، أو ربما أربع خطوات، قبل أن تغلبه الجاذبية الأرضية وتشده إلى الأسفل. إذا استطاع المرء أن يرتفع كثيرًا على الجدار، فسوف يسقط على ظهره، مما يعني أن هذه اللعبة كانت تتطلّب حذرًا. كنت قلقًا في المحاولة الأولى؛ لكنها كانت محاولتي الوحيدة في حقيقة الأمر لأن غيّير هاكون حاول بعدي مباشرة، وكان طموحه مفرطًا فسقط في الخندق سقطة شديدة قطعت أنفاسه. أطلق صراخًا شديدًا عندما أفلح في التنفس من جديد وحاول منع نفسه من البكاء. كان هذا كافيًا لجعلنا غير راغبين في متابعة هذه اللعبة.

نهض غيّير هاكون واقفًا على قدميه وأشاح بوجهه عنا فأولانا ظهره ريثما استعاد تنفسه الطبيعي. عندما استدار في اتجاهنا من جديد، رأينا جميعًا أنه كان يبكي لكن أحدًا منا لم يقل شيئًا.

لم لا؟

لو كنت مكانه، لقالوا شيئًا!

قال كِنتْ آرنِه: «ماذا تحبّون أن نفعل الآن؟».

في تلك اللحظة، أتى كْليبِه نازلًا في الطريق على دراجته. كان يتمايل من جانب لآخر مرتديًا سترة سوداء وقبعة سوداء. كانت قسمات وجهه الأحمر المنتفخ متهدّلة تتأرجح مع تأرجحه على نحو يشبه قليلًا تأرجح

كيسي B-Max المعلّقَيْن من طرفي مقود دراجاته. إنه والد هافارد، الصبي الذي يعيش في أبعد بيت عن بيوتنا: فتى بلغ السابعة عشرة... كنا معجبين به، لكننا لا نراه إلا ناردًا. كان يقال إن والده سكّير. لاحت لي فرصة عندما انعطف في الطريق متجهًا إلينا. جريت إلى جانب دراجته مسافة صغيرة تظاهرت خلالها بأنني أنظر داخل الكيسَيْن المعلقين من مقوَدها.

صحت مخاطبًا الأولاد الآخرين: «إن لديه زجاجات بيرة في هذين الكيسين». ثم توقّفت.

لم يهتم كليبه بي، ولم يلتفت صوبي، لكن الآخرين ضحكوا.

جلست في اليوم التالي مع غيّير في غرفته، وكتبنا رسالة حب إلى آنِه ليزبيت. كان بيت أبويه مثل بيتنا تمامًا: الغرف نفسها تمامًا، واتجاهاتها نفسها تمامًا؛ لكن ذلك البيت كان مختلفًا عن بيتنا اختلافًا لا حدّ له، فقد كانت الوظيفة الاستعمالية متقدّمة على كل ما عداها... الجلوس على الكراسي مريح، ولا أهمية لمدى جمال شكلها؛ ثم إن النظافة الشديدة التي تميز بيتنا (نظافة تكاد تبلغ مستوى الدقة الرياضية) كانت غائبة تمامًا عن بيتهم. الأرض والطاولات تكون ممتلئة دائمًا بما يستخدمونه في تلك اللحظة. كان ذلك يوحي بأن نمط حياتهم جزء لا يتجزأ من البيت نفسه. أظن أن بيتنا كان كذلك أيضًا، لكن نمط حياتنا كان مختلفًا. في نظر والد غيّير، كان احتكاره لأدواته أمرًا غير وارد على الإطلاق، بل على العكس من ذلك تمامًا لأن اهتمامه بجعل غيّير وأخته غرْو مشاركين في كل ما يفعله إلى أقصى حدود المشاركة الممكنة جزءًا من أسلوبه في تربيتهما. كانت لديهم طاولة للأشغال اليدوية في الطابق السفلي، حيث يسحجون الأخشاب ويغرسون المسامير فيها ويثبّتونها بالغراء ويصقلونها... وإذا رغبنا في صنع عربة صغيرة مثلًا، أو «عربة متحرّكة» مثلما كنا ندعوها، فقد كان والد غيّير أول شخص يمكن أن نستعين به. لم تكن حديقتهم جميلة ولا متناسقة مثلما صارت حديقتنا بعد الساعات الطويلة التي أمضاها أبي

فيها، بل كانت فوضوية إلى حد ما وقائمة على مبدأ الفائدة الاستعمالية نفسه لأن كومة الكومبوست كانت تشغل حيزًا كبيرًا على الرغم من مظهرها غير الجذاب. وعلى غرار ذلك، كانت البطاطس التي يزرعونها في رقعة كبيرة خلف البيت (بطاطس أشبه بالأعشاب الضارة)، غريبة المظهر بالمقارنة مع مرجنا المرسوم بالمسطرة ومع أحواض الزهور الأنيقة التي في حديقتنا.

في ذلك البيت، كانت غرفة غيّير حيث غرفتي تمامًا؛ وكانت غرفة أخته غزْو حيث تقع غرفة إنغفِه. وأما غرفة والديهما فكانت بين تلك الغرفتين، تمامًا حيث تقع غرفة أبي وأمي في بيتنا. كان غيّير يتحرّك بحرية من غرفة إلى أخرى ويجري صاعدًا أو نازلًا السلم. وإذا رغب في سندويتش، فهو يعدّ بنفسه سندويتشًا مما يجده في البراد. وكنت أفعل مثله، في بيته، فأجري بين الغرف إذا أردت الجري، أو أعدّ لنفسي شيئًا آكله مع غيّير. وكثيرًا ما كنا نجلس في غرفة المعيشة ونستمع إلى أسطوانة كنوتسن ولودفيغسن التي كانت لديه، ونضحك منها، أو منه، لأنه كان يحفظ كلماتها كلّها، وكان قادرًا أيضًا على أداء تلك الأغاني بكل ما فيها من نغمات وتلاوين. كان شخصًا ميؤوسًا منه في لعبة كرة القدم، وميؤوسًا منه في ألعاب الكرة كلها، لأن تناسق الحركات لديه لم يكن سليمًا تمامًا. وكانت لديه مشكلة في الحماسة... لا يستطيع أن يكون متحمّسًا كما ينبغي أن يكون. ولم تكن لديه تلك الرغبة الحارقة في اللعب -الرغبة التي كنت أحسّها أكثر الأحيان-. فأن تلعب كرة القدم في الساحة طيلة بعد الظهر، ثم تظل لديك رغبة شديدة في مواصلة اللعب بعد أن تحل الظلمة وينصرف الجميع... كانت هذه الرغبة غريبة تمامًا عن طبعه. ثم إنه لم يكن جيّدًا جدًّا في المدرسة. لم يكن يجيد القراءة، ولا الحساب؛ ونادرًا ما كان قادرًا على تكرار شيء قرأه أو سمعه في الدرس، على الرغم من أنه كان يتدبّر أمره في ذلك كلّه. إلا أنه لم يكن شديد الاهتمام بكرة القدم ولا بالمدرسة. كان ماهرًا في تقليد الناس؛ وقد بدأ يجذب الأطفال من حوله في المدرسة. كان هذا أمرًا يعجبه؛ وكان الضحك الذي يثيره لدى الآخرين يدفعه إلى مزيد من المغامرة وكأنه وقود له. لكن هذا أيضًا ما كان مهمًا في

نظره. كان يبدو كأن لديه عوالمه الصغيرة الخاصّة به، كالرسم مثلًا: يستطيع الجلوس يومًا كاملًا في غرفته لكي يرسم، أو لكي يصنع نماذج الطائرات... كثيرًا ما كان يفعل ذلك. كان ضحكه خشنًا صاخبًا، ولا شيء يمنعه من أن يصير ضحكًا هستيريًا. ولعل أكثر ما كان يحبه هو أن يضرُط... على أية حال، كانت بيننا تجارب ومناقشات كثيرة في هذا الأمر.

أظن أن وجود أخت كبرى لديه كان السبب الذي جعله غير مشدود كثيرًا إلى عالم البنات مثلما كنت مشدودًا إليه... في تلك الفترة على الأقل. إلا أن فكرة كتابة رسالة حب أثارت حماسته. سأقوم بكتابة الرسالة، وسيضيف إليها رسمًا فيه ولد يدوس قلبًا بقدميه فيسحقه، وولدان واقفان ينظران إليه. وقد كتبت تحت ذلك الرسم بقلم أحمر عريض «*إيفيند يسحق قلبَينا*». وأما الرسالة نفسها، فكانت مؤلّفة من خمسة سطور.

عزيزتي آنِه ليزبيت،

قلبانا محطمان.

عودي إلينا.

هل تسمعين؟

نحن نحبك كثيرًا.

مكتبة
t.me/t_pdf

ما كان ممكنًا إعطاؤها الرسالة والرسم باليد، فقد خفنا أن تجعل الناس يروهما، بل يمكن أيضًا أن تجعل الأطفال في المدرسة يروهما. وكان هذا يعني أن نصير أضحوكة في أعين الجميع. قررنا بدلًا من ذلك أن نريها الرسالة والرسم. ذهبنا إلى بيتها حاملين الرسالة والرسم ملفوفين كأنهما معاهدتان. مررنا بالصخرة الكبيرة في طريقنا من عند بيت السيدة يلن فدخلنا حديقتهم ووقفنا تحت نافذتها. ألقينا حصيّات على النافذة فأطلّت منها. بسطنا الرسم أولًا حتى تراه، ثم بسطنا الرسالة حتى تقرأها، ثم مزقناهما نتفًا صغيرة دسناها بأقدامنا. ثم انصرفنا.

على الأقل، صارت الآن عارفة بشعورنا تجاه ما جرى. صارت الكرة الآن في ملعبها.

توقّف غيّير عند مفترق الطرق.

قال لي: «أنا ذاهب إلى بيت فيموند، هل تحب أن تأتي معي؟».

هززت رأسي نفيًا. وفي طريق العودة، فكرت في أن عليّ أن أذهب بدوري وأزور صديقًا جديدًا. لماذا لا أزور داغ ماغنِه؟ لكني وجدت أن هذا سيبدو أمرًا غير طبيعي. فعدت إلى البيت. استلقيت على سريري لأقرأ إلى أن أتى إنغفِه وسألني إن كنت أحب أن ألعب كرة القدم معهم في الشارع. قلت له إنني أحب ذلك. لا أحب شيئًا أكثر من الذهاب مع إنغفِه وفعل أي شيء معه. عادة ما كنا نلعب بعض الألعاب في البيت، أو نستمع إلى الأغاني معًا؛ في حين كنا منفصلين في نشاطاتنا التي كانت تجري خارج البيت، هو مع أصدقائه وأنا مع أصدقائي. باستثناء العطلات حين نذهب للسباحة للعب كرة القدم أو كرة الطاولة أو الريشة الطائرة... وأيضًا في حالات مثل هذه الحالة اليوم، أي عندما يكون ضجرًا ولا يجد أحد غيري يلعب معه.

أمضينا أكثر من ساعة في تقاذف الكرة بيننا جيئة وذهابًا. ثم وقفت حارس مرمى وراح إنغفِه يسدد الكرات إليّ فأحاول أن أصدّها. ثم انتقلنا إلى التمرين على تمرير الكرة في ما بيننا.

اختفت الثآليل وكأنما حدث ذلك بأعجوبة! صغر حجمها، ثم صغر، ثم اختفت تمامًا بعد نحو ثلاثة أسابيع. صارت يداي ناعمتين إلى حد يصعب معه تخيّل أنهما كانتا غير ذلك.

لكن آنِه ليزبيت لم تعد إليّ. كانت فيما مضى تزقزق فرحة عندما أخطف قبعتها عن رأسها، أو أجذب شالها أو أتسلل من خلفها وأضع يدي على عينيها؛ لكن هذا كله صار الآن يزعجها، بل يغضبها أيضًا! شعرت بطعنة ألم عندما رأيتها ذاهبة إلى الباص مع سولفيغ، وإلى جوارهما إيفيند وغيّير ب. كنت أذهب إلى فراشي كل ليلة فأتخيل أنني أنقذهما، أو أن شيئًا يحدث فيلقي عليّ ضوءًا يجعلها ترى الغلطة التي ارتكبتها وتعود إليّ... كنت أتخيّل أيضًا أنني قد مت، وأتخيل الحزن الشديد الذي سيغمرها، وأتخيل

أسفها عندما تدرك ما كانت تريده حقًا -أن تكون معي- لكنه لم يعد ممكنًا بعد أن صرت مسجّى في نعشي ومن حولي أزهار وورود. كان الموت في تلك الفترة، بشكل عام، فكرة حلوة لأن آنِه ليزبيت لم تكن الوحيدة التي ستأسف لما فعلته، بل أبي أيضًا. سيقف عند النعش باكيًا عليّ؛ وسيعاد النظر في كل ما كان لديه ولدى أمي من آراء مغلوطة عني، لأنني رحلت الآن، ولأن الشخص الذي كنته حقيقة صار واضحًا لهما وضوحًا تامًا، لأول مرة. نعم... كان الموت حلوًا وحسنًا، وكان راحة عظيمة. على الرغم من هذا، وعلى الرغم من حزني على آنِه ليزبيت، فهي لا تزال موجودة، ولا أزال أراها في المدرسة كل يوم. طالما بقيت آنِه ليزبيت في المدرسة فهناك أمل، مهما يكن ذلك الأمل واهيًا! من هنا، كانت الظلمة التي يثيرها في داخلي تفكيري في آنِه ليزبيت من نوع مختلف عن الظلمة الأخرى التي تحلّ في نفسي أحيانًا، الظلمة الناجمة عن الأثر المحبط والمضني لكل شيء، الظلمة التي اتضح لي أن غيّير يحسّها أيضًا. كنا جالسين في غرفته ذات مساء فسألني عما بي.

قلت له: «لا شيء».

قال: «أنت صامت جدًا».

قلت: «آه، أهذا ما تعنيه؟ إنني ضجِر فحسب».

«مم أنت ضجر؟».

«لست أدري. ليس لدي سبب بعينه. كل ما في الأمر أنني أشعر بالضجر».

قال: «وأنا أشعر بذلك أحيانًا».

«هل هذا صحيح؟».

«أجل».

«ألا تجد نفسك ضجرًا من غير سبب واضح؟».

«بالضبط. هذا ما أشعر به، أنا أيضًا».

قلت: «لم أكن أعرف هذا. لم أكن أعرف أن الآخرين يمكن أن يحسّوا بذلك الإحساس».

قال لي: «هذا ما علينا أن ندعوه به: 'ذلك الإحساس'. يمكننا استخدام هذا التعبير عندما نكون في تلك الحالة. نستطيع القول، 'إن لدي اليوم ذلك الإحساس'. وعندها سيفهم كل منا الآخر على الفور».

قلت: «هذه فكرة حسنة».

أضيفت كلمات أخرى إلى القاموس الذي بيننا. كان من بين تلك الكلمات واحدة علمني إياها إنغفِه، وهي الاسم الحقيقي للمضاجعة. إنه «جِماع». كانت هذه المعلومة مفاجأة كبيرة فأخذت غيّير إلى قمة الجبل قبل أن أجرؤ على قولها له. قلت: «إنهم يدعونها جماعًا. لكن عليك ألا تقول لأحد إنك سمعت هذه الكلمة مني! عليك أن تعدني بهذا». وعدني غيّير. لقد صار يمضي أوقاتًا متزايدةً في بيت فيموند. وصار فيموند ينزل من وقت لآخر إلى بيته. لم أستطع فهم ذلك، بكل بساطة؛ وقد قلت له هذا. لماذا تمضي وقتًا مع فيموند. إنه بدين، وغبي، وأسوأ طالب في الصف. لكن غيّير لم يعطني إجابة حقيقية. اكتفى بالقول إنه يحب أن يكون هناك. سألته عن السبب. ما الأمر الرائع الذي تفعله هناك؟ قال غيّير إنهما يجلسان ويرسمان، معظم الوقت... حتى في الدروس، صار غيّير يلتفت إلى فيموند بدلًا مني كلما كان علينا أن نعمل أزواجًا. في ما مضى، كان يتّجه إليّ تلقائيًا من غير أن يفكّر في الأمر. ذهبت معه إلى بيت فيموند مرتين (حتى أكون قريبًا من آنِه ليزبيت أيضًا)، لكني وجدت ما يفعلانه مضجرًا. وعندما قلت لهما ذلك واقترحت أن نفعل شيئًا آخر، ظلا مصرّين على البقاء معًا وقالا إنهما يحبان متابعة ما كانا يفعلانه. لا مشكلة عندي! إن أراد أن يكون مع غبي الصف، فليكن معه! ثم إننا لا نزال جارين؛ ولا أزال من يأتي غيّير إليه بعد الظهر. وفي ذلك الربيع أيضًا، بدأنا نذهب معًا للتمرين على كرة القدم. كان معظم الأطفال في صفّنا يذهبون أيضًا. كانت لقاءاتنا التدريبية في هوفِه؛ وصارت أمي وأم غيّير تتناوبان على أخذنا إليها بالسيارة. اشترت لي أمي بيجامة رياضية عندما بدأت تلك التمرينات. كانت أول بيجامة رياضية لي؛ وكنت أعلّق عليها آمالًا كبيرة قبل ذلك اليوم، وأتخيل أنها ستكون بيجامة بيجاما

أديداس زرقاء لامعة، مثل بيجامة إنغفِه، أو أحسن منها، أو بيجامة بوما، أو على الأقل بيجامة هوميل أو أدميرال! لكن البيجامة التي اشترتها أمي لم تكن من صنع شركة معروفة الاسم. كانت بيجامة بنية عليها شرائط بيضاء. ومع أنني وجدت لونها قبيحًا، فإن ذلك لم يكن أسوأ شيء فيها. كان أسوأ شيء هو نسيجها... نسيج كامد، ليس لامعًا؛ ثم إنه كان خشنًا قليلًا، ولم يكن من ذلك النوع الذي يتهدّل على جسدك بل من نوع يلتصق بك... كان من نوع يجعل مؤخرتي بارزة أكثر من بروزها المعتادة. لم أستطع التفكير في شيء غير هذا عندما ارتديت تلك البيجامة. وحتى عندما كنت أجري في الملعب بعد أن بدأ التدريب، كنت غير قادر على التفكير في أي أمر آخر. مؤخرتي بارزة كأنها بالون، هذا ما كنت أفكر فيه وأنا أجري خلف الكرة. بيجامتي بنية بشعة، هذا ما أفكّر فيه. تجعلني هذه البيجامة أبدو كأنني ولد غبي، هذا ما أفكّر فيه. غبي، غبي، غبي.

لكني لم أقل لأمي شيئًا من هذا. تظاهرت بأنني سعيد عندما أعطتني البيجامة لأن ثمنها كان مرتفعًا - لقد تجولتْ في آرندال كلّها باحثة عنها؛ وإذا قلت لها إنها لا تعجبني، فسوف يكون أول ما تفكّر فيه هو أنني جاحد، وستحزن لأنها اشترت بيجامة غير مناسبة. ما كنت أريد أن أجعل أمي حزينة. ولهذا قلت لها إن البيجامة جميلة، عظيمة. مثلما أردتها تمامًا!

الأمر الغريب في لقاءاتنا التدريبية في ذلك الربيع هو ذلك الاختلاف الكبير بين الشخص الذي كنته في داخلي والشخص الذي كنته في الملعب. كنت في داخلي ممتلئًا تمامًا بأفكار ومشاعر عن تسجيل الأهداف والمراوغة بالكرة، وعن البيجامة الرياضية البشعة التي أرتديها وعن مؤخرتي الكبيرة، وعن أسناني الناتئة كثيرًا. وأما في الملعب فقد كنت أجري وأجري، كنت ممتلئًا عزمًا وتصميمًا إلى حد جعل كل ما في داخلي غير ظاهر. كان في الملعب أولاد كثيرون جدًا، غابة من الأذرع والسيقان والرؤوس التي تلاحق الكرة كأنها سرب من البعوض. كان المدربون يجهلون أسماءنا، باستثناء حفنة منا. أظنّهم كانوا يعرفون أسماء من يعيشون على مقربة منهم، أسماء

أبنائهم وأبناء أصدقائهم. كانت المرة الأولى التي تميّزت فيها عن ذلك الجمع في إحدى الأمسيات عندما ركل أحدهم الكرة فطارت إلى الغابة خلف المرمى حيث ضاعت وطُلب منا جميعًا أن نذهب للبحث عنها. مرت دقيقتان، أو ثلاث دقائق، من البحث المكثّف. لم يستطع أحد أن يعثر عليها. ثم رأيتها أمامي فجأة: تحت أجمة صغيرة؛ رأيتها هناك، بيضاء ولامعة في ضوء الغسق. أدركت أن هذه فرصة لي، وأدركت أن عليَّ أن أصيح «لقد وجدتها!»، ثم أحملها إلى الملعب بحيث أحصل على نصيبي المستحق من الثناء، لكنني لم أجرؤ على ذلك، بل ركلت الكرة إلى الملعب.

صاح أحدهم: «ها هي الكرة!».

صاح واحد آخر: «من وجدها؟».

خرجت من الغابة مع بعض الأولاد، ولم أقل شيئًا. ظل الأمر كلّه غامضًا.

ثم مرت حالة ثانية مثل هذه على الرغم من أنها كانت فرصة أكبر. كنت أجري مع مجموعة من اللاعبين على مسافة نحو اثني عشر مترًا من المرمى. سقطت الكرة بيننا، وثارت من حولي عاصفة من الأرجل والأذرع. وعندما تدحرجت الكرة خارج تلك المجموعة، صارت على بعد متر واحد مني فركلتها بأقصى قوة استطعتها. مرت كرتي من تحت العارضة. لقد سجلت هدفًا!

صاح الأولاد: «كوووول!».

«من سجّله؟».

لم أقل شيئًا، ولم أفعل شيئًا. وقفت في مكاني كأنني عصا.

صاح المدرب: «من سجّل هذا الهدف؟ لا أحد! لا أحد! لا بأس! فلنتابع اللعب».

لعلّهم ظنوا أن واحدًا من لاعبي الفريق الآخر قد أخطأ فسجّل هذا الهدف في مرماه! على الرغم من هذا، لم أجرؤ على القول إنني صاحب هذا الهدف. كان ذلك أول هدف لي؛ وقد ظل التفكير في هذا الأمر شعلة متّقدة في داخلي طيلة ما بقي من وقت تدريب، وكذلك في طريق عودتنا إلى

البيت. كان أول ما قلته عندما جريت إلى السيارة حيث كانت أمي تنتظرني هو أنني سجّلت هدفًا.

«لقد سجّلت هدفًا».

قالت أمي: «أوه، شيء جميل!».

قلت ذلك مرة ثانية بعد عودتي إلى البيت وجلوسي إلى طاولة المطبخ لتناول طعام العشاء: «لقد سجلت هدفًا».

قال إنغفِه: «هل كانت لديكم مباراة؟».

«لا. لم نخُض مباريات حتى الآن. كان ذلك تدريبًا».

«إذًا، هدفك لا يعني شيئًا».

جرت من عينيّ دمعتان تدحرجتا على وجنتيّ. نظر إليّ أبي تلك النظرة الصارمة وقد ظهر الانزعاج على وجهه.

قال لي: «بحق الرب، لا يجوز أن تبكي لشيء هكذا. ينبغي أن يكون هناك شيء تستطيع أن تتقبله من غير دموع».

وعندها، انهمرت دموعي غزيرة.

كانت سهولة بكائي مشكلة كبيرة. أبكي إذا تلقيت أدنى توبيخ، وإذا صحح لي أحد شيئًا؛ بل أبكي حتى عندما أظن أن شيئًا من هذا موشكٌ على الحدوث. عادة ما يكون الشخص الآخر أبي. لم يكن بحاجة إلى أكثر من رفع صوته قليلًا حتى يجعلني أبكي على الرغم من معرفتي أنه يكره ذلك مني. كنت غير قادر على إمساك نفسي. أبدأ البكاء عندما يرفع صوته، وكثيرًا ما يفعل ذلك. نادرًا ما كنت أبكي بسبب أمي؛ لم يحدث ذلك إلا مرتين على امتداد فترة طفولتي كلّها. حدث ذلك خلال الربيع الذي بدأت فيه تمرينات كرة القدم. كانت المرة الأولى أكثر المرتين إثارة لاضطرابي. بعد أن لعبت في الغابة مع عصبة من الأولاد، وقفنا في نوع من دائرة. كان معنا إنغفِه وإدموند الذي في صفّه، وكذلك داغ لوثار وستينار وليف تورِه ورولف. كنا نتكلّم ونثرثر من غير توقّف. النوارس تزعق من ناحية أوبيكلن، والسماء لا تزال منيرة على الرغم من زحف الظلمة فوق التلة ومن تحت أشجار الغابة.

تحوّل الحديث إلى المدرسة والمعلمين، وإلى التقصير في الدروس، وعقوبات الاحتجاز في الصف والذهاب المبكر إلى المدرسة. ثم انتقل الحديث إلى ولد في صف إنغفِه كان شديد الذكاء. كنت أصغي إلى ما يقال؛ وسعيدًا بوجودي مع أولاد أكبر مني سنًا. ثم حلت لحظة صمت وجدت فيها فرصة لأن أدلي بدلوي.

قلت: «أنا الأفضل في صفي، الأفضل في القراءة والكتابة والعلوم الطبيعية والاجتماعية، على الأقل، وفي التاريخ المحلّي أيضًا».

نظر إنغفِه إلي وقال: «لا تتبجح، يا كارل أوفِه».

قلت: «لست أتبجح، هذا صحيح. هذا أمر لا شك فيه أبدًا. لقد تعلّمت القراءة عندما كنت في الخامسة، أي قبل أي ولد في الصف. وأنا قادر على القراءة بكل طلاقة. وعلى سبيل المثال، إدموند أكبر مني بأربع سنين، لكنه غير قادر على القراءة أبدًا. أنت قلت لي هذا بنفسك. وهذا يعني أنني أذكى منه».

قال إنغفِه: «كف فورًا عن التبجّح».

قلت: «لكن ما أقوله صحيح. أليس هذا صحيحًا يا إدموند؟ أليس صحيحًا أنك لا تستطيع القراءة؟ أليس صحيحًا أن لديك معلّمًا خاصًا؟ أختك في صفي، وهي مثلك غير قادرة على القراءة. أو، لعلها قادرة قليلًا. هذا ليس كذبًا، أليس كذلك؟».

عندها، حدث أمر غريب: ظهرت دموع في عيني إدموند. استدار وسار صاعدًا الطريق.

همس إنغفِه غاضبًا: «ماذا تظن أنك تفعل الآن؟».

قلت له: «لكن ما أقوله صحيح. أنا أفضل تلميذ في صفي؛ وهو أسوأ تلميذ في صفك».

قال إنغفِه: «اذهب إلى البيت. اذهب الآن. لا نريدك معنا».

قلت: «لستَ من يقرّر ذلك».

نهرني قائلًا: «أطبق فمك واذهب إلى البيت». ثم وضع يديه على كتفي ودفعني.

قلت له: «حسنًا، حسنًا». ثم ذهبت في اتجاه البيت.

اجتزت الطريق، ودخلت البيت وخلعت ملابس الخروج. كان ما قلته صحيحًا، فلماذا دفعني إنغفِه؟

كانت الدموع في عينيّ عندما استلقيت في سريري وفتحت كتابًا. هذا ظلم! لقد كان ما قلته صحيحًا؛ وهذا ظلم؛ هذا ظلم شديد.

عادت أمي من عملها، وأعدت شايًا وشيئًا للأكل. لا يزال إنغفِه خارج البيت. يعني هذا أننا كنا وحيدَين. سألتني إن كنت أبكي. فقلت لها إنني بكيت. سألتني عن السبب، فقلت إن إنغفِه دفعني. قالت إنها ستكلّمه وتسأله عن هذا الأمر. أريتها رسالة كتبتها لجدي، فقالت إنه سيكون مسرورًا بها، وأعطتني مغلّفًا وضعت الرسالة فيه. كتبت أمي على المغلف اسم جدي وعنوانه ووعدتني بأن ترسله بالبريد في اليوم التالي. وعندما انتهينا من ذلك، ذهبت إلى غرفتي لكي أستلقي. سمعت إنغفِه يعود إلى البيت عندما كنت أقرأ؛ وسمعت صوت خطواته تصعد السلم ثم تدخل المطبخ حيث كانت أمي. سوف تقول له الآن إنه لا يجوز له أن يدفعني وأن يطلب مني إطباق فمي. هذا ما فكّرت فيه وأنا مستلقٍ هناك. تخيّلت أيضًا كيف يقف إنغفِه أمامها خافضًا رأسه. ثم أتاني صوت كلامهما وخطواتهما في الممر. انفتح باب غرفتي.

أدركت فورًا أن أمي غاضبة، فجلست على السرير.

قالت لي: «هل صحيح ما أخبرني به إنغفِه؟ قال إنك سخرت من إدموند لأنه لا يستطيع القراءة».

أومأت برأسي وقلت: «نوعًا ما».

«ألا تفهم أن هذا قد أحزن إدموند؟ ألا تفهم أنه لا يجوز الحديث عن الآخرين بهذه الطريقة؟». تقدّمت حتى صار وجهها أمامي وجهي. كانت عيناها ضيقتين وصوتها حادًّا. وقف إنغفِه خلفها، وكان ينظر إليّ.

قالت لي: «كارل أوفِه، ألا تفهم ما أقوله لك؟».

قال إنغفِه: «لقد بكى. أنتَ من جعله يبكي. هل تدرك هذا؟».

أدركت الأمر فجأة. ألقى ما قالته أمي ضوءًا ساطعًا على ما حدث. إنها آسفة لما أصاب إدموند على الرغم من أنه أكبر مني بأربع سنين. لقد حزن، وكنت أنا من جعله يحزن.

بدأت أبكي كما لم أبكِ من قبل أبدًا.

تعالى نشيجي، أوه، أوه، أوه، أوه، أوه، أوه، أوه، أوه، أوه، أوه، أوه، أوه.

مالت أمي صوبي وداعبت خدي.

قلت باكيًا: «أنا آسف، يا ماما. لن أفعل هذا بعد الآن أبدًا. أبدًا أبدًا. أعدك بهذا من كل قلبي».

لم يلبث نشيجي العنيف واعتذاراتي التي قلتها بصوت أقرب إلى الصياح منه إلى الكلام أن جعل أمي تهدأ؛ لكن إنغفِه لم يرضَ بهذا، فقد مرت أيام كثيرة قبل أن يتراجع حضور هذه الحادثة وتصير ماضيًا بالنسبة إليه، على الرغم من أن إدموند لم يكن له موقع مركزي في حياته، ولم يكن من أصدقائه المقرّبين، بل مجرد شخص في صفه. فهمت ولم أفهم في الوقت نفسه.

كانت المرة الثانية التي جعلتني فيها أمي أبكي عندما خرجنا معًا ذات مساء. أرادت أن تشتري شيئًا من محطة فينا، وكانت راغبة في الذهاب إليها سيرًا على الأقدام فانضممت إليها في هذه الرحلة لأنني كنت أحب أن أحظى بها لنفسي. أخذت المصباح الكاشف معي لأن طريقنا كانت مظلمة. وقبل أن نبلغ وجهتنا، سددتُ نور المصباح إلى نافذة معتمة لغرفة معيشة في بيت مررنا به في طريقنا.

همست أمي: «لا تفعل هذا! هناك أشخاص يعيشون هنا. لا يجوز أن تقتحم خصوصيتهم هكذا».

على الفور وجهت المصباح على الأرض وغالبت دموعي بضع لحظات، لكنها لم تلبث أن غلبتني فانفجرتُ باكيًا بين نشيج وشهيق.

نظرت أمي إليَّ وقالت: «ما الذي أحزنك إلى هذه الدرجة؟ كان عليّ أن أقول لك ما قلته. أنت تفهم هذا بالتأكيد. لم يكن ما فعلتَه سلوكًا حسنًا».

بدأت أبكي لا لأنني تلقّيت تبويخًا، بل لأن التوبيخ أتاني منها، من أمي. لكنها -على الأقل- لم تغضب مني لأنني بكيت.

نادرًا ما كنت أبكي خارج البيت إلا إذا فعلت شيئًا سبّب لي ألمًا، بالطبع، فالجميع يبكي في هذه الحالة ولا يستطيع أحد أن يمسك دموعه! إن حقيقة عدم مجيء زوار إلى بيتنا تقول الكثير عن أمور أخرى لم أكن قادرًا على التحكّم فيها. كانت لي مشاجرات كثيرة مع الآخرين، مع ليف تورِه خاصة لأننا كنا مختلفين في مجموعة كبيرة من الأمور، من بينها اتهام كل منا الآخر بأنه مولع بإعطاء الأوامر؛ وعلى الرغم من أننا كنا متماثلين من حيث أن أيًّا منا لم يكن يقبل التنازل في هذه النقطة، فقد كان ليف تورِه، لا أنا، هو من يريد الجميع أن يلعب معه. لم يكن ذلك ملحوظًا عندما نكون كثرًا، كما يحدث عندما نبني أعشاشًا في غابة الصنوبر، أو عندما نلعب كرة القدم في الملعب. لكنه يظهر عندما نكون ثلاثة أو أربعة فقط. وأيضًا، لم تكن هذه مشكلة عند وجودي مع أولاد أكبر سنًا، كداغ لوثار مثلًا، لأنني أتكيّف مع الوضع، وأحذو حذو من هو أكبر سنًا من غير اعتراض، ولا أقول أية كلمة: إذا شعرت بأنني صرت على الهامش، أقول لنفسي إنه أكبر مني بسنة كاملة! قلت مرة لغيّير إن داغ لوثار قال لي ما ينبغي فعله، وإنني قلت ذلك لغيّير، فقاله غيّير لفيموند. تجهّم وجه غيّير وقال إنه ليس من حقّي أن أقول له ما ينبغي عليه فعله. قلت إن هذا من حقّي. وقلت إنني أقول له ما سنفعله. قال غيّير، لكن ليس من حقك أن تقول لي ما أفعله. سألته، وما الفرق؟ قلت له إن داغ لوثار قال لي ما ينبغي لي فعله، وإنك قلت لفيموند ما ينبغي فعله. فما الفرق بين هذا وبين أن أقول لك ما تفعله؟ حسنًا، من الواضح أن هناك فرقًا! تجمّد وجه غيّير كلّه واتخذ جسده تلك الهيئة المتمرّدة، ثم انصرف سريعًا. كان الآخرون يظهرون الانزعاج حتى مما هو أقل من هذا. كنت مرة مع غيّير هاكون وكِنتْ آرنِه وليف تورِه؛ كنا واقفين إلى جانب الطريق بعد وقت قصير من انتهاء المدرسة. كنا وحدنا هناك. أتت شاحنة ضخمة تحمل صخورًا من الموقع الذي يفجّرون صخوره في أعلى التلة. قلت لهم: «هل رأيتم هذا؟ إنها شاحنة مرسيدس».

لم أكن من المهتمين بالسيارات، ولا بالزوارق، ولا بالدراجات الآلية؛ بل لم أكن أعرف شيئًا عن هذا كلّه. إلا أنه كان عليَّ أن أبذل شيئًا من الجهد، مثلما يفعل الآخرون، حتى يرى الآخرون أنني لست جاهلًا تمامًا.

قال غيّير هاكون: «لا، ليست كذلك. شركة مرسيدس لا تصنع شاحنات».

قلت له: «ألم ترَ علامة مرسيدس عليها؟».

قال: «هل أنت غبي، أم ماذا؟ لم تكن تلك علامة مرسيدس».

قلت: «بل كانت علامة مرسيدس».

نخر غيّير هاكون هازئًا. وللحظة، صارت وجنتاه المنتفختان أكثر انتفاخًا مما هو معتاد.

«على أية حال، شركة مرسيدس تصنع شاحنات. لقد قرأت هذا في كتاب موجود عندي».

قال غيّير هاكون: «أحب أن أرى ذلك الكتاب. أنت تكذب كثيرًا. وأنت لا تعرف شيئًا عن الشاحنات».

قلت: «تظن أنك تعرف عنها لمجرد أن أباك يعمل على الآلات الإنشائية!».

قال: «أجل، إنني أعرف في حقيقة الأمر».

قلت ساخرًا: «أوهوهو! تظنّ أنك تعرف كل شيء عن الزلاجات أيضًا لأن أباك اشترى لك زوجًا منها. لكنك غير قادر على التزلج. أنت لا تجيد التزلج أبدًا. فماذا تفعل بها إن كنت غير قادر على استخدامها؟ يقول الجميع عنك إن الدلال أفسدك. وأنت كذلك حقًا. أنت تحصل على كل ما تشير إليه بإصبعك».

قال: «هذا غير صحيح. وأنت تقول هذا بسبب غيرتك مني».

قلت: «ولماذا أغار منك؟».

قال كِنتْ آرنِه: «كفَّ عن هذا، يا كارل أوفِه».

كان غيّير هاكون قد استدار مبتعدًا عني بجسده كلّه بعد أن كان مشيحًا بوجهه فقط.

قلت: «ولماذا أكفّ عن هذا؟ ولماذا أكفّ عن هذا ولا يكفّ غيّير هاكون؟».

قال كِنتْ آرنِه: «لأن غيّير هاكون محقّ. تلك لم تكن شاحنة مرسيدس. وهو ليس الشخص الوحيد الذي لديه زلاجتان. إن لديَّ زلاجتين أيضًا».

قلت: «هذا لأن أباك ميت. هذا ما يجعل أمك تشتري لك أشياء كثيرة».

قال كِنتْ آرنِه: «ليس هذا هو السبب. السبب هو أنها تريد أن تكون عندي زلاجتان. ثم إننا قادرون على دفع ثمنها».

قلت: «لكن أمك تعمل في متجر. من يعملون في المتاجر لا يكسبون مالًا كثيرًا».

قال ليف توره: «وهل كون المرء معلمًا أفضل من ذلك؟ ألا تظن أننا نرى جدار بيتكم؟ كلّه شقوق؛ وهو في حالة متداعية لأن أباك لا يعرف أنه في حاجة إلى إسمنت مسلح. إنه يستخدم الإسمنت فقط! أرأيت هذا الغباء!».

أضاف كِنتْ آرنِه: «وهو يظن نفسه أنه شخصٌ متميزٌ لأنه في المجلس. يحيينا بإصبع واحدة عندما يمر بنا راكبًا سيارته. هذا يعني أن عليك أن تخرس».

«ولماذا أخرس؟».

«حسنًا، ليس عليك أن تخرس. في وسعك أن تظلّ هنا وتثرثر كما تريد، مثلما تفعل عادة. لكننا لا نريد اللعب معك».

ثم ذهبا وتركاني.

ما كانت هذه الخلافات لتستمرّ زمنًا طويلًا، على الإطلاق. فبعد بضع ساعات، كنت ألعب معهما من جديد، إن رغبت في ذلك. لكن، كان هناك أمر غريب لأنني أجد نفسي دائمًا في موقع الدفاع، أجد نفسي محاصَرًا، وأجد أن الجميع يزدادون بعدًا عني عندما أقترب منهم. حتى غيّير، في واقع الأمر... أدركت في بعض الحالات أنهم يختبئون مني. عندما يقول أحد شيئًا عن شخص آخر في منطقتنا السكنية، فسرعان ما يكرر الجميع قوله؛ ثم يصير ذلك شيئًا يقولهالجميع. كانوا يقولون عني إنني أزعم معرفة

كل شيء، وإنني أتبجّح دائمًا. لكنني كنت أعرف أكثر منهم جميعًا، فلماذا أتظاهر بغير ذلك؟ وأما في ما يتعلق بالتبجح، فالكل يتبجح طيلة الوقت. داغ لوثار مثلًا، ذلك الذي يحبّه الجميع، ألم يكن يبدأ نصف جُمَله بعبارة «لست أريد التبجّح، ولكن...»، ثم يتابع كلامه فيخبرنا عن شيء حسن فعله أو عن شيء حسن قاله أحدهم عنه.

نعم، لقد كان يفعل ذلك. هذا يعني أن الأمر لم يكن متعلّقًا بما أفعله، بل بشخصي. لو كان الأمر غير ذلك، فلماذا يدعونني رولف «السيد محترف» كلما لعبنا كرة القدم في الطريق؟ لم أفعل أي شيء خاصّ! كان يقول لي، تظن أنك بارع جدًا في كرة القدم، ألا تظن هذا يا سيد محترف؟ لكن الحقيقة أنني لم أقل شيئًا لا أعرفه؛ ولماذا لا أقول ذلك بعد أن ذهبت إلى الدورة التدريبية في كرة القدم وصرت عارفًا حقًّا؟ لا يجوز أن نجري متجمهرين، بل علينا أن نتفرّق في الملعب ثم نمرّر الكرات في ما بيننا أو نقذفها... لا يجوز أن نتشاجر عليها مثلما نفعل عادة.

لكن الكلمة الأخيرة في ذلك الربيع كانت لي. فعندما أعيد تنظيم الدروس في المدرسة على نحو مناسب لكي نتمرّن على احتفالات نهاية السنة، وزعت علينا المعلمة كتيّبات المسرحية التي سنؤديها أمام أهالينا في أهم يوم من أيام السنة كلّها، أي في اليوم الأخير. فمن الذي وقع عليه الاختيار لكي يكون صاحب الدور الرئيسي في المسرحية؟ إنه أنا.

لم يكن ليف تورهِ، ولا غيّير هاكون، ولا ترونْد، ولا غيّير.

... بل أنا.

أنا، أنا، أنا.

ما كان أحدٌ منهم قادرًا على حفظ هذه الجمل الكثيرة عن ظهر قلب. من بين الأولاد، أنا وإيفيند فقط، بل ربما سْفيره أيضًا، كنا قادرين على ذلك. لكن حقيقة أن المعلمة قد اختارتني في آخر الأمر لم تأت مصادفة على الإطلاق.

كانت سعادتي كبيرة جدًا عندما قالت لي ذلك، فلم أعد أدري ما أفعله

بنفسي. كنا نتمرن على المسرحية في كل يوم من أيام ذلك الأسبوع الأخير. وفي كل يوم كنت محط اهتمام الصف كله -آنِه ليزبيت أيضًا- وعندما جاء اليوم الأخير، وكان يومًا مشمسًا متألّقًا، صرت أيضًا محط اهتمام الآباء والأمهات جميعًا. أتوا مرتدين أجمل ملابسهم، وجلسوا على الكراسي عند الجدار فالتقطوا لنا صورًا، ثم صمتوا عندما راح كلّ منا يؤدّي دوره؛ ثم صفقوا لنا تصفيقًا حارًا في نهاية المسرحية.

وبعد ذلك، استمعنا إلى الموسيقى والأغاني، واستلمنا سجلات درجاتنا، وتمنّت لنا المعلمة صيفًا طيبًا، ثم جرينا خارجين إلى الساحة وإلى السيارات التي كانت في انتظارنا.

وقفت مع غيّير وقد حمل كل منا سجل درجاته في يده. كنا نافدي الصبر عند سيارة أمي. أتت أخيرًا مع مارتا، وكانتا تتحدّثان وتضحكان فلم تنتبها إلى وجودنا إلى أن صارتا على مسافة أمتار معدودة منا. كانت أمي ترتدي بنطلون بيج وكنزة حمراء بلون الصدأ رفعت كميها حتى المرفقين. كان شعرها الطويل متدليًا على ظهرها، وفي قدميها صندل خفيف بني اللون. لقد أتمت الثانية والثلاثين منذ فترة وجيزة، بينما كانت مارتا المرتدية فستانًا بني اللون أكبر منها بسنتين.

كانتا امرأتين شابتين؛ لكننا لم نكن نعرف هذا.

فتحت أمي حقيبة يدها وبحثت عن مفتاح السيارة.

قالت مارتا: «كنتم ممتازين جميعًا».

قلت لها: «شكرًا».

لم يقل غيّير شيئًا. كانت عيناه شبه مغمضتين في وهج الشمس.

قالت أمي أخيرًا: «آه، ها هو المفتاح».

فتحت السيارة فدخلناها وجلسنا. الصغار في الخلف والكبار في المقدّمة. أشعلت كل منهما سيجارة. انطلقت بنا السيارة صوب البيت في ضياء الشمس.

في ذلك المساء، وقفت بالعتبة أنظر إلى أمي تجفّف شعرها في غرفتها.

أحيانًا، عندما لا يكون أبي هنا، أتبعها في كل مكان في البيت ولا أتوقّف عن الكلام. لكني كنت الآن صامتًا لأن صوت مجفف الشعر جعل الكلام مستحيلًا. اكتفيت بالنظر إليها عندما خفضت رأسها ورفعت شعرها بالفرشاة مستخدمة إحدى يديها وقرَّبت منه مجفّف الشعر الذي كان في يدها الأخرى. كانت تنظر إلي من وقت لآخر وتبتسم لي. دخلت الغرفة. رأيت رسالة على الطاولة الصغيرة عند الجدار. لم أكن أقصد التطفل، لكني استطعت أن أرى، عن بعد، أن الاسم الأول المكتوب على الرسالة كان سيسيل، أي اسم أمي. لكنّي انتبهت إلى أن الاسم الكامل كان أطول مما ينبغي. استطعت أن أميز وجود كلمة ثالثة بين سيسيل وكناوسغارد. اقتربت من الرسالة. كان مكتوبًا عليها «سيسيل نورون كناوسغارد».

نورون!!!

ما معنى نورون؟

قلت لها: «ماما!».

خفضت مجفّف الشعر وكأن ذلك سيجعلها أقدر على سماعي، ثم نظرت إلي.

قلت من جديد: «ماما، ما هذه الكتابة على مغلف الرسالة. ما هذا الاسم؟».

أوقفت عمل مجفف الرسالة وسألتني: «ماذا قلت؟».

«ما هذا الاسم الذي على الرسالة؟».

أومأت برأسي صوب المغلف. انحنت أمي والتقطته. قالت لي: «هذا اسمي».

«لكن فيه كلمة نورون. نورون ليس اسمك».

«بل هو اسمي. إنه اسمي الأوسط. سيسيل نورون».

«هل كان اسمك هكذا دائمًا؟».

أحسست بشيء يضغط على صدري.

«أجل. طيلة حياتي. ألم تكن تعرف هذا؟».

«لا! لماذا لم تخبريني شيئًا عنه؟».

تدحرجت دموع على خدّيّ.

قالت أمي: «لكن، يا حبيبي... لم أتصوّر أن لهذا الأمر أهمية. سيسيل هو اسمي الذي أستخدمه. ونورون هو اسمي الأوسط. شيء كأنه اسم إضافي».

تأثّرت حتى أعماقي. لم يكن ذلك بفعل الاسم نفسه، بل لأنني لم أكن أعرف عنه شيئًا. حزنت لأن لها اسمًا لا علم لي به.

أكانت هناك أشياء أخرى لا أعرفها؟

بعد شهر من ذلك، في منتصف عطلة الصيف الطويلة، سافرنا بالسيارة إلى سوربوفاغ الواقعة على مقربة من أفيوردن في منطقة إترِهْ سون حيث يعيش والدا أمي؛ وبقينا هناك أسبوعين كاملين. كنت متشوّقًا كثيرًا إلى تلك الرحلة. أيقظوني عند فجر يوم السفر، فبدا لي الأمر كلّه غير حقيقي. ملأْتْ أمتعتنا صندوق السيارة كلّه. جلس أبي وأمي في المقدمة، وجلست في الخلف مع إنغفِه. سنظلّ في السيارة طيلة النهار والمساء. حتى المشاهد المألوفة جدًّا، الطريق النازلة إلى تقاطع الطرق، ثم إلى جسر ترومويا، بدت لي الآن مختلفة. ما عادت الآن منتمية إلى البيت وإلى وجودنا فيه، بل صارت جزءًا من الرحلة الكبيرة التي انطلقنا فيها فاكتسب كل جرف وصخرة وجزيرة صغيرة ورصيف مسحة من الإثارة والترقب. وعندما بلغنا تقاطع الطرق عند الجسر، ضممت يديَّ كعادتي وتلوت الدعاء القصير الذي أكرّره في كل مرة. «يا إلهي، خلّصني من هذا الأمر، ولن أفعل شيئًا سيئًا بعد الآن أبدًا. أبدًا أبدًا. أقسم بكل ما هو مقدّس. آمين».

انتهينا من الجزيرة وسرنا على البر الرئيسي عبر غابات الصنوبر الرتيبة. تجاوزنا إيفيَهْ بثكناتها العسكرية المنخفضة الطويلة وسهولها الصنوبرية، ثم مررنا ببيغلاندسفيورد وموقع التخييم، وصعدنا إلى سيتيسدالن ذات الحقول والمزارع العتيقة المسورة ولافتات مشاغل الحلي الفضية الكثيرة. مضينا في طريق كانت تبدو لي أحيانًا كأنها تمر عبر حدائق البيوت. راحت

المباني تختفي شيئًا فشيئًا، وكان ذلك كأن تلك البيوت قد بدأت تفلتنا بعد أن كانت متعلّقة بنا وتتساقط إلى جانب الطريق واحدًا تلو آخر مثلما يسقط الأطفال من إطار مطاطي كبير منفوخ ربطه أحدهم إلى زورق في وقت مبكر من الصيف. لا يبقى شيء في مكانه غير ذلك الإطار بعد أن تتزايد سرعة الزورق. رأيت ضفافًا رملية على امتداد النهر، وتلالًا تكتسي خضرة يزداد انحدارها شيئًا بعد شيء، ومن حين لآخر سفح جبليّ عارٍ ضخم فيه تدرّجات اللون الرمادي كلّها، وفيه بضع أشجار صنوبر حمراء كالنار تنتصب في الأعلى. رأيت مساقط مياه وشلالات وبحيرات وسهولًا كانت كلها غارقة في وهج الشمس المتألّق الصافي. شمسٌ تزداد ارتفاعًا في السماء كلما تقدّمنا في سيرنا. كانت الطريق ضيّقة؛ تعلو وتهبط وتلتف بحسب تفاصيل المنطقة، لكن على نحو لطيف لا يكاد يكون ملحوظًا... تلتف الطريق وتتعرج بين أشجار تصطفّ مثل جدارين على الجانبين في بعض الأماكن، أو تصير عالية مطلة على كل شيء في أماكن أخرى. وكنا أيضًا نمر مرورًا مفاجئًا بمواضع لها إطلالات غير متوقّعة.

كانت تظهر لنا خلال رحلتنا أماكن استراحة متفرقة على هيئة مساحات صغيرة مفروشة بالحصى تقوم إلى جانب الطريق حيث تستطيع الأسر المسافرة أن تجلس وتتناول طعامها على طاولات من جذوع خشبية خشنة. تكون السيارات متوقّفة إلى جوار أصحابها، مفتوحة الأبواب عادة تحت ظلال الأشجار؛ وفي أحيان كثيرة، تكون هذه الاستراحات قريبة من بحيرة أو نهر. ثرمس على الطاولة مع كل أسرة؛ وأسر كثيرة معها حقيبة مبرّدة؛ ومع بعضها موقد غاز صغير. سألت بعد رؤيتي هذه الاستراحات: «ألن نتوقّف قريبًا من أجل الاستراحة؟». قلت هذا لأن الاستراحات، إلى جانب الصعود إلى العبارات، كانت من أهم معالم الرحلة عندي. نحن أيضًا لدينا حقيبة تبريد في صندوق السيارة، ولدينا ثرمس، وعصير، ورزمة صغيرة من كؤوس بلاستيكية، وفناجين، وأطباق. لكن أبي يقول لي عادة «لا تزعجني» لأنه يكون شديد الحرص على اجتياز أكبر عدد ممكن من الكيلومترات قبل

أن نتوقّف. وعلى هذا النحو، سيكون علينا (على أقل تقدير) أن نواصل السير حتى تنتهي سيتيسدالن ونتجاوز هوفن وهاوكيليغيرند فنصل إلى جبل هاوكيلي قبل أن يصير السؤال عن الاستراحة ممكنًا. وعندها يكون علينا أن نعثر على مكان مناسب لأننا لن نقبل بأول مكان يصادفنا؛ أوه، لا: إذا كانت المحطّات قليلة، وإذا كانت متباعدة، فلا بد من أن يكون موقع توقفنا للاستراحة موقعًا خاصًا ومتميزًا.

يبدو سطح الأرض في تلك المناطق المرتفعة شديد الاختلاف عن أية منطقة أخرى. لا يجد المرء شجرة أو أجمة في أي مكان. مضت الطريق مستقيمة كالمسطرة. وعلى امتداد الطريق، كنت أرى مناطق فيها جلاميد صخر كبيرة متناثرة على الأرض يكسوها غلاف مكون ما ظننته أشنيات أو طحالب. وفي أماكن أخرى كنت أرى سطوحًا صخرية نظيفة كأنها مغسولة غسلًا. مياه تترقرق هنا وهناك، وثلج يلمع. كان أبي يزيد السرعة كلما صارت الطريق مكشوفة أمامه. كنا نرى أعمدة طويلة على مسافات منتظمة على جانب الطريق. وقال إنغفِه شيئًا يصعب تصديقه، قال إنها علامات مرتفعة إلى هذا الحد لأن تراكم الثلج في الشتاء يمكن أن يبلغ قممها. هذا ارتفاع يبلغ عدة أمتار!

كانت الشمس مشرقة والهضبة الجبلية ممتدة في كل اتجاه، ونحن... نحن منطلقون إلى الأمام. رحنا نجتاز موضع استراحة تلو آخر إلى أن أعطى أبي (من غير انتظار) إشارة انعطاف إلى اليمين، ثم خفض سرعة السيارة، وتوقّف.

كانت نقطة توقّفنا إلى جانب بحيرة بيضوية الشكل، سوداء تمامًا. كانت الأرض مرتفعة ارتفاعًا هيّنًا من خلف البحيرة، وإلى جانبها كثيِّب ثلجي ضخم لونه ضارب إلى الزرقة، ومن تحته تجويف تسيل المياه فيه ثم تختفي نازلة في فتحة في الأرض.

هدوء تامٌّ من حولنا. وبعد ساعات كثيرة من جلوسنا في السيارة مع هدير المحرك المنتظم في آذاننا، بدا الصمت هنا مصطنعًا، أو دخيلًا، كأنه غير مُنتمٍ إلى المشهد الذي من حولنا.

فتح أبي صندوق السيارة وأخرج كيس التبريد فوضعه على الطاولة الخشبية الخشنة، وبدأت أمي على الفور تخرج محتوياته في حين أحضر أبي الترمس والكيس الذي فيه الأطباق والفناجين. جرينا إلى الماء، أنا وإنغفِه، فانحنيا فوقه وغمسنا أيدينا فيه. كان الماء باردًا كالثلج.

قال أبي: «ما رأيكما في السباحة هنا، يا أولاد؟».

قلت: «أوه، لا. الماء بارد جدًا».

قال: «أنتما ضعيفان».

قلت: «لكنه بارد جدًا».

«صحيح؛ أعرف أنه بارد. كان ذلك مزاحًا، وليس لدينا وقت للسباحة أصلًا».

سرت مع إنغفِه إلى كثيب الثلج. كان شديد الصلابة فلم نستطع أن نصنع كرات ثلجية مثلما أردنا. كان الصعود إلى قمة الكثيب، مع وجود المياه تحته، أمرًا غير وارد أبدًا في حضور أمي وأبي.

كسرت قطعة من الثلج ورميتها في البحيرة، فراحت تعلو وتهبط فيها كأنها جبل جليدي صغير. عندما نعود إلى بيتنا، سأكون قادرًا على القول إنني لعبت بالثلج في منتصف شهر تموز.

نادتنا أمي: «هيا إلى الطعام».

جلسنا إلى الطاولة. كان طعام كل منا جاهزًا. ثلاث شرائح من الخبز عليها بيض مسلوق. وغير ذلك، كانت على الطاولة رزمة بسكويت. سكبت أمي عصيرًا في كأسينا. أكسَبَ البلاستيك العصير طعمًا مختلفًا، لكني أحببته لأنه ذكّرني بتلك الرحلات عندما كنا نذهب لجمع التوت البرّي. ذكّرني بعطلات التخييم أيضًا. لم نذهب في عطلات تخييم كثيرة؛ والحقيقة أنها كانت رحلة واحدة في الصيف الماضي عندما ذهبنا إلى السويد مع جدي وجدتي. مرّت من خلفي سيارة مسرعة فأحسست كأن الصوت يرتجف مع ازدياد شدّته، ثم سمعت ما يشبه انفجارًا بدأ الصوت بعده يخفت إلى أن اختفت السيارة. بخار متصاعد من فنجاني القهوة أمام أبي وأمي. من

الاتجاه الآخر أتت سيارة تجر خلفها مقطورة نوم. نظرت إليها وأنا أشرب ما بقي في كأسي من عصير. كانت تخفّف سرعتها، ثم أعطت إشارة انعطاف، ثم دخلت بقعة الاستراحة التي كنا فيها.

قال أبي: «ماذا يفعل هذا الغبي؟ ألا يرى أن هذا المكان فيه طاولة واحدة فقط؟».

التفت في اتجاهنا من جديد، ووضع فنجان القهوة على الطاولة ثم أخرج من جيب سترته كيس التبغ الذي عليه صورة ثعلب.

توقّفت السيارة على مسافة بضعة أمتار منا، انفتح بابها ونزل رجل بدين يرتدي شورتًا بلون بيج وقميصًا خفيفًا أصفر قصير الكمين. كانت على رأسه قبعة أسطوانية بنية اللون. فتح باب المقطورة واختفى داخلها في حين أتت امرأة من الجهة الأخرى للسيارة. كانت بدينة أيضًا وترتديبنطلونًا رماديًا فاتحًا مع كنزة صوف. تدلّت من بين شفتيها سيجارة غير مشتعلة. كان شعرها كثيفًا، لونه رمادي وأصفر؛ وعلى عينيها نظارة ضخمة لها عدستان مظللتان. ذهبت المرأة ووقفت إلى جانب البحيرة، حيث أشعلت سيجارتها وراحت تدخن وتنظر أمامها.

بدأت آكل شريحة الخبز الأخيرة.

ظهر الرجل من المقطورة حاملًا بيديه طاولة تخييم. نصب الطاولة بين سيارته وطاولتنا. التفت أبي من جديد.

قال: «أليس لديهما أي إحساس باللياقة؟ نحن جالسون هنا نتناول طعامنا فيأتيان ويقتحمان المكان علينا».

قالت أمي: «لا أهمية لهذا. المكان جميل هنا».

قال أبي: « كان جميلًا، إلى أن أتى هذا الغبي».

قالت أمي: «إنه يستطيع سماعك».

وضع الرجل كيس تبريد على الأرض إلى جانب الطاولة. واقتربت المرأة نه.

قال أبي: «إنهما ألمانيان. لا يفهمان كلامنا. نستطيع قول ما نشاء قوله».

تناول رشفة أخيرة من فنجانه، ثم نهض واقفًا.

«حسنًا، من الأفضل أن نتحرّك».

قالت أمي: «لم ينه الولدان طعامهما بعد. لسنا في عجلة من أمرنا إلى هذه الدرجة».

قال أبي: «الحقيقة أننا في عجلة من أمرنا. هيا، كلا طعامكما. أسرعا».

رمى على الأرض سيجارته التي دخّن نصفها، وأخذ الكأسين والفنجانين إلى البحيرة حيث غسلهما ووضعهما في الكيس مع الأطباق والثرمس. أغلق سحاب كيس التبريد ووضع كل شيء في صندوق السيارة. قال الرجل والمرأة شيئًا لم أفهمه وهما ينظران إلى المنحدر اللطيف خلف البحيرة. كان الرجل يشير في ذلك الاتجاه. رأيت شيئًا يتحرّك في البعيد. طوت أمي الورق الذي كانت سندويتشاتنا ملفوفة به، ثم وضعته في الكيس ونهضت واقفة.

قالت لنا: «فلنذهب الآن. سيكون علينا أن نأكل البسكويت عندما نتوقّف مرة أخرى».

آخ... هذا ما كنت أخشاه!

دفع أبي المقعد إلى الأمام حتى أصعد إلى المقعد الخلفي. بعد الهواء النقي في الخارج، كانت رائحة دخان السجائر في السيارة صادمة. صعد إنغفِه إلى السيارة عبر الباب الثاني. كشّر وقال: «أظن أن مفعول الأقراص المضادة للغثيان قد انتهى».

قالت أمي: «إذا شعرت بالغثيان وأردت أن تتقيأ، فعليك أن تخبرنا».

قال: «سيكون أمرًا مفيدًا ألّا تدخّنا في السيارة طيلة الوقت».

قال أبي: «كفّ عن هذا، يا ولد. لا تُكثر التذمّر فنحن في عطلة».

تحرّكت السيارة واقتربت ببطء من الطريق. نظرت عبر النافذة إلى ما بعد البحيرة، إلى البقعة التي كان ذلك الرجل يشير إليها. رأيت شيئًا هناك. بقعة رمادية تتحرّك قليلًا وسط الخضرة. ماذا يمكن أن يكون هذا الشيء؟

لكزت إنغفِه وأشرت عبر النافذة حتى ينظر إلى ما كنت أراه. قلت له: «ما هذا؟».

قال: «قد يكون وعلًا. رأينا وعولًا في السنة الماضية، ألا تتذكّر هذا؟».

قلت: «صحيح. صحيح. لكنها كانت أكثر قربًا. هذا الوعل بعيد جدًا. يبدو من هنا كأنه فأر».

ثم غرقنا في تلك الحالة الشبيهة بالذهول التي يسببها السفر بالسيارة. اجتزنا ما بقي من السلسلة الجبلية، ثم انحدرنا إلى روندال، ومن بعدها إلى أودا، تلك البلدة الصغيرة القذرة في آخر هاردانغرفيورد. على الرغم من المظهر المتداعي الملوّث لهذه البلدة، فإن فيها شيئًا من السحر الذي يثيره كل مكان في هذه الناحية القصيّة من الجبال... شيء مُدوّخ ومختلف في أعماقه اختلافًا يصعب فهمه عن العالم الذي تركناه منذ بضع ساعات فقط. ففي حين كانت سورلاند مكوّنة في أكثرها من تلال ورواب منخفضة وغابات متقطعة صغيرة فيها أنواع كثيرة من الأشجار المتجاورة معًا، منطقة متسعة ومحدودة في وقت واحد، وفي حين كانت أعلى تلة في الجزيرة التي نسكنها لا تتجاوز مئة وعشرين مترًا ارتفاعًا، فقد كانت هذه المنطقة هنا -منطقة تفاجئ المرء دائمًا- تتميّز بجبالها الضخمة التي تهيمن على المشهد كلّه بنقائها وبساطتها، فتجد التفاصيل الأخرى أنفسها مرغمة على التكيّف معها وعلى الاختفاء اختفاء تامًا: من عساه يبالي بشجرة بتولا، مهما تكن طويلة، إن كانت واقفة تحت واحد من هذه الجبال التي لا تتغير أبدًا، هذه الجبال بجمالها اللانهائي؟ على أن ضخامة الجبال لم تكن الاختلاف الأشد وضوحًا، بل الألوان التي تبدو هنا أكثر عمقًا -لا يجد المرء في فستلاند خضرة بهذا العمق وبهذا النقاء- وحتى السماء نفسها كانت أكثر عمقًا وأكثر نظافة من زرقة السماء حيث نعيش. كانت سفوح الوديان خضراء مزروعة؛ وكانت أشجار الفاكهة المزهرة فيها تكتسي بياضًا يابانيًا في الربيع وأوائل الصيف؛ وتلوح قمم الجبال زرقاء سديمية عليها ثلوج هنا وهناك. ومن بين الحواف الصخرية المنتصبة صفًا طويلًا إلى الجانبين، يلوح الفيوْرد نفسه... مخضرًا في بعض الأماكن، مزرقًا في أماكن أخرى، لامعًا في الشمس كله، عميقًا بقدر ارتفاع الجبال التي من حوله.

يكون السفر بالسيارة عبر هذه الطبيعة مثيرًا لمشاعر طاغية، على الدوام، لأن ما من شيء مما رأيته حتى تلك اللحظة قد أعدّك لما ينتظرك هنا. لكن، بعد أن سرنا على امتداد على الناحية الشمالية من الفيورد، فإنّ المعالم غير المألوفة الأخرى، ظهرت كلّها... كالأسيجة الكهربائية، والحظائر الحمراء، والبيوت العتيقة البيضاء المبنية من جذوع الأشجار، والأبقار التي ترعى، والصفوف الطويلة من مصاطب تجفيف القش المتناثرة إلى جانبي الوادي. الجرارات، وحصادات الأعلاف، وأقبية الروث، والجزمات الطويلة البنية عند أبواب البيوت، والأشجار الظليلة في الأفنية، والخيول، والمتاجر في أقبية البيوت العادية. أطفال يبيعون الكرز البري أو الفراولة من على طاولات صغيرة عليها لافتات مكتوبة باليد ممتدة على طول الطريق. كانت الحياة هنا مختلفة عن الحياة حيث نعيش. رأيت امرأة كبيرة السن تسير منحنية الظهر وقد ارتدت فستانًا مزهّرًا ومنديلًا وضعته حول رقبتها. لا يرى المرء هذا حيث نعيش! رجل عجوز منحنٍ في أوفرول أزرق وعلى رأسه قبعة مستدقّة، واقف في حقل أو سائر في دربٍ غير معبّدة. لكن، مهما يكن قويًا ذلك الانطباع الذي تركته تلك الأماكن في نفسي، فقد كانت الأسماء غير المعتادة التي تحملها الأماكن هنا جزءًا مهمًا من ذلك الانطباع - توسيدال، وإسبه، وهوفلاند، وسيكسه، وبورفه، وأوبيدال، وأولنسفانغ، ولوفهوس، وكينسارفيغ. كان هذا الاسم الأخير مفضلًا عندي لأن له نغمة غريبة: حسنًا، فيغ تعني خليجًا، فما معنى كينسار؟ ما معنى هذا؟- تألُّق الألوان ومعها كثرة من التفاصيل المختلفة، وجوٌّ من الوفرة يلف هذه المناطق كلّها؛ لا يلف البشر ونشاطاتهم فحسب، بل يلف أيضًا الحيّز الذي يتحركون فيه: كان يبدو متسعًا جدًا، كبيرًا عليهم جدًا؛ فلعل فيض نور الشمس هو السبب في هذا، أو لعل زرقة السماء الواسعة هي سببه، أو لعلها سلسلة الجبال الممتدة في تلك المنطقة، أو لعل الأمر كله لا يعدو أن يكون أننا عابرون هنا فحسب، وأننا لم نتوقّف في أي مكان إلا عند موقف الباص حيث نزل إنغفِه من السيارة مترنّحًا حتى يتقيأ... لم نكن نعرف أحدًا هنا، ولم تكن لنا أية

صلة بما نراه. وذلك أننا وصلنا أخيرًا إلى كينسارفيغ، وخرجنا من السيارة التي أوقفها أبي في صف السيارات التي تنتظر وصول العبّارة، فلم يعد ملحوظًا ذلك الإحساس بالوفرة المسرفة؛ بل على العكس من ذلك، لأن كل شيء هنا بدا لي دافئًا ولطيفًا مع أصوات الراديو المنبعثة من السيارات، وفتح الأبواب وإغلاقها، وأشخاص يخرجون منها ويتمطّون ويسيرون جيئة وذهابًا، وأطفال يلعبون الكرة بهدوء على مقربة من صف السيارات، أو يفعلون ما كنت أفعله مع إنغفِه: يسيرون إلى الكشك الواقع في آخر الصف ليروا إن كان فيه ما يستطيعون أن ينفقوا عليه جزءًا من مصروف العطلة.

آيس كريم!؟ أوه، نعم.

اشترى إنغفِه قطعة آيس كريم موضوعة في زورق من الويفر؛ واشتريت كأس آيس كريم معه ملعقة حمراء صغيرة، ثم عدنا متمهّلين إلى صف الانتظار حاملين ما اشتريناه. جلسنا على جدار حجري ورحنا ننظر إلى الماء وإلى الأعشاب البحرية المنتشرة على شكل تجمّعات رطبة على الصخور. رأينا العبّارة قادمة في البعيد. كانت في الهواء رائحة الماء المالح والأعشاب البحرية والحشائش وعوادم السيارات. وكانت الشمس حارة على وجهينا.

قلت له: «ألا تزال تشعر بالغثيان؟».

هزّ رأسه وقال: «من المؤسف أننا نسينا كرة القدم. لكن من المحتمل أن تكون لديهم كرة في فايين».

نطَقَها «فايين»، مثلما تنطقها جدتي.

نظرت إليه مضيّقًا عينيّ في وهج الشمس، وقلت: «صحيح. هل تظن أننا سنصعد إلى هذه العبّارة؟».

«لست أدري. أتمنّى ذلك».

دلّيت ساقيَّ من فوق الجدار. غرفت بالملعقة الصغيرة كتلة كبيرة من الآيس كريم ووضعتها في فمي. كانت كبيرة جدًا، وباردة أيضًا، فبدأت أحركها يمينًا وشمالًا بلساني حتى تصير برودتها الصقيعية محتملة. وبينما كنت أفعل هذا، التفتّ وألقيت نظرة في اتجاه سيارتنا. كان أبي جالسًا في

مقعده، لكني رأيت الباب مفتوحًا ورأيت أنه قد وضع إحدى قدميه على الأرض. كان يدخن. لمعت الشمس على زجاج نظارته. كانت أمي تقف إلى جانبه تتناول من حين لآخر حبة كرز برّي من سلة صغيرة وضعتها على سقف السيارة.

قلت لإنغفهِ: «ماذا سنفعل غدًا؟».

«سأكون مع جدّي في حظيرة الأبقار. قال إنه سيعلمني كل شيء حتى أصير قادرًا على تولي الأمر في يوم من الأيام».

«هل تظن أن السباحة ممكنة هناك الآن؟».

«هل جننت؟ الماء شديد البرودة في الفيورد مثلما كان ماء البحيرة في الجبل».

«ما سبب هذا؟».

«لأنه بعيد في اتجاه الشمال، بالطبع».

انطلقت أصوات محرّكات بعض السيارات. انفتحت بوابة العبّارة المقوّسة. نزل إنغفهِ عن الجدار ومشى صوب السيارة. أكلت ما بقي لدي من آيس كريم بأقصى سرعة ممكنة، ثم لحقت به.

بعد رحلة العبّارة إلى كفاندال، كان صعود جبل فيكافييلت المرحلة المثيرة الثانية في الرحلة. طريق ضيقة شديدة الانحدار تسير متعرّجة صوب الأعلى، وتدور وتدور، وتدور وتدور، وتكون في بعض المواضع منحدرة إلى حد يجعلني أشعر بالذعر من أن تنقلب السيارة إلى الخلف وتسقط.

قال أبي ونحن ماضون في تلك الطريق: «أظن أن هناك عددًا غير قليل من السائحين الذين تصيبهم الصدمة هنا. إنهم يستخدمون المكابح لإبطاء السيارة. قد يكون هذا قاتلًا». جلست مرتعشًا أسترق نظرات خائفة إلى الهاوية التي من تحتنا.

قلت: «وماذا نستخدم نحن؟».

قال أبي: «نستخدم علبة السرعة».

لم نكن سائحين! نحن نعرف كيف ينبغي أن يكون الأمر هنا. نحن لسنا من أولئك السائقين الذين تراهم من خلف غيمات البخار المنطلقة من أغطية محركات سياراتهم المعطلة. إلا أن الأمور أوشكت على اتخاذ وجهة سيئة بعد ذلك على الفور لأننا التقينا عند المنعطف الحاد التالي سيارة تجر مقطورة من خلفها. لم تفصلنا عن الاصطدام بها إلا مسافة أمتار قليلة. إلا أن أبي ضغط على المكابح، وفعل السائق الآخر مثله. تراجع أبي بالسيارة نزولًا إلى أن بلغ منطقة تتسع الطريق فيها للسيارتين معًا. لوَّح السائق الآخر بيده عند مروره بنا.

قلت لأبي: «هل تعرفه، يا أبي؟».

نظرت في المرآة فرأيته يبتسم.

قال: «لا، لا أعرفه. كان معنى تلويحه بيده لنا أنه يشكرني لأنني أفسحت له طريقًا».

تابعنا بعد ذلك حتى بلغنا الجبل التالي، ثم نزلنا إلى الفيورد التالي. كانت الجبال هنا عالية مثل الجبال التي عند هاردانغيرفيورد؛ لكن فيها ما هو أكثر لطفًا: ليست شديدة الانحدار مثل تلك الجبال؛ ثم إن الفيورد هنا كان أكثر اتساعًا، بل هو أشبه ببحيرة في بعض الأماكن. كانت جبال هاردانغيرفيورد كأنها تقول: ما مشكلتك؟ في حين كانت هذه الجبال تقول: هوِّن عليك! سوف يسير كل شيء على ما يرام!

قال إنغفِه: «هل ننام على التناوب؟».

قلت له: «لا بأس»، فوضع رأسه في حضني وأغمض عينيه. كان نومه هكذا أمرًا حسنًا لأن رأسه دافئ ولطيف؛ وكأن هناك أمرين يسيران في مكانين اثنين، لكن في وقت واحد، المشهد الذي أراه من النافذة متغيرًا من غير انقطاع فلا أستطيع انتزاع عينيَّ منه، ورأس إنغفِه النائم في حضني.

استيقظ إنغفِه عندما توقّفنا في الصف من أجل العبّارة التالية. وقفنا على الرصيف مستمتعين بهبوب الريح في وجهينا. عدنا إلى السيارة بعد نصف ساعة من ذلك، فجاء دوري في وضع رأسي في حضن إنغفِه.

عندما استيقظت أدركت أننا قد اقتربنا. كلما دنونا من البحر، كلما ازدادت الأرض انخفاضًا وازدادت الخضرة كثافة. لكن الأرض هنا لم تكن، بالطبع، تشبه أرض سورلاند النظيفة ذات التعرجات الكثيرة. لم يبق في ذهني أي طريق من الطرق التي مررنا بها. كنت أنظر من النافذة من غير أن أقيم صلة بين ما أراه وأي شيء مما هو في ذاكرتي إلى أن عرفت ليهستين فجأة، ذلك المنحدر الرأسي النازل عدة مئات من الأمتار إلى الجهة الأخرى من الفيورد، أي إلى الجهة التي تقابل بيت جدي وجدتي. لقد كان الجبل أمامنا منذ أمد بعيد، لكن تمييزه كان متعذّرًا من النقاط الأخرى كلها باستثناء النقطة التي بلغناها الآن عندما بدأنا نقترب منه جانبيًا. إشارة شديدة جعلتني غير قادر على التنفس. لقد وصلنا. أوه، نعم، ها هو الشلال! وها هي الكنيسة الصغيرة! وها هو الفندق! وها هي لافتة «سالبو»! وها هو البيت! إنه بيت جدتي وجدي!

أبطأ أبي سرعة السيارة، ثم انعطف في طريق مفروشة بحجارة صغيرة. كانت الطريق تمر من أمام بيت الجيران أولًا، ثم تدخل بوابة فناء بيت جدي الذي فيه سقيفة إلى جهة اليمين في آخر المنحدر الحاد، عند باب البيت. فتحتُ الباب قبل أن تتوقّف السيارة تقريبًا، وقفزت منها. رأيت جدي في الناحية الأخرى من الفناء الكبير المسوّر. كان واقفًا عند خلايا النحل، مرتديًا ملابس النحّالين. وحركاته كلّها بطيئة، بما في ذلك حركة يده عندما رفعها تحية لنا. بدا كأنه مغمور بالماء، أو كأنه على كوكب غريب له جاذبية أرضية مختلفة. رفعت يدي ولوّحت له. ثم جريت إلى البيت، كانت جدتي في المطبخ.

قلت لها: «كدنا نصطدم بسيارة أخرى على جبل فيكافيلت! كنا صاعدين هكذا...» رحت أمثّل صعودنا بحركة يديّ على مفرش الطاولة الأصفر بينما وقفت جدتي مبتسمة ونظرت إليّ بعينيها الداكنتين الدافئتين... «ثم أتت سيارة تجر خلفها مقطورة. هكذا أتت...».

قالت جدتي: «يسرني أنكم وصلتم سالمين». دخلت أمي باب المطبخ.

وعبر الممر رأيت أبي داخلًا يحمل أمتعتنا كلّها. أين ذهب إنغفِه؟ هل ذهب إلى جدي؟... هل ذهب إليه على الرغم من النحل الثائر هناك؟

اندفعت خارجًا من البيت. لا، ليس كذلك! كان إنغفِه يساعد أبي في إفراغ صندوق السيارة. رأيت أن جدي لا يزال هناك ببدلته البيضاء التي تشبه بدلات رواد الفضاء. كان يرفع الإطارات من الخلية بصبر لا نهاية له. غربت الشمس عن مزرعته الصغيرة، لكنها لا تزال تضيء أشجار الصنوبر التي على المنحدر من خلف البركة. هبّت على البيت ريح خفيفة فداعبت قمم الأشجار من فوقي. أتى خالي كيارتان خارجًا من حظيرة الأبقار يرتدي أوفرولًا وجزمة. شعر أسود طويل، ونظارة مربعة.

توقف عند السيارة وقال: «مساء الخير».

قال أبي: «أوه، مرحبًا يا كيارتان».

«هل كانت رحلة طيبة؟».

«أجل، كانت حسنة».

مكتبة
t.me/t_pdf

كان كيارتان أصغر من أمي بعشر سنين، أي إنه كان في أوائل العشرينيات في ذلك الصيف. كان في مظهره شيء صارم يكاد يكون غاضبًا. كنت أخشاه على الرغم من أنني لم أختبر غضبه أبدًا. إنه الوحيد الباقي في البيت لدى جدي وجدتي: تعيش شيلوْغ في كريستيانساند مع زوجها ماغنِه وطفليهما، يون أولاف وآن كريستين؛ وسوف يأتون إلى هنا عما قريب. وأما إنغون، الأخت الصغرى، فقد كانت طالبة تعيش في أوسلو مع مارْد وابنتهما أونغفيلد التي لا يزال عمرها سنتين فقط. كانت المشاجرات بين كيارتان وجدتي كثيرة؛ وقد استنتجت من ذلك أنه لم يكن مثلما تريد أن يكون ابنها الوحيد. كان من المنتظر أن يتولّى أمر المزرعة الصغيرة عندما يحين وقت ذلك. وهو الآن يتلقّى تدريبًا لكي يصير عامل سباكة على السفن؛ كما يخطط للعمل في حوض سفن في مكان ما من مقاطعتهم، أو في هوردالاند. لكن أهم أمر في ما يتعلق بكيارتان، الأمر الذي يرد ذكره كثيرًا عندما يجري الحديث عنه، فهو أنه شيوعي. كان شيوعيًا شديد الحماسة. وعند مناقشة

الشؤون السياسية مع أمي وأبي (هذا ما كان دائم الرغبة فيه عندما يأتيان زائرَين)، يصل الحديث دائمًا إلى تلك النقطة لسبب من الأسباب، وتتقد نارًا عيناه الخجولتان «المتهرّبتان» عادة. وعندما يرد ذكر كيارتان في بيتنا، غالبًا ما يكون أبي ميالًا إلى السخرية منه -لكي يغيظ أمي التي لم تكن شيوعية بكل معنى الكلمة-، لكنها على خلاف مع أبي في معظم الأمور المتعلّقة بالسياسة. كان أبي معلّمًا، وكان يصوّت لحزب «فينستْره»، حزب الوسط.

قال كيارتان: «من الأفضل أن أخلع هذه الملابس وأذهب لكي أستحمّ لكي لا تفوح مني رائحة الأبقار عندما أجلس في هذه الصحبة الطيبة. أظن أن طعامكم جاهز هناك».

على الرغم من وقوفنا خارج البيت، فقد كنت قادرًا على سماع صرير السلم تحت وقع خطواته وهو صاعد إلى الحمام الواقع في الطابق الأول. كم تصرُّ السلالم هناك!

كان ما قاله صحيحًا: وجدنا الطاولة مُعدَّة من أجلنا في غرفة المعيشة. كدسٌ من الفطائر الحلوة، لا تزال حارة، وإلى جانبها كدس من الفطائر المخبوزة على الصاج مع مجموعة من الإضافات المختلفة التي توضع عليها. كان هناك خبز أيضًا. رأيت أمي تنتقل بين المطبخ وغرفة المعيشة تحمل أطباقًا جديدة. صحيح أنها تركت هذا البيت عندما كانت في السادسة عشرة، ثم تزوّجت أبي وأنجبت إنغفِه عندما كان عمرها عشرين عامًا، وعاشت ضمن أسرتها الخاصّة منذ ذلك الوقت، فهي لا تزال قادرة على الاندماج هنا من غير أي جهد منذ لحظة وصولها. بل إن طريقة كلامها تتغير أيضًا وتصير أقرب إلى طريقة كلام جدّي وجدّتي. إلا أن الأمر كان مختلفًا بالنسبة إلى أبي: يضيع دائمًا في خلفية المشهد. يتحدّث مع جدي الذي يحب الكلام، ويجد قصّة يرويها في كل مناسبة، قصّة من تجاربه الخاصة غالبًا، فيكون هناك شيء رسمي في هيئة أبي يجعله يبدو غريبًا جدًا... لكني كنت أعرف ذلك الشيء. إنه الحالة التي يكون عليها عندما يتحدّث مع زملائه ومع أهالي

الأطفال الآخرين. لم يكن جدّي مهذّبًا على ذلك النحو، بل كان على طبيعته تمامًا؛ فلماذا يجلس أبي معه ويومئ له برأسه، ويقول، أوه نعم، فهمت، بالفعل، هممم، همم؟ أمي مختلفة هنا أيضًا، فهي تضحك أكثر وتتكلّم أكثر فيكون ذلك مزية إضافية لها، إن لم أقل إنه مزية ضخمة: يظلّ أبي في خلفية الصورة، وتصير أمي أكثر حيوية، ولا تعود هناك قواعد ينبغي التقيّد بها في هذا البيت. فخلافًا لما هو الوضع في بيتنا، نستطيع هنا فعل كل ما نريد فعله. إذا أوقع أحدنا كأس حليب، فهذه ليست كارثة لأن جدّتي وجدتي يفهمان أن الحوادث يمكن أن تقع. بل كان مسموحًا لنا أيضًا أن نضع أقدامنا على الطاولة (إذا لم يكن أبي في الغرفة آنذاك، بالطبع)؛ وكنا نستطيع الجلوس على الأريكة البنية ذات الخطوط البرتقالية والبيج، فتكون جلستنا مسترخية بقدر ما نريد؛ بل نستطيع أيضًا أن نستلقي عليها إن أحببنا. وكل ما كانوا يقوموا به من أعمال، كنا نقوم به أيضًا، وإن على نطاق أضيق. لم نكن غير مرغوب فينا! على العكس من هذا، فقد كان متوقّعًا منا أن نمد يد المساعدة قدر ما نستطيع. جمع القشّ المحصود من الحقل ووضعه على مصطبة التجفيف، وجمع البيض، وجرف روث الأبقار إلى القبو، وإعداد الطاولة من أجل وجبات الطعام، وقطف ثمار الكشمش الأحمر والكشمش الأسود وعنب الثعلب عندما تنضج. كانت الأبواب هنا مفتوحة؛ والناس يدخلون من غير قرعها. يصيحون من الممر، ثم يظهرون فجأة في غرفة المعيشة ويتصرّفون كأنهم في بيوتهم، فيشربون القهوة مع جدّي الذي لا يمانع في ذلك أبدًا بل يبدأ الثرثرة معهم كأن الحديث كان جاريًا من قبل ولم يتوقّف إلا لحظات معدودة. كان هؤلاء الناس الذين يأتون غريبين؛ وكان من بينهم واحد ذو غرابة خاصّة: رجل كبير البطن، متّسخ الملابس، رائحته مزعجة قليلًا، وله صوت مرتفع يستخدمه منذ بداية الطريق الصاعدة إلى البيت وهو قادم على دراجته كل مساء. كانت لكنته ثقيلة جدًا فلا أستطيع فهم نصف كلامه. يُشرق وجه جدي عندما يأتي هذا الرجل؛ لكنّي لا أعرف إن كان يشرق لأنه يحبه كثيرًا؛ وذلك لأن وجه جدي يشرق دائمًا كلما أتاه أحد. كنت واثقًا من أنه

يحبنا، لكني أشك في أن هذه الفكرة يمكن أن تكون قد خطرت على ذهنه؛ فنحن موجودان، وهذا كافٍ بالنسبة إليه. إلا أن الأمر كان مختلفًا من ناحية جدتي؛ وكان ذلك واضحًا، على الأقل، من الاهتمام الذي تبديه كلّما تكلّمنا.

وقفت أمي تنظر إلى الطاولة. لعلها كانت تتحقّق من أن كل شيء صار جاهزًا. أنزلت جدتي وعاء القهوة عن الموقد في المطبخ فأطلق تنهيدة صغيرة وصمت بعد أن كان صوت صفارته يعلو من غير انقطاع. وضع أبي الأمتعة في الغرفة التي فوق رؤوسنا. دخل جدي الممر بعد أن علّق بدلة النحل في القبو.

قال عندما رآنا: «أرى أن شعب النرويج يشهد زيادة كبيرة في العدد». أتى وربت على رأسي كأنه يربت على رأس كلب. ثم ربت على رأس إنغفِه أيضًا، وجلس بينما أتت جدتي من المطبخ تحمل وعاء القهوة، وأتى كل من أبي وكيارتان نازلين السلم.

كان جدي قصير القامة. وكان وجهه مدورًا. كان أصلع الرأس باستثناء إكليل ضيق من شعر أبيض. غالبًا ما تكون زاويتا فمه ملطّختين بعصارة التبغ. كانت عيناه تبدوان حادّتين من خلف نظارته، لكنّهما تشهدان تغيرًا تامًّا عند نزعها، فتبدوان أشبه بطفلين صغيرين استيقظا من النوم قبل لحظات.

وضع شريحة خبز في طبقه، وقال: «الظاهر أنني وصلت في اللحظة المناسبة تمامًا».

قالت أمي: «سمعناك آتيًا عندما كنت في القبو. هذا يعني أن الأمر لا علاقة له بحسن الحظ».

ثم التفتت إليّ وقالت: «هل تتذكر عندما سمعنا صوتك في الممر قبل عشر دقائق من وصولك إلى البيت؟».

أومأت برأسي. كان أبي وكيارتان جالسين إلى الطاولة في كرسيين متقابلين. بدأت جدّتي تسكب القهوة في الفناجين.

راح جدي يبسِط الزبدة على قطعة الخبز بسكينه. رفع رأسه وقال: «كيف سمعتم صوته قبل أن يصل؟».

قالت أمي: «نعم، أمر غريب، أليس كذلك؟».
قال جدّي: «هذا فاردوغر، أليس كذلك؟ شيء مثل الملاك الحارس. يعني هذا أن عمرك سيكون طويلًا».
قالت أمي ضاحكة: «أهذا ما يعنيه؟».
أجابها جدّي: «أجل».
قال أبي: «من المؤكّد أنك لا تصدق هذا، أليس كذلك؟».
قال جدي: «ألم تسمعاه على الرغم من عدم وجوده في البيت؟ هذا هو الأمر المتميز. أمر متميز كثيرًا ولا بد أن يكون له معنى».
قال كيارتان مخاطبًا أباه: «همم... لقد صرت مؤمنًا بالخرافات بعد أن تقدّمت بك السن، يا يوهانس».
نظرتُ إلى جدتي. كانت يداها ترتعشان. وعندما أمالت وعاء القهوة لكي تسكب منه، راح الوعاء يتحرّك صاعدًا نازلًا، وكان لا بد لها من التركيز كثيرًا حتى تفلح في توجيه تدفّق السائل من فتحة الوعاء إلى الفنجان من غير أن تنسكب القهوة خارجه. كانت أمي تنظر إليها أيضًا. أوشكتْ على النهوض؛ وأظن أنها كانت تريد أن تأخذ الوعاء لكي تسكب القهوة بدلًا منها، لكنها لم تلبث أن عادت إلى جلستها الطبيعية ومدت يدها إلى سلة الخبز. كان النظر إلى جدتي مؤلمًا لأنها بطيئة جدًا (والحقيقة أن الأمر انتهى بسقوط بضع نقاط من القهوة على الصحفة التي تحت الفنجان)، لكنه كان مؤلمًا أيضًا لأنها غير قادرة على أداء مهمة بسيطة إلى هذا الحد مع أنها شخص كبير... غير قادرة على أن تسكب القهوة من غير يسقط منها شيء خارج الفنجان. كانت رؤية شخص ترتجف يداه من غير انقطاع أمرًا غريبًا، فقد بدا لي كأن لتلك اليدين عقلهما الخاص بهما فلم أعد قادرًا على منع نفسي من النظر إليها.
وضعت أمي يدها على يدي وقالت لي: «ألا تحب أن تأكل فطيرة؟».
أومأت برأسي. تناولت فطيرة ووضعتها في طبقي. بسطت على الفطيرة طبقة كثيفة من الزبدة، ثم نثرت السكر فوقها. رفعت أمي إبريق الحليب

وملأت كأسي. لقد جاء الحليب من حظيرة الأبقار قبل قليل. كان دافئًا؛ وكان لونه مصفرًّا، وفيه كتل صغيرة طافية. نظرتُ إلى أمي. لماذا ملأت كأسي؟ لم أكن قادرًا على شرب ذلك الحليب، فهو مقزّز: إنه آتٍ من البقرة مباشرة... لا من أية بقرة، بل من تلك البقرة الواقفة في الخارج، البقرة نفسها التي تبول وتروث!

أكلت الفطيرة، ووضعت فطيرة أخرى في طبقي في حين كان أبي يطرح على جدي أسئلة، فيجيبه جدي متمهّلًا. أطلق كيارتان زفرة أقوى صوتًا مما يمكن أن يطلقه عندما يكون وحده. إما أن يكون قد سمع هذه القصص من قبل، أو أنه غير راضٍ عما يسمعه.

قال أبي: «كنا نفكّر في الصعود إلى جبل ليهستن هذه السنة».

قال جدّي: «هل هذا صحيح؟ نعم، إنها فكرة جيدة. نعم، المكان جميل هناك. يمكنك أن ترى سبع أبرشيات عندما تصعد إلى القمة».

قال أبي: «نحن في شوق إلى تلك الرحلة». كانت أمي وجدّتي تتحدّثان عن شجرتين جاءتا بهما من ترومويا السنة الماضية وزرعتاهما هنا.

قرّرت أن أذهب حتى ألقي نظرة على الشجرتين.

نظر إليّ أبي نظرة جعلتني أتسمّر في مكاني.

قال لي: «ألن تشرب حليبك، يا كارل أوفِه؟ تعرف أنه آتٍ من البقرة مباشرة، لن تستطيع الحصول على حليب مثله في أي مكان».

قلت له: «أعرف».

لكني لم آتِ بأية حركة لشرب الحليب. نظر أبي في عينيّ وقال: «اشرب الحليب، يا ولد».

قلت له: «لكنه دافئ. وفيه كتل صغيرة».

قال أبي: «أنت توجّه إهانة إلى جدّك وجدّتك. عليك أن تأكل وتشرب ما يُقدَّم إليك. هذا ما عليك فعله».

قال كيارتان: «الصبي معتاد على الحليب المبستر. يشربه من علبة في البراد. إنهم يبيعون حليبًا مبسترًا في المتجر الذي هنا. وبالطبع، يمكنه أن

يحصل على شيء من ذلك الحليب! يمكننا أن نشتريه غدًا. لم يعتد شرب الحليب الآتي من البقرة مباشرة».

قال أبي: «يبدو لي أنّ لا حاجة إلى هذا. الحليب هنا جيّد مثله مثل ذلك الحليب، إن لم يكن أفضل منه. أمر لا معنى له أن نشتري له حليبًا لمجرد أنه ولد مدلل».

قال كيارتان: «أنا نفسي أفضل الحليب المبستر. وأنا متّفق مع ابنك من كل قلبي».

قال أبي: «جيّد... أنت تقف في صف المستضعفين كعادتك. لكن الأمر هنا متعلّق بالأدب».

ابتسم كيارتان ونظر إلى الطاولة. رفعت الكأس إلى فمي وكففت عن التنفس من أنفي، ثم حاولت التفكير في شيء غير تلك الكتل الصغيرة البيضاء وشربت الكأس كلّها بأربع جرعات كبيرة.

قال أبي: «هل رأيت؟ إنه جيد، أليس كذلك؟».

قلت له: «صحيح».

بعد انتهاء وجبة العشاء، سألْنا إن كانوا يسمحون لنا بالذهاب في نزهة قصيرة على الرغم من تأخر الوقت. سمحوا لنا. انتعلنا أحذيتنا وانطلقنا إلى الفناء، ثم سرنا إلى الحظيرة. كانت في ذلك الغسق هشاشة معلّقة من كل ناحية من حولنا كأنها شبكة عنكبوت. كانت الأشكال سليمة؛ لكن الألوان غابت عنها، أو غدت رمادية كلها. فتح إنغفِه مزلاج باب سقيفة الأبقار ودفعه. كان الباب صعب الحركة، فاضطر إلى دفعه بثقله كلّه حتى ينفتح. كان المكان في الداخل مظلمًا. ضوء شحيح آتٍ من الفتحات الصغيرة المتّسخة فوق حجرات الأبقار جعلنا قادرين على تمييز المعالم العامة. الأبقار راقدة في حجراتها؛ تحرّكت عندما سمعتنا. أدارت واحدة رأسها ونظرت إلينا.

«مرحبًا، مرحبًا، يا بقرات».

الجو في الداخل لطيفًا ودافئًا. كان هناك عجل صغير معزول في شيء يشبه القفص إلى الناحية الأخرى من مجرى الفضلات؛ وكان يتحرّك في

قفصه. انحنينا في اتجاهه، فنظر إلينا بعينين مذعورتين. ربَّت إنغفِه عليه وقال له: «مرحبًا، مرحبًا أيها العجل الصغير».

الباب والجدران والأرض والنوافذ بدت منتفخة كلها بسبب الرطوبة، كأنها كانت غارقة في وقت من الأوقات ثم برزت الآن من الماء.

فتح إنغفِه باب المخزن. دخلنا وتسلّقنا حزم التبن وصعدنا حتى جسر السقف، ثم فتحنا باب قن الدجاج الصغير. كانت أرض القن مفروشة بنشارة الخشب وريش الدجاج. وكانت الدجاجات جالسة على مجاثمها من غير حركة، ناظرة أمامها.

قال إنغفِه: «لا يبدو لي أن هناك أيَّ بيض. هل نصعد ونلقي نظرة على حيوانات المِنك أيضًا؟».

أومأت برأسي. عندما فتح الباب المؤدي إلى حيث هي، قفزت قطّة بيضاء ومرَّت من جانبنا كالسّهم، ثم اختفت تحت الجسر. نزلنا وناديناها، فقد كنا نعرف أنها اختبأت في مكان هناك؛ لكننا لم نلبث أن تخلينا عن تلك المحاولة، وعدنا لرؤية حيوانات المِنك الثلاثة في كوخها الواقع في أقصى الناحية الغربية من الأرض، عند حافة الغابة تمامًا. كانت الرائحة اللاذعة التي لاقتنا عندما اقتربنا غير محتمَلة تقريبًا فبدأت أتنفس عبر فمي.

كانت هناك حركة وأصوات في الأقفاص الثلاثة عندما اقتربنا وصرنا أمامها.

لم يكن ذلك أمرًا جميلًا أبدًا!

المكان هنا أكثر ظلمة نتيجة قربه من الغابة. كانت مخالب تلك الحيوانات تقعقع على قضبان الأقفاص المعدنية وهي تتقدّم وتتراجع داخلها. اقتربنا من واحد منها. انكمش الحيوان الأسود على نفسه وتراجع إلى أقصى ما استطاعه، ثم أدار رأسه صوبنا وأصدر هسيسًا. لمعت أسنانه في الظلمة. كانت عيناه سوداوين كأنهما حجران أسودان. بعد عشرين دقيقة من ذلك، كنت راقدًا في سريري في غرفتنا في الطابق الأول إلى جوار إنغفِه الذي كان يضع رأسه على الوسادة في الجهة الأخرى، يقرأ في مجلة من مجلات كرة

القدم. وجدت نفسي غير قادر على التفكير إلا في تلك الحيوانات. كنت أفكّر في حركتها طيلة الليل جيئة وذهابًا في أقفاصها ونحن نائمون. وفجأة، علت أصوات في غرفة المعيشة الواقعة تحتنا. إنهما أبي وأمي يتحدّثان مع كيارتان. لا تعني الأصوات المرتفعة أن شيئًا مقلقًا يجري في الأسفل؛ بل على العكس من ذلك: هناك شيء مطمئن في تلك الأصوات. كانت أصواتًا تطالب بشيء تريده، وكانت تريد ذلك الشيء إلى درجة لا تسمح بالاكتفاء بالهمس أو بالغمغمة، شيء لا بد من الصياح من أجله.

أتى جدّي صباح اليوم التالي وسألنا إن كنا راغبين في مساعدته في رفع شباك الصيد التي وضعها في البحر. كنا راغبين في ذلك. سرنا خلفه بعد بضع دقائق نازلين في الدربِ المؤدية إلى الفيورد حاملين بيننا دلوًا أبيض اللون.

كان الزورق مربوطًا إلى عوامة حمراء في الماء. وكان الضباب كثيفًا إلى حد جعله يبدو محوِّمًا في الهواء. جذب جدي الزورق إلى الشاطئ فوثبنا إليه. دفع القاع بمجذاف فابتعد القارب عن الشاطئ، ثم جلس إنغفِه على مقعد المجذِّف وبدأ يحرك المجذافين فسار الزورق بنا. جلس جدي في مؤخرة الزورق. كان يعطي توجيهاته لإنغفِه عندما يكون ذلك ضروريًا. جلست أنظر إلى الضباب. كان جبل ليهستن الواقع إلى الناحية الأخرى شبه غائب عن النظر، ولم يكن ظاهرًا إلا على هيئة شيء صلب رمادي اللون وسط ذلك السديم الضبابي.

قال جدي: «ليس من المألوف كثيرًا أن يظهر ضباب هنا، في هذا الوقت من السنة خاصّة».

سأل إنغفِه: «هل تسلّقت قمة ليهستن في يوم من الأيام، يا جدّي؟».

قال جدي: «آه، أجل. بالتأكيد. صعدت إلى قمة الجبل مرات كثيرة. لكن آخر مرة كانت منذ عدد غير قليل من السنين».

كان جدي جالسًا ينظر إلى الأمام وقد وضع يديه على فخذيه. تابع كلامه: «ذهبنا مرة وتسلقنا الجبل في مهمة إنقاذ. كانت تلك أول حادثة تحطم طائرة في النرويج، أوّل حادثة حقيقية. هل سمعتم بها؟».

قال إنغفِه: «لا».

«كان الضباب كثيفًا مثلما هو في هذا اليوم. وقد اصطدمت الطائرة بالجبل اصطدامًا مباشرًا. سمعنا صوت ذلك الاصطدام، لكننا لم نعرف حقيقة الأمر. ثم أعلن عن اختفاء تلك الطائرة، وكان المسؤول عن الشرطة هنا في حاجة إلى رجال للصعود إلى الجبل معه. وهكذا، فقد ذهبت».

قلت: «هل عثرتم على الطائرة؟».

«أجل، لكن أحدًا لم ينجُ. رأيت رأس قائد الطائرة؛ وكان ذلك منظرًا لن أنساه أبدًا. كان شعره سليمًا، ممشطًا إلى الخلف!... ليست فيه خصلة مشعّثة واحدة! نعم... لن أستطيع نسيان ذلك أبدًا».

قال إنغفِه: «أين حصل اصطدام الطائرة؟ هل اصطدمت بصفحة الجبل؟».

«لا. لا نستطيع رؤية مكان الاصطدام من هنا. لكن هناك قمة في الهضبة التي فوق الجبل. اصطدمت الطائرة بها. كان علينا تسلّق الصخور حتى نصل إلى حطامها. صعدنا بشقّ الأنفُس». كانت عينا إنغفِه متقلصتين فظننته يحاول أن يستنتج موقع «شقّ الأنفُس» في الجبل!

قال جدي: «ها قد وصلنا، نعم. أنت ماهر في التجذيف، يا إنغفِه! حسنًا، لقد كان تحطم الطائرة قصة كبيرة في ذلك الوقت. كتبت الصحف كلّها عن ذلك، وكان هناك كلام كثير عنه في الراديو».

صارت عوّامة الشبكة ظاهرة أمامنا، وصار لونها الأحمر واضحًا وسط الضباب الرمادي.

قال جدي: «من فضلك، أمسك بها، يا كارل أوفِه!». كانت ضربات قلبي عنيفة عندما انحنيت وأحطتها بيديَّ الاثنتين. لكنّ العوّامة الزلقة أفلتت من يدي على الفور.

قال جدّي: «ضع يديك تحتها! فلنحاول مرة ثانية! جذّف قليلًا إلى الخلف، يا إنغفِه. ها هي، نعم».

نجحت هذه المرة في رفع العوامة إلى الزورق. رفع إنغفِه المجذافين.

وبدأ جدي يجذب الشبكة. في البداية، ظهرت الأسماك كأنها أنوار صغيرة تلمع في مكان عميق في المياه السوداء، ثم كبر حجمها وازدادت وضوحًا إلى أن صارت عند حافة الزورق. كانت تتلوّى داخل الشبكة. أسماك نظيفة لامعة على ظهورها خطوط زرقاء أو بنية ضاربة إلى الرمادي... عيونها الصفراء، وأفواهها الحمراء الشاحبة، وزعانفها، وذيولها التي تبدو حادة كالشفرات. أمسكت واحدة منها فتلوّت بقوة كبيرة وأفلتت من يدي، وكان صعبًا تخيّل أنها هي نفسها السمكة التي صارت راقدة من غير حركة على الألواح الخشبية عند قدمي في اللحظة التي تلت ذلك على الفور.

وبصبر شديد، جلس جدّي يخلّص الأسماك كلها من الشبكة ويرميها في الدلو. عشرون سمكة أكثرها من أسماك السيث، لكن فيها أيضًا بضع سمكات قدّ وبولوك، وسمكتا ماكريل.

بدأ إنغفِه يجذّف عائدًا بنا إلى الشاطئ، فسمعت فجأة صوتًا خفيضًا كأنه صوت رشاش ماء. كان صوتًا يشبه الصوت الصادر عن يخت يسير مسرعًا. استدرت ناحية الصوت. على مسافة لعلّها ثلاثون مترًا منا، استطعت تمييز زعانف ظهرية داكنة اللون متحركة في الماء.

أصابني الذعر.

رفع إنغفِه المجذافين وقال: «ما هذا؟ إنه هناك».

قال جدي: «أين؟ أوه، هذه دلافين. إنها هنا منذ بضعة أيام. لا تأتي إلى هذا المكان كثيرًا لكن وجودها ليس غريبًا. انظروا إليها جيدًا، من المعروف أن رؤية الدلافين فأل حسن».

سألته: «هل هي فأل حسن؟».

أجابني: «أوه، بالطبع».

استخرج جدّي أحشاء الأسماك ونظّفها في المغسلة التي في قبو البيت الشبيه بالكهف، لا في غرفة من الغرف التي في الأعلى. غالبًا ما تكون أرض القبو رطبة وزلقة. سقف شديد الانخفاض لا يستطيع أبي أن يقف فيه منتصب القامة. لم تكن هذه مشكلة لدى جدي لأنه كان قصيرًا – وكانت

الرفوف التي على الجدران مزدحمة بأشياء وأدوات من أنواع مختلفة تراكمت هناك على مرّ السنين. فرغ جدّي من تنظيف الأسماك التي كانت حيّة تتلوّى في الماء قبل ساعات قليلة فقط، وصارت الآن موضوعة في الفريزر ضمن أكياس من النايلون. وقفنا معه على العشب عند السقيفة، تحت المطر، وساعدناه في تنظيف الشبكة إلى أن نادتنا أمي لتناول الطعام.

عادة ما يأخذون قيلولة بعد الأكل؛ لكن أبي الذي صار نافد الصبر بعد يوم واحد فقط وقف في الممر وأشار إليّ.

قال لي: «تعال نذهب في نزهة».

انتعلت حذائي وسترتي الواقية من المطر، ثم سرت خلفه بين الحقول. كانت خطواته واسعة، وبدا كأنه يدرس المنطقة المحيطة بنظرات بانورامية من عينيه. كان الضباب معلّقًا فوق غابة الصنوبر التي أمامنا. وبدا سطح البحيرة اللامع أسود اللون من بين جذوع الأشجار. أتى جرّارٌ زراعي نازلًا عبر الجهة الأخرى من الطريق.

قال أبي: «هل أنت مستمتع بوجودنا هنا؟».

أجبته: «أج.. جل». لكني كنت غير واثق من الوجهة التي سيتخذها حديثه بعد ذلك.

توقّف أبي وقال: «هل تستطيع تخيّل أن نعيش هنا؟».

«أجل».

«قد تصير هذه المزرعة لنا في يوم من الأيام فهل يعجبك هذا؟».

«... ونعيش هنا؟».

«أجل. عندما يأتي الوقت، سيكون هذا احتمالًا حقيقيًا».

كنت أظن أن كيارتان سيتولّى أمر المزرعة. لكني لم أقل هذا لأن من شأنه أن يفسد على أبي تلك اللحظة الرائعة.

تابع أبي السير بخطواته الواسعة، وقال: «هيا، فلنلق نظرة على الجوار».

نعيش هنا!؟

أوه، هذه فكرة جديدة بالتأكيد. كان أمرًا مستحيلًا أن أتصور حياة أبي هنا، في هذا البيت... أن يعيش هنا محاطًا بهذه الأشياء كلّها. أبي يجفّف القش؟ أبي يحصد القش ويضعه في المخزن؟ أبي ينثر روث الأبقار في الحقول؟ أبي يجلس على ذلك الكرسي في غرفة المعيشة مصغيًا إلى نشرة الأحوال الجوية؟

مع أن التاريخ لم يكن موجودًا بالنسبة إليّ عندما ذهبت إلى ذلك المكان في طفولتي، ومع أن كلّ شيء هناك كان ينتمي إلى اللحظة الراهنة وحدها، فأنا لا أزال قادرًا على الإحساس بحضوره. لقد عاش جدّي هناك طيلة عمره؛ وبطريقة أو بأخرى، كان لهذا أثر كبير على صورته التي تشكّلت في ذهني. لكن، إن كانت هناك صورة واحدة، أو فكرة واحدة، تجسّد جدي فهي ليست كل ما فعله في حياته (لم أكن أعرف عن ذلك إلا قليلًا جدًا؛ ولم يكن لدي شيء أقارن به ذلك القدر القليل الذي عرفته)، لا، فالشيء الوحيد الذي كان تجسيدًا لجدّي هو ذلك الجرّار الصغير ذو المحرّك ثنائي الشوط الذي كان يستخدمه في أغراض كثيرة. في ذهني، كان ذلك الجرار جوهر جدّي. كان جرّارًا أحمر اللون، صدئًا قليلًا. كان جرارًا لا بد من تشغيل محرّكه باليد؛ وكانت له عصا سرعة صغيرة على شكل عمود في قمّته كرة سوداء؛ ورافعة من إحدى الجهتين ودواسة من الجهة الأخرى. كان يستخدم ذلك الجرار للتنقل، ويسير خلفه عندما يُركّب عليه قطعة إضافية تشبه مقصًا عملاقًا مثبتًا في مقدمة الجرار لكي يقص العشب الذي في طريقه. كان يستخدمه أيضًا لنقل الأشياء الثقيلة فيربط إليه مقطورة عليها مقعد أخضر اللون يجلس عليه ويوجّه الجرار الذي يتحوّل فجأة إلى عربة تشبه شاحنة.

قليلة هي الأشياء التي كنت أضعها في مرتبة أعلى من وجودي معه في تلك اللحظات عندما أجلس في الخلف ويسير بنا الجرار مقعقعًا في اتجاه المتجرين الوحيدين الموجودَيْن في فاغن، على سبيل المثال، حيث يشتري جدّي زجاجات حمض الفورميك، أو أكياس العلف أو السماد المصنّع. كانت عربة شديدة البطء يستطيع المرء أن يمشي إلى جانبها؛ لكن هذا أمر لا

أهمية له لأن السرعة لم تكن موضع اهتمامي أبدًا. إلا أن كل ما عدا السرعة كان مهمًّا: صوت المحرك، والدخان المنبعث منه (دخان رائحته حسنة جدًا)... دخان يتطاير في الطريق ونحن سائرون... وشعوري بالحرية في تلك المقطورة لأنني أستطيع أن أميل إلى هذا الجانب أو ذاك، وأرى كل شيء من حولي أثناء سيرنا بما في ذلك قامة جدي الصغيرة أمامي، وقبعته المدبَّبة. كان هناك أيضًا النزول عند المتجر حيث يرسو المركب القادم من بيرغن، وحيث أستطيع التجوّل في أنحاء المكان مع آيس كريم في يدي، أكثر الأحيان، في حين يكون جدّي منهمكًا في فعل ما أتى من أجل فعله.

كانت لديهم أيضًا عربة يدوية ذات عجلتين يستخدمونها عندما يريدون نقل أشياء ثقيلة لمسافات قصيرة، كأوعية الحليب التي يدحرجونها على العربة إلى «منصّة الحليب» عند الطريق، حيث تأخذها سيارة جمع الحليب من ذلك المكان. كانت تلك العربة مصنوعة من الحديد؛ وكانت عجلتاها كبيرتين مثل عجلتي دراجة. كانت لديهم أشياء غير موجودة في بيت أحد آخر: مناجل، ثلاثة منها كبيرة لها مقابض خشبية، واثنان صغيران لا بد للمرء من الانحناء عند استخدامهما. وكذلك حجر الشحذ الكبير أمام السقيفة حيث يشحذ جدي تلك المناجل؛ والمذاري بشعبِها النحيلة الطويلة الثلاث. المجارف المسطّحة الثقيلة المستخدمة في قذف روث الأبقار إلى القبو الذي كان قائمًا تحت فتحة في الأرض داخل الحظيرة. السياج الكهربائي الذي خدعني إنغفِه ذات مرة وجعلني أبوّل عليه... كانت تلك المرة الأولى والأخيرة! كانت لديهم أيضًا مصاطب لتجفيف الأعشاب، تلك المخلوقات الغريبة المتطاولة الخجول التي يراها المرء منتصبة في المزارع كلّها مثل متسوّلين ينتظرون إحسانًا... إلا إذا رأيتها من مسافة بعيدة أو في الظلام، فهي تبدو في تلك الحالة شبيهة بوحدات عسكرية مصطفة قد استعدت للمعركة. الصاج المدوّر الكبير الذي تخبز عليه جدّتي الفطائر. وقالب الوافل الأسود. والمناخل، والأدوات المعدنية التي تستخدمها جدّتي لتصفية الحليب؛ بل حتى أوعية الحليب نفسها ذات

الأجسام المنتفخة والتي لا رؤوس لها... وكيف تتصاعد منها أصوات غمغمة وخرخرة إلى أن تمتلئ حليبًا فتسكت الأصوات كلّها؛ وكيف يضعونها على العربة ويدحرجونها نزولًا حتى الطريق، ويصفّونها جنبًا إلى جنب فتصير فجأة أشياء محترمة وقورة - تصير كذلك إذا لم يبدأ أحدها ترنحه المرح أمامًا وخلفًا كلما قفزت عجلة العربة على حجر أو حفرة في الطريق. وأيضًا، أوه... جدي واقف عند حظيرة الأبقار بعد ظهر كل يوم يغني لأبقاره الجالسة فيها.

كان يقول لها: «تعالي، تعالي، يا بقراتي! تعالي، يا، يا! تعالي، يا، يا!»

كيف أستطيع إخبار أصدقائي بهذا كله عندما أعود، عندما يسألونني أين كنا، وماذا فعلنا في العطلة؟ كان هذا مستحيلًا؛ وكان من المفترض أن يظلّ مستحيلًا... إن بين العالمين جدارًا فاصلًا مثل سور الصين، بين عقلي وبين العالم الموجود خارجه.

ما كان غير مألوف صار مألوفًا بعد أسبوعين أمضيناهما هناك. أما بيتنا فقد صار غير مألوف بعد يوم طويل من السفر بالسيارة، أو لعله اقترب من دائرة الأشياء غير المألوفة! فمع انحدارنا في الطريق بعد جسر ترومويا وانعطافنا صوب الدرب الأخيرة المؤدّية إلى بيتنا... بيتنا بإطارات نوافذه الحمراء، المحاط بمرج بدأ يجف ويذوي تحت الشمس؛ والنوافذ الداكنة الناظرة إلينا بعيونها الحزينة... شعرت كأنني أعرفه، وكأنني لا أعرفه، فكل ما تراه عيناي هنا مألوف لديهما، لكنه يقاوم تلك الألفة قليلًا مثلما يقاوم القدمين قليلًا حذاء يستخدمه المرء أول مرة. تلك العيون هناك، ناطقةً بقلّة الاستخدام، رافضة أن تتأقلم مع ما صار محيطًا بها ومصرّة على هويتها المتميّزة، إلى أن تزول تلك المقاومة بعد بضعة أسابيع، وتعود العيون عيونًا من جملة عيون كثيرة. اكتست منطقتنا السكنية كلّها شيئًا من هذا الإحساس بالجِدّة عند وصولنا؛ فكأنها اضطربت -إن جاز القول- ولم تعد إلى هدوئها إلا بعد أيام.

أوقف أبي السيارة وأطفأ محرّكها. كان قط صغير أبيض نائمًا في حضن أمي. لقد ماءَ كثيرًا في قفصه طيلة الصباح. وعندما سُمح له بالخروج آخر الأمر، راح يجري على المقعد وعلى الرف الذي تحت زجاج السيارة الخلفي إلى أن أمسكت به أمي ونام في حضنها أخيرًا وهدأ. كانت له عينان حمراوان تمامًا. وعلى الرغم من طول وبره وغزارته، فقد كان جسده صغيرًا جدًا من تحته. الرأس خاصة... شعرت بهذا عندما ربتُّ عليه وتحسَّست الجمجمة الصغيرة التي في يدي. لكن رقبته كانت صغيرة أيضًا؛ كانت نحيلة جدًا.

قلت: «أين سيعيش الأبيض؟».

قال أبي وهو يفتح باب السيارة ويخرج منها: «أوه، يا له من اسم».

قالت أمي: «علينا أن نخصّص له مكانًا في القبو». رفعت القط بإحدى يديها، وفتحت باب السيارة باليد الأخرى.

حرّر أبي مسند المقعد ودفعه إلى الأمام لكي أخرج إلى الأرض المفروشة بالحصى. كانت ساقايَ خدِرتين تمامًا. خرج إنغفِه من الجهة الأخرى. ثم دخلنا البيت سائرين من خلف أبي. فتح الباب، وذهب إلى غرفة الغسيل حيث ثبّت خرطوم الماء إلى الصنبور. أدخل نهاية الخرطوم الأخرى في مرشة الماء، وسار خارجًا والمرشة في يده. نزلت إلى غرفة المستودع في القبو مع أمي وإنغفِه لنضع هناك القط الذي كان لا يزال نائمًا على بطانية في سلة من القش. وضعنا إلى جانبه طبقًا عميقًا فيه ماء وطبقًا آخر فيه بضع قطع من النقانق أتينا بها من البراد. وأخيرًا، ملأنا صينية بلاستيك منخفضة الحواف رملًا ووضعناها في الزاوية.

قالت أمي: «علينا الآن أن نغلق الأبواب كلّها، عدا هذا الباب. وذلك حتى لا يهرب عندما يستيقظ من نومه».

كانت نفثات الماء الدقيقة منطلقة من المِرشَّة الدوّارة وسط المرج. وكان أبي قد حمل الأمتعة من السيارة في الأسفل. جلست في المطبخ مع إنغفِه وأمي لكي نتناول الطعام. كان ذلك يوم أحد؛ وكانت المتاجر كلّها مغلقة

فاشترت أمي، عند مرورنا بسوربوفاغ، خبزًا وزبدة ولحمًا وجبنًا. شربنا الشاي، شربتُه مع الحليب ومع ثلاث ملاعق من السكر.

على نحو مفاجئ، سمعنا مواء القط في الممر. نهضنا. نهضنا كلنا، وخرجنا. كان في أعلى السلم. رآنا فهرب إلى الأسفل من جديد. لحقنا به. نادته أمي. جرى بسرعة كبيرة ومر من بيننا، ثم صعد السلم ودخل غرفة المعيشة واختبأ فيها. أمضينا عدة دقائق في البحث عنه في الغرفة كلها، وفي مناداته، قبل أن يعثر عليه إنغفِه مختبئًا في المسافة الصغيرة الفاصلة بين خزانة الكتب والجدار. كان الوصول إليه مستحيلًا من غير تحريك الخزانة كلها.

نزلت أمي إلى الأسفل، ثم عادت تحمل وعاءَي الطعام والماء ووضعتهما عند خزانة الكتب. قالت لنا إنه سيخرج عندما يجوع أو عندما يعطش. دخلتُ غرفة المعيشة صباح اليوم التالي لكي أراه، فوجدت أنه لا يزال مختبئًا حيث كان. خرج في مساء اليوم التالي، وأكل قليلًا، ثم اختفى من جديد. ظل هناك ثلاثة أيام. خرج في آخر الأمر ولم يعد للاختباء بعد ذلك. صحيح أنه ظل فزعًا في الفترة الأولى، لكنه اعتاد وجودنا شيئًا بعد شيء، فلم يمض إلا أسبوع واحد حتى بدأ الجري هنا وهناك. صار يلعب ويقفز إلى حضن أي واحد منا ويهرّ سعيدًا كلما داعبناه. صار يقف أمام التلفزيون كل مساء ويضرب الشاشة بكفه محاولًا اصطياد كل ما يظهر عليها. كان مولعًا بكرة القدم خاصة. يتجاهل اللاعبين جميعًا وتتابع عيناه حركة الكرة أينما ذهبت ويراقبها بانتباه شديد. ومن حين لآخر، كان يقفز خلف التلفزيون باحثًا عنها.

ثم بدأت المدرسة من جديد. بدأ القط يسعل عندما استؤنفت المدرسة؛ وكان سعاله مضحكًا يجعلني أشعر بأن هناك شخصًا آخر في القبو. صارت الصباحات أكثر برودة يومًا بعد يوم. وكان ذلك التغيّر بطيئًا لا يكاد المرء يحسّه، إلى أن استيقظنا ذات يوم فوجدنا طبقة جليد زجاجية لامعة رقيقة على سطوح برك الماء في الطريق. ذاب ذلك الجليد بعد بضع ساعات، لكن الخريف صار على الأبواب. تحوّل لون أوراق الأشجار على التلة

خلف البيت فصارت صفراء وحمراء وبدأت تتساقط من أغصانها كالمطر كلما هبت الريح. كانت أمي مريضة في فراشها عندما خرجتُ من البيت في الصباح وعدت بعد بضع ساعات. ذهبت لأراها فكانت لا تكاد تقوى على رفع رأسها عن الوسادة. سقط «الأبيض» مريضًا في الوقت نفسه: كان يسعل وهو جاثم في سلته. لم يفارقني التفكير فيه طيلة وجودي في المدرسة؛ وعندما عدت إلى البيت، كان الذهاب إلى غرفة المستودع في القبو أول شيء فعلته. ليت حالته تتحسّن سريعًا. لكن ما حدث كان عكس ذلك فقد تدهورت صحته. لم أجده في سلته عندما ذهبت لرؤيته ذات يوم. كان في زاوية الغرفة، على الأرض الإسمنتية يتمايل مرتجفًا ويتنفس بصعوبة شديدة. وضعت يدي عليه، لكنه ظلّ يرتعش.

صرخت: «ماما! ماما! إنه يموت! إنه يموت!».

طرت صاعدًا إلى الطابق العلوي وفتحت باب غرفتها بعنف. استدارت صوبي بحركة ناعسة، وابتسمت لي.

صحت: «عليك أن تتصلي بطبيب بيطري. اتصلي الآن! الأمر ملحّ!».

جلست أمي في فراشها. كانت خائرة القوى.

قالت لي: «ماذا يجري؟».

«الأبيض يموت! إنه يترنّح ويرتعش على الأرض. إنه يتألم كثيرًا! عليك أن تتصلي بطبيب بيطري من أجله. اتصلي فورًا!».

قالت أمي: «لكننا لا نستطيع الاتصال، يا كارل أوفِه. لا أظن أن هناك ما يمكن أن يفيده. وأنت ترى أنني مريضة و...».

صرخت: «عليك أن تتصلي الآن. ماما، ماما، إنه يموت! ألا تفهمين هذا؟».

«لا أستطيع الاتصال، ألا تفهم أنت؟ إنني آسفة. لا فائدة من هذا».

«لكن الأبيض يموت».

هزّت رأسها بحركة بطيئة.

«لكن، يا ماما!».

تنهّدت أمي وقالت: «على الأرجح، كان مريضًا منذ أن جلبناه معنا. إنه قط أبيض؛ وغالبًا ما تكون القطط البيضاء ضعيفة. لا نستطيع فعل شيء... لا نستطيع».

نظرتُ إليها بعينين ممتلئتين دموعًا. ثم صفقت الباب بقوة وجريت نازلًا إلى القبو. كان راقدًا على جنبه يحاول دفع نفسه على الأرض بقوائمه ويتنفس بصعوبة. سرَت تشنّجات في جسده. انحنيت فوقه وربّت عليه. ثم جريت خارجًا، جريت إلى الغابة، ونزلت حتى بلغت الماء. صعدت وسرت حتى بلغت الجهة الأخرى. كنت أبكي من غير توقف. وعندما لاح لي بيتنا من جديد، جريت بأسرع ما استطعت. عليَّ أن أحاول إقناعها مرة أخرى. هي ليست طبيبة بيطرية، فما أدراها ما يستطيع الطبيب البيطري فعله وما لا يستطيع فعله. فتحت الباب، ثم توقّفت لحظة. كان البيت شديد الهدوء. نزلت إلى القبو بخطى حذرة. رأيته في سلته، مستلقيًا في هدوء تام وقد ارتد رأسه إلى الخلف.

صرخت: «ماما! تعالي إلى هنا!».

اندفعت صاعدًا، وفتحت باب غرفتها من جديد.

قلت لها: «إنه لا يتحرّك. هل تستطيعين الذهاب لرؤية إن كان قد مات، أو إن كان قد تحسّن؟».

قالت: «ألا تظن أنك قادر على الانتظار إلى أن يأتي أبوك؟ لن يتأخر في العودة».

قلت لها: «لا».

نظرت أمّي إليّ. ثم قالت لي: «لا بأس، أستطيع فعل هذا». أزاحت عنها اللحاف، ووضعت قدميها على الأرض ثم نهضت واقفة. حركاتها بطيئة جدًّا في ثوب نوم أبيض اللون. كان شعرها مشعّثًا، ووجهها أكثر رقة منه عندما تكون في صحة حسنة. سارت مستندة بيدها إلى الخزانة. جريت إلى الأسفل وانتظرتها أمام غرفة المستودع في القبو. لم أرد دخول الغرفة وحدي. انحنت أمي وتحسّست القط الصغير.

قالت لي: «إنني آسفة، أظنه قد مات».
نظرتْ إليّ ونهضت واقفة. طوّقتها بذراعيّ.
قالت لي: «لن يتألم بعد الآن أبدًا».
قلت: «أعرف هذا».
كنت أبكي.
سألتها: «هل ندفنه على الفور؟».
«من الأفضل أن تنتظر إلى أن يعود إنغفِه وأبوك إلى البيت. ألا تظن هذا؟».
قلت لها: «صحيح».
كان هذا ما فعلناه. فبينما أمي مستلقية في فراشها عندما حمل أبي القط إلى زاوية الحديقة، وسرت مع إنغفِه لاحقَيْن به. حفر الأرض هناك، ووضع القط في الحفرة، ثم أهال عليه التراب. لن نضع له صليبًا!
في بيتنا صورتان لذلك القط الصغير. يظهر في واحدة منها واقفًا أمام التلفزيون وقد رفع قائمتيه محاولًا اصطياد شخص يسبح. وفي الصورة الثانية مستلقٍ على الأريكة إلى جانبنا، أنا وإنغفِه ومن حول رقبته شريطٌ على شكل فراشة.
من وضع له هذا الشريط؟
لا بد أنه من صنع أمي. هي من كان يفعل تلك الأشياء... أعرف هذا! لكنها كانت شبه غائبة غيابًا تامًا طيلة الشهور التي كتبت فيها هذا، شبه غائبة في طوفان ذكرياتي عن الحوادث التي جرت، وعن الأشخاص الذين عادوا أحياء في ذهني. كان ذلك كأنها لم تكن موجودة هناك، بل كأنها واحدة من تلك الذكريات الزائفة التي تكون لدى المرء، الذكريات التي هي ليست ذكريات بل أمورٌ سمعها من غيره، لا ذكريات عاشها بنفسه.
كيف يمكن أن يحدث هذا؟ إن كان من أحد هناك، في قعر البئر التي هي طفولتي، فلن يكون فيه غيرها... غير أمي، غير ماما! هي من كانت تعدّ لنا وجباتنا كلنا وتجمعنا في المطبخ كل مساء. هي من كانت تذهب للتسوّق

وتحوك ملابسها وتخيطها. هي من كانت تصلح تلك الملابس عندما تتمزّق. هي من كانت تضع لنا شريطًا طبّيًا لاصقًا عندما نسقط ونسحج ركبنا. هي التي أخذتني إلى المستشفى عندما كسرت عظم ترقوتي، وإلى الطبيب عندما أصابني الجرب (كان شيئًا أقل خطورة من الكسر). هي التي جُنّت قلقًا عندما ماتت فتاة صغيرة بالتهاب السحايا؛ وأصابني، في الوقت نفسه، زكام وشيء من تيبّس الرقبة. لفّتني بالأغطية وحملتني فورًا إلى السيارة وانطلقت بي إلى كوكبلاسن، ولم ترفع قدمها عن دواسة البنزين طيلة الطريق فيما القلق مشتعل في عينيها. هي من كانت تقرأ لنا؛ وهي من كانت تغسل لنا شعرنا عندما نكون في الحمام؛ وهي من كانت تضع لكل منا بيجامته على سريره بعد ذلك. كانت هي من تأخذنا إلى تدريبات كرة القدم في الأمسيات؛ وهي من يذهب من أجل حضور اجتماعات الأهالي وتجلس مع أهل الأطفال الآخرين في احتفالات نهاية السنة الدراسية، وتلتقط صورًا لنا. كانت هي من تضع تلك الصور في ألبوماتنا بعد ذلك. كانت هي من تصنع حلوى أعياد ميلادنا، وتخبز لنا الفطائر في أعياد الميلاد وقبل صوم الفصح.

كل ما تفعله الأمهات من أجل أبنائهن، كانت أمي تفعله من أجلنا. إذا كنت في الفراش مريضًا وقد ارتفعت حرارتي، فهي التي تأتي حاملة كمّادة وتضعها على جبهتي؛ وهي من تضع ميزان الحرارة في مؤخرتي لكي تتحقّق من حرارتي. هي من كانت تدخل الغرفة حاملة ماء وعصيرًا وبسكويتًا. وهي من كانت تنهض في الليل وتأتي مرتدية ثوب نومها لكي ترى إن كنت قد تحسّنت.

هي من كانت موجودة دائمًا... أعرف أنها هي من كانت موجودة... لكني غير قادر على تذكر هذا.

ليست لدي ذكريات عن أنها كانت تقرأ لي؛ ولا أستطيع تذكّر أنها وضعت لصاقة طبية واحدة على ركبتي، ولا أنها كانت حاضرة في أيٍّ من احتفالات نهاية السنة المدرسية.

هل يُعقل هذا؟

لقد أنقذتني أمي لأنها لو لم تكن موجودة هناك لكبرت مع أبي وحده

ولقتلت نفسي، عاجلًا أو آجلًا، بطريقة أو بأخرى؛ لكنها كانت موجودة؛ فكان لحضور أبي المظلم ما يوازنه. أنا حي، ولا علاقة لكوني غير قادر على عيش حياتي إلى أقصاها بذلك التوازن الذي كان قائمًا في طفولتي. أنا حي؛ ولديّ أطفالي الذين حاولت معهم تحقيق هدف واحد فقط: ألّا يكون لديهم خوف من أبيهم.

لا خوف لديهم. أعرف هذا.

أدخل الغرفة فلا ينكمشون على أنفسهم، ولا يطرقون برؤوسهم إلى الأرض، ولا يندفعون خارجين من المكان لحظة تحين لهم أول فرصة للخروج... لا... إنهم ينظرون إليّ؛ وهي ليست نظرة عدم اكتراث، أبدًا! إن كان هناك من يستمتع بأن يتجاهله أطفاله لحظة، فهو أنا. وإن كان هناك أشخاص يسعدني أن يعتبروني مضمونًا من أجلهم، فهم أطفالي. وإذا نسوا وجودي نسيانًا تامًا عندما يصيرون في الأربعين من العمر، فسوف أشكرهم وأنحني لهم وأعتبر هذا هدية منهم.

كان أبي مدركًا حقيقة الوضع، فما كانت قلة معرفة النفس واحدة من نقائصه. لقد قال لي برستباكمو ذات مساء في أوائل عقد الثمانينيات إن أمي هي من أنقذت طفليها. لكنْ هناك سؤال عما إذا كان ذلك أمرًا كافيًا، سؤال عما إذا كانت مسؤولة أو غير مسؤولة عن جعلنا معرَّضين له تلك السنين كلّها، عن جعلنا نعيش مع رجل نخافه، بل نخافه دائمًا، في كل وقت. السؤال هو ما إذا كان كافيًا قيامها بدور العنصر الموازن لظلمته كلّها.

لقد اتّخذت أمي قرارًا: بقيت معه؛ وهذا يعني أنه كان لديها أسباب جعلتها تفعل ذلك. يصح الأمر نفسه عليه. لقد اتّخذ قراره أيضًا. لقد بقي. هكذا عاشا خلال عقد السبعينيات وبداية عقد الثمانينيات، جنبًا إلى جنب، في بيتهما في تيباكن. مع سيارتَيْهما، مع عمليهما. كانت لهما حياة خارج البيت، وحياة في البيت من حيث سلوك كل منهما مع الآخر، وحياة أخرى في البيت من حيث سلوكهما معنا. عندما كنا طفلين، كنا كأننا كلبان وسط حشد

من الناس، كلبان غير مهتمين إلا بالكلاب الأخرى أو «بالأشياء الكلبية»؛ ولم نكن ملتفتين أبدًا إلى ما كان يحدث غير ذلك، إلى ما كان يحدث فوق رؤوسنا. لديَّ إحساس غامض بما كانه أبي خارج البيت؛ وذلك لأن شيئًا منه كان يصل إلى البيت، يصل حتى إليّ؛ لكن ذلك لم يكن له أي معنى. كان حسنَ التصرف على الدوام؛ وكنت مدركًا هذا على الرغم من عدم إدراكي الأهمية التي ينطوي عليها. لم أصِر قادرًا على رؤيته في ذلك الدور إلا بعد أن كبرت والتقيت بعض من كانوا من تلاميذه، معلّم شاب، رشيق، حسن الملبس، ينزل من سيارته الأوبل أسكونا ويسير بخطوات واثقة صاعدًا إلى غرفة المدرّسين، فيضع حقيبته الممتلئة أوراقًا ويسكب فنجان قهوة ويتبادل بضع كلمات مع زملائه، ثم يذهب إلى صفّه عندما يُقرع الجرس، ويعلق سترته القماشية البنية على ظهر الكرسي وتتفقّد عيناه تلاميذه الجالسين أمامه صامتين ناظرين إليه. كانت له لحية سوداء يعتني بها جيدًا، وعينان زرقاوان لامعتان، ووجه وسيم. كان الأولاد في صفه يخشون جانبه لأنه كان صارمًا لا يقبل أي كلام فارغ. وكانت البنات في صفه عاشقات له لأنه شاب، ولأن هالة قوية تحيط به، ولأنه لا يشبه أبدًا أي واحد من المعلمين الآخرين. كان يحب التعليم؛ وكان معلمًا جيدًا يحيط دروسه بسحره عندما يتكلّم في موضوعات يحبها. كان أوبسْت فيلدر كاتبه المفضل، لكنه كان يحبّ أيضًا بينْك. ومن بين الكتّاب المعاصرين يعجبه بيورنيه بوّيه.

كان شديد الاستقامة في تعاملاته مع زملائه؛ لكنه ظلّ محتفظًا بمسافة بينه وبينهم. تلك المسافة كامنة في مظهره وملبسه؛ فقد كان ممكنًا أن يرتدي كثيرون من المعلمين الآخرين سترات عادية أو بنطلونات جينز، أو أن يرتدي الواحد منهم البدلة نفسها طيلة شهور كثيرة. كان تميزه كامنًا في الحيادية التي يحرص على إظهارها. وكانت المسافة الفاصلة كامنة في لغة جسده، وهيئته، وهالته.

وكان دائمًا يعرف عنهم أكثر مما يعرفون عنه. وهذه قاعدة في حياته كلّها، قاعدة سارية على الجميع، حتى على أبيه وأمه وإخوته. بل لعلها كانت سارية عليهم خاصة.

يعود من المدرسة إلى البيت فيدخل غرفة مكتبه ويستعدّ من أجل اجتماعاته المسائية. كان ممثل فينستره في المجلس المحلي، فضلًا عن كونه عضوًا في لجان كثيرة. وفي وقت من الأوقات، كان مرشحًا محتملًا عن حزبه، بحسب كلامه. لكن ما يقوله لم يكن صحيحًا على الدوام، فقد كان معروفًا عنه تلاعبه بالحقائق في الدوائر التي يتحرّك ضمنها. إلا أنه لم يكن كذلك في عمله في المدرسة، ولا في السياسة، حيث كان شخصًا منضبطًا شديد الحرص على اللياقة. وقد كان أيضًا عضوًا في نادٍ للطوابع البريدية في غرينستاد حيث عرض مجموعة الطوابع التي لديه في معارض كثيرة. كان يكرّس نفسه للحديقة خلال فصل الصيف، فقد كانت بدورها ميدانًا لحضوره وولعه بالإتقان إن كان يصح قول هذا الأمر على حديقة صغيرة في منطقة سكنية ريفية في عقد السبعينيات. لقد ورث عن أمه اهتمامه بكل شيء ينمو؛ ولعل هذا ما كانا يتحدثان عنه معظم الوقت: النباتات المختلفة، والأجمات، والأشجار، وتجارب كل منهما معها. الشمس والتربة والرطوبة ومستويات الحموضة. التقليم، والتطعيم، والسقاية. كان من غير أصدقاء؛ وعلاقاته الاجتماعية تجري في غرفة المدرّسين، ومع أفراد عائلته. كان يزور والديه وأشقاءه وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته؛ يزورهم كثيرًا ويزورونه كثيرًا. يستخدم معهم في كلامه نبرة صوت لم نألفها، أنا وإنغفِه. هذا ما كان يجعلها موضع ريبة في نظرنا.

كانت حياة أمي مختلفة عن حياته في وجوه كثيرة. كان لديها أصدقاء كثر. وأكثر تلك الصداقات نتيجة عملها. إلا أن صداقاتها كانت ممتدة إلى دوائر أخرى أيضًا، من بينها جيراننا. كانت تجلس معهم وتتحدّث إليهم، أو «تثرثر» مثلما كان أبي يقول، وتدخّن، وتأكل المعجنات التي يصنعونها... هذا إذا لم يجلسوا معًا للحياكة وسط غيمة كثيفة من دخان التبغ كان مألوفًا انعقادها في غرف معيشة كثيرة جدًا في عقد السبعينيات. كان لها اهتمام بالسياسة؛ ومن أنصار وجود دولة قوية ونظام صحّي متطور وحقوق متساوية للجميع؛ ولعلّها كانت أيضًا ملتزمة بقضية تحرر المرأة

وبحركة السلم. كانت ضد الرأسمالية وضد تنامي النزعة المادية، متعاطفة مع حركة «المستقبل في أيدينا» التي تزعّمها إيريك دامان. باختصار، كانت أمي يسارية. تقول إنها عاشت فترة العشرينيات من عمرها في حالة سبات لأن كل شيء كان متركزًا على عملها وطفليها، وعلى تدبّر أمور المعيشة لأن ميزانية الأسرة كانت محدودة، وكان لا بد من كفاح من أجل الالتزام بحدودها. إلا أنها بعد بلوغها الثلاثينات، بدأت التركيز على نفسها وعلى المجتمع الذي تعيش فيه. وفي حين كان من النادر أن يقرأ أبي أي شيء غير مضطر إلى قراءته، كان لأمي اهتمام أصيل بالأدب. كانت مثالية، وكان براغماتيًا؛ كانت ميالة إلى التأمل، وكان عمليًا.

لقد ربّيانا معًا، ولم أشعر أبدًا بأن تربيتي كانت نتاجًا مشتركًا لهما لأنني كنت أميز أحدهما عن الآخر تمييزًا صارمًا وأراهما كائنين منفصلين انفصالًا تامًا... ولكن، لا بد أن الأمر كان مختلفًا بالنسبة إليهما. فعندما ننام في الأماسي، كان أبي وأمي يجلسان معًا ويتحدّثان عن الجيران والزملاء، وعن طفليهما، أو يناقشان أمور السياسة والأدب. ومن حين لآخر، كانا يذهبان وحيدين في عطلة إلى لندن أو إلى وادي الراين أو إلى الجبال، في حين نبقى مع والديّ أمي أو والديّ أبي. كانت المساواة بينهما في البيت من حيث المهام المنزلية أكبر منها في بيت أي واحد من أصدقائي: كان أبي ينظّف ويطهو؛ وهذا ما لم يكن يفعله أحد من الآباء الآخرين. وفوق هذا، كانا في ذلك الوقت يقومان بكثير من نشاطات جمع الطعام: الأسماك التي يصطادها أبي عند الناحية البعيدة من الجزيرة، والكميات الكبيرة من التوت البري التي نجمعها في رحلاتنا إلى البر الرئيسي في آخر الصيف وفي الخريف، ثم نعود فيحوّلانها إلى عصير ومربيات ويضعانها في زجاجات ومرطبانات تصطف على الرفوف في القبو طيلة الشتاء، ويلمع عليها ذلك النور الخافت الداخل من النافذة الصغيرة في أعلى الجدار. أنواع التوت البرّي وتوت العلّيق التي كان أبي يتحمس لها حماسة كبيرة فيكاد يصيح فرحًا كلما عثر على شيء منها. البرقوق الشوكي من أجل النبيذ. وفوق هذا،

كانا يدفعان المال لكي نذهب من أجل قطف الفاكهة في بساتين ترومويا التي كنا نأتي منها بالتفاح والإجاص والخوخ. وأيضًا، كانت هناك شجرة الكرز التي عند آلف، عم أبي، في كريستيانساند. وبطبيعة الحال، كان لدى كل من جدّتَينا أشجار فاكهة. كانت أيامنا محدّدة تحديدًا واضحًا: حلوى بعد الغداء في أيام الأحد؛ وفي أيام الأسبوع، عادةً ما تكون لدينا تشكيلة متنوعة من الأسماك. كنا نعرف دائمًا متى تبدأ مدرستنا في اليوم التالي، وكم درسًا لدينا، فضلًا عن مواضيع تلك الدروس. ثم إن وقت المساء لم يكن من غير إطار واضح أيضًا، بل كان برنامجه مقرّرًا على أساس فصليّ: إن كان على الأرض ثلج أو جليد، فسوف نخرج للتزلج على الثلج أو الجليد. وإذا ارتفعت درجة الحرارة فوق خمس عشرة درجة، فسوف نذهب إلى السباحة دائمًا مهما تكن الظروف. وأما العامل الوحيد في هذه الحياة الذي كان توقّعه صعبًا بالفعل، من الخريف إلى الشتاء، ومن الربيع إلى الصيف، ومن سنة مدرسية إلى سنة مدرسية أخرى، فهو أبي. كنت أخافه خوفًا شديدًا لا أستطيع الآن إعادة تجسيده كله مهما بذلت من جهد؛ فقد كانت لدي تجاهه مشاعر لم أعرفها أبدًا بعد ذلك الوقت، بل لم أعرف أي شيء قريب منها.

صوت خطواته على السلم - هل هو آتٍ لرؤيتي؟

التوهّج الغاضب في عينيه. والتوتّر من حول فمه. والشفتان المنفرجتان بحركة لا إرادية. ثم صوته نفسه.

والآن، أنا جالس هنا أسمع صوته بأذن عقلي فأكاد أبدأ البكاء.

كان غضبه ينفجر مثل موجة، ينداح عبر الغرف. يصفعني غضبه... يصفعني ويصفعني ويصفعني، ثم يتراجع. وبعدها، يمكن أن يظلّ هادئًا أسابيع كثيرة. لكنه لم يكن هادئًا حقًّا لأن من الممكن -بكل سهولة- أن يظهر بعد دقيقتين، أو بعد يومين. كان يأتي من غير سابق إنذار. فجأة... يصير غاضبًا. وما كان هناك اختلاف بأن يضربني أو لا يضربني، فالأمر سواء في بشاعته إن شد أذني أو ضغط على ذراعي أو جرّني لكي يجعلني أرى ما فعلت... لم يكن الألم هو ما أخشاه، بل صوته، وجهه، جسده، الغضب

الذي يشعّه، هذا ما كنت أخشاه، هذا ما لم يفارقني ذعره أبدًا. كان ذعرًا عشته في كل يوم من أيام طفولتي كلّها.

كنت أتمنّى الموت بعد تلك المواجهات. وكان الموت واحدًا من أفضل الخيالات التي تراودني وأكثرها متعة. سوف يعجبه الأمر كثيرًا! سيقف هناك مفكّرًا في كل ما فعله بي. وعند ذلك، سيشعر بالأسى. أوه، ما أشد الأسى الذي سيشعر به. كنت أتصوّره واقفًا هناك وهو يعصر يديه قانطًا وقد رفع رأسه إلى السماء أمام النعش الصغير الذي أنا مسجّى فيه... سيرى أسناني البارزة؛ ولن أعود قادرًا على أن ألثغ بحرف «ر».

وكم كنت أجد حلاوة في تلك الصورة! صورة تكاد تعيد إليّ مزاجي الحسن. هكذا كانت طفولتي: المسافة الفاصلة بين الخير والشر كانت أقصر كثيرًا مما هي الآن بعد أن صرت كبيرًا. فقد كان كافيًا في ذلك الوقت أن تطل برأسك من باب البيت حتى يحدث شيء رائع روعة مطلقة. السير صعودًا حتى B-Max وانتظار الباص هناك كان حدثًا في حد ذاته، على الرغم من أنه حدث متكرّر في كل يوم من أيام السنة، تقريبًا. لماذا كان الأمر هكذا؟ لا فكرة عندي أبدًا. ولكن، عندما يلمع كل شيء بالرطوبة في الضباب، ويصير الحذاء رطبًا بعد الخوض في الثلج الذائب في الطريق، وبعد الثلج الأبيض المتراكم في الغابة، وبعد وقوفنا جماعة نلعب ونتحدّث معًا أو نجري خلف الفتيات لكي نوقعهن أرضًا، أو لكي نخطف قبعاتهنّ الصوفية أو نرميهنّ في كثيب ثلجي... كنت أشعر بواحدة منهن تنضغط عليّ عندما أشد ذراعي حول وسطها بأقوى ما أستطيع، قد تكون ماريانِه، وقد تكون سيْف، وقد تكون ماريان، لأنهنّ الفتيات اللواتي أُقدّرهنّ وأفكر فيهنّ أكثر من غيرهنّ. تكون أعصابي مرتعشة كلها، وصدري زاخر بالفرحة... فلماذا؟ أوه، بسبب الثلج الرطب. بسبب السترات الدافئة الرطبة. بسبب الفتيات المليحات الكثيرات. بسبب الباص الذي يسير مقعقعًا على السلاسل المثبتة من حول إطاراته. بسبب البخار المتكثّف على النوافذ عندما نصير في الداخل. بسبب الصياح والزعيق. بسبب وجود آنِه ليزبيت هناك، معنا، سعيدة وجميلة كما

هي دائمًا، داكنة الشعر، حمراء الفم كما هي دائمًا. كان كل يوم احتفالًا لأن كل ما يحدث كان نابضًا بالإثارة، ولأن ما من شيء متوقّع مسبقًا. ثم لا ينتهي الأمر عندما يأتي الباص، بل تلك هي البداية فحسب لأن اليوم المدرسي كله ممتد أمامنا، ولأن أمامنا ذلك التحوّل الذي نمر به عندما نعلّق ملابسنا الرطبة على المشاجب في الممر ونتدافع داخلين غرفة الصف سائرين على أقدام عارية إلا من جواربنا... وجناتُنا محمرّة، وشعرنا مشعّثٌ مبتلةٌ أطرافه لأنها كانت خارج قبعاتنا. التنميل الذي تحسّه في جسدك عندما تأتي الاستراحة، واندفاعنا على السلالم وعبر الممرات، ونزولنا الدرجات الخارجية مجتازين ساحة اللعب منطلقين إلى المنحدر وإلى الملعب. ثم نعود إلى البيت بعد ذلك فنستمع إلى الأغاني، ونقرأ، وقد نضع زلّاجاتنا ونتسابق منحدرين على السفح حتى أوبيكلن حيث يكون الآخرون موجودين دائمًا؛ وذلك كلّه يحدث بتلك الكثافة التي لا تكون إلا في الطفولة... نقف في الأسفل، ونصعد في مسار متعرج، ثم ننزلق متسابقين من جديد إلى أن يصير الظلام كثيفًا فلا نكاد نستطيع رؤية أيدينا أمام وجوهنا. نسير معتمدين على عصيّ التزلج، نتحدث عن كل شيء وعن لا شيء.

جليدٌ على مياه الخليج فوقه طبقة ضحلة من ماء. أضواء المنازل في منطقتنا السكنية تبدو كأنها قبعة صغيرة فوق الغابة التي فوقنا. تلك الأصوات كلها التي تجعلها الظلمة تبدو أكبر من حقيقتها، أصوات تنبعث كلما نقل أحد ثقل جسده من ساقٍ إلى أخرى، أو كلما تصادمت الزلاجتان الزرقاوان الصغيرتان أو حزّتا مسارًا في الثلج الطري. السيارة التي أتت نازلة عبر الطريق الضيقة غير المعبّدة؛ كانت سيارة فولسفاغن بيتل يقودها واحد من الساكنين هنا؛ أنار مصباحا السيارة دربًا على الأرض فصار كل شيء ظاهرًا إلى حدٍّ مخيفٍ... لحظة واحدة، أو لحظتان، ثم أطبقت الظلمة على ذلك الدرب من جديد.

كانت الطفولة مؤلّفة من عدد لا نهاية له من هذه اللحظات، لحظات متراصّة كلها. لحظاتٌ كان بعضها قادرًا على رفعي إلى علوٍّ مدوّخ كتلك

الأمسية التي أمضيتها مع تونِه، نصف راكضين، نصف منزلقين، على التلة التي كانت كاسحة الثلج قد نظّفتها قبل قليل (كان سطح الثلج اللامع منبئًا بهذا)؛ وعندما وصلت إلى البقعة المظلمة بين الطريقين على مقربة من بيتنا، استلقيت في الثلج على ظهري ونظرت إلى الليل الكثيف العكِر الذي لا ضوء فيه، إلى ذلك الليل الذي فوقي، وكنت سعيدًا إلى آخر حدود السعادة.

كانت هناك لحظات أخرى قادرة على جعل هوّة تنفتح من تحتي، كتلك الليلة عندما قالت لنا أمي إنها ستبدأ الدراسة في السنة التالية. كنا جالسين إلى الطاولة نتناول طعام العشاء.

قالت أمي: «ستكون مدرستي في أوسلو، لن يستمر هذا إلا سنة واحدة. وسوف أعود إلى البيت كل يوم جمعة. وأظل هنا طيلة عطلة نهاية الأسبوع. ثم أعود يوم الاثنين. هذا يعني أنني سأكون ثلاثة أيام هنا وأربعة أيام هناك».

قال إنغفِه: «هل سنكون هنا وحدنا مع بابا؟».

«أجل. سوف يكون كل شيء على ما يرام. سوف تعرفونه أكثر ويعرفكم أكثر».

قلت لها: «لماذا تذهبين إلى المدرسة؟ لقد صرتِ كبيرة!».

قالت: «إن هناك شيئًا اسمه التعليم التكميلي. سوف أتعلم المزيد عن مهنتي. هذا أمر ممتع جدًا».

قلت لها: «لا أريد أن تذهبي».

قالت: «إنها سنة واحدة فقط. وسوف أكون هنا ثلاثة أيام في الأسبوع. وسأكون هنا في العطلات أيضًا. ستكون لدي عطلات طويلة».

قلت لها: «لا أريدك أن تذهبي، مع ذلك».

قالت أمي: «أفهمُ هذا. لكن الأمر سيكون على ما يرام. بابا يود أن يمضي وقتًا معكما. في السنة التي بعدها، سيكون الأمر على نحو معاكس. سيذهب بابا من أجل دورة تعليم تكميلي؛ وأنا سأكون في البيت».

شربت آخر رشفة شاي في كأسي، ثم أغلقت فمي وجعلت الشاي يتسرب إلى جوفي لأنني احتجزت أوراق الشاي الكثيرة الرطبة عند شفتي السفلى.

نهضت قليلًا وحملت إبريق الشاي الثقيل بيدي الاثنتين وسكبت لنفسي كأسًا ثانية. كان الشاي قد صار أسود اللون تقريبًا لأنه تخمّر زمنًا طويلًا. أضفت إلى الكأس كمية وافرة من الحليب، ثم وضعت ثلاث ملاعق كبيرة من السكر.

قال إنغفِه: «سكر في الشاي!».

قلت له: «وماذا؟».

في تلك اللحظة، سُمع صوت خطوات على السلم.

أوه، لقد ملأت الكأس إلى الحافة! سيكون عليَّ أن أظل جالسًا هنا إلى أن أشرب كأسي كلها. إلا أن إنغفِه لم يكن لديه ما يعوقه: نهض وذهب سريعًا.

دخل أبي بخطوات قاتمة. شغّل التلفزيون وجلس على كرسي.

سألته أمي: «ألا تريد شيئًا للعشاء؟».

قال: «لا أريد».

سكبت في الكأس قدرًا إضافيًا من الحليب حتى تبرد قليلًا، ثم شربتها بثلاث جرعات طويلة.

نهضت وقلت: «شكرًا، يا ماما».

قالت أمي: «أهلًا وسهلًا».

كان ذلك الخبر صدمة؛ لكني لم أشعر بالصدمة كلّها إلى أن ذهبت إلى غرفتي بعد ذلك. كنا في شهر نيسان؛ ولن تبدأ الدورة التي ستذهب إليها أمي حتى شهر آب. كانت أربعة شهور تفصلنا عن ذلك الموعد؛ وأربعة شهور زمن أبدي بالنسبة إلى طفل. كانت دورة التعليم التكميلي التي ستلتحق بها أمي شيئًا منتميًا إلى المستقبل بالطريقة الغامضة نفسها التي تنتمي بها إلى المستقبل مدرستي التي سأكون فيها بعد هذه المدرسة، أو بعد بلوغي سن الثامنة عشرة. كنا في أواسط الطفولة؛ وكان الوقت معلّقًا هناك. هكذا كان الأمر: اللحظات تجري متلاحقة بسرعة فائقة، في حين تمر الأيام التي تضمّها مرورًا لا يكاد يكون ملحوظًا. وحتى عندما أتت نهاية السنة الدراسية ولم

نعد في الصف الثالث، لم يدُر في خلدي أبدًا أن أمي ستذهب قريبًا. أليست عطلة الصيف الطويلة كلّها أمامنا؟ لم أدرك الأمر إلا عندما رأيتها واقفة في غرفتها تخرج ملابسها من الخزانة وتضعها في الحقيبة المفتوحة على الأرض. في الوقت نفسه، كانت هناك أشياء كثيرة جدًّا تجري أيضًا، فسوف نبدأ الدراسة من جديد في اليوم التالي؛ وسوف نصير (نحن، الصف الرابع) جزءًا من التلاميذ الأكبر سنًا. ستكون لدينا غرفة صف جديدة؛ وأهم من هذا أنه ستكون لدينا معلمة صف جديدة. كانت في غرفتي حقيبة جديدة أيضًا، وفي الخزانة ملابس جديدة. كان التفكير في ذلك كله يجعلني أشعر تنميلًا في بطني. وعلى الرغم من حزني لرؤية أمي تضع ثيابها في الحقيبة، فإن ذلك الحزن لم يكن أشد مما أحسّه عادة عندما تذهب إلى عملها كل يوم.

توقّفت أمي عن حزم متاعها ونظرت إلي. قالت لي: «سوف أعود يوم الخميس. إنها أربعة أيام فقط».

أجبتها: «أعرف هذا. هل وضعت كل شيء في الحقيبة؟».

قالت: «هل تعرف؟ أظنني وضعت كل شيء. ألا تساعدني في إغلاق الحقيبة؟ ضع ركبتك هنا حتى أتمكن من إغلاقها جيدًا».

أومأت برأسي، وفعلت مثلما قالت لي.

صعد أبي السلم.

قال مشيرًا برأسه إلى الحقيبة: «هل أنت جاهزة؟ سوف آخذ الحقيبة».

عانقتني أمي، ثم نزلت السلم من خلف أبي. وقفت أنظر إليهما من نافذة الحمام. عندما جلست في سيارة فولغسفاغن بيتل الخضراء الصغيرة كان ذلك شبيهًا تمامًا بما يحدث كل يوم عندما تذهب إلى عملها -شبيهًا بذلك، لكن من غير حقيبة في صندوق السيارة!- لوحْت لها بيدي، فلوّحت لي وأدارت المحرك، ثم تراجعت بالسيارة قليلًا، ثم بدأت تسير نازلة في الطريق التي تنزل فيها دائمًا، ثم غابت.

ماذا سيحدث الآن؟ كيف ستكون أيامنا الآن؟

كانت أمي هي التي تجمعنا كلّنا معًا؛ وكانت أمي هي نقطة المركز في

حياتي وفي حياة إنغفِه... كنا نعرف هذا، وكان أبي يعرفه. لكن... أمي... لعلها لم تكن تعرفه! وإلا فكيف يمكن أن تتركنا هكذا؟

السكاكين والشوكات ترن مصطدمة بالأطباق، والأذرع تتحرّك، والرؤوس ثابتة في مكانها، والظهور منتصبة مستقيمة. ما من أحد يقول كلمة واحدة. هكذا كنا ثلاثتنا؛ كنا أبًا وولديه جالسين يأكلون. ومن حولنا، من كل جهة، كان عقد السبعينيات.

الصمت ينمو ويكبر. وقد لاحظنا هذا، لاحظناه ثلاثتنا، فالصمت ليس من الأشياء التي يمكن أن تتضاءل... إنه من نوع يستمر طيلة العمر. بطبيعة الحال، تستطيع أن تقول شيئًا في وسط الصمت، تستطيع أن تتكلّم، لكن الصمت لا يتوقّف لهذا السبب.

وضع أبي عظمًا في الطبق إلى جانب قشور البطاطس، ثم تناول قطعة لحم أخرى. أنا وإنغفِه، أعطانا قطعة واحدة لكل واحد منا.

فرغ إنغفِه من الأكل.

قال: «شكرًا، يا بابا».

قال أبي: «لدينا تحلية».

«لست راغبًا في التحلية. شكرًا على أية حال».

«لماذا لا تريد تحلية؟ لدينا شرائح الأناناس مع الكريما. أنت تحبها».

«إنها تجعل البثور التي في وجهي تزداد».

«فهمت. تستطيع النهوض عن الطاولة».

وبعد ذلك، نظر إليّ كأنّ إنغفِه لم يعد موجودًا بعد نهوضه.

قال لي: «لكنك تريد التحلية، أليس هذا صحيحًا، يا كارل أوفِه؟».

قلت له: «بكل تأكيد. أحبها كثيرًا».

قال: «جيد».

بقيت جالسًا ورحت أنظر من النافذة منتظرًا أن يفرغ أبي من طعامه. سمعت صوت الموسيقى آتيًا من غرفة إنغفِه. كان حشد من الأطفال قد اجتمع في الطريق. وضعوا على الطريق حجرين لجعلهما مرمى في لعبة

كرة القدم. وبعد ذلك مباشرة، بدأت أسمع الصوت الثقيل لارتطام الأحذية بالكرة غير المنفوخة جيدًا؛ ومع ذلك الصوت صيحاتٌ تبدأ خفيضة دائمًا لكنها لا تلبث أن تزداد قوة مع استمرار اللعب، مهما تكن اللعبة.

نهض أبي آخر الأمر. رفع الأطباق وأفرغ البقايا في سلّة القمامة. وضع أمامي طبقًا عميقًا فيه شرائح الأناناس مع الكريما، ووضع أمامه طبقًا مثله.

أنهينا طبقَي التحلية من دون أية كلمة.

نهضت وقلت: «شكرًا، يا بابا». لم يقل أبي شيئًا. لكنه نهض مثلما نهضت وملأ وعاء القهوة ماء، ثم تناول كيس القهوة من الخزانة.

استدار صوبي بعد ذلك.

قال لي: «كارل أوفِه!».

«نعم».

«انتبه؛ عليك ألا تزعج إنغفِه بالكلام على البقع التي في وجهه. هل تفهم ما أقوله لك؟ لا أريد أبدًا سماع أية كلمة عن هذا بعد الآن».

قلت: «حسنًا». ووقفت منتظرًا لأرى إن كان هناك المزيد مما يريد أبي قوله.

استدار أبي وقص زاوية كيس القهوة، فذهبت إلى غرفة إنغفِه حيث كان يعزف على غيتاره الكهربائي الذي كان تقليدًا لغيتار «بلاك لي بول»، فوجئت تمامًا عندما سمعت صوته أول مره لأنني كنت مقتنعًا بأن ما من صوت يمكن أن يصدر عنه من غير وجود مضخّم الصوت (أمبليفاير). لكنه كان يصدر صوتًا: صوت نقر خفيضًا! كان إنغفِه جالسًا يعزف على الغيتار؛ وكانت البقع ظاهرة على وجهه كلّه.

قلت له: «هل تحبّ أن نلعب شيئًا؟».

قال لي: «إنني أعزف».

«أقصد أن نلعب لعبة».

«هل نلعب لعبة التقاط اثنتين وأربعين ورقة؟».

أجبته: «ها، ها! هذه لعبة يلعبها المرء مرة واحدة؛ وقد لعبتها قبل الآن. هل تستطيع أن تعلمني كيف أعزف نغمة على الغيتار؟».

«ليس الآن... في وقت آخر».
«أرجوك».
«إذًا، نغمة واحدة فقط. اجلس هنا».
جلست على السرير، إلى جانبه. وضع الغيتار بين يديّ. وضع ثلاثة من أصابعه على الأوتار.
قال لي: «هذه E»، ثم أبعد يده.
وضعت أصابعي حيث كانت أصبعه.
قال لي: «جيد. انقر على الأوتار الآن».
نقرت على الأوتار؛ لكن بعضها لم يصدر صوتًا.
قال: «عليك أن تضغط بقوة أكبر. وعليك أيضًا أن تنتبه حتى لا تمسّ أصابعك الأخرى الأوتار الحرة».
قلت: «حسنًا». جرّبت من جديد.
قال لي: «كان هذا جيدًا. هكذا يتم الأمر. الآن، صرت قادرًا على عزف نغمة E».
أعطيته الغيتار، ثم نهضت.
قال لي: «هل تستطيع تذكر أسماء الأوتار ومعرفة كل واحد منها؟».
قلت: «E A D G B E».
«هذا صحيح. لم تعد في حاجة الآن إلا إلى فرقة تعزف معها».
«في هذه الحالة، سيكون لا بد لي من استعارة غيتارك».
«لا يمكنك استعارة غيتاري».
لم أقل شيئًا لمعرفتي أن الأمور يمكن أن تتغير بسرعة كبيرة.
بدلًا من ذلك قلت له: «متى تبدأ مدرستك غدًا؟».
«تبدأ منذ الحصة الأولى. وأنت؟».
«لا... نبدأ في الساعة الحادية عشرة، على ما أظن».
«على ما تظن!».
«بل أنا متأكد. وبابا، متى يبدأ؟».

«الحصة الأولى. أنا متأكد من هذا».

كان ذلك خبرًا طيّبًا. سأكون وحدي في البيت بضع ساعات!

استدرت وذهبت إلى غرفتي. كانت حقيبتي الجديدة على الأرض، إلى جانب قائمة الطاولة. لقد صارت الحقيبة المربّعة الزرقاء التي استخدمتها عدة سنين صغيرة جدًا، وطفولية جدًّا. وأما الحقيبة التي صارت عندي الآن، فهي ذات لون أخضر داكن؛ ومصنوعة من مادة تركيبية لها رائحة رائعة.

تشمّمت الحقيبة قليلًا. ثم وضعت أغنية *«فرقة نادي القلوب الوحيدة»* لسيرجينت بيبر. واستلقيت على السرير محدّقًا في السقف.

يصير الأمر أفضل كثيرًا طيلة الوقت!
يصير أفضل طيلة الوقت!
أفضل، أفضل، أفضل!
يصير أفضل طيلة الوقت!
أفضل، أفضل، أفضل!
يصير الأمر أفضل كثيرًا طيلة الوقت!

على الفور، حملتني الموسيقى على أجنحتها. رحت ألوّح بيديَّ في الهواء وأهز رأسي إلى الأمام والخلف. كنت سعيدًا حتى أعماقي. رحت أغني: *أفضل، أفضل، أفضل! أفضل، أفضل، أفضل!*

ها هو مبنى المدرسة! أسود اللون، وله نوافذ لامعة كثيرة. تدفّقنا نازلين من الباص. صرنا الآن مع التلاميذ الأكبر سنًا؛ وكنا نعرف كيف نتصرّف، ونعرف ما نتوقّعه. وأما الأطفال الجدد في المدرسة، فقد وقفوا مع أهلهم -شعورهم ممشّطة وملابسهم جميلة- يصغون إلى الكلمة الترحيبية التي يلقيها مدير المدرسة الواقف عند سارية العلم. من ناحيتنا، رحنا نسير متبخترين هنا وهناك، ونبصق على الأرض؛ أو استندنا إلى جدار المظلة الواقية من المطر وتحدّثنا عما فعلنا في العطلة الصيفية. الآن، لم تعد ثلاث أبقار في المزرعة أمرًا مثيرًا بما فيه الكفاية! لكن، حتى إذا كانت رحلتنا

الوحيدة في العطلة قد اقتصرت على الذهاب إلى سوربوفاغ حيث أقمنا عند يون أولاف والآخرين وبقينا معهم وحدنا أسبوعًا كاملًا، فإن لدي بالتأكيد ما أستطيع قوله هنا... فقد كانت هناك فتاة اسمها نيرْيتِه، هي ابنة عمي الثانية، كانت شقراء الشعر تعيش على مقربة من أوسلو. قلت إنني خرجت معها. كان ذلك أفضل من لا شيء، على الرغم من كونه ليس أمرًا مثيرًا جدًا لأن ليزبيرغ ذهب إلى أكبر مدينة ملاهي في شمال أوروبا كله، إلى غوتنبرغ!

أخرجت بعض الفتيات شرائط القفز المطاطية من أماكن بدت لي سرّية؛ ثم بدأن القفز. لا، بدأن الرقص!

أفلحنا في إقناعهن بأن نجرب القفز العالي من فوق الشريط المطاطي حتى نصير قادرين على الانضمام إليهن من غير أن نفقد ماء وجوهنا أمام بقية الأولاد. أمسكت فتاتان بالشريط مشدودًا بينهما، وبدأنا نجري صوبه، واحدًا تلو آخر، ثم نقفز رافعين الساقين معًا، ثم تحطّ أقدامنا على الأرض من الجهة الأخرى.

كان النظر إلى الفتيات وهنّ يقفزن ممتعًا، سيقانهن أولًا، بطريقتهن المضبوطة الرشيقة.

تسمع صوتًا، ووووش، ثم تصلن بأمان إلى الجهة الأخرى.

ثم بدأنا نزيد الارتفاع. زدناه إلى أن لم يبق إلا اثنين منا.

تمنيت أن أخرج فائزًا لأن آنِه ليزبيت انضمّت إلى لعبتنا هذه. لكن ما حدث هو أن ماريانِه فازت، مثلما يحدث أكثر الأحيان.

طب طب طب، تسمع صوت قدميها على الأرض، ثم ووووش، ثم تسمع هبوطها: انتهى الأمر!

ابتسمت ماريانِه ابتسامة خجلى، وأزاحت بإصبعها عن وجهها شعرها الأشقر الذي يبلغ كتفيها. تساءلتُ في نفسي إن كانت ماريانِه هي التي سأقع في حبها هذه السنة!

قد لا أقع في حبها! إنها في صفي نفسه.

ربما أقع في حب فتاة في الشعبة الأولى!

أو... نعم، إنها أحلام المستقبل... قد أقع في حب فتاة في مدرسة أخرى!

أعطونا في الدرس الأول جدول الدروس الأسبوعية، وعددًا من الكتب الجديدة؛ وطُلب من كل واحد منا أن يحكي لزملائه ما فعله في عطلة الصيف. وفي الدرس الثاني، كان علينا أن ننتخب من يمثلنا في مجلس المدرسة الجديد لهذه السنة. كنت في السنة الماضية ممثل الصف، مع سْيف. وظننت الآن أن إعادة انتخابي ستكون أمرًا مفروغًا منه؛ لكن إيفيند رفع يده وقال إنه يحب أن يرشح نفسه؛ ثم صارت لدينا ستة أسماء علينا أن نختار من بينها. دفعتني مشاركة إيفيند إلى خرق قاعدة غير مكتوبة مفادها أنه لا يجوز للمرء أن يصوّت لنفسه، مهما يكن من أمر. فكرت في أن هذه الانتخابات ستكون صعبة؛ وبالتالي، فإن من الممكن أن تكون لصوت واحد أهمية حاسمة. ورأيت أن فرصة اكتشاف أي شخص أنني قد صوت لنفسي ضئيلة إلى أقصى حد. ففي آخر المطاف، تظلّ عملية التصويت سرّية. المعلمة هي الشخص الوحيد الذي سيرى ما كتبناه في أوراق التصويت؛ وهي الشخص الوحيد الذي سيعرف خط كل منا، وبالتالي هي الشخص الوحيد الذي يمكن أن يكتشف تصويتي لنفسي: لن تقول شيئًا، ولن تكشف أمري!

كم كانت غلطتي كبيرة!

كتبت «كارل أوفِه» بحروف كبيرة على قصاصة الورق التي طويتها سريعًا وقدمتها إلى المعلمة عندما سارت بيننا حاملة قبعة لتلقّي الأوراق. كتبت المعلمة على اللوح أسماء المرشحين الستة؛ ثم استدعت سولفي -دونًا عن التلاميذ جميعًا- لقراءة أوراق التصويت. كلما قرأت سولفي اسمًا، تضع المعلمة علامة X عند ذلك الاسم على اللوح.

تأخّر الوقت ولم يظهر اسمي في أية ورقة. في البداية، نال إيفيند أصوات العدد الأكبر من الأولاد. ثم أدركت -مذعورًا- أنه لم يبق في القبعة إلا بضع أوراق فقط. لم أنل أي صوت حتى الآن! كيف يمكن هذا؟

لكن، ها هو أخيرًا.

قالت سولفي: «كارل أوفِه». فوضعت المعلمة علامة X إلى جانب اسمي.

قالت سولفي: «إيفيند».

... «إيفيند».

... «إيفيند».

قالت المعلمة: «أظن أننا انتهينا؟ فلنر ما لدينا. ممثلا الصف في المجلس هذه السنة هما إيفيند وماريانِه».

أطرقت برأسي ناظرًا إلى الطاولة التي أمامي.

صوتٌ واحد! كيف يمكن أن يحدث هذا؟

ثم إن ذلك الصوت كان صوتي أنا؟

لكني كنت أفضل تلميذ في الصف كلّه! في اللغة النرويجية، على الأقل! وكذلك في العلوم الطبيعية والاجتماعية.

وكنت الثاني في الرياضيات، أو ربما الثالث، أو الرابع.

لكن... عند النظر إلى جوانب الأمر كلّه... من عساه يكون أحسن مني؟

لا بأس، لقد فاز إيفيند. لكني حصلت على صوت واحد فقط... كيف يكون هذا ممكنًا؟

ألم يصوت أحد لي؟

لا بد من وجود غلطة في مكان ما!... لا أحد؟

فتحت باب البيت فوجدت أبي واقفًا في الداخل.

أجفلت عندما رأيته.

كيف أفلح في فعل هذا؟

هل هو واقف هنا في انتظاري؟

قال لي: «عليك أن تذهب إلى متجر B-Max من أجلي. انظر...». ناولني قائمة تسوق وورقة مئة كرونه... «أريد أن تعيد بقية المبلغ كاملة».

قلت: «نعم»، ثم وضعت حقيبتي وجريت إلى الطريق.

إن كان في العالم كلّه شيء أعرفه معرفة فائقة الدقة فهو تغيرات مزاج

أبي. عندما افتتحوا متجر B-Max، عاد إنغفِه إلى البيت بمبلغ أقل من الذي أعطاه له أبي، فضربه ضربًا كان أشد من أية مرة أخرى. هذا يعني أنه كان ضربًا شديدًا حقًّا لأن إنغفِه كان هو من يضربه أبي غالبًا. كان يضربه أكثر مما يضربني. نعم، لقد كنت أتلقّى عقابًا خفيفًا على الدوام.

بل إن مواعيد نومي نفسها كانت مرنة إن هي قورنت بمواعيد نومه.

ألقيت نظرة على القائمة.

1 كغ بطاطس
1 علبة أصابع كفتة
2 رأس بصل
قهوة (للركوة)
1 علبة شرائح أناناس
ربع كيلو كريما للحلويات
1 كغ برتقال

شرائح الأناناس! هل سيعدّ لنا حلوى اليوم؟ إنه يوم اثنين!

وضعت المواد المطلوبة كلّها في سلة، ثم وقفت أقلّب بعض المجلات على الرف إلى جانب صندوق المحاسبة. دفعت ثمن مشترياتي، ووضعت بقية المبلغ في جيبي، وجريت عائدًا إلى البيت حاملًا الكيس الثقيل بيدي.

صعدت إلى الطابق العلوي، ودخلت المطبخ، وسلمت أبي الكيس وبقية النقود. وضع المال في جيبه، ووقفت منتظرًا أن يقول لي إنني أستطيع الانصراف. لكنه لم يقل لي ذلك.

أشار إلى الكرسي وقال: «اجلس».

جلست.

قال لي: «شدّ ظهرك، يا ولد!».

شددت ظهري.

أخرج من الكيس حبات البطاطس التي كان عليها تراب، ثم بدأ تقشيرها.

ماذا يريد مني؟

التفت صوبي ويداه مستمرتان في العمل تحت الماء المتدفق من الصنبور. قال: «إذًا!؟».

مكتبة
t.me/t_pdf

فاجأني هذا، فنظرت إليه.

«ماذا قالت المعلمة؟».

«المعلمة؟»

«نعم، المعلمة. ألم يكن لديها ما تقوله لكم جميعًا في يومها الأول في المدرسة؟».

«أجل، كان لديها ما تقوله لنا. رحبتْ بنا في المدرسة، ثم أعطتنا جدول الدروس الأسبوعية، وأعطتنا كتبًا أيضًا».

سار إلى الخزانة التي عند الموقد وأخرج منها قدرًا. قال لي: «كيف هو جدول دروسكم الأسبوعي؟».

«هل أذهب وأجلبه؟».

«لا، لا. لا بد أنك قادر على تذكّر شيء منه، أليس كذلك؟ هل تظنّه جدولًا جيدًا؟».

أجبته: «أجل، جدول عظيم».

قال أبي: «هذا جيّد».

في تلك الليلة، أدركت معنى غياب أمي.

كانت غرف البيت من غير حياة.

أبي جالس في غرفة مكتبه في الطابق السفلي، وغرفة المعيشة والمطبخ «هناك» مكانان ميتان. ذهبت إليهما سائرًا على أطراف أصابعي فأتاني ذلك الإحساس عندما أسير وحيدًا في الغابة وأشعر بأنها مكتفية بنفسها وغير مرحّبة بوجودي فيها. انسحبت مثلما أنسحب من تلك الغابة.

كانت الغرف غرفًا فحسب... كانت حيّزًا خاليًا أدخله وأخرج منه.

لكن غرفتي لم تكن كذلك! كانت تحتضنني وتلتف من حولي فأحسّها آمنة وودودًا مثلما هي دائمًا.

في اليوم التالي، أتاني سْفير وغيّير هاكون عندما كنت عند متجر B-MAX. كان أولاد آخرون من صفنا واقفين من حولنا.

قال غيّير هاكون: «من الذي أعطاك صوته أمس، يا كارل أوفِه؟».

أجبته: «هذا سر».

قال: «لقد صوّت لنفسك! لم تحصل إلا على صوت واحد! لقد كان الصوت الذي منحته لنفسك».

قلت: «لا، هذا غير صحيح».

قال سْفير: «بل هو صحيح. لقد سألنا تلاميذ الصف جميعًا. لم يصوت لك أحد منهم. هذا يعني أنه لم يبق أحد غيرك. لقد صوّت لنفسك».

قلت له: «لا، هذا غير صحيح! لم أصوت لنفسي».

«فمن هو الذي أعطاك صوته؟».

«لست أدري».

«لكنا سألنا الجميع. لم يصوّت لك أحد. أنت هو صاحب ذلك الصوت. هيا، هيا، اعترف بالأمر».

قلت: «لا، هذا غير صحيح».

«لكنا سألنا الجميع. لم يبق إلا أنت».

«هذا يعني أن هناك من يكذب».

«ما الذي يجعل أحدًا يكذب في هذا الأمر؟».

«وما أدراني؟».

«أنت من يكذب. لقد صوّت لنفسك».

«لا، لم أفعل ذلك».

سرت تلك الإشاعة في المدرسة كلّها، لكني أنكرت كل شيء، ثم بقيت منكرًا كل شيء. عرف الجميع بما حدث، لكنهم لم يكونوا متأكدين من الأمر تمامًا إلا إذا اعترفت به! كانوا يرون أن من طبعي أن أفعل هذا؛ وكنت أرى أنني شخص متميز. لكني لم أستطع التفكير مثلما يفكّرون. يظنّون أن الشخص الذي يصوت لنفسه ليس أكثر من «لا أحد».

هذا لأنني لم أكن أقدِم على أية أعمال سيئة، ولا أسرق من المتجر، ولا أرمي العصافير بالحجارة، ولا أقذف السيارات أو السائرين في الطريق بنوى الكرز... لم أنضم إلى الآخرين عندما أغلقوا باب غرفة التجهيزات الرياضية على أستاذ الرياضة الجديد، ولم أكن أشاركهم عندما كانوا يضعون أوساخًا على كراسي المعلمين البدلاء، أو عندما يغمسون إسفنجات تنظيف اللوح في الماء... ثم إنني كنت أقول لهم دائمًا إن عليهم ألّا يفعلوا تلك الأشياء، وأقول لهم إنها أشياء سيئة... لم تكن هذه الأمور كلّها مما يمكن أن يجعل سمعتي حسنة بينهم! لكني كنت أعرف أنني محق، وأنهم يفعلون أشياء سيئة. كنت أدعو الله أن يسامحهم جميعًا... عندما يشتمون، مثلًا. عندها، يمكن أن تُتمتم شفتاي بدعاء من أجلهم: *يا ربي، سامح ليف تورِه على قوله كلامًا سيئًا*. هو لا يعني *هذا!* كنت أقول عددًا من الكلمات «السيئة قليلًا». لكن، وعلى الرغم من هذا كله، على الرغم من امتناعي عن التفوّه بالشتائم، وعن الكذب إلا في حالة الدفاع عن النفس، وامتناعي عن أعمال السرقة أو التخريب أو الإساءة إلى المعلمين... وعلى الرغم من اهتمامي بملابسي ومظهري ورغبتي في أن أكون محقًّا دائمًا وفي أن أكون أفضل منهم جميعًا، فقد كان معنى هذا كلّه أن تسوء سمعتي بينهم وأن أصير شخصًا لا يسمح أحد لنفسه بالقول إنه يحبه! على الرغم من هذا كله، لم ينبذني الآخرون، ولم يتجنّبوني. فإذا كنت مع ليف تورِه وغيّير هاكون، مثلًا، فإن من الممكن أن ينضم إلينا أولاد آخرون. داغ لوثار، أو داغ ماغنِه. وعندما يجتمع الأطفال معًا في مجموعات كبيرة فهم لا ينبذون أحدًا... يحظى أي شخص بالقبول، بمن فيهم أنا.

وبطبيعة الحال، كان من الأسهل لي أن أجلس في البيت وأقرأ.

وما كان يمكن أن يفيد سمعتي أنني صرت مسيحيًا! الحقيقة أن تلك كانت غلطة أمي. ففي يوم من أيام السنة الماضية، منعتني أمي من قراءة المجلات المصورة. أتيت مبكرًا إلى البيت بعد المدرسة، وصعدت السلم جريًا لأن أبي كان لا يزال في عمله. كنت سعيدًا بذلك. كانت أمي جالسة على كرسي في غرفة المعيشة تضع في حضنها كتابًا.

نظرت إلي سألتني: «هل أنت جائع؟».

قلت: «أجل».

نهضت وذهبت إلى المطبخ، حيث أخرجت من علبة الخبز رغيفًا. كان المطر في الخارج غزيرًا كأنه خطوط مرسومة في الهواء. أشخاص قلائل يسيرون في الطريق بعد نزولهم من الباص. رؤوسهم مطرقة تحت قبعات أرديتهم الواقية من المطر.

قالت أمي وهي تقطع شريحة خبز: «اليوم، كنت أنظر إلى بعض مجلاتك المصورة؟ ما هذا الذي تقرأه؟ لقد أخافني!».

قلت: «أخافك!؟ ما معنى هذا؟».

وضعتْ شريحة الخبز في طبق أمامي، ثم فتحت البراد وأخرجت منه زبدة وجبنًا طريًا أبيض.

«ما تقرأه فظيع جدًّا! كلّه عنف! أشخاص يتبادلون إطلاق النار ويضحكون. لا تزال صغيرًا على قراءة أشياء من هذا القبيل».

قلت لها: «الجميع يقرأ هذه الأشياء».

«هذه ليست حجّة. وهذا لا يعني أن تقرأها».

قلت وأنا أبسِط الزبدة على الخبز بالسكين: «لكنها تعجبني».

جلست أمي وقالت: «أعرف أنها تعجبك. هذا أسوأ ما في الأمر. إن هذا النوع من المجلات يقدم البشر في صورة فظيعة. النساء خاصة! هل تفهم هذا؟ لا أريد أن تتشكّل آراؤك بفعل ذلك».

«بفعل القتل؟».

«على سبيل المثال!».

قلت لها: «لكن، ليس المقصود منه أن يعتبره المرء أمرًا حقيقيًا».

تنهّدت أمي: «هل تعرف أن إنغون تكتب أطروحة جامعية عن العنف في المجلات المصورة؟».

قلت: «لم أكن أعرف هذا».

قالت: «هذا ليس جيدًا لك. الأمر بسيط إلى هذه الدرجة. على الأقل، أنت تفهم الأمر. هذا ليس جيدًا لك».

«إذًا، هل تريدين القول إنك لا تسمحين لي بقراءتها؟».
«صحيح».
«كيف؟»
«هذا من أجل مصلحتك».
«لا تسمحين لي بقراءتها! لكن، يا ماما، يا ماما... هل هو منع دائم؟».
«عليك أن تقرأ لدونالد دوك».
صحت: «دونالد دوك!؟ لا أحد يقرأ لدونالد دوك!».
انفجرت باكيًا وجريت إلى غرفتي.
تبعتني أمي. جلست على حافة السرير وراحت تمسّد على ظهري.
قالت: «تستطيع قراءة الكتب. إنها أفضل كثيرًا. تستطيع أن تذهب إلى المكتبة. سنذهب أنا وأنت وإنغفِه. سنذهب إلى آرندال مرة كل أسبوع. وعندها تستطيع استعارة كتب كثيرة بقدر ما تشاء».
«لكني لا أريد قراءة الكتب. أريد قراءة المجلات المصورة».
«كارل أوفِه، لقد اتخذتُ قراري».
«لكن بابا، يقرأ المجلات المصورة».
«إنه كبير. الأمر مختلف هنا».
«هل يعني هذا أنني لن أقرأ مجلات مصورة بعد الآن؟».
«لدي عمل هذا المساء. لكننا سنذهب إلى المكتبة غدًا. هل نعتبر الكلام منتهيًا؟».
قالت هذا ونهضت.
لم أجبها بشيء، فخرجتْ من الغرفة.
لا بد أنها رأت مجلة من سلسلة *«كامب»*، أو *«فينر»*، فقد كانت قصص هذه المجلات تتحدّث عن الحرب... قصص يقدِمُ فيها الألمان، أو «الفريتز»، أو «ساوركراوت»، أو مهما يكن الاسم الذي يطلقون عليهم، على القتل مع ابتسامة على وجوههم. وكانت في صفحاتها كلمات كثيرة من قبيل «رجال العاصفة» و«الأغبياء»، وكلمات أخرى يتصايحون بها

في غمرة المعركة. أو لعلها وجدت شيئًا من *«إيجنت إكس 9»* أو *«سيري سبيسيال»*، حيث يرى المرء نساء كثيرات بالبيكيني، بل حتى من غير بيكيني في أحيان كثيرة. كانت رائعة رؤية مودستي بليز تتعرى؛ لكني لم أكن أنظر إليها إلا في خلوة؛ فقد كان العري يجعلني في حرج شديد إلى حد يصعب تصديقه. يحمرُّ وجهي كلما ظهر برنامج *«آغاتون ساكس»* على «تلفزيون الأطفال» إن كان أبي وأمي في الغرفة، وذلك لأن بطل البرنامج يظهر في مقدمته متلصّصًا بمنظار مقرّب على امرأة عارية. وفي بعض الأحيان، تظهر في برامج الرسوم المتحركة أو أفلام التلفزيون ممارسة جنس حقيقية. إذا حدث ذلك خلال الفترة التي يجوز لي فيها أن أتابع فيها التلفزيون، فإن الأمر يصير غير محتمل أبدًا. نكون جالسين هناك، الأسرة كلّها، الأم والأب وولداهما، يتابعون التلفزيون، فيظهر رجل وامرأة يتضاجعان وسط غرفة المعيشة... فأين تنظرُ عند ذلك؟

أوه، كان هذا أمرًا فظيعًا!

لكن المجلات المصوّرة موجودة في غرفتي؛ وكل ما حدث هو أن أمي ألقت نظرة عليها، لا أكثر!

والآن، صارت قراءتها غير متاحة لي... على غير انتظار!

كان هذا ظلمًا كبيرًا!

بكيت، وغضبت، وذهبت لرؤيتها من جديد، وقلت لها إنه ليس من حقّها منعي من قراءة المجلات؛ لكني كنت مدركًا أنني خسرت المعركة، وأنها اتخذت قرارها وانتهى الأمر، وأنها ستخبر أبي إذا لم أكف عن الاحتجاج. بعد إخبار أبي، ستكون أية مقاومة أمرًا عديم الجدوى.

أعدت المجلات المستعارة من أشخاص آخرين؛ ورَميت المجلات الأخرى. ذهبنا إلى المكتبة في اليوم التالي حيث تلقّى كل منّا بطاقة عضوية فيها. لقد قُضي الأمر: احتلت الكتب الساحة منذ تلك اللحظة فصاعدًا. صرت أخرج من مكتبة آرندال كل يوم أربعاء حاملًا كيسًا من الكتب في كل يد. كنت أذهب مع أمي وإنغفِه الذي يستعير كتبًا كثيرة، مثلي. ثم نعود إلى

السيارة، وننطلق إلى البيت. وفي البيت، أستلقي على سريري وأقرأ طيلة الشطر الأكبر من المساء، وطيلة يومي السبت والأحد... نمط متكرر لا تقطعه إلا نزهات في الخارج، قصيرة أو طويلة. ومع انتهاء كل أسبوع، أعود إلى المكتبة بكيسين من الكتب التي أنجزت قراءتها، وأخرج منها بكيسين جديدين. قرأت كل ما لديهم من قصص. أحببت «بيكوموتو» كثيرًا، ذلك الصبي الصغير الذي كبر في الغرب الأميركي؛ لكني أحببت أيضًا قصة «جان»، وبالطبع أحببت أيضًا «الأولاد الشجعان»، و«التوأمان بوبسي» و«نانسي درو» و«الفتاة المحقّقة». أحببت سلسلة «المشاهير الخمسة»، وحظيت بنصيب طيب من كتب تتحدّث عن أشخاص حقيقيين، فقد قرأت عن هنري فورد، وثوماس ألفا أديسون، وبنيامين فرانكلين، وفرانكلين د. روزفلت، وونستون تشرتشل، وجون ف. كندي، وديفيد ليفنغستون، ولويس آرمسترونغ؛ وكانت دائمًا عيناي تفيضان دموعًا في الصفحات الأخيرة -أمر طبيعي تمامًا- لأنهم يموتون. أنهيت سلسلة «في فار ميد» المشتملة على كل ما في العالم من رحلات استكشافية معروفة أو غير معروفة؛ وقرأت كتبًا عن رحلات السفن ورحلات الفضاء. جعلني إنغفِه مهتمًا بمؤلفان فون دانيكن الذي كان يرى أن الحضارات العظيمة كلها أتت نتيجة اتصال بمخلوقات من خارج الأرض. صرت مهتمًا أيضًا بالقراءة عن برنامج أبولو؛ وكانت بداية ذلك الاهتمام قراءتي عن ماضي رواد الفضاء عندما كانوا طيارين يحاولون تسجيل أرقام قياسية في سرعة الطيران. قرأت أيضًا كتب غيلدندال القديمة للأولاد التي كانت عند أبي، ومن بينها كتاب اسمه «*أوفر كنولن إكانو*» الذي كان له أثر كبير في نفسي: كتاب يتحدّث عن أب يذهب في رحلة تخييم مع ولديه الاثنين حيث يرون طائر «آوك» عظيمًا كان هناك اعتقاد شائع بأنه منقرض. قرأت أيضًا كتابًا عن ولد اختطفه منطاد زيبلن ألماني في إنكلترا في السنوات الفاصلة بين الحربين العالميتين؛ وقرأت كتب جول فيرن الكثيرة التي كان أفضلُها عندي كتاب «*عشرون ألف فرسخ تحت سطح البحر*» و«*حول العالم في ثمانين يومًا*». وأيضًا كتاب «*بطاقة اليانصيب*» الذي يتحدّث عن أسرة

فقيرة في تيليمارك ربحتْ ورقة اليانصيب. قرأت كتاب «*الكونت دي مونت كريستو*» و«*الفرسان الثلاثة*» و«*بعد عشرين عامًا*» و«*الزنبقة السوداء*». قرأت «*لورد فاونكليروي الصغير*»؛ وقرأت «*أوليفر تويست*» و«*ديفيد كوبرفيلد*»؛ وقرأت «*ابن لا أحد*» و«*جزيرة الكنز*» و«*أطفال الغابة الجديدة*» الذي أحببت قراءته مرة بعد مرة لأنني لم أستعره، بل أتاني هدية. قرأت أيضًا كتاب «*تمرد على السفينة باونتي*»، وكتب جاك لندن. وقرأت كتبًا عن أبناء البدو، وعن صيادي السلاحف، وعن المسافرين خفْية في السفن والقطارات، وعن سائقي سيارات السباق. قرأت سلسلة كتب عن شخص سويدي كان صبيًا طبّالًا في فرقة موسيقية عسكرية في الحرب الأهلية الأميركية؛ وقرأت كتبًا عن أولاد يلعبون كرة القدم فتتبّعتهم موسمًا بعد موسم؛ وقرأت كتبًا أكثر ميلًا إلى الطابع الاجتماعي أتى بها إنغفِه إلى البيت: كانت كتبًا عن فتيات حمِلن وكنّ موشكات على الإنجاب، أو عن فتيات انتهى بهن الأمر إلى المناطق الموبوءة وإلى تعاطي المخدرات. لم يكن موضوع الكتاب مهمًّا عندي، لأنني كنت أقرأ كل شيء، كل شيء على الإطلاق. عثرت في السوق الشعبية السنوية التي تقام في هوفه على سلسلة كتب روكامبول، فاشتريتها والتهمتها التهامًا. سلسلةٌ أخرى عن فتاة اسمها «إيدا» قرأتُ كتبها على الرغم من أنها كانت أربعة عشر كتابًا. قرأت كل ما كان عند أبي من نسخ مجلة «*ديدكتيف ماغانيز*». ولما صار عندي قدر كافٍ من المال، اشتريت كتبًا عن كنوت غرْيب، ذلك المحقّق من أوسلو. قرأت عن كريستوفر كولومبوس، وعن ماجلان، وفاسكو دي غاما، وعن آموندسن ونانسن. قرأت «*ألف ليلة وليلة*»، والقصص الشعبية النرويجية التي أتت هدية لي ولإنغفِه من جدتي وجدي في عيد الميلاد. قرأت عن الملك آرثر وفرسان الطاولة المستديرة، قرأت عن روبن هود وليتل جون وميد ماريان، وكذلك عن بيتر بان والأولاد الفقراء الذين كانوا يفتدون أبناء الأغنياء بأرواحهم. قرأت عن أولاد شاركوا في العمليات التخريبية أثناء الاحتلال الألماني في الدانمارك. وعن أولاد أنقذوا أشخاص من انهيارات ثلجية. قرأت عن رجل غريب قصير القامة عاش

على أحد الشواطئ وكان يتدبر أمره بما يستطيع استخراجه من حطام السفن. وقرأت عن فتيان إنكليز كانوا متطوعين على سفن حربية، وعن مغامرات ماركو بولو في بلاط جنكيز خان. كتابٌ بعد كتاب، وكيسُ كتب بعد كيس كتب، وأسبوعٌ بعد أسبوع، وشهرٌ بعد شهر. تعلّمت من كل ما قرأته أن عليك أن تمتلك شجاعة، وأن الشجاعة قد تكون أعلى الخصال شأنًا. تعلمت أيضًا أن تكون مخلصًا وصادقًا في تعاملاتك كلّها، وأن عليك ألا تخذل الآخرين أبدًا. فوق هذا، عليك ألا تضعف أبدًا، وألا تستسلم أبدًا؛ فإذا كنت شخصًا صادقًا، شجاعًا، مستقيمًا، مصممًا -مهما جعلك ذلك تشعر بالوحدة، ومهما جعلك تواجه الصعاب منفردًا- فأنت الفائز في آخر المطاف. فكرت في هذا كثيرًا؛ وكانت من بين الأفكار التي تأتيني عندما أكون وحيدًا أنني سأعود إلى هذا المكان في يوم من الأيام وأكون فيه شخصًا ذا شأن. سأكون شخصًا كبير الشأن يصير محط إعجاب كل شخص في تيباكن، أعجبه ذلك أم لم يعجبه. كنت أعرف أن هذا لن يحدث عما قريب لأن الاحترام لم يكن ما ظفرت به عندما قال آزغير كلامًا سيئًا عني وعن فتاة كانت تعجبني، فتقدّمت منه لكنه رماني أرضًا وجلس فوقي وبدأ يلكز صدري وخديّ وهو يضحك ويسخر مني. في تلك اللحظة، كانت في فمي قطعة سكاكر طرية فحاولت أن أبصقها عليه، لكني فشلت. كانت تلك حركة غادرة -يعرف الجميع هذا- لكن الكتلة الصفراء الدبقة انتشرت على وجهي كله. قلت له: *رائحة البول فائحة منك، أيها القذر!* وكان هذا صحيحًا فعلًا. ثم إن آزغير كان لديه أيضًا صفان من الأسنان، مثل سمكة القرش، صف ظاهر وصف آخر خلفه. ذكرتُ هذه الحقيقةَ المنفّرة لجمع الأولاد المحتشد من حولنا، لكني لم أستفد شيئًا فقد بقيت ملقى على ظهري، مهزومًا، عاجزًا تمامًا. لا يمكنك أن تحصل على أكثر من هذا من المثُل التي اكتسبتها من القراءة -في واقع الأمر، كانت تلك المثُل سارية بين الأطفال أيضًا لأن لديهم كثيرًا من الأفكار المماثلة عن الشرف، على الرغم من أن تلك الكلمة نفسها لم تكن مستخدمة- لكن الأمور جرت على هذا النحو. لقد كنت ضعيفًا، بطيئًا، جبانًا... لم أكن قويًا،

ولا سريعًا، ولا شجاعًا! فما فائدة كوني على صلة بتلك المثُل، خلافًا لهم، المثُل التي صرت على معرفة تامة بها، بل على معرفة أفضل مما يمكن أن يبلغه أكثرهم؟ ما الفائدة إذا كنت غير قادر على العمل بها؟... إذًا كنت أبكي من غير سبب؟ كنت أشعر بالظلم لأنني، من بين الناس جميعًا، أعرف تلك الأشياء كلها عن الشجاعة، ثم يأتي من يجلس فوقي وأكون ضعيفًا أمامه، أكون ضعيفًا إلى هذا الحد! لكن، كانت هناك أيضًا كتب عن الضعف؛ وقد حملني واحد من تلك الكتب على موجة سوف تظل مستمرة شهورًا كثيرة.

مرضت في الخريف. كنت أستلقي في الفراش طيلة النهار فيصيبني ضجر شديد. وذات يوم، جلب لي أبي بضعة كتب قبل ذهابه إلى عمله. كانت تلك الكتب لديه في القبو: كتب قديمة من أيام طفولته في عقد الخمسينيات سمح لي باستعارتها. كان عدد من تلك الكتب من إصدار مؤسسة مسيحية؛ ولسبب من الأسباب، كان لهذه الكتب أكبر الأثر عليّ، بل كان أثر أحدها عميقًا جدًا. كان ذلك كتابًا عن صبي مات أبوه ولم يبق في البيت من يعتني بأمه المريضة غيره. عاشا فقرًا شديدًا، وكانا معتمدين اعتمادًا تامًا على الجهد الذي يبذله الصبي من أجل تدبّر أمر العيش. واجهته جماعة من الأولاد كانت أشبه بعصابة. لم يكتفوا بأن تكاثروا على الصبي المختلف عنهم وضربوه. كانوا أولادًا يشتمون ويسرقون أيضًا؛ وكانت نجاحات هذه العصابة بالمقارنة مع النكسات المتواصلة التي تصيب بطل القصة المستقيم الشريف المحب، شيئًا يكاد احتماله يكون مستحيلًا. جعلني هذا الظلم أبكي. وجعلني هذا الشر أبكي. وهزتني إلى أعماق روحي هذه الحالة التي يتغلب فيها الشر على الخير بهذه الطريقة البشعة، فقررت أن أصير شخصًا خيّرًا. من الآن فصاعدًا، سأسلك مسلكًا صالحًا، وأقدم المساعدة عندما أستطيع تقديمها، وأمتنع عن فعل كل شيء خاطئ. بدأت أدعو نفسي مسيحيًا. كان عمري تسع سنين؛ ولم يكن بين الناس الذين من حولي أحد يعتبر نفسه مسيحيًا، لا أمي ولا أبي ولا أهلهما ولا أحد من الأطفال الآخرين -باستثناء والديّ أوفيند سوندْت اللذين كانا

يحذّرانه من شرب الكولا وتناول السكاكر ومشاهدة التلفزيون والذهاب إلى السينما- وبالطبع، لم يكن أحد من صغار السن يعتبر نفسه مسيحيًا. من هنا، فقد كنت منفردًا تمامًا في وضع هذه المهمة لنفسي في تيباكن في أواخر عقد السبعينيات. بدأت أصلي للرب قبل نومي وفور استيقاظي في الصباح. وعندما اجتمع الآخرون في ذلك الخريف للذهاب والسطو على أشجار التفاح في غاملِه تيباكن، قلت لهم ألا يذهبوا، وقلت لهم إن السرقة عمل شرير. لم أقل هذا لهم جميعًا دفعة واحدة لأنني لم أجرؤ على ذلك. كنت مدركًا تمامًا ذلك الاختلاف بين ردود أفعال الجماعة حيث يحرّض كل واحد رفاقه على فعل أمر من الأمور، وردود الأفعال الفردية عندما يكون الشخص مرغمًا على مواجهة الأمر المطروح مواجهة مباشرة ولا يستطيع الاختباء ضمن جمع من الأشخاص يغيب فيه الطابع الشخصي. وهكذا، كان هذا ما فعلته عندما ذهبت إلى من أعرفهم أكثر من غيرهم، إلى أقراني، وقلت لكل واحد منهم إن سرقة التفاح أمر خاطئ... فكّر في الأمر!... ليس لك أن تفعل هذا! لكني لم أكن راغبًا في البقاء وحيدًا فذهبت معهم، وتوقّفت عند البوابة أنظر إليهم وهم يتسلّلون عبر الحقول العتيقة وقت الغسق؛ وسرت إلى جانبهم وهم يأكلون التفاحات في طريق العودة: جيوب ستراتهم منتفخة بالتفاح. كنت أرفض دائمًا ما يعرضونه عليّ من مسروقاتهم لأن التعامل بالمسروقات ليس بأقل من السرقة سوءًا.

ذهبنا في عطلة عيد الميلاد لزيارة جدي وجدتي في سوربوفاغ. تعرفت على صديق جديد هناك، ورجوته مرة بعد مرة أن يكف عن التلفظ بالشتائم. أتذكّر شدّة خوفي من أن يخالف توجيهاتي عندما يأتي إلى البيت معي حتى يلقي التحية على جدي وجدتي. وأتذكّر أنني طالبته مرات كثيرة بألا ينطق بأية شتيمة. انتهى الأمر بأن بدأ ذلك الصبي يتجنّب لقائي، فجعلت نفسي أتقبل الأمر من خلال التفكير في أنني فعلت الأمر الذي أعرف أنه صائب. كنت أعطي مقعدي لكبار السن في الباص حتى يجلسوا، وأسألهم إن كنت أستطيع أن أساعدهم في حمل شيء عندما يخرجون من السوبر ماركت. لم أكن أتعلّق

بالسيارات العابرة أبدًا، ولا أكسر أي شيء، ولا أرمي الطيور بالحجارة... بل كنت أنظر إلى موضع خطواتي حتى لا أدوس النمل والخنافس. وحتى عندما أقطف أزهارًا في الربيع، مع غيّير أو أي صبي آخر، لكي أُقدّمها إلى أمي أو أبي، فقد كان قلبي يغصّ عندما أفكر في تلك الأرواح التي أُزهقها.

وعندما يهطل الثلج في الشتاء، كنت أجد نفسي راغبًا في مساعدة الكبار السن في جرف الثلج أمام بيوتهم. وفي واحد من تلك الأيام -كان يوم اثنين، بعد المدرسة؛ وكان الثلج قد هطل غزيرًا في الليل- حاولت إقناع غيّير بأن يذهب معي لإزالة الثلج من مدخل بيت واحد من الناس. لم يقتنع غيّير إلا بعد إشارتي إلى أن من المحتمل كثيرًا أن يعطينا ذلك الرجل العجوز مالًا لقاء هذه المساعدة. عندها، أفلحت في جعله يذهب معي. كان أبي قد اشترى في الآونة الأخيرة مجرفة ثلج جديدة من ذلك النوع الذي يدعونه «مجرفة سورلاند»: مجرفة حمراء، لامعة، جذابة المظهر. ولما كان أبي قد أنجز في ذلك الصباح تنظيف مدخل بيتنا من الثلج، فقد افترضت أنه لم يعد في حاجة إلى المجرفة في ذلك اليوم. أخذت المجرفة وانطلقت جنبًا إلى جنب مع غيّير الذي كان يدفع أمامه «مجرفة سورلاند» الخضراء التي لديهم. كان البيت الذي وقع اختياره عليه عند المنعطف. وعندما قرعنا الجرس، أشرق وجه العجوز عندما فتح الباب وأدرك أننا لسنا قادمين إليه لكي نقذف بيته بكرات الثلج (هذا ما كان يفعله أطفال كثيرون)، بل لمساعدته في تنظيف مدخل بيته. كان ذلك عملًا شاقًا، لكنه كان ممتعًا أيضًا. حفرنا نفقًا حتى نتمكن من دفع الثلج عبره حتى الحافة حيث نلقيه في الخندق. كنا نجرف الثلج إلى الخندق فينهال فيه مثل انهيارات ثلجية صغيرة. كانت السماء رصاصية ثقيلة، والثلج شديد الرطوبة يتسرّب الماء منه عند تكويمه. سمعنا صوت نفير الضباب آتيًا من ناحية تورنغن. كان الأطفال يتسابقون نازلين التلّة على زلاجاتهم؛ وكانت سيارات تمر صاعدة في طريقها إلى البيت عائدة من العمل وتنحرف وتنزلق في سيرها. استغرق تنظيف ذلك الممر ساعة كاملة مضينا بعدها إلى الباب وقلنا للرجل العجوز إننا أنجزنا العمل فشكرنا وأغلق الباب. قذفني غيّير بنظرة اتهامية.

سألني: «ألم يكن مفترضًا أن نحصل على مال لقاء هذا؟».

«صـ... حيح. كان مفترضًا أن نحصل على شيء من المال. لكنه ليس ذنبي أن الرجل لم يعطنا شيئًا».

«هل فعلنا هذا كله مقابل لا شيء؟».

قلت: «هذا ما يبدو لي. لا أهمية للأمر. هيا بنا، فلنذهب».

سار غيّير خلفي متبرّمًا. وعندما بلغنا الطريق أمام بيتنا، رأيت أبي واقفًا في الممر الذي أمامه. شعرت بأن قلبي قد توقّف عن النبض. تقلّصت معدتي وصرت شبه عاجز عن التنفس. أبصرت الغضب متّقدًا في عينيه.

صاح عندما صرت في أول الممر: «تعال هنا فورًا، في هذه الدقيقة». ظلت عيناي متعلقتين بالأرض طيلة الخطوات الأخيرة.

قال أبي: «انظر إلي».

نظرت إليه.

صفعني على وجهي.

شهقت، ثم أمسك بصدر سترتي ودفعني إلى الجدار.

قال لي: «هل أخذت مجرفة سورلاند التي هي لي؟ إنها جديدة تمامًا! وهي مجرفتي! لا تمد يدك إلى أشيائي! هل تفهم؟ لم تطلبْ مني إذنًا! ظننت أن أحدًا قد سرقها».

كنت أشهق وأبكي بكاء شديدًا فلم أكد أسمع ما قاله لي. أمسك بسترتي من جديد ودفعني عبر باب البيت فطرت واصطدمت بالجدار الذي في الجهة المقابلة.

«لا تعدْ إلى فعل هذا مرة أخرى... أبدًا! اصعد إلى غرفتك وابق فيها إلى أن أبلغك بغير هذا. هل تفهم ما أقوله لك؟».

قلت: «أجل، يا بابا».

أغلق باب مكتبه بعنف، فبدأت أخلع ملابس الخروج. كانت يداي ترتجفان. خلعت قفازيَّ وقبعتي، ثم خلعت حذائي، ثم البنطلون الواقي من الماء، ثم السترة، ثم الكنزة الثقيلة. صعدت إلى غرفتي واستلقيت على

سريري. كان كل ما في داخلي أحمر متقدًا. بدأت أبكي، وتساقطت دموعي على وسادتي في حين استولى عليّ غضب خائف راح يمزقني، هنا وهناك، فلم أدر ما أفعل به. أنا أكره أبي... أكرهه، ولا بد لي من الانتقام. سوف أنتقم منه. وسوف يرى هذا عما قريب. سوف أسحقه... سوف أسحقه.

ثم فاجأتني فكرة: ماذا يفعل ولد جيد في هذه الحالة؟ ماذا يفعل مسيحي حقيقي في هذه الحالة؟ إنه يسامح!

سرى في جسدي ونفسي دفء غامر لحظة ظهرت هذه الفكرة في ذهني.

سوف أسامحه. يا لها من فكرة عظيمة!... فكرة جعلتني شخصًا كبيرًا!

لكن... فقط عندما أكون وحدي. وأما عندما أكون في غرفة واحدة معه، فإن الأمر يصير كأن حضوره يبتلع كل شيء في داخلي، ولا يبقى غيره: أصير غير قادر على التفكير في أي شيء آخر.

سوف يرسم ذلك اليوم الأول مع أبي وحده في البيت معالم بقية أيام السنة التي ستعقبه. طعام الإفطار معدٌّ وجاهزٌ على الطاولة كل يوم؛ وطعام الغداء موضّب في البراد. أذهب لشراء المستلزمات عقب عودتي من المدرسة؛ وأجلس فأجيب عن أسئلته وهو يطهو طعام العشاء... كلام تتخلّله فواصل كثيرة تعقبها عبارته الدائمة: *انصب ظهرك، يا ولد!* - اضطر أحيانًا إلى البقاء جالسًا هناك إلى أن ينجز عمله؛ لكن من الممكن في أحيان أخرى أن يقول لي فجأة *«اذهب»*، وكأنه يفهم حقًا مقدار عذابي خلال هذه الجلسات التي تستمر الواحدة منها نصف ساعة وتكون «الفكرة» منها أن أسلّيه. ثم نأكل قبل أن أمضي بقية الأمسية وحيدًا مع إنغفهِ في الطابق العلوي، أو خارج البيت، في حين يذهب أبي إلى اجتماعاته أو يعمل في مكتبه. نذهب إلى ستيوا مرة في الأسبوع، بعد المدرسة، لكي نزور المتجر الكبير هناك. وفي الأمسيات، يجلس أحيانًا ويتابع التلفزيون معنا. لم نكن نمنحه أية فرصة: نجلس معه، ظهرانا متصلبان، لا نتكلّم ولا نتحرّك. وإذا سألنا عن أمر ما، نجيبه بكلمات قصيرة جدًا.

ومع الوقت، بدأ ينصرف عن إنغفِه ويمضي مزيدًا من الوقت معي. لم أكن أجرؤ على التزام الصمت وإبداء الاستياء مثلما يفعل أخي.

لكن ذلك لم يكن على الدوام ناجحًا! صوت خطواته على السلم كان علامة شؤم. أحرص على إبقاء الصوت منخفضًا إذا استمعت إلى الموسيقى. وإذا كنت أقرأ على السريري، أجلس منتصب الظهر عند سماع خطواته حتى لا يأتي ويراني مسترخيًا.

إنه آتٍ إلى هنا؟

إنه آتٍ إلى هنا!

ينفتح الباب؛ ها هو واقف هناك.

كانت الساعة الثامنة. لم يصعد إلى الأعلى منذ أن تناولنا الطعام في الساعة الرابعة.

جالت عيناه في الغرفة سريعًا، ثم توقفتا عند طاولتي.

قال لي: «ما هذا الذي لديك هناك؟». دخل الغرفة، وأمسك رزمة أوراق اللعب... «هل نلعب؟».

وضعت الكتاب وقلت له: «لا بأس، إن كنت راغبًا في اللعب».

جلس على السرير إلى جانبي. قال لي: «سوف أعلمك لعبة جديدة».

رفع يده بحزمة ورق اللعب ورمى بها فتناثرت في الغرفة كلّها.

قال اسم اللعبة: «التقاط اثنتين وخمسين ورقة. هيا، انطلق. اجمعها كلّها».

لقد ظننته راغبًا حقًا في لعب الورق فخاب أملي كثيرًا عندما رأيت أنه يعبث بي، وأن عليّ أن أركع على ركبتي لكي أجمع الأوراق كلّها وهو جالس على السرير يضحك مني. بلغ انزعاجي حدًا جعلني أقول كلمة غير مهذبة.

لو فكرت في الأمر لحظة، لما قلت تلك الكلمة أبدًا.

لكني لم أفكّر، ولم أدر كيف خرجت من فمي.

قلت: «إلى الجحيم! لماذا فعلت هذا؟».

تجمّد أبي في مكانه. أمسك أذني ونهض واقفًا وهو يشد عليها ويلويها.

«هل صرت تشتم أباك؟». قال هذا وواصل ليّ أذني أكثر فأكثر إلى أن انفجرت باكيًا.

قال وهو لا يزال ممسكًا بأذني بينما انحنيت وبدأت أجمع الأوراق عن الأرض: «والآن، اجمع هذه الأوراق كلها، يا ولد».

فرغت من جمعها فترك أذني. ظل في مكتبه عندما حان وقت العشاء. ذهبنا إلى المطبخ فوجدنا كل شيء معدًّا.

وفي اليوم التالي، لم ينادني إلى المطبخ كعادته وقت إعداد الطعام. لم يأت النداء من المطبخ إلا بعد أن صار كل شيء جاهزًا. جلسنا وتناولنا الطعام من غير أية كلمة: شرائح لحم الحوت مع مرق اللحم والبصل والبطاطس. أكلنا في صمت تام، ثم شكرناه وقمنا عن الطاولة. غسل أبي الأطباق، ثم أكل برتقالة في غرفة المعيشة (عرفت هذا من رائحتها)، وشرب فنجان قهوة (سمعت هسيس وعاء القهوة على النار)، ونزل إلى غرفة مكتبه حيث شغّل الموسيقى برهة قبل أن يرتدي معطفه ويذهب إلى سيارته وينطلق بها.

فتحت الباب فور غياب هدير السيارة، ودخلت غرفة المعيشة. جلست على الكنبة الجلدية البنية ووضعت قدميّ على الطاولة. ثم نهضت، وذهبت إلى المطبخ، وفتحت البراد فنظرت فيه: طبقان فيهما سندويتشات جاهزة للأكل؛ هذا عشاؤنا. فتحت الخزانة التي إلى جوار البراد وأخرجت علبة الزبيب. ملأت كفي زبيبًا، ثم أفرغتها في فمي بينما كانت يدي الأخرى تسوّي سطح الزبيب في العلبة. عدت إلى غرفة المعيشة وأنا أمضغ الزبيب، وشغّلت التلفزيون. يقدّمون في الساعة السادسة والنصف إعادة لمسلسل «*المسافر الأعمى*». كان ذلك مسلسلًا عن سفينة فضاء. كان مسلسلًا مرعبًا إلى حدٍّ لا يصدق. وكانوا يبثونه ليلة الجمعة؛ ولم يكن أبي وأمي يسمحان لنا بمشاهدته، لكن أيًا منهما لم يكن على علم بموعد إعادة بثه في اليوم التالي، ذلك الموعد الذي كان من حسن حظنا أنه يصادف وقتًا لا يكون أحد منهما في البيت. أتى إنغفِه، وجلس على الأريكة، بل استلقى عليها تقريبًا.

قال لي: «ماذا تأكل؟».

أجبته: «إنه زبيب».

قال: «وأنا أريد زبيبًا».

نهض واقفًا، فقلت له: «لا تأخذ منه كثيرًا وإلا فسوف يلاحظ بابا ذلك».

قال إنغفِه: «لا بأس». سمعته يفتح باب الخزانة ثم يناديني... «ألا تريد قليلًا من اللوز أيضًا؟».

أجبته: «أجل، شكرًا. لكن، لا تُكثر».

كان مصباح الشارع في الخارج مشعًّا بلون برتقالي. وكان الإسفلت من تحته لامعًا باللون نفسه، وكذلك عدد من أشجار الصنوبر خلف الطريق. لكن الغابة بعد ذلك كانت مظلمة كأنها قبر. أتى أنين دراجة آلية من الجهة الأشد انحدارًا.

قال إنغفِه: «خذ، افتح يدك»، ووضع بضع حبات لوز في راحتي. كنت قادرًا على تمييز رائحة إنغفِه بكل وضوح. رائحة لاذعة، لكنها خفيفة جدًا... رائحة تكاد تكون معدنية. لم تكن تلك رائحة عرقه، فذلك له رائحة مختلفة، بل رائحة جلده نفسه. كانت لجلده رائحة معدنية أشمّها عندما نتصارع، وأشمّها عندما يدغدغني، بل أشمّها أحيانًا عندما يكون مستلقيًا، يقرأ، على سبيل المثال... أقرّب أنفي من ذراعه وأشم رائحته. أحب رائحة إنغفِه؛ وأحب إنغفِه.

نهض إنغفِه واقفًا قبل خمس دقائق من بدء مسلسل «المسافر الأعمى». قال: «فلنقفل باب البيت، ولنطفئ المصابيح كلها حتى يصير المكان مخيفًا».

قلت: «لا! لا تفعل ذلك».

ضحك إنغفِه: «هل أنت خائف منذ الآن؟».

نهضت ووقفت في طريقه. طوّقني بذراعيه ورفعني عن الأرض فأعادني إلى حيث كنت جالسًا، ثم ذهب في اتجاه السلم.

قلت له: «لا تفعل هذا! من فضلك!».

ضحك إنغفِه من جديد. قال وهو نازلٌ درجات السلم: «أنا ذاهب الآن إلى الأسفل حتى أقفل الباب».

جريت خلفه. قلت له: «إنني أعني ما قلته لك، يا إنغفِه».

قال: «أعرف أنك تعنيه...». أغلق الباب، ووقف عنده... «لكني من يتولى القيادة عندما نكون وحدنا». وأطفأ المصباح.

كان في رائحة إنغفِه شيء شيطاني في تلك العتمة التي ما عاد يضيئها شيء غير نور آت من الغرفة المجاورة. جريت إلى الأعلى، وجلست على الكرسي. جلست مصغيًا إليه وهو يطفئ المصابيح واحدًا تلو الآخر. الممر، والمصباح على طاولة غرفة المعيشة، ومصباح السقف في المطبخ، ثم المصابيح الجدارية الأربعة الصغيرة فوق الأريكة، وأخيرًا المصباح الذي فوق التلفزيون. صار المكان غارقًا في ظلام تام ليس فيه إلا وهج خفيف آتٍ من مصباح الشارع في الخارج، فضلًا عن اللمعان الأزرق المنبعث من الشاشة. ثم بدأ المسلسل فكان مخيفًا منذ المشهد الأول: رجل يقف ملوّحًا بمنجل طويل، ثم يستدير فأرى أن وجهه ليس وجهًا، بل قناع! شعرت بتنميل وخدر في أطراف أصابع يديّ وقدميّ؛ وصار جوفي كلّه متوتّرًا لشدة الخوف. لكني تابعت المشاهدة؛ كان عليّ أن أتابع المشاهدة. انتهت الحلقة بعد نصف ساعة، فنهض إنغفِه ووقف خلفي.

قلت له متوسلًا: «لا تقل شيئًا. لا تفعل شيئًا».

قال إنغفِه: «أتعرف ماذا، يا كارل أوفِه؟».

قلت: «لا، لا».

اقترب مني وقال لي: «أنا لست من تظنُّني».

«بل أنت من أظنه».

«أنا لست إنغفِه، أنا شيء آخر».

قلت: «لا، أنت لست كذلك. أنت إنغفِه، قل لي إنك إنغفِه».

قال: «أنا إنسان آلي. وهذا...» مد يده ورفع كنزته... «هذا ليس لحمًا ودمًا. هذا معدن وكابلات كهربائية. يبدو كأنه من لحم ودم، لكنه ليس كذلك. أنا لست كائنًا بشريًا».

قلت: «بلى، أنت كائن بشري. أنت إنغفِه! إنغفِه! قل لي إنك إنغفِه!».

ثم... بدأت أبكي.

قال: «والآن، سوف تنزل معي إلى القبو... هه هه هه...».

صرخت: «إنغفِه!».

ابتسم لي وقال: «هذا مزاح، لا أكثر. أنت لا تظن حقًا أنني إنسان آلي، أليس كذلك؟».

قلت: «لا تفعل هذا. أشعل الضوء فورًا».

تقدم مني خطوة فصرخت: «لا!».

ضحك وقال: «لا بأس، لا بأس. فلنشعل الضوء إذًا. هل نأكل الآن، أم ماذا؟ هل أنت جائع؟».

قلت: «أشعل الضوء أولًا».

أشعل إنغفِه المصابيح الجدارية والمصباح الذي فوق التلفزيون حيث كانت نشرة الأخبار قد بدأت. ثم ذهبنا إلى المطبخ وتناولنا طعام العشاء. أعد إنغفِه شايًا، فكان ذلك شيئًا رائعًا شريطة أن نحرص على تنظيف كل شيء وترتيبه. لا بد أن يكون أبي غير قادر أبدًا على تصور إمكانية قيامنا بتشغيل الموقد وغلي الماء عندما لا يكون هناك. ذهبنا بعد ذلك إلى غرفة الجلوس وفردنا لعبة «كرة القدم» على الطاولة. كان باب غرفته مفتوحًا تأتينا منه أغنيتي المفضلة *«ليلة في الأوبرا»*.

سمعنا صوت سيارة أبي في الخارج، فأخلينا الطاولة سريعًا ومضينا، كل إلى غرفته. إنه يستدعي إنغفِه أحيانًا بعد أن نكون وحدنا في البيت ويسأله عما كنا نفعله؛ لكنه دخل غرفة المعيشة مباشرة هذه المرة، وجلس قبالة التلفزيون.

في واقع الأمر، كان مريحًا لنا أن يظلّ بعيدًا عنا على هذا النحو. لكن، كان هناك شيء آخر أيضًا، فقد كان لدي إحساس يقول لي إنه لا يريد أن تكون الأمور هكذا؛ وكنت أشعر بأن جو البيت كلّه مثقل بهذا الإحساس، وبهذا المطلب الذي لا يستطيع أحد تلبيته.

كان الأمر مخيفًا عندما صعد إلينا في المرة التالية. لقد كنت في الخارج فأصابني برد وارتفعت حرارتي ارتفاعًا سريعًا في الساعة الأخيرة. كنت جالسًا في سرير إنغفِه، مستندًا إلى الجدار، أقرأ واحدةً من مجلاته. وكان إنغفِه جالسًا إلى طاولته يكتب بعضًا من واجبه المدرسي. أنغام فرقة «بومتاون راتس» منسابة من آلة التسجيل.

انفتح الباب فجأة، وظهر أبي. نظر إلينا.

كان في مزاج حسن؛ وكانت عيناه مشعتين طاقة.

قال لنا: «إن لديكم موسيقى! وهي جميلة. ما اسم هذه الفرقة؟».

قال إنغفِه: «اسمها بومتاون راتس».

ترجم أبي اسم الفرقة إلى اللغة النرويجية، ثم قال: «هل تتذكّر كيف ضحكت عندما قلت لك إن كريستال بالاس هي نفسها كريستال بالاست في النرويجية. لم تصدقني».

ابتسم ودخل الغرفة. قال: «كارل أوفِه، هل تحب الموسيقى أيضًا؟».

أومأت برأسي. فقال لنا: «هيا بنا، فلنرقص».

«أنا مريض، يا بابا. أظن أن حرارتي مرتفعة. لا أريد أن أرقص».

قال أبي: «بل تريد أن ترقص، بالطبع». أمسك يدي وجذبني حتى وقفت على قدمي، وراح يدور بي في الغرفة.

قلت له: «كف عن هذا، يا بابا. أنا مريض، لا أريد الرقص». لكنه لم يتوقف، بل ظل يديرني في الغرفة، يديرني أسرع فأسرع، أقوى فأقوى. كان أمرًا لا يحتمل؛ وصرت موشكًا على التقيؤ.

صحت به آخر الأمر: «كفى، يا بابا. كف عن هذا!».

توقّف سريعًا، مثلما بدأ، وقذف بي على السرير ثم خرج من الغرفة.

كانت أمي تأتي كل يوم جمعة. وكنت دائم الحرص على البقاء قريبًا من البيت حتى أكون أول من يلاقيها: إذا كنت الأول، يصير أبي غير قادر على إرسالي إلى غرفتي، الأمر الذي يفعله إذا كانا جالسَيْن يتحدّثان معًا. وعندما يحين وقت ذهابها، مساء الأحد أو صباح الاثنين، يصير أبي كأنه أكثر قربًا

منا (أو مني) على الأقل، لأنه يعود إلى استدعائي إلى المطبخ حتى أقص عليه ما جرى خلال النهار بينما يكون واقفًا يطهو الطعام. نأكل صامتين، ثم يغسل أبي الأطباق وينزل ليختفي في مكتبه في الأسفل، دائمًا. يصعد أحيانًا لمتابعة التلفزيون معنا، لكنه كثيرًا ما يبقى في الطابق السفلي حتى يحين وقت العشاء. كان معنى هذا كأننا وحدنا في البيت، أنا وإنغفِه. لا أعني بهذا أنه كان يمكن أن أمضي الوقت على نحو مختلف كثيرًا لو لم يكن أبي هناك. كنت أظلّ مستلقيًا في سريري معظم الوقت، وأقرأ. وبما أن أمي لم تعد تأخذنا إلى المكتبة بانتظام، فقد قرأت كل ما في مكتبة المدرسة من كتب، ثم بدأت بكتب أمي وأبي المصطفة على الرفوف. قرأت أجاثا كريستي، وقرأت «*الأحمر والأسود*» لستاندال، وقرأت كتابًا فيه قصص قصيرة فرنسية، وقرأت كتابًا ليون نيتشلِتس، وقرأت سيرة تولستوي. بدأت أكتب كتابًا بنفسي، وكنت أريد أن أجعله كتابًا عن سفينة في البحر. لكني كتبت الصفحات العشر الأولى التي كان أكثرها إعدادًا للأشخاص الذين على سطح السفينة وما لديهم من مؤن وللحمولة التي كانت على سفينتهم، قال لي إنغفِه إن ما من أحد يؤلّف كتبًا عن السفن الشراعية في هذه الأيام فقد كانوا يفعلون ذلك يوم كانت السفن موجودة. الآن، يكتب الناس عن طبيعة الحياة في أيامنا هذه. هذا ما جعلني أتوقف عن الكتابة. صنعت أيضًا صحيفة في ذلك الخريف: جمعت موادها، وأنتجت ثلاث نسخ منها وضعتها في ثلاثة صناديق بريد: واحدة لكارلسن، وواحدة لغوستافسن، وواحدة لبرستباكمو؛ لكني لم أسمع عنها شيئًا بعد ذلك. بدت كأنها اختفت في الفراغ... كأنها لم توجد قط.

كنت أعيش حياة في داخل البيت، وحياة أخرى خارجه... مثلما كان الأمر دائمًا، ومثلما كانت حياة الأطفال جميعًا، على ما أظن: قبالة التلفزيون في ليلة السبت، بين الآباء والأمهات والأشقاء والشقيقات؛ ولعلهم يكونون مختلفين كثيرًا في ذلك الوقت، يكونون أكثر لطفًا وأكثر تقبّلًا للآخرين بالمقارنة معهم عندما أراهم في الغابة، حيث تكون الحرية كاملة وما من شيء يمنعهم من الاندفاع خلف أصغر ميولهم ونزواتهم. كان الاختلاف أشد وضوحًا في

فصل الخريف. ففي فصلي الربيع والصيف، يُعاش في الخارج شطر كبير من الحياة، وتتغيّر فرص الاحتكاك بين حياة الكبار وحياة الصغار. لكن الليالي تستطيل مع قدوم فصل الخريف، ويحل الظلام في وقت مبكر وكأنه يقطع الصلات بيننا فينسحب كل منا إلى عالمه الصغير لحظة إغلاق باب البيت من خلفه. تكون الأمسيات الباردة المظلمة القصيرة محمّلة بكل ما هو موجود في الخفيّ والخبيء من إثارة. كان الخريف ظلمة، وترابًا، وماء، وفضاءات خاليةً. كان تنفسًا، وضحكًا، ومصابيح يدوية، ونيرانًا، وخيامًا من الأغصان، وسربًا من الأطفال مندفعًا هنا وهناك. ثم لا تكون غرف الأطفال مختلفة كثيرًا عن ذلك. صحيح أنه ما كان مسموحًا لي دعوة أحد إلى بيتي، وأن غرفتي لم يدخلها طفل واحد من أطفال تلك المنطقة السكنية، لكني كنت على الدوام حرًا في الذهاب إلى غرفهم. أذهب إلى غرفهم أحيانًا كثيرة. وفي ذلك الخريف، كان دور غرفة داغ لوثار. نصل وقد احمرَّ وجهانا بعد الجري في الظلمة فنجلس في غرفته ونلعب مونوبولي ونستمع إلى واحد من مجموعتي فرقتي بيتلز اللتين كانتا لديه، المجموعة الحمراء والمجموعة الزرقاء. كنت أفضل المجموعة الحمراء التي فيها أغاني الفرقة الأولى لأنها أغانٍ بسيطة، ولأنها فرحة. كنا نرافق الكورس بصوتينا المرتفعين، بل نكاد نصيح بالكلمات صياحًا باللغة الإنجليزية غير عابئين كثيرًا بمعانيها، بل بالصوت وحده؛ إلا أننا صرنا نضع المجموعة الزرقاء أكثر فأكثر عندما بدأنا نعرف كيف نستمتع بأنغامها العابثة، غير المعتادة.

كانت هذه الأمسيات من أسعد أمسيات حياتي كلها. وهذا أمر غريب لأنه لم يكن فيها أي شيء استثنائي، ولأننا كنا نفعل ما يفعله كل منهم في مثل سننا: نجلس، ونلعب ألعابًا، ونستمع إلى الموسيقى، ونتكلم في كل ما يخطر في ذهنينا.

لكني كنت أحب رائحة بيتهم مثلما أحب أن أكون فيه. أحببت الظلمة التي نأتي منها، التي تُكسِب كل شيء خصائص غير معتادة، عندما يكون الجو رطبًا خاصّة، وعندما يشعر جسده كله بالرطوبة فلا يظل الأمر مقتصرًا على

رؤيتها بعينيك. أحببت النور القادم من مصباح الشارع. أحببت الجو الذي يتكوّن عندما نكون كثرة معًا، والأصوات في الليل، والأجساد المتحرّكة من حولي. أحببت صوت نفير الضباب الآتي من عرض البحر. هكذا كان تفكيري في تلك الأمسيات: يمكن أن يحدث أي شيء! أحببت الاندفاع هنا وهناك، وملاقاة ما هو غير مرتقب -أشياء وحيوانات وحالات-. الأكواخ التي أقيمت في الغابة فوق مرسى الزوارق... كانت أكواخًا فارغة في الأمسيات. نوافذها مضاءة. وكنا ننظر إلى الداخل. هل نرى فيها مجلات إباحية؟ أجل، ها هي هناك! لم تكن لدى أي منا جرأة لتحطيم زجاج إحدى النوافذ والدخول وأخذ تلك المجلات؛ لكن ذلك صار إمكانية قائمة -صار كذلك على نحو مفاجئ- وصرنا مدركين أن هناك من سيفعلها عما قريب، بل حتى إن من الممكن أن نفعلها بأنفسنا. كان ذلك زمنًا يمكن أن يعثر المرء فيه، ذات صباح، على صفحة داخلية مزدوجة من مجلة إباحية، في وسط الطريق، على مقربة من البيت. كان ذلك زمنًا يمكن فيه أن تعثر على مجلات إباحية في الخنادق، وفي الحقول، وتحت الجسور. لم تكن لدينا أية فكرة عمن يتركها هناك فقد كانت منثورة كأن ذلك من فِعل القدر، أو كأنه جزء من الطبيعة مثله مثل شقائق النعمان وأزهار العسلية والجداول الممتلئة ماء والصخور التي صقلها المطر. وقد كانت على تلك المجلات آثار عناصر الطبيعة أيضًا: فإما أن تكون غارقة في الرطوبة، أو شديدة الجفاف؛ أو أن يكون ورقها متشققًا بفعل بلله ثم جفافه المتكرّر. غالبًا ما كنا نجد ألوانها باهتة نتيجة أشعة الشمس، أو نجد صفحاتها مبقّعة حائلة الألوان.

كنت أفكر في تلك المجلات فتسري نشوة في جسدي. لا علاقة لتلك النشوة بما كنا نقوله عن تلك المجلات -مع أننا كنا نتحدّث عنها بكلمات قوية، ونضحك، ونحدق فيها بعيون جشعة- بل هي نشوة واقعة في مكان آخر، في مكان شديد العمق لا يستطيع المنطقي بلوغه أبدًا.

كان في منطقتنا فتيان كثيرون تستطيع تخيّل أن لديهم مجلات إباحية في بيوتهم؛ ومن غير استثناء، كانوا هم أنفسهم من تستطيع تخيّلهم يشترون

دراجات آلية عندما يحين الوقت، ويبدأون التدخين والهرب من المدرسة... باختصار، إنهم أولئك الذين تراهم يتسكعون عند محطة فينا للوقود. الفتيان السيئون! لذا، كان في داخلي كيانان غير متوافقين. كانت المجلات الإباحية منتمية إلى الكيان السيئ؛ لكن ما كانت المجلات تملأني به، تلك النشوة الكثيفة التي ترغمني على «تجرّعها» مرة بعد مرة، كانت أيضًا شيئًا لي رغبة شديدة الإلحاح فيه. كانت ركبتاي ترتخيان عندما أرى مجلة فيها نساء عاريات. كان ذلك رائعًا، رهيبًا... عالمًا ينفتح وجحيمًا يكشف عن نفسه نورًا يتألّق وظلمة تخيّم. وما كنا نريد شيئًا غير أن نقف هناك ونقلّب الصفحات... كنا قادرين على الوقوف هناك إلى الأبد، تحت أغصان الصنوبر الثقيلة، وسط عبير الأرض الرطبة والجبل الرطب... ننظر إلى الصور متنعّمين. كانت تلك النساء كأنهن خارجات من الأرض المستنقعية، آتيات مباشرة من العشب المصفرّ في الخريف... أو كنّ، على الأقل، على صلة وثيقة بذلك كله. كانت أجزاء من الصور مطموسة في حالات كثيرة، لكن ما رأيناه كان كافيًا لأن نعرف واثقين أن هذه المشاعر موجودة، وأنها لن تتركنا أبدًا؛ فكانت كل شائعة عن وجود مجلّة تجعلنا نتتبّعها من غير تأخير.

كان غيّير من أكثرنا اهتمامًا بهذا. فمنذ أن كنا في الصف الثاني، «استعار» عددًا من مجلة *«في نيل»* من عند أبيه، فجلسنا في الغابة نتفحّص صور النساء عاريات الصدور، لكننا اهتممنا بدرء أية شبهة عنا، فرحنا نتحدث بأصوات مرتفعة عما يفعله دونالد ودولي وكأننا نقرأ قصة في مجلة رسوم مصورة للأطفال.

والآن، هناك مجلات إباحية في هذه الأكواخ! درنا حول الأكواخ، لكن أبوابها كانت مقفلة ولم نجرؤ على تحطيم الزجاج وفتح مزلاج نافذة وسرقة المجلات.

لكن الرغبة قد أطلّت برأسها فدفعتنا إلى البحث في اتجاهات أخرى. أجمات الأشجار حول حطام السيارة في الغابة؟

الخندق الذي خلف موقف الباص عند B-Max؟

الأشجار التي تحت الجسر؟

مقلب القمامة، بالتأكيد! لا بد أن نجد هناك بعض المجلات، أليس كذلك؟ مئات المجلات؟ آلاف المجلات؟

في صبيحة يوم أحد في آخر شهر أيلول، ذهب أبي إلى الصيد بزورقه، وكانت أمي تجلس في غرفة المعيشة، وذهب إنغفِه على دراجته إلى مكان بعيد في الجهة الشرقية من الجزيرة، وخرجت من البيت سائرًا على الحصى الرطب مرتديًا سترتي البيج وبنطلون الجينز. كنت ذاهبًا إلى بيت غيّير وفراشات ترفرف في معدتي: «أخيرًا، سنذهب إلى مقلب القمامة». كانت الشمس مشرقة، لكن المطر هطل في وقت مبكر من الصباح، فكان الإسفلت لا يزال رطبًا أسود اللون في البقع التي لم تطلها الشمس بعد، كتلك التي في ظلٍّ تحت أشجار الصنوبر عند بيتنا.

كان غيّير واقفًا في انتظاري أمام بيتنا عندما خرجت، فانطلقنا سريعًا. صعدنا التلة، واجتزنا المنطقة السهلية الطويلة التي فيها زوارق تحت أغطية من التاربولين في حدائق البيوت الأمامية، أكثرها زوارق بلاستيكية، لكن من بينها أيضًا زوارق شراعية صغيرة، وزورق أكبر حجمًا فيه كابينة مغلقة كان معروفًا في المنطقة كلّها. كانت المروج بنية، والأشجار من خلف البيوت برتقالية وحمراء، والسماء زرقاء. كنا قد خلعنا سترتينا وربطناهما عند وسطينا. سرنا صاعدين فتجاوزنا بيت كيتيل وسرنا على الطريق المفروشة بالحصى، فعبرنا البوابة التي كانت نهاية الطريقة وبداية الدرب الضيقة. كانت قاعة الأبرشية الجديدة إلى الناحية الأخرى من الحقل. في هذه القاعة، تتمرّن فرقة «تِن سينغ» التي تضم الفتيات الشقراوات كلهن، وفيها تنعقد لقاءاتهن.

كان الجدول الجاري على امتداد الدرب فائضًا بالماء، بماء أخضر اللون، لطيف البرودة، ينساب انسيابًا كسولًا في ذلك المنحدر البسيط. لقد أكسبه العشب والخلنج لونه الجميل؛ وكان الماء يفيض منه في بعض

المواضع، سارحًا على الدرب نفسها. ما كانت حركة الماء ظاهرة إلا عبر تموجات بسيطة على سطحه لا تكاد تراها العين. بدأنا نجري عندما صارت التلة أكثر انحدارًا، وصار الجدول صاخبًا. ولون الحجارة البيضاء المتناثرة في الدرب يبدو رماديًا في الظلال، أو يلمع بلون أصفر حيث تصيبه أشعة الشمس. أبطأنا عندما رأينا شخصًا أمامنا صاعدًا في تلك الدرب. لا، إنهما رجل وامرأة كهلين. كانت ترتدي مئزرًا صوفيًا طويلًا يبين شعرها الرمادي من فوقه. وكان يرتدي سترة من نسيج خشن على مرفقيها رقعتان جلديتان، وفي يده عصا. كان فمه مفتوحًا وفكه مرتعشًا.

التفتنا ونظرنا إليهما.

قال غيّير: «إنه ثوميسن، ذلك الرجل».

لم نر ثوميسن منذ أن كان معلمنا في السنة الثانية.

قلت لغيّير: «ظننته مات منذ عهد بعيد».

سرنا في الدرب المختصرة القصيرة عبر الغابة فبلغنا الحافة الصخرية المرتفعة فوق مقلب القمامة. كانت أكوام أكياس البلاستيك البيضاء وأكياس القمامة السوداء تلمع تحت الشمس الساطعة. عشرة نوارس، أو أكثر، كانت تطير فوقها وتصيح مرفرفة بأجنحتها. نزلنا ذلك المنحدر وسرنا عبر تلك الأشياء كلها... أكوام مرتفعة في بعض الأماكن، لعلّها أعلى منا بأربع مرات، وأكياس متناثرة في مواضع أخرى لم تتراكم فوقها أكياس أخرى. كنا نبحث عن الأكياس وصناديق الكرتون؛ وما أكثرها في ذلك المكان. كان بعضها يحتوي على مجلات متنوعة -مجلات أسبوعية من النوع الذي يقرأه كبار السن- «بيمّه» و«*آلّش*» و«*نورسك أوكيبلاد*» -ومجلات البنات الأسبوعية- «*ستارلت*» و«*دي ميَّه*» و«*رومانتيك*» -وأكوام من الصحف- أكثرها «*فيردنز غانغ*» و«*أغدربوستر*»، ومنها أيضًا «*فارت لاند*» و«*أفتنبوستن*» و«*داغبلادت*»؛ وجدنا أعدادًا من «*آماغازينت*» و«*كفينّه أوغ كلار*»، ومجلات عن الخيول، ومجلات «*دونالد داك*» المصورة، وألبوم «*فانتومت*» من أواخر عقد الستينيات (وضعته جانبًا من غير تردّد)، وأيضًا ألبوم «*تِمبو*»، وعددًا من

مجلات *«كابتن ميكي»* المصوّرة، وكتاب من سلسلة *«إيجنت إكس 9»* سرني العثور عليه كثيرًا. لكن ذلك كلّه لم يغيّر شيئًا من حقيقة أننا لم نعثر على شيء مما كنا نبحث عنه، أي عن مجلّات من قبيل *«آلَه مِنّ»* و*«ليك»* و*«كوكتيل»* و*«أكتويل ريبورت»*، بل كنا نأمل أيضًا في العثور على بضع مجلات أجنبية لأن عددًا غير قليل من المجلات الدانماركية كان متداولًا في ذلك الوقت، ومن بينها واحدة اسمها *«ويكند سكس»*، وربما مجلات سويدية وإنكليزية أيضًا... لم نجد شيئًا من ذلك أبدًا! لم نجد مجلة إباحية واحدة! ما هذا الذي يحدث هنا؟ هل سبقنا أحد إليها؟ ينبغي أن تكون موجودة!

استسلمنا بعد ساعة كاملة أمضيناها في البحث، وانبطحنا على العشب لكي نقرأ المجلات العادية التي وجدناها. لكني لم أكن مسرورًا بهذه النتيجة، ربما لأن ذهني كان متجهًا إلى شيء مختلف تمامًا، ولأنني كنت في حالة ترقّب طيلة اليوم. إن هناك شيئًا في غير محله! نهضت وسرت بين الأشجار، ونظرت إلى الجدول... لعل الخوض قليلًا في مائه هو ما يلزمنا الآن!

صحت بغيّير: «ألا تحب أن نخوض في ماء الجدول؟».

أجابني من غير أن يرفع رأسه عن مجلته: «نستطيع فعل ذلك. لكني أريد أن أقرأ هذا أولًا».

مضيت إلى كيسين وضعنا فيهما الزجاجات التي عثرنا عليها. كان أكثرها من تلك الزجاجات الطويلة ذات اللون البني، زجاجات عليها لصاقة *«آرنادلز بريغيري»*، لكن من بينها أيضًا زجاجات بيرة هينيكن الخضراء القصيرة ذات الشكل الغريب. أخرجت واحدة منها. كان شيء من التراب والعشب ملتصقًا بها من الخارج، فتخيلت أنها ظلت زمنًا طويلًا راقدة عند حافة مرج من المروج، ثم التُقطت ورُميت في القمامة عندما جرى تنظيف الحديقة استعدادًا للشتاء.

كانت الشهوة لا تزال هناك، في بطني.

أدرت الزجاجة في يدي. لمع الزجاج الأخضر الداكن تحت أشعة الشمس.

قلت: «هل تعرف أن من الممكن أن تدخل قضيبك في هذه الزجاجة؟».

وضع غيّير المجلة في حضنه. قال لي: «صحيح... إذا لم يكن عنقها ضيقًا جدًا. هل ستحاول فعل ذلك؟».

قلت: «أجل. وأنت؟».

نهض غيّير وأتى إليّ. تناول من الكيس زجاجة.

قال لي: «هل تظن أن من الممكن أن يرانا أحد هنا؟».

قلت: «لا؛ هل أنت مجنون؟ نحن في قلب الغابة، لكننا نستطيع الذهاب إلى هناك حتى نكون في أمان».

سرنا صوب جذع شجرة صنوبر ضخمة. فككت حزامي، وأنزلت بنطلوني حتى ركبتي، وأمسكت قضيبي بيدي ورفعت الزجاجة باليد الأخرى. ضغطته في فتحتها. أحسست بالزجاج باردًا وصلبًا عندما مسّ جلدي الناعم الدافئ. الحقيقة أنها كانت ضيّقة جدًا، لكني أفلحت في إدخاله بعد قدر غير قليل من الدفع والضغط. سرت دغدغة في ظهري عندما أحسست بالنبض وبأن عنق الزجاجة قد صار أكثر ضيقًا... شدّ عليّ بقوة أكبر، وأكبر.

قال غيّير: «لا أستطيع إدخاله. لن أستطيع ذلك».

قلت له: «أنا استطعت. انظر!».

استدرت في اتجاهه.

قلت له: «لكني لا أستطيع تحريكه. عنق الزجاجة ضيق جدًا. لقد علق فيه».

حتى أجعل غيّير يرى ذلك، أفلتُّ الزجاجة فتدلت معلّقة بين ساقيّ.

ضحك غيّير: «ها ها ها».

ولحظة هممت بنزع الزجاجة أحسست ألمًا حادًا مفاجئًا.

«أوه. أوه. أوه. أوه... اللعنة على هذا!».

قال غيّير: «ما الأمر؟».

«أوه! أوه! أوه! اللعنة على هذا!».

كان ألمًا جارحًا كأنه ناتج عن سكين أو عن قطعة زجاج حادة. جذبت الزجاجة بأقصى ما استطعت من قوة إلى أن أخرجته منها.

رأيت حشرة سوداء صغيرة على قمته.

صحت: «أوه! اللعنة! اللعنة! اللعنة!». أمسكت بالحشرة -كانت حشرة سوداء لها مخالب كبيرة- وانتزعتها، ثم رميتها بعيدًا عني. كنت في تلك اللحظة أجري جيئة وذهابًا ملوحًا بذراعيّ لشدة ألمي.

قال غيّير: «ماذا حدث؟ ما الأمر؟ ما الأمر، يا كارل أوفِه؟».

«إنها حشرة. لقد عقصتني في قضيبي».

نظر إليّ فاغرًا فمه... أول الأمر... ثم انفجر ضاحكًا. كان هذا، بالضبط، نوع الفكاهة المفضل عنده. سقط على العشب ضاحكًا.

ربطت حزامي وقلت له: «لا تخبر أحدًا بهذا. هل تفهم ما أقوله لك؟».

قال غيّير: «أجلـ لـ ل. ها ها ها». جعلته في طريق العودة يعدني ثلاث مرات بأنه لن يخبر أحدًا بهذا الأمر. كان كل منا حاملًا كيسًا، وكانت الشمس حارة على رقبتينا من الخلف. تلوتُ صلاة قصيرة حتى أكفّر عما قلته.

قال غيّير: «هل ننزل إلى محطة فينا الآن لكي نحصل على مال مقابل هذه الزجاجات؟».

قلت: «هل تظن أنهم يقبلون زجاجات البيرة هناك؟».

قال غيّير: «أوه، أنت محق. هذا يعني أن من الأفضل أن نخبّئها».

عدنا سائرين عبر الحقل، وقفزنا من فوق الجدول. وهناك، إلى الناحية الأخرى، في أجمة كثيفة تحت الكنيسة، تركنا كيسَيّ الزجاجات. اقتلعنا قليلًا من السرخس وبضع باقات من العشب فغطينا بهما الكيسين على أحسن نحو استطعناه، ثم نظرنا من حولنا لكي نتأكد من أن أحدًا لم يرنا. ابتعدنا عن المكان بخطوات هادئة عارفين أن من يجري يلفت الأنظار إليه! صعدنا حتى الطريق خلف الكنيسة، وسرنا عليها.

كان كيتيل جالسًا عند باب قبو البيت الذي يعيش فيه؛ وكانت الدراجة التي أمامه مقلوبة رأسًا على عقب. كان يدير العجلة الخلفية ممسكًا

بالدواسة في إحدى يديه، ويزيّت السلسلة بيده الأخرى مستخدمًا عبوة زيت بلاستيكية صغيرة. شعره الأسود المسترسل متدلٍّ على وجهه.

قال لنا: «مرحبًا!».

«مرحبًا!».

«أين كنتما؟».

قلت: «في مقلب القمامة».

قال غيّير: «كنا نبحث عن مجلات إباحية».

نظرت إليه غاضبًا. ماذا يفعل؟ أليس هذا سرًا بيننا؟

قال كيتيل مبتسمًا لنا: «هل وجدتم شيئًا منها؟».

هز غيّير رأسه.

قال كيتيل: «لدي كومة منها في غرفتي. هل تريدان استعارتها؟».

قال غيّير: «أوه، أجل».

قلت: «هل ما تقوله صحيح؟».

أومأ كيتيل برأسه وقال: «هل تريدانها الآن؟».

قلت: «علي أن أذهب إلى البيت لكي آكل».

قال غيّير: «وأنا أيضًا. لكننا نستطيع أن نأخذها معنا ونخبئها في الغابة».

هز كيتيل رأسه: «هذا غير ممكن. سوف تتلف إذا خبأتها في الغابة. عليك أن تأخذها إلى البيت. لكن، لا مشكلة في هذا، أستطيع إعطاءكما إياها بعد ظهر اليوم».

«هذا عظيم. لكن علينا أن نلاقيك في الخارج. لا تقرع الجرس. هل نحن متفقون على هذا؟».

قال كيتيل مبتسمًا ومضيّقًا عينيه: «أوه! هل تخشى أن أجعل والدك يرى تلك المجلات، أم ماذا؟».

«لا، إنه يطرح أسئلة كثيرة. ثم إنك لم تذهب إلى بيتنا من قبل».

قال: «حسنًا، كونا خارج البيت في الساعة الخامسة، وسوف أكون هناك، هل اتفقنا؟».

أجبته: «إنه موعد بداية مباراة كرة القدم».
«فلتكن الساعة السادسة إذًا. لا تقل لي إنك تريد متابعة برامج الأطفال!».
«حسنًا، في الساعة السادسة».

كانت أمي في المطبخ تقرأ كتابًا؛ وكان صوت الراديو منطلقًا، والأرزّ يغلي على النار. كان أحد جانبي القِدر أبيض اللون بفعل الحليب؛ وفي المنطقة الفاصلة بين رأسَيّ الموقد، كانت هناك بقعة من الأرز والحليب كادت تجف بسبب الحرارة. استنتجت أن القِدر قد فارت.

قلت: «مرحبًا».

وضعت أمي كتابها، وقالت: «مرحبًا. أين كنت؟».

قلت: «ممم، هنا وهناك. وجدنا عددًا من الزجاجات، وسوف نذهب يوم الاثنين لكي نحصل على بعض المال مقابلها».

«شيء لطيف».

«هل ستصنعين لنا بيتزا هذا المساء؟».

ابتسمت وقالت: «هذا ما كنت أفكّر فيه».

قلت: «عظيم!».

«هل بدأت قراءة الكتاب الذي أعطيتك إياه؟».

أومأت برأسي: «بدأت به يوم أمس. يبدو كتابًا جيدًا حقًا. سوف أذهب الآن إلى غرفتي لكي أقرأ قليلًا».

قالت: «سوف يكون الطعام جاهزًا بعد ربع ساعة».

تجلب أمي دائمًا شيئًا من أجلي عندما تعود إلى البيت أيام الجمعة. وقد كانت هديتها هذه المرة كتاب «*ساحر من أرض البحر*». من تأليف امرأة اسمها أورسولا ك. غوين. لم أكد أتجاوز الصفحات القليلة الأولى حتى عرفت أنه كتاب رائع جدًا. لكنني لم أجلس لكي استأنف القراءة فيه إلا بعد تردُّد لأن أمي كانت وحدها في البيت، ولأنني كنت أريد قضاء أطول وقت ممكن معها. فقد كانت هنا، وكان كل ما يحمله حضورها إلى حياتي

موجودًا... وليس أقله حقيقة أن أبي لن يفعل أي شيء سيئ عندما تكون موجودة، ولن يأتيه واحد من انفجارات غضبه العنيف، لأنه يظلّ مسيطرًا على نفسه... هذا ما فكّرت فيه عندما استلقيت على فراشي لكي أقرأ بينما كانت أمي في المطبخ.

تابعت مباراة الدوري الإنكليزي لكرة القدم مع إنغفِه وأبي. لقد أحضر سكاكر توفي، كعادته؛ وأعطى كلًا منا كوبونًا عليه ثمانية صفوف في كل منها اثنا عشر زوجًا من الأرقام. استطعت الحصول على خمس نتائج صحيحة؛ وهذا ما أثار ضحك إنغفِه وأبي لأنه أقل من نصف العدد المطلوب، كان ذلك كأنني قذفت بحجر نرد واحد. قال أبي إن صعوبة الحصول على خمس نتائج صحيحة لا تقل عن صعوبة الحصول على عشر نتائج. لكن شركة «نورسك تيبينغ» ترسل مالًا إلى من يحقّقون عشر نتائج صحيحة، في حين يكون على من يحقّقون خمس نتائج أن يدفعوا مالًا لها. هذا ما قاله أبي. حصل إنغفِه على سبع نتائج صحيحة؛ وحصل أبي على عشر. لكن، للأسف، لم تكن هناك مكافأة مالية هذه المرة لمن يحقّقون عشر نتائج صحيحة!

بلغت الساعة السادسة إلا دقيقتين عندما ظهرت النتائج كلّها. وفي الخارج، أتى كيتيل نازلًا التلة على دراجته، ومن خلفه كيس نايلون منتفخ. قفزت واقفًا وقلت إن علي أن أخرج.

قال أبي: «ماذا ستفعل الآن؟ سوف تبدأ برامج الأطفال».

قلت: «لست راغبًا في رؤيتها. لدي موعد مع غيّير».

قال أبي: «موعد، ها؟ حسنًا، لا بأس. احرص فقط على أن تعود إلى البيت في الساعة الثامنة».

قالت أمي من عتبة الباب: «هل أنت خارج؟ كنت أظنّك ستساعدني في إعداد البيتزا».

قلت لها: «أحب ذلك، لكنْ لدي موعدٌ مع أحدهم».

قال أبي: «يبدو أنه صار لابننا مواعيد! هل أنت واثق من أنك ذاهب لرؤية غيّير؟... أم لعلها واحدة من البنات الحلوات!».

قلت: «لا، بالتأكيد سأرى غيّير».

قالت أمي: «إذًا، عد إلى البيت في الساعة الثامنة».

نهض أبي واقفًا وقال لها: «عما قريب، سنكون وحيدَيْن كل مساء، يا سيسيل». رفع بنطلونه ممسكًا إياه من حزامه، ثم مرر أصابعه في شعره. كنت قد صرت في أعلى السلم فلم أسمع إجابة أمي. كنت مفعمًا بالإثارة؛ وشعرت بما يشبه دبيب النمل في جسدي كلّه. انتعلت حذائي الرياضي -إن كان حظي طيبًا، فسوف تكون الأرض جافة في الغابة- وارتديت الكنزة الزرقاء والصدار المبطّن الأزرق الذي صنعته لي أمي. فتحت الباب وأسرعت إلى حيث كان كيتيل. رأيته جالسًا على دراجته وقد وضع إحدى قدميه على الدواسة والأخرى على الأرض. كان غيّير واقفًا إلى جانبه. التفت الاثنان في اتجاهي.

قلت لهما: «فلنذهب إلى مستودع الزوارق، لن يرانا أحد هناك».

قال كيتيل: «لا بأس، سوف أراكما عند المستودع».

جريت مع غيّير فنزلنا المنحدر ووصلنا إلى الدرب، ثم قفزنا من فوق الجدول وتابعنا جرينا على الدرب التي بدت كأنها تتبخّر من تحت أقدامنا. اجتزنا الحقل، والطريق المفروشة بالحصى، ولم نبطئ خطواتنا إلا عندما بلغنا المنحدر المعشب لحظة ظهور كيتيل على قمة التلة إلى جانب المستودع القديم الأبيض.

كان كيتيل أكبر منا بسنتين؛ وكان شخصًا قليل الاختلاط بالآخرين... أو، هذا ما كان يبدو لنا، على الأقل. وجنتاه المرتفعتان، وعيناه الضيقتان، وشعره الأسود اللامع... ذلك كله يجعله أشبه بهندي؛ كما يجعله مثيرًا للفتيات. بدأ ذلك كله منذ وقت غير بعيد. فبين عشية وضحاها، صار كيتيل الشخص الذي تتحدّث عنه الفتيات وتنظرن إليه؛ وصرت تسمع اسمه أينما ذهبت. لم يكن الأمر الغريب في هذا أنه صار الآن «موجودًا» على نحو مفاجئ بعد أن كان من قبل كأنه قابع في وادٍ من الظلال، بل في أن نوعًا من الاعتزاز كان يظهر على الفتيات عندما تتحدثن عنه وعندما تنظرن إليه، وكأنهنّ هنّ

من صرن موضع اهتمام عندما وقعنَ على هذا الاختيار غير المتوقع... بل كأنهنّ صرن موضع اهتمام أكثر منه. وأما هو، فقد تابع حياته على النحو نفسه: يركب دراجته؛ هنا يومًا، وهناك يومًا، وحده دائمًا، ودودًا معنا دائمًا.

أنزل بقدمه الساق التي تسند الدراجة في وقوفها. كانت دراجة سباق من نوع DBS لها مقود معقوف إلى الأسفل وشريط متدلٍ من إحدى نهايتيه. حرّر الكيس من وثاقه، وحمله بيده، وسار إلى حيث كنا منبطحين في العشب. كان كل منا قد وضع في فمه ساق عشبة طويل.

قال لنا: «حان وقت المجلات الإباحية»، ثم أمسك بالكيس من أسفله وأفرغ ما فيه من مجلات على الأرض.

كانت الشمس واطئة في السماء فوق الحافة الصخرية من خلفنا، فامتد ظل كيتيل مسافة طويلة على الأرض. أتت أصوات النوارس الزاعقة من الجزيرة الصغيرة في الخليج. شعرت بالضعف يغمر جسدي كله. أخذت مجلة وانقلبت على بطني. رحت أنظر إلى الصور واحدة بعد أخرى وأركز على جزء واحد من كل صورة، كالثديين مثلًا، على أجزاء منهما كان يكفي أن ألمحها لمحًا حتى تسري الإثارة في جسدي كلّه كأنها صدمة كهربائية؛ أو أنظر إلى ساقين فتغمرني نشوة عارمة عندما أرى موضع التقائهما، منفرجًا أحيانًا، ورديًا لامعًا أحيانًا، مع إصبع أو إصبعين على مقربة منه بعض الأحيان، أو عند الفم الذي كثيرًا ما يكون مفتوحًا، وكثيرًا ما يكون مكشّرًا بطريقة غريبة... أو أنظر إلى ردفين رائعي الاستدارة فلا أطيق البقاء ساكنًا. لم يكن هذا أمرًا متعلّقًا بتلك الأجزاء في حد ذاتها، بل شيء أشبه بالسباحة في المطلق، شيء أشبه ببحر لا أول له ولا آخر، ببحر تجد نفسك في منتصفه منذ اللحظة الأولى، ومنذ الصورة الأولى.

قلت: «غيّير، هل وجدت مؤخرة كبيرة؟».

هز رأسه وقال: «لا، لكن لديَّ هنا واحدة لها ثديان ضخمان. هل تريد أن تراهما؟».

قلت له إنني أريد أن أراهما، فمد يده بالمجلة.

كان كيتيل جالسًا على مسافة أمتار معدودة منا وقد وضع ساقًا فوق ساق وراح يتصفّح مجلة بين يديه. لكنه لم يلبث كذلك إلا بضع دقائق نهض بعدها واقفًا ورمى المجلّة التي كانت معه.

قال لنا: «لقد نظرت إلى هذه المجلات مرات كثيرة جدًّا. لا بد لي من الحصول على نسخ جديدة».

نظرت إليه مظللًا عينيَّ من الشمس بكفَّيّ، ثم قلت: «من أين حصلت عليها؟».

«لقد اشتريتها».

قلت: «هل اشتريتها حقًا؟».

«بالطبع».

«لكنها مجلات قديمة، أليس هذا صحيحًا؟».

«هذه مجلات مستخدمة، يا ذكي! إن في البلدة صالونًا لحلاقة الشعر يبيع المجلات القديمة. لديهم كميات كبيرة من المجلات الإباحية».

«وهل تركوك تشتريها؟».

قال: «بالطبع».

حدّقت فيه بضع ثوانٍ... هل يستغفلني؟

لم يبدُ لي الأمر كذلك.

تابعت تصفح المجلة. كانت فيها صور لفتاتين في ملعب تنس. كانت الفتاتان ترتديان تنورتين قصيرتين، واحدة بيضاء والثانية زرقاء فاتحة، وقميصين أبيضين، وعلى معصم كل منهما رباط أبيض. جواربُ بيضاء وحذاءان رياضيان أبيضان. في يد كل منهما مضرب تنس. بالتأكيد، هاتان الفتاتان لن...؟

قلبت الصفحة.

كانت واحدة من الفتاتين مستلقية على العشب وقد فتحت قميصها فصار ثدياها ظاهرَيْن. كان رأسها مرتدًّا إلى الخلف. هل ترتدي ملابس داخلية؟

لا!

سرعان ما صارت الفتاتان عاريتين. كانتا راكعتين عند الشبكة ومؤخرتاهما مرتفعتان في الهواء. كان ذلك رائعًا. كان رائعًا. رائعًا.

قلت: «غيّير. انظر. فتاتان تلعبان التنس!».

ألقى نظرة سريعة في اتجاهي وأومأ برأسه. كان غارقًا في الصور التي في مجلته وغير راغب في تضييع أي وقت.

كان كيتيل قد سار نازلًا حتى بلغ مرسى الزوارق القديم الخرِب حيث توقف وبدأ يرمي في الماء حجارة لا بد أنه التقطها من الشاطئ المجاور. إنه يحاول جعل الحجارة الصغيرة تقفز على الماء الهادئ كأنه مرآة. موجات صغيرة تنتشر على شكل دوائر كلما مسَّ حجر سطح الماء.

كنت قد تصفّحت ثلاث أو أربع مجلات عندما عاد كيتيل ووقف أمامنا. رفعت رأسي ونظرت إليه. قلت له: «أمر ممتع أن تكون مستلقيًا على بطنك وأنت تتصفَّح هذه المجلات».

قال: «ها ها! هذا يعني أنك تحب أن تداعب نفسك، أليس كذلك؟».

قلت: «صحيح».

قال: «أفهم هذا. لكن عليَّ أن أذهب الآن. احتفظا بهذه المجلات، إن أحببتما، لقد سئمتها».

قال غيّير: «هل تعني أنها ستصير لنا؟».

«هذا ما أعنيه! أهلًا وسهلًا!»

امتطى دراجته ورفع يده مودّعًا، ثم انطلق صاعدًا الطريق. كان يمسك مقود الدراجة بيد واحدة وضعها عند منتصفه. بدا ذلك كأنه يقود حيوانًا.

كان واضحًا جدًا لنا، كلينا، أن غيّير هو من سيخبئ المجلات في غرفته. كان ذلك واضحًا إلى درجة جعلتنا لا نقول شيئًا عن هذا الأمر عندما افترقنا أمام بيتنا بعد ساعة من ذلك.

عجينة البيتزا التي تصنعها أمي ثخينة، مرتفعة عند الحواف على نحو يجعل ما عليها من لحم مفروم وطماطم وبصل وفلفل وجبن يبدو مثل سهل تحيط به من كل جهة سلسلة جبال طويلة. كنا جالسين إلى طاولة غرفة

المعيشة مثلما يكون الأمر دائمًا في أمسيات أيام السبت. لم نكن نتناول الطعام أمام التلفزيون، أبدًا؛ فذلك واحد من الأمور التي لا يمكن تصورها في بيتنا. قطع لي أبي شريحة بيتزا ووضعها في طبقي. سكبت لنفسي كأس كوكا كولا من زجاجة سعتها لتر واحد كانت كلمتا «كوكا كولا» مطبوعتين بلون أبيض على زجاجها ذي اللون الضارب إلى الخُضرة. لم يكن عليها ذلك المستطيل الأحمر الذي كانت رؤيته أمرًا مألوفًا أيضًا. لم يكونوا يبيعون البيبسي كولا في سورلاند. ولم أكن أشربها إلا عندما نذهب لحضور مباريات كأس النرويج لكرة القدم. بمعزل عن ركوب المترو، وعن وجبات الإفطار التي كان متاحًا لنا فيها أن نملأ طبق الكورن فليكس عدة مرات، كان شرب البيبسي كولا واحدًا من أعظم الأمور الجذابة التي حدثت خلال تلك المباريات.

أجهزنا على البيتزا كلّها، فسألَنا أبي إن كنا نحب أن نلعب لعبة جديدة.

فأشرنا له بالموافقة.

رفعت أمي الأطباق عن الطاولة؛ وأحضر أبي من مكتبه رزمة أوراق وأربعة أقلام.

صاح مخاطبًا أمي التي كانت قد بدأت تغسل الأطباق: «ألا تلعبين معنا، يا سيسيل؟».

أجابت أمي: «أحب هذا». أتت وجلست معنا. كانت على إحدى ذراعيها، وعلى صدغها أيضًا، آثار من رغوة الصابون... «ماذا سنلعب؟ هل هي لعبة *ياتزي*؟».

قال أبي: «لا. لكل واحد منا ورقة يرسم عليها جدولًا من ستة أعمدة يكتب في رأس كل عمود منها: قرية، مدينة، نهر، بحر، بحيرة، جبل. ثم نختار حرفًا، ويكون على كل واحد أن يكتب أكبر عدد يستطيعه من الكلمات في كل عمود شريطة أن تبدأ كل كلمة منها بالحرف المختار. الوقت المتاح ثلاث دقائق.

لم ألعب تلك اللعبة من قبل. لكنها بدت لي ظريفة.

قال إنغفِه: «هل ينال الفائز جائزة؟»
ابتسم أبي: «له شرف الفوز فقط. سنعتبر الفائز بطل الأسرة».
قالت أمي: «باشروا اللعب، وسوف أضع الشاي على النار».
قال أبي: «يمكننا أن نبدأ بجولة تجريبية. ثم نلعب لعبة حقيقية عندما تعودين».
نظر إلينا وقال: «حرف م. هل أنتما مستعدان للبدء بحرف م؟».
قال إنغفِه: «أجل». كان قد بدأ الكتابة بالفعل وقد حجب ورقته بذراعه.
قلت لأبي: «أنا مستعد».
كتبت في عمود الجبال مون بلان. ثم كتبت ماندال، موريستاون، ميوندالن، مولده، مالمو، متروبوليس، ميونيخ... كتبتها كلها في عمود المدن. لم أستطع تذكر أية بحار أو أنهار. ثم أتى عمود البلدان. أليس هناك بلد يبدأ اسمه بحرف م؟ استعرضت كل ما استطعت تذكّره، لكني لم أعثر على شيء. مولفن! هل هذا اسم نهر. بلدة مو في مقاطعة رانا... إنها بلدة على أية حال. أوه، نعم، نهر ميسيسيبي!
قال أبي: «انتهى الوقت».
ألقيت نظرة سريعة على ورقتيهما فأدركت فورًا أنهما هزماني.
قال أبي: «كارل أوفِه، اقرأ ما لديك».
ضحك أبي وإنغفِه عندما قرأت اسم موريستاون. قلت لهما: «لماذا تضحكان مني؟».
قال إنغفِه: «مدينة موريستاون لا وجود لها إلا في رواية الشبح. هل ظننتها مدينة موجودة حقًا؟».
«أجل! لماذا لا تكون كذلك؟ يعمل سالا في مبنى الأمم المتحدة في نيويورك؛ لكن مدينة نيويورك موجودة، أليس كذلك؟ فلماذا لا تكون موريستاون موجودة؟».
قال أبي: «هذه إجابة قوية، يا كارل أوفِه، تستحق عليها نصف نقطة».
مددت لساني لإنغفِه فأجابني بنظرة غاضبة.

قالت أمي: «صار الشاي جاهزًا».

ذهبنا إلى المطبخ وأخذنا فناجيننا. أضفت الحليب والسكر إلى فنجاني.

قال أبي: «لا بأس. فلنبدأ اللعب الآن. سننجز ثلاثة حروف. أظن أن هذا ما نستطيع إنجازه قبل أن يحين وقت النوم».

اتضح لي أن الأسماء التي تعرفها أمي ليست أكثر مما أعرفه. أو أنها لم تكن مهتمة بالتركيز على اللعبة مثلما كان أبي وإنغفِه. لكن هذا كان أمرًا حسنًا في نظري: أنا وأمي في مواجهة الاثنين الآخرين!

بعد أن أحصى أبي نقاط الجولة الأولى، قالت أمي إنها قد غيّرت اسمها.

«لقد عدت إلى اسمي الذي كان لي قبل الزواج. وأنا الآن سيسيل هاتلوي. لم يعد اسمي سيسيل كناوسغارد».

أحسست بالبرودة تسري في جسدي. نظرت إليها فاغرًا فمي، ثم قلت: «ألم يعد اسمك سيسيل كناوسغارد؟ لكنك أمنا!».

ابتسمت أمي: «نعم، أنا أمكما، بالتأكيد. وسأظلّ دائمًا أمكما».

«لكن، لماذا؟ لماذا لا يكون اسمك مثل أسمائنا؟».

«عندما ولدت كان اسمي سيسيل هاتلوي. أنت تعرف هذا. كناوسغارد اسم بابا، وهو أيضًا اسمك واسم إنغفِه».

«هل يعني هذا أنكما ستطلقان؟».

ابتسم أبي.

قالت أمي: «لا، لا يعني هذا طلاقًا. كل ما في الأمر هو أن اسمَيْنا سيكونان مختلفين».

قال أبي: «لكن هناك نتيجة سخيفة لهذا الأمر: لن نستطيع رؤية جدتكما وجدكما بعد الآن. لم يكن أبي وأمي مسرورين بإقدام أمكما على تغيّير اسمها. ولهذا فهما لا يريدان رؤيتنا بعد الآن».

نظرت إليه مذهولًا فاغر الفم. قلت له: «وماذا عن عيد الميلاد؟».

هز أبي رأسه.

بدأت أبكي.

مكتبة
t.me/t_pdf

قال أبي: «ليس هذا أمر يدعوك إلى البكاء. إنه أمر عابر. هما الآن غاضبان؛ وسوف يزول غضبهما بعد حين».

دفعت بالكرسي إلى الخلف، ثم نهضت وجريت إلى غرفتي. سمعت خطوات تأتي في اتجاهي بعد أن أغلقت الباب. رقدت على فراشي ودفنت رأسي في وسادتي وأنا أبكي وأشهق بصوت مرتفع. تدفّقت دموعي بغزارة لم أعرفها من قبل.

قال أبي من خلفي وهو يجلس على حافة السرير: «لكن... يا كارل أوفِه، لا تكن حزينًا هكذا. هل تحبّ كثيرًا الذهاب إلى جدتك وجدك؟».

صرخت من غير أن أرفع وجهي عن الوسادة: «أجل». كان النشيج يهز جسدي كلّه هزًّا عنيفًا.

«لكن، إذا كانا يقولان إنهما لا يريدان رؤية أمك. لن يكون الذهاب إليهما ممتعًا في هذه الحالة، أليس كذلك؟ لا بد أنك تدرك هذا. إنهما لا يريدان رؤيتنا».

صرخت: «ولماذا غيرَت اسمها؟».

«هذا هو اسمها الحقيقي. وهذه هي رغبتها. لا يستطيع أحد أن ينكر عليها هذا الحق... لا أنت، ولا أنا، ولا جدتك، ولا جدك. ألا ترى هذا؟».

وضع يده على كتفي لحظة قصيرة، ثم نهض وخرج من الغرفة.

بعد أن جفّت دموعي، تناولت الكتاب الذي جلبته لي أمي وتابعت القراءة فيه. كنت مدركًا في مكان خفيّ من ذهني أن إنغفِه آوى إلى فراشه، وأن باب غرفة الجلوس المنزلق قد أغلق، وأنهما يستمعان إلى الموسيقى في غرفة الجلوس، لكن من غير أن يصل صوتها إلى غرفتي. غرقت في القصة منذ الجملة الأولى، ثم غرقت فيها أعمق فأعمق. كان اسم بطل القصة جِيْد: صبي يعيش على جزيرة ولديه قدرات خاصّة. أرسلوه إلى مدرسة السحرة عندما ظهرت قدراته تلك. ثم تبين هناك أن لديه قدرات استثنائية جدًا. استبد به الغرور عندما صار عليه أن يعرض قدراته أمام الآخرين ففتح بابًا إلى العالم

الآخر، إلى العالم السفلي، إلى مملكة الموت. فخرج ظلٌّ من ذلك الباب الذي فتحه. كاد جِيْد يموت... صار ضعيفًا، وتراجعت قدراته على امتداد سنوات كثيرة بعد ذلك. كان الظلّ يطارده؛ وسوف يطارده طيلة حياته. فرّ من الظلّ، واختبأ في مكان خفي في أقصى العالم، وتخلّى عن طموحاته كلّها عارفًا أن ما يفعله (تلك الحيل البسيطة التي يقوم بها السحرة جميعًا) لم تكن أكثر من حركات وادعاءات فارغة، وأن هناك نوعًا آخر من السحر أكثر عمقًا... سحر يتخلل نسيج الوجود كله. فهم أن حفظ التوازن في هذا المجال هو المسؤولية الحقيقية الواقعة على عاتق السحرة. إن لكل جسم ولكل مخلوق اسمًا يوافق جوهره؛ ولا يمكن التحكّم بالأجسام والمخلوقات إلا عن طريق معرفة أسمائها الحقيقية. كان جِيْد قادرًا على فعل ذلك، لكنه لم يكشف عن تلك القدرة لأن كل لعنة وكل عمل من أعمال السحر له أثره على ذلك التوازن، ولأنه لا بد أن يحدث شيء مقابلٌ له في مكان آخر، شيء لا سبيل إلى توقعه مسبقًا. من هنا، كان أهل القرية التي أقام فيها يعتبرونه ساحرًا مسكينًا فقيرًا، فهو لا يؤدي حتى أبسط الحيل السحرية التي يكسب منها عيشه كل ساحر في كل قرية أخرى. كان جيْد شابًا، وشخصًا جادًّا على وجهه أثر من جرح كبير. كان شديد التأثر بالبرد، لكنه يستخدم قدراته عندما تكون هناك ضرورة حقيقية لاستخدامها. أوشك طفل على الموت ذات يوم، فتبعه إلى مملكة الموت وأعاده منها على الرغم من أنه عليه ألا يفعل ذلك، وعلى الرغم من أن ما فعله كان خطيرًا. فإن كان هناك توازن واحد لا يجوز العبث به أبدًا، فهو التوازن بين الحياة والموت. لكنه فعلها. وكاد يموت أثناء تلك العملية. وللمرة الأولى، رآه أهل القرية على حقيقته. رآه أيضًا الظل الذي كان جِيْد سببًا في خروجه من العالم السفلي، ذلك الظل الذي يجوب العالم كله باحثًا عنه. رآه الظل لأنه كان قادرًا على رصد مكان جِيْد كلما استخدم قدراته. صار عليه أن يرحل عن ذلك المكان، وقد رحل في قارب سار به في البحر، بين الجزر، حتى وصل إلى أبعد شاطئ. لكن الظل كان يقترب منه أكثر فأكثر. ثم أتت المواجهة الحاسمة بعد مواجهات كثيرة، شارف فيها جِيْد على الموت.

كان يحاول طيلة الوقت أن يعثر على الاسم الحقيقي لذلك الظل. فتش في كل ما استطاع الحصول عليه عن كتب قديمة تتحدّث عن المخلوقات، وسأل الآخرين، واستشار سحرةً أذكياء، لكن، عبثًا... كان ذلك المخلوق مجهولًا، لا اسم له. ثم عرف اسمه آخر الأمر. عرفه عندما كان في البحر وحيدًا في قاربه، عندما كان الظل يقترب منه أكثر فأكثر... عرف اسمه. كان اسم الظل جِيْد. كان له اسمه نفسه. كان الظلُّ هو جِيْد نفسُه!

كانت الساعة قد شارفت الثانية عشرة عندما أطفأت المصباح بعد قراءة الصفحات الأخيرة؛ وكانت عيناي ممتلئتين دموعًا.

أوه... لقد كان الظلُّ هو جِيْد نفسُه!

مرةً في الأسبوع على الأقل، ومرتين أكثر الأحيان، أكون في البيت وحدي طيلة ذلك الخريف وطيلة ذلك الشتاء. يكون أبي في اجتماعاته، ويكون إنغفِه في تدريباته مع فرقة المدرسة الموسيقية أو في تدريبات فريقي كرة القدم والكرة الطائرة، أو يكون أحيانًا في بيت واحد من رفاقه. كنت أحب وجودي في البيت وحيدًا: رائع ذلك الشعور بألّا يكون معي من يملي علي ما أفعله. ومن ناحية أخرى، فإن ذلك الوضع ما كان يعجبني كثيرًا لأن الليالي تصير أكثر طولًا، ولأن رؤية انعكاسات صورتي على النوافذ وأنا أتجول في البيت لم تكن أمرًا سارًا... انعكاسات تذكّرني بالموت وبالموتى.

كنت أعرف أن الأمر ليس حقيقيًا. لكن، ما عساها تفيدني هذه المعرفة؟

يصير الأمر أكثر إثارة للخوف عندما أتأثر كثيرًا بما أقرأه نتيجة إحساسي بأنني لست متصلًا بأي شيء عندما أرفع رأسي عن الصفحة وأنهض واقفًا. ما كنت أشعر بشيء غير أنني وحيد تمامًا، وحيد وحدة مطلقة، معزولٌ في تلك الظلمة التي تعلو في الخارج كأنها جدار من حولي.

أوه... كنت قادرًا دائمًا على الاستحمام إذا توفر وقت كافٍ قبل عودة أبي – لم يكن يعجبه أن أستحمّ في أي وقت لأنه يرى الاستحمام مرة واحدة في الأسبوع كافيًا، ولأنه يظل منتبهًا إلى هذا الأمر مثلما ينتبه إلى كل ما أفعله. لكنني قادر الآن على الاستمتاع بحريتي والذهاب إلى الحمام

وتشغيل مسجلة الكاسيت وترك الماء الحار يتدفّق على جسمي. كنت قادرًا على رؤية نفسي من الخارج، فاغرًا فمي كأن رأسي جمجمة. أغني فيتردّد صدى صوتي في المكان كله، ثم أضع رأسي تحت الماء فينتابني الذعر: لا أستطيع رؤية شيء! من الممكن أن يتسلّل إليّ أحد! فهل هناك أحد؟ ثانيتان، ثلاث ثوانٍ، أربع ثوانٍ، أمضيها تحت الماء فتصير كأنها ثقب في الزمن يمكن أن يتسلّل منه أحد. لا أعني أن يتسلّل إلى الحمام، لا... فما من أحد في الحمام... لكن من الممكن أن يكون قد تسلل إلى البيت!

كان أفضل ما أستطيع فعله في هذه الأحوال أن أطفئ الضوء في المطبخ، أو في غرفتي، وأنظر إلى الخارج لأنني أرى البيوت الأخرى عندما يختفي انعكاس صورتي على الزجاج، ولأن في تلك البيوت أسرًا أخرى وأطفالًا آخرين. ما من شيء يجعلك مطمئنًا أكثر من ذلك.

في أمسية من تلك الأمسيات، كنت راكعًا على كرسي في المطبخ المظلم أنظر إلى الخارج. كان الثلج يتساقط؛ بل كانت عاصفة ثلجية. الريح تعوي في الفضاء وتندفع نازلة في المدخنة، ومزاريب السطح تقرقع. كانت الظلمة دامسة في الخارج تحت الوهج الأصفر الصادر عن مصابيح الشارع؛ ولم يكن في الخارج غير تلك العاصفة الثلجية.

أتت سيارة صاعدة في الطريق. انعطفت فدخلت نورداسنرينغفن وتقدّمت صوب بيتنا. هل هي آتية إلينا؟

كانت آتية إلينا بالفعل. تقدّمت في الممر أمام البيت، ثم توقّفت.

من عساه يكون هذا القادم؟

خرجت من المطبخ راكضًا، ونزلت السلم فبلغت باب البيت.

وهناك توقفت.

من المؤكد أنه ليس شخصًا قادمًا لكي يزورنا!

فمن عساه يكون؟ كنت مذعورًا.

اقتربت من الباب وضغطت أنفي على الزجاج المغشّى. لست مضطرًا إلى فتح الباب. أستطيع الوقوف هناك والنظر لأرى إن كنت أستطيع معرفة هذا الزائر الآتي في الليل.

انفتح باب السيارة وسقط منه شخص!

كان ذلك الشخص يسير على أربع!

أوه، لا! أوه، لا!

كان يتمايل يمينًا ويسارًا كأنه دب. وكان آتيًا في اتجاهي. توقّف عند الجرس وانتصب واقفًا على قائمتين.

تراجعت عن الباب.

ما هذا المخلوق؟

رُن الجرس، دينغ دونغ.

نزل ذلك الشيء فصار واقفًا على أربع من جديد.

أيكون رجل الثلج المخيف؟ أم لعله متشرد؟

لكن... هنا؟ في تيباكن!

نهض مرة أخرى على قائمتيه وقرع الجرس، ثم نزل من جديد.

كان قلبي يخفق عنيفًا.

لكنني لم ألبث أن فهمت!

أوه، بالطبع!

إنه عضو المجلس المحلي... الرجل المصاب بالشلل!

لا بد أنه هو!

إن رجل الثلج المخيف لا يقود سيارة، أليس كذلك؟

فتحت الباب لحظة كان ذلك الشخص قد بدأ الزحف مبتعدًا. استدار إليّ. إنه هو.

قال لي: «مرحبًا. هل والدك في البيت؟».

هززت رأسي وقلت له: «لا. لقد ذهب إلى اجتماع».

كان الرجل ملتحيًا، وعلى وجهه نظارة وقليل من اللعاب عند زاويتي فمه. كثيرًا ما كنت أراه يقود سيارته ذات التصميم الخاص سائرًا في هذه النواحي ومعه بعض الفتيان.

تنهّد الرجل وقال: «سّلم عليه. وقل له إنني كنت هنا».

«سأفعل هذا».

جرّ نفسه إلى السيارة مستخدمًا ذراعيه، ثم فتح الباب ورفع نفسه إلى المقعد. كنت أنظر إليه بعينين متّسعتين دهشة. بعد أن صار بالسيارة، تحوّلت حركاته العاجزة تحولًا تامًا. شغّل المحرك، وتراجع بالسيارة مسرعًا حتى أعلى الممر المنحدر، ثم انطلق في الطريق واختفى بعيدًا.

أغلقت الباب وذهبت إلى غرفتي. لم أكد أستلقي في سريري حتى سمعت صوت فتح الباب في الأسفل. أدركت من الأصوات التي سمعتها إن القادم إنغفِه.

صاح وهو يصعد السلم: «هل أنت هنا؟».

نهضت وخرجت من الغرفة.

قال لي: «أنا جائع كثيرًا. هل نتعشى الآن؟».

قلت له: «لا يزال الوقت مبكرًا. إنها الساعة الثامنة الآن».

«كلما بكّرنا، كلما كان ذلك أفضل. أستطيع إعداد الشاي لنا. أنا جائع كثيرًا جدًا».

«نادني عندما يصير الشاي جاهزًا».

بعد ربع ساعة من ذلك، كنا جالسين إلى الطاولة نأكل فطائرنا وأمام كل واحد منا فنجان شاي كبير.

قال إنغفِه: «هل كانت هنا سيارة في هذا المساء؟».

أومأت برأسي: «إنه الرجل المشلول الذي في المجلس المحلي».

«لماذا أتى؟».

«وما أدراني؟»

نظر إنغفِه إليّ: «كان أحدهم يتحدّث عنك اليوم».

أحسست بالبرودة تسري في دمي.

قلت له: «أوه!».

«أجل، إنها إيلين».

«ماذا قالت عني؟».

«قالت إن مشيتك مضحكة».

«لا، لم تقل هذا».

«بل قالته. ثم إن هذا صحيح، أليس كذلك؟ إن لك مشية مضحكة. ألم تنتبه إلى هذا أبدًا؟».

صرخت: «مشيتي ليست مضحكة».

قال إنغفِه: «أوه، بلى. إنها مضحكة. هذا السرطان البحري الصغير... لا يعرف حتى كيف يمشي».

نهض إنغفِه وسار من أول المطبخ إلى آخره وهو يميل إلى الأمام مع كل خطوة. نظرت إليه واغرورقت عيناي بالدموع.

قلت له: «لا عيب في مشيتي، أبدًا».

«إيلين قالت هذا. لم أقله أنا...». جلس، ثم تابع: «إنهم يتحدّثون عنك. هذه حقيقة. أنت غريب بعض الشيء».

صرخت: «أنا لست غريبًا»، ثم قذفته بسندويتشي بأقصى قوة استطعتها. أزاح إنغفِه رأسه فاصطدم السندويتش بالموقد مصدرًا صوت اصطدام طريًا.

قال لي: «هل صار المهرج غاضبًا الآن؟».

وقفت حاملًا فنجاني بيدي. نهض إنغفِه عندما رآني أفعل ذلك. قذفته بما في الفنجان من شاي حار فأصاب بطنه.

قال لي: «أنت حلو كثيرًا عندما تغضب، يا كارل أوفِه! أيها السرطان البحري الصغير! هل تحب أن أعلمك المشي؟ تعرف أنني ماهر في المشي».

امتلأت عيناي دموعًا، لكن هذا لم يكن السبب الذي جعلني غير قادر على رؤية أي شيء، بل هو الغضب الذي اشتعل في داخلي والغشاوة الحمراء التي حلّت عليّ.

طرت إليه ولكمته في بطنه بأقصى قوة استطعها. قبض على ذراعي، ثم أدارني. حاولت تخليص نفسي، لكن قبضته كانت محكمة. حاولت ركله، لكنه شدني إليه بقوة أكبر من ذي قبل. حاولت أن أعض يده فدفعني عنه.

قال لي: «اهدأ، اهدأ».

طرت إليه من جديد. ما كنت أريد شيئًا غير أن أسدّد لكمة إلى وجهه فأسحق أنفه. لو كانت معي سكين لما تردّدت لحظة في جعلها تغوص في بطنه. لكنه كان يعرف رد فعلي لأنه حدث مرات كثيرة من قبل. فعل ما يفعله دائمًا. أمسكني بقوة شديدة، وراح يضغط عليّ وينعتني بالسرطان البحري الصغير ويقول إنني حلو كثيرًا. كنت في غاية الغضب، وحاولت أن أعض يده من جديد ولم يستطع إبقاء رأسي بعيدًا عن يده، فدفعني عنه. لم أعاود الهجوم عليه هذه المرة، بل جريت خارجًا من المطبخ. كان على الطاولة في غرفة الجلوس طبق كبير فيه فاكهة. التقطت برتقالة ورميتها على الأرض بكل قوتي. انشقت البرتقالة واندفع منها رشاش من عصيرها وتناثر على ورق الجدران.

كان إنغفِه واقفًا بالباب ينظر إليّ.

قال لي: «ماذا فعلت؟».

نظرت إليه. ثم رأيت خط العصير الذي ارتسم على ورق الجدران.

قلت له: «من الأفضل لك أن تمسحه، يا غبي».

«لن أمسحه لأن البقعة ستصير أكثر اتساعًا. سيغضب بابا كثيرًا عندما يراها. لماذا فعلت هذا؟».

«من الممكن ألّا يراها».

نظر إلي إنغفِه نظرة هازئة، وقال: «حسنًا... يمكننا أن نتمنّى هذا». انحنى فالتقط البرتقالة وأخذها إلى المطبخ. أدركت من الأصوات التي أعقبت ذلك أنه وضعها في أسفل سلة القمامة. عاد بقطعة قماش مسح بها الأرض.

كان جسدي كله يرتعش إلى حد جعلني لا أكاد أقوى على الوقوف منتصب القامة. سال العصير راسمًا خطًا على الحائط. لم أستطع تخيل إمكانية ألا يراه أبي عندما يعود إلى البيت.

غسل إنغفِه الفنجانين وغلاية الشاي. رمى في القمامة السندويتش الذي قذفته به، ولملم الفتات الذي على الأرض. جلست على الكرسي عند طاولة الطعام واضعًا رأسي بين يدي.

وقف إنغفِه إلى جانبي. قال لي: «أنا آسف. لم أكن أريد أن أجعلك تبكي».

«بل أردتَ ذلك».

قال: «المشكلة هي أنك غضبت كثيرًا. لا بد أنك قادر على رؤية كم كان الأمر مغريًا! لقد قلت لك إنني آسف».

«الأمر ليس هكذا».

«فكيف هو إذًا؟».

«مشيتي المضحكة».

«ماذا بك؟ يسير كل شخص بطريقة مختلفة عن الآخرين. الحركة إلى الأمام هي الأمر المهم. كان هذا مزاحًا فقط. ألا تدرك الأمر؟ كنت راغبًا في إغضابك. وقد نجحت في ذلك. لكن مشيتك ليست أكثر غرابة من مشية أي شخص آخر».

«هل أنت متأكد من هذا؟».

«متأكد تمامًا مثلما أنا متأكد من أن البيضة بيضة».

كنت في سريري عندما عاد أبي إلى البيت. كنت راقدًا في الظلمة مصغيًا إلى صوت خطواته. لم تتوقّف الخطوات في أعلى السلم مثلما توقّعت. بل تابعت سيرها إلى المطبخ. ظلّ يتحرك في المطبخ برهة، ثم خرج منه. وهذه المرة أيضًا، لم يتوقّف هناك.

لم ير أي شيء. لقد نجونا.

ذهبت مع غيّير إلى دورة السباحة في اليوم التالي. أخذنا الباص من هولكت إلى محطة الباصات في آرندال، ثم سرنا في الطريق الصاعدة إلى ستينتا هالن كل منا يحمل حقيبته على كتفه. في حقيبتي سروال سباحة ماركة آرينا لونه أزرق داكن، وقبعة سبيدو بيضاء على جانبها علم النرويج، ونظارة سبيدو، ومنشفة، وصابونة. لقد كنا عضوين في آرندال للسباحة منذ الشتاء الماضي. في ذلك الوقت، كانت قدرتنا على السباحة متواضعة جدًا؛

وكان اجتياز المسبح من طرفه إلى طرفه يتطلّب منا جهدًا جبارًا يكاد يلامس المستحيل. في الواقع، ذلك هو الحد الأدنى المطلوب منا في نادي السباحة. كان المدرب رجلًا على ذراعيه وشوم وفي قدميه حذاء منزلي؛ وكان يواكبنا سائرًا على امتداد المسبح ويصيح بتعليماته. كان الزمن الذي استغرقه اجتيازه المسبح كله من غير أية مشكلة قصيرًا إلى حد مدهش. لم نكن سباحين ماهرين؛ على الأقل، بالمقارنة مع الأولاد الأكبر منا سنًا الذين كانوا يسيرون حول المسبح أحيانًا فنرى سيقانهم وأذرعهم الطويلة وأجسادهم النحيلة ذات العضلات البارزة... كانوا يشقّون عباب الماء بأفواه مفتوحة وعلى وجوههم نظارات سباحة مزدوجة. كنت أفكّر أحيانًا في أننا نبدو إزاءهم كأننا شراغيف لأننا نخبط في الماء كيفما اتفق، ونبذل جهدًا كبيرًا، ولا نستطيع التحكم باتجاه حركتنا. ثم لم نلبث أن تطورنا تطورًا متدرّجًا، وسرعان ما صرنا قادرين على السباحة ألف متر في جلسة التدريب الواحدة. إلا أن استمراري في السباحة لم يكن نتيجة ما حققته من تقدم، فقد كنت مدركًا أنني لن أصير سبّاحًا قادرًا على المنافسة؛ فعندما يحين وقت المسابقة وأبذل أقصى جهدي لا يكون ذلك كافيًا على الإطلاق، -ولا أستطيع حتى أن أسبق غيّير- لكنني كنت أحب بقية الأشياء كلها، من لحظة صعودنا إلى الباص ورحلتنا في ظلام المساء على الطريق المؤدّية إلى آرندال، وشارع البلدة المقفرة التي نمر فيها، والمتاجر التي نتوقّف عندها دائمًا في طريقنا إلى الدورة، وصالة السباحة من الداخل، ذلك المبنى العمومي الضخم الذي فيه مزيج غريب بين الداخل والخارج. أثناء دخولنا إليه، خلال خمس عشرة دقيقة فقط، نتحوّل من شخصين ملتفين بملابسهما الشتوية. شخصين شبه عاريين، مرتدين سروالي سباحة، واقفين على حافة البركة بعد مرورهما بطقوس خلع الملابس والدخول إلى الدوش وارتداء ملابس السباحة؛ ثم يلقي كل منا نفسه بنفسه في الماء الشفاف ذي البرودة الرائعة، الفائح برائحة الكلور. كان هذا ما أحبه. الأصوات التي تتردّد أصداؤها في بركة السباحة، والليل من خلف النوافذ، والفواصل بين ممرات السباحة كأنها جواهر أو

مرجان، ومنصات الغطس، والاستحمام تحت الماء الحار مدة ثلاثين دقيقة كاملة بعد ذلك. ثم تنعكس العملية كلها فنتحوّل من صبيين نحيلين أبيضين شبه عاريين لهما رأسان كبيران إلى ولدين يرتديان ملابسهما كلّها، واقفين في الجو الشتوي في الخارج، الشعر الرطب مجموع تحت القبّعتين، ورائحة الكلور فائحة من الجلد، وأطراف مشبعة تعبًا لذيذًا.

كنت أحب أيضًا إحساسي عندما أضع النظارة وقبعة السباحة، لا أثناء المسابقات فحسب، عندما يكون في انتظاري تحت منصة القفز مسارٌ خاصّ بي وحدي، بل أيضًا أثناء الانتظار هناك، أشعر بأنني أغلق الأبواب على نفسي، في داخلي، في عزلة السابح التي تشبه عزلة رائد الفضاء. يصيبني الاضطراب عند ذلك، بل يصيبني الذعر أحيانًا. قد تتسرّب المياه إلى النظارة، وقد تنزلق عن عينيّ فأحسّ فيهما حرقة ولا أستطيع الرؤية؛ وهذا ما يشوّش نقاء أفكاري، بالطبع. من الممكن أن أبتلع ماء، وأن يضطرب تناسق حركاتي فتتقطّع أنفاسي وأبتلع مزيدًا من الماء. وقد أرى أن السابحين في المسارات القريبة مني قد سبقوني، ينبئني بهذا صوت يقول لي إن عليّ أن أفوز فأبدأ حوارًا معه. ثم يستمر هذا الحوار الداخلي الذي يتواصل هادئًا في عقلي وأنا أسبح وأبذل أقصى طاقتي وأحسّ بأن هالة من شيء يشبه الذعر قد ارتسمت من حولي، أو كأن ما أنا فيه يشبه مركز قيادة حربيًا في معقِلٍ تحت الأرض يتحدث فيه الضباط بأصوات هادئة في حين تستعر المعركةً فوقهم... يكون من أثر هذا عليّ أن أزيد إيقاع حركاتي نشاطًا وأضع فيها طاقتي كلها، ثوانٍ معدودة؛ لكن هذا لا يفيدني في شيء لأن غيّير يظل متقدّمًا عليّ، ولأن غيّير سيظل متقدّمًا عليّ، فلا أقدر على فهم ذلك لأنني... لأن من الواضح أنني أحسن منه، ولأنني أعرف أكثر منه كثيرًا حتى عن إرادة الفوز نفسها! على الرغم من هذا، يكون غيّير دائمًا هو من يبلغ نهاية المسبح قبلي، هو من يمسّها قبلي!

تنطلق صفارة المدرّب معلنة أن التدريب قد انتهى، وأن أمامنا أسبوعًا كاملًا حتى يحين موعد التدريب التالي، فأحس انفراجًا حقيقيًا عندما أضع

يديَّ على حافة البركة وأدفع بجسدي إلى الأعلى، ثم أجري مع غيّير على الأرض المبلّطة متجهَين إلى الدوش حيث يبدو الإيقاع هناك أكثر بطئًا، إيقاعنا على الأقل، لأننا ننزع قبعتَيْنا وسروالَيّ السباحة وندخل تحت الماء الحار المتدفق، ونقف بعيون مغمضة ونشعر بالحرارة تسري في أوصالنا فلا نحسّ بحاجة إلى قول شيء ولا إلى فعل شيء، ولا نحس حتى بدافع إلى الضحك عندما يمر رجل في طريقه إلى بركة السباحة التي تصير الآن مفتوحة للجميع، ويبدأ الغناء. هناك شيء يشبه الحلم في ذلك الجو الذي في الداخل، في الأجساد البيضاء التي تظهر قادمة من الباب فتقف تحت ماء الدوش وتتحرّك حركات شديدة البطء، كأنها تتأمّل... صوت الماء المتساقط على بلاط الأرضية، المتداخل مع أصوات مكتومة آتية من الخارج. هواء مشبع بخارًا، وأصوات تتردّد أصداؤها الجوفاء كلما تكلم أحد هناك.

عادة ما كنا نبقى زمنًا طويلًا بعد انصراف من كانوا معنا في التدريب. وجهُ غيّير صوب الحائط، ووجهي صوب الغرفة حتى لا تظهر مؤخرتي للعابرين. ألقي عليه نظرات خاطفة عندما لا يكون منتبهًا. ذراعاه أكثر نحولًا من ذراعيَّ، لكنه أقوى مني. أنا أطول منه قليلًا، لكنه أسرع مني. إلا أن هذا لم يكن السبب الذي يجعله يسبح أسرع مني. السبب الحقيقي هو أنه كان راغبًا في ذلك أكثر مني. كان الأمر مختلفًا في ما يتعلّق برسومه لأنها مجرد شيء يستطيع فعله، شيء موجود فيه وكان موجودًا فيه على الدوام. باستثناء رسم الأشخاص، كان غيّير قادرًا على رسم كل شيء بتفاصيله الدقيقة. بيوت وسيارات وأشجار وخزانات ودبابات وطائرات وصواريخ. عجيب كيف كان قادرًا على ذلك كله. لم تكن رسومه نقلًا، كرسومي؛ ولم تكن أمه تسمح له باستخدام مسطرة أو ممحاة، أبدًا. كانت لغته النرويجية تنحرف انحرافات عجيبة بعض الأحيان، فيقول «فانتيسيره» و«فيركانتي» بدلًا من

فانتاسيرِه[1] وفيركانتِت[2]. وأيضًا، إين آبلسين بدلًا من آيت آبلسين[3]. وعلى الرغم من أنني كنت أصحح له كلماته في كل مرة، فقد كان يواصل قولها بالطريقة نفسها وكأنها مصطلحات تميزه وحده، وكأنها سمة دائمة له مثل لون عينيه أو اصطفاف أسنانه!

وعند ذلك لاحظ التفاتاتي والتقت عيناه عيني. ظهرت ابتسامة على شفتيه ومد يده إلى الأعلى فضغط على فوهة الدوش براحة يده. توقف انهمار الماء، وصار كأنه ينبع من تحت كفه. ضحك واستدار إليّ من جديد. مددت كفيَّ إليه لكي يراهما. كانت أطراف أصابعي حمراء منتفخة بفعل الماء.

قلت له: «صارت مثل حبات الزبيب».

نظر غيّير إلى يديه وقال: «أصابعي صارت كذلك أيضًا. تخيّل أن يصير جسدك كله هكذا عندما نسبح».

قلت: «إن كيس الصّفن عندي يصير متغضنًا كله».

انحنى كل منا ونظر إلى الأسفل. مرّرت إصبعي بحركة بطيئة على طيات الجلد التي ظلت شديدة الحساسية على الرغم من قساوتها فسرت رعشة في جسدي.

قلت له: «تمنحك مداعبته إحساسًا لذيذًا».

نظر غيّير من حولنا، أغلق الدوش، ثم ذهب إلى صف المشاجب وبدأ يجفّف جسده. أمسكت الصابونة بيدي وضغطت عليها بقوة فاندفعت منزلقة على أرض الغرفة. اصطدمت بالجدار عند الزاوية، ثم توقّفت عند إحدى الحواف. أغلقت ماء الدوش، وكنت موشكًا على اللحاق بغيّير عندما أحسست فجأة بأنني غير قادر على احتمال فكرة بقاء الصابونة هناك،

---

(1) «fantasere»: تخيلات، في النرويجية.
(2) «firkantet»: ميدان أو ساحة، في النرويجية.
(3) «en appelsin»: برتقالة، في النرويجية.

وسط الغرفة. ذهبت إليها والتقطتها عن الأرض ورميتها في سلة المهملات عند الجدار. ضغطت بنسيج المنشفة الجاف على وجهي.

قال غيّير: «تخيل كيف سيكون الأمر عندما ينبت شعر العانة لدينا». قال هذا وسار مباعدًا بين ساقيه.

ضحكت وقلت: «تخيل كيف سيكون ذلك الشعر إن صار طويلًا جدًا».

«سيصير طويلًا حتى ركبتيك».

«عندها، تصير قادرًا على تسريحه».

«أو على ربطه مثل ذيل الفرس».

«أو من الممكن أن تذهب إلى الحلاق! من فضلك، أريدك أن تقص الشعر من حول قضيبي».

«أوه، وكيف تحب أن تكون القَصّة، يا سيدي؟».

«قَصة البحارة، من فضلك».

في تلك اللحظة، انفتح الباب فتوقّفنا عن الضحك. دخل رجل بدين كهل ذو عينين حزينتين، وسرعان ما امتلأ الفراغ الذي خلّفه الضحك فينا قهقهاتٍ صاخبةً بعد أن أومأ الرجل برأسه في اتجاهنا ثم أدار ظهره إلينا، محرَجًا، لكي يخلع سروال السباحة. وعندما حملنا لوازم السباحة لنخرج من الغرفة، قال غيّير بصوت مرتفع: «أراهنك على أن لديه واحدًا كبيرًا جدًا».

قلت بصوت مرتفع مثل صوته: «أو على أن لديه واحدًا صغيرًا جدًا».

ثم أطبقنا الباب من خلفنا، وجرينا عبر غرفة تبديل الملابس. جلسنا ضاحكين ومتسائلين إن كان الرجل قد سمع ما قلناه أم لم يسمعه؛ لكن الجو الذي عادة ما يكون هادئًا في هذه الغرفة كان له أثره علينا فبدأ كل منا يضع أشياءه في الحقيبة بحركات متكاسلة، ثم يرتدي ملابسه. ما كان ممكنًا سماع صوت من الداخل غير صوت الأقدام السائرة على أرضية اللينوليوم، وأصوات انزلاق السيقان في البنطلونات، والأذرع في أكمام السترات، وتلك التكّة عند فتح باب خزانة ملابس أو إغلاقه. كان ممكنًا أيضًا سماع شخص يغنّي لنفسه... لعله غارق في حرارة غرفة الساونا!

تناولت حقيبتي من الخزانة ووضعت فيها مستلزمات السباحة. النظارة أولًا، بعد أن أمسكتها بيدي لحظة ونظرت إليها مليًا لأنها كانت جديدة، ولأن النظر إليها يجعلني أشعر بسرور كبير... فهي نظارتي! ثم سروال السباحة والقبعة والمنشفة، وبعدها علبة الصابونة. تلك الخطوط المدوَّرة اللطيفة على علبة الصابونة، ولونها المائل إلى الخضرة، ورائحة العطر الخفيفة المنبعثة منها... كانت علبة منتمية إلى عالم آخر غير عالم بقية مستلزمات السباحة التي في حقيبتي، إلى عالم مرتبط ارتباطًا حميمًا بأمي وبالأشياء التي في خزانتها: خواتم وأقراط وقوارير صغيرة ودبابيس زينة وشالات وأوشحة. هي نفسها لم تكن منتبهة إلى أن ذلك العالم موجود هناك - لا بد أنها لم تنتبه له، وإلا لما كان ممكنًا أبدًا أن تشتري لي قبعة نسائية في تلك المرة الأولى. هذا لأن القبعة النسائية تنتمي إلى ذلك العالم أيضًا. وإن كان هناك أمر واحد يعرفه الناس جميعًا، فهو أن الخلط بين العالمين غير جائز أبدًا.

إلى جانبي، كان غيّير قد صار جاهزًا تقريبًا. وقفت، ولبست سروالي التحتي القصير، ثم تناولت بنطلوني وأدخلت ساقي فيه، ثم أتبعتها بساقي الأخرى. رفعت السروال إلى وسطي قبل أن أستدير وأبدأ البحث عن جواربي بين ملابسي. وجدت فردة واحدة فبحثت بين الملابس مرة أخرى.

لم أجد الفردة الثانية.

نظرت في الخزانة.

لا شيء! لا شيء فيها!

أوه، لا! لا، لا، لا.

بحثت متوترًا بين ملابسي. ومن جديد، هززت كل قطعة في الهواء آملًا أن أرى فردة الجورب تسقط على الأرض أمامي.

لكني لم أجدها.

قال لي غيّير: «ماذا حدث؟».

كان جالسًا على المقعد المقابل ينظر إليَّ وقد فرغ من ارتداء ملابسه كلها.

قلت له: «لا أستطيع العثور على فردة الجورب. هل تراها في أي مكان هنا؟».

انحنى غيّير إلى الأمام ونظر تحت المقعد. قال لي: «لا، إنها ليست هناك».

أوه، لا!

قلت: «لكن، لا بد أن تكون في مكان ما. ألا تساعدني في البحث عنها؟ من فضلك».

سمعت الرجفة في صوتي. لكن غيّير لم يُظهر أنه لاحظها... هذا إن كان قد انتبه إليها أصلًا!

انحنى وبحث تحت المقاعد كلها في حين ذهبت إلى غرفة الدوش لظني أن هناك احتمالًا لأن تكون قد علقت بالمنشفة ثم سقطت في الداخل. لم أجدها هناك. لعلي وضعتها في الحقيبة من غير قصد عندما وضعت مستلزمات السباحة فيها!

أسرعت عائدًا، وأفرغت محتويات الحقيبة على الأرض.

لكن، لا. لم أجدها.

قلت لغيّير: «ألم تجدها في أي مكان هنا؟».

قال غيّير: «لم أجدها. لكن علينا أن نذهب الآن، يا كارل أوفِه. سينطلق الباص بعد قليل».

«ينبغي أن أعثر على فردة الجورب أولًا».

«حسنًا، إنها ليست هنا. هل تراها هنا؟ لقد بحثنا في كل مكان. ألا تستطيع الذهاب من غيرها؟».

لم أجبه بشيء. هززت ملابسي مرة أخرى. وقرفصت لكي أنظر إلى الأرض تحت المقاعد؛ ثم ذهبت إلى غرفة الدوش من جديد.

قال غيّير: «علينا أن نذهب الآن. سوف يغضبون مني إن فاتني الباص».

رفع يده حتى صارت ساعته مقابل وجهي.

قلت له: «واصل البحث عنها بينما أكمل ارتداء ملابسي».

أومأ برأسه موافقًا، وراح يتجوّل وينظر إلى الأرض. لبست قميصي وكنزتي.

ألا يمكن أن تكون على الرفّ العلوي؟

وقفت على المقعد ونظرت إلى الرف.

لا شيء!

لبست بنطلوني، ومن فوقه البنطلون المبطن. أغلقت سترتي وجلست لكي أربط شريط حذائي.

قال غيّير: «علينا أن نذهب الآن».

قلت: «صرت جاهزًا تقريبًا. انتظرني في الخارج».

خرج غيّير، فأسرعت عائدًا إلى غرفة الدوش. نظرت في سلة المهملات هناك، ومررت بيدي على طوار النافذة. بل إنني أيضًا فتحت الباب المفضي إلى بركة السباحة. لم أجد شيئًا!

كان غيّير واقفًا عند التلة عندما خرجت. بدأ يجري نازلًا حتى قبل أن أصل إليه.

صحت من خلفه: «انتظرني»، لكنه لم يتمهّل أبدًا، بل حتى إنه لم يلتفت في اتجاهي. جريت خلفه مسرعًا. صرنا في الظلمة في الأسفل، عند الأشجار الرمادية، ثم دخلنا المنطقة المنارة في الشارع التي في الأسفل. وفي كل خطوة، كانت قدمي العارية تحتك بجلد الحذاء الخشن. وكان صوت في داخلي يقول، *لقد فقدت جوربي*. *لقد فقدت جوربي*. *لقد فقدت جوربي*. بدأ شيء يتكتك في رأسي. يحدث هذا من وقت لآخر عندما أجري؛ يتكتك شيء في رأسي، في مكان داخل صدغي الأيسر، تك تك. صوت منذر بالخطر يجعلني أشعر بأن هناك شيئًا قد انفلت من مكانه، أو بأن هناك شيئًا يحتك بشيء آخر. لكنّي لا أقول هذا لأحد لأنهم سيقولون إن قطعة من عقلي قد أفلتت من مكانها، وسيضحكون مني.

تك، تك، تك.

جريت خلف غيّير طيلة المسافة حتى متجر السكاكر الذي نذهب إليه

دائمًا، فيكون كيس السكاكر الذي نخرج به من المحل أسعد لحظة في الرحلة كلّها. وقف غيّير ينتظرني خارج المتجر. كان نافد الصبر، متململًا، ينقل ثقل جسده من قدم إلى أخرى. توقّفت أمامه. نتيجة عمل جرافة الثلج، كنا واقفين أعلى من المعتاد بنصف متر فغيّرت زاوية النظر الجيّدة مظهر المتجر في أعيننا. صار الآن يبدو أشبه بقبو منه بمتجر على مستوى الأرض؛ وقد غيّر هذا الإحساس كل شيء. رأيت بنظرة واحدة أن الرفوف لم تكن إلا «رفوفًا»، وأن السلع التي عليها لم تكن إلا «سلعًا»، معروضة بطريقة عادية جدًا... باختصار، كان ذلك المتجر «متجرًا». صحيح أنني لم أقل هذه الفكرة لنفسي، لكنها كانت فكرة أتتني لحظة ثم اختفت سريعًا مثلما أتت.

فتح غيّير باب المتجر، ثم دخل.

تبعته إلى الداخل وقلت له: «هل نحن في ضيق شديد من وقتنا؟».

قال: «أجل. ينطلق الباص بعد إحدى عشرة دقيقة».

في الغرفة الخلفية، وضعت البائعة الصحيفة التي كانت في يدها، ثم نهضت وأتت إلى المتجر فوقفت خلف طاولة البيع وقد ارتسم على وجهها تعبير ضجر فيه شيء من الازدراء. كانت كبيرة السن؛ وكان مظهرها منفّرًا. رأيت أن لها ثلاث شعرات رمادية طويلة نابتة من خال في ذقنها.

على رفوف تكسو جدارًا كاملًا، كانت غلايين كثيرة، وأدوات تنظيف الغلايين، وآلات لف السجائر، وأوراق لف السجائر، وأكياس تبغ، وعلب سجائر، وعلب سيجار، وعلب سعوط معدنية من أشكال وألوان مختلفة. وكانت عليها كلّها كتابات مختلفة وصور صغيرة أنيقة لكلاب وثعالب وخيول وسفن شراعية وسيارات سباق ورجال سود مبتسمين وبحارة يدخنون ونساء في أوضاع عفوية. وأما رفوف السكاكر -هذا ما كنا ننظر إليه في تلك اللحظة- فكانت ممتدة على مساحة الجدار الثاني كلّها. وعلى العكس من منتجات التبغ، كانت السكاكر من غير أغلفة: السكاكر القاسية والسكاكر الطرية والشوكولاته موضوعة كلها في أوعية بلاستيكية شفافة، ظاهرة بذاتها من غير صور تحجبها عنا: ما تراه هو ما تشتريه! كانت

السكاكر السوداء بطعم عرق السوس أو بطعم الملح، والسكاكر الصفراء بطعم الليمون، والسكاكر البرتقالية بطعم البرتقال، والسكاكر الحمراء بطعم الفريز، والسكاكر البنية بطعم الشوكولاته. وأما قطع الشوكولاته الصغيرة المربعة ذات السطوح القاسية (اسمها ريكروت) فكانت فيها حشوة من الكراميل الصلب، تمامًا مثلما يعدُك به شكلها الخارجي. وأما الشوكولاته التي على شكل قلوب، فكانت حشوتها الطرية كالجيليه بطعم المشمش... أيضًا، هذا ما يمكن توقعه من شكلها الخارجي. كان نظام الألوان هذا ساريًا على السكاكر القاسية وعلى السكاكر الطرية مع بعض الاستثناءات التي حاولنا في ذلك المساء تقليلها إلى أقصى حد. من الممكن أن يكون لبعض السكاكر السوداء طعم أخضر داكن، في حين يمكن أن يكون لبعض السكاكر الخضراء الداكنة طعم أخضر عادي كطعم مطرّيات الحلق أو كطعم الأوكاليبتوس - بكلمات أخرى، كان طعمها أخف من طعم السكاكر الداكنة - لكنها لم تكن من تلك السكاكر ذات الطعم الأخضر الحلو، على الرغم من وجود احتمال لأن يتوقّع المرء ذلك انطلاقًا من ألوانها. كانت هناك أيضًا سكاكر قاسية سوداء لها طعم كطعم تلك السكاكر باليانسون التي كنا نسميها «ملك الدانمارك»، أي إن طعمها كان بين البني والبرتقالي. والأمر الغريب هو أنك لا تجد الحالة المعاكسة، فليست هناك سكاكر «ملك الدانمارك» لونها بين البرتقالي والبني لكنها بطعم أسود؛ كما لا يمكن أبدًا أن تصادف سكاكر قاسية بلون الأوكاليبتوس الأخضر لكن طعمها أخضر حلو، أو أسود.

قالت لنا البائعة: «ماذا تريدان؟».

كان غيّير قد وضع المال الذي يريد إنفاقه على الطاولة الزجاجية وانحنى إلى الأمام لكي يرى بشكل أوضح. كانت علامات التوتر بفعل ضيق الوقت ظاهرة على وجهه.

قال: «آآآ... ».

قلت له: «هيا، أسرع».

ثم خرج الكلام من فمه دفعة واحدة. قال للبائعة وهو يشير إلى أوعية

السكاكر المختلفة: «ثلاث قطع من هذه، وثلاث من هذه، وثلاث من تلك، وأربع من تلك، وواحدة من هذه، وواحدة من تلك».

قالت البائعة وهي تفتح كيسًا ورقيًا وتستدير في اتجاه السكاكر: «ثلاثة من... أيها؟».

«السكاكر الخضراء. أوه، اجعليها أربع قطع. ثم ثلاث قطع من السكاكر الحمراء والبيضاء والسكاكر المنقّطة وأيضًا، خمس قطع من سكاكر 'دمى الأطفال'...».

كان الزمن الباقي على انطلاق الباص أربع دقائق فقط عندما خرجنا من المتجر وفي يد كل منا كيس صغير. لكن ذلك الوقت كان كافيًا. هذا ما قاله كل منا للآخر ونحن نجري نازلين درجات السلّم. كانت على تلك الدرجات طبقة قاسية من الجليد والثلج الذي داسته الأقدام؛ وكانت زلقة فاضطررنا إلى الإمساك بالدرابزين. هذا ما كان غير مواتٍ للنزول السريع الذي أردناه. كانت البلدة ممتدة في الأسفل... الشوارع البيضاء التي تكاد تبدو صفراء اللون في ضوء المصابيح؛ والمحطة التي تدخلها الباصات وتخرج منها كأنها زلاجات تسير على الثلج. كانت أمامنا أيضًا الكنيسة المرتفعة ذات السقف القرميدي الأحمر والبرج الصغير الأخضر. سماء سوداء ممتدة فوق كل شيء، مرصّعة بنجوم متلألئة. وعندما لم تبق لنا إلا عشر درجات، أو خمس عشرة درجة، ترك غيّير السلم وانطلق راكضًا. فقد توازنه بعد خطوتين واسعتين فلم تعد أمامه فرصة للبقاء واقفًا على قدميه غير أن يجري بأقصى سرعته. نزل قسمًا من المسافة بخطوات سريعة جدًا، ثم غيّر أسلوبه وقرّر بدلًا من ذلك أن ينزلق. لكن اندفاع الجزء العلوي من جسده كان كبيرًا فانقلب وسقط على وجهه في الثلج المتجمّع في الخندق الذي إلى جانب الطريق. جرى ذلك كله بسرعة شديدة لم أستطع معها أن أضحك منه إلا بعد أن صار منبطحًا في الثلج.

«ها ها ها».

لم يتحرّك غيّير.

هل أصابه أذى حقيقي؟ سرت إليه بأسرع ما استطعت فاجتزت المسافة الباقية وتوقّفت إلى جانبه. في البداية، كان تنفسه متقطّعًا يشبه البكاء. ثم أطلق أنينًا مرتفعًا.

ضغط بيديه على صدره وهمس: «خراء. خراء. خراء. خراء».

قلت له: «أتمنّى ألا تقول كلمات سيئة».

قذفني بنظرة سريعة غاضبة فقلت: «هل آذيت نفسك؟».

أطلق غيّير أنينًا جديدًا.

سألته: «هل صرت عاجزًا عن التنفس؟».

أومأ برأسه ثم جلس وبدأ يتنفس تنفّسًا طبيعيًا. لمعت دموعٌ في عينيه.

قلت له: «لقد فاتنا الباص على أية حال».

قال: «قطعتْ هذه السقطة أنفاسي. هذا ليس بكاء».

كشّر ووضع يده على خاصرته وبذل جهدًا كبيرًا حتى وقف على قدميه.

سألته: «هل أنت قادر على السير؟».

قال: «أجل».

رأينا من مكان وقوفنا عند مدخل مركز أرينا للتسوق كيف تحرك باصنا وخرج إلى الطريق ثم اختفى عند منعطف الشارع. ينطلق الباص التالي بعد نصف ساعة من الآن.

جلسنا داخل محطة الباصات على مقعد إلى جانب كشك التصوير ورحنا نأكل السكاكر التي اشتريناها. كان الناس الذين من حولنا قلائل. شابان يشتريان سندويتشي هامبرغر مع البطاطس المقلية وسيارتهما متوقفة في الخارج، ورجل ثمل جالس على الأرض ورأسه منكّس؛ كان نائمًا. وشاب هو صديق الفتاة العاملة في كشك البيع.

وضع غيّير في فمه قطعة من السكاكر ذات اللونين الأحمر والأبيض.

قلت له: «كيف تجد طعمها؟ ما لونه؟».

نظر إليّ رافعًا حاجبيه. قال: «حمراء وبيضاء، بالطبع. إنها واحدة من السكاكر ذات اللونين الأحمر والأبيض».

قلت: «لا يكون الطعم مطابقًا للون بالضرورة. من الممكن أن آكلها فأجد أن طعمها أخضر».

قال: «ما هذا الذي تقوله الآن؟».

قلت: «قد يكون لها طعم المربّى، مثلًا».

«مربّى؟».

قلت: «ألست قادرًا على فهم أي شيء؟ لا نستطيع معرفة إن كان طعم السكاكر مطابقًا للونها».

لكنه لم يكن يفهم هذا. وأنا أيضًا، لم أكن واثقًا ثقة تامّة من أنني أفهمه. لكنني كنت مع داغ لوثار في إحدى المرات، ووضع كل واحد منا في فمه قطعة سكاكر على شكل مستطيل أسود، ثم نظر كل منا إلى الآخر وقلنا في وقت واحد إن طعمها أخضر. وأيضًا، كان لدينا زائرون في وقت متأخر من ذلك الخريف، جدّتي وجدّي وغونار، وكذلك آلف عم أبي مع زوجته سولفي. لقد نزلوا جميعًا في بيتنا. أكلنا ما اصطاده أبي بالشبكة قبل بضعة أيام، سرطانات بحر وقريدس وكركند؛ وبينما كنا نأكل نظرت سولفي إلى أبي وقالت له: «أظنك اصطدت هذا الكركند بنفسك. إن طعمه لذيذ».

قالت جدتي: «إنه لذيذ بالفعل».

قال أبي: «لا شيء أطيب من الكركند. لكن لا يمكننا معرفة إن كان طعمه واحدًا بالنسبة إلينا جميعًا».

حدّقت سولفي فيه وقالت: «ماذا تعني بهذا؟».

قال أبي: «أعرف كيف هو طعمه بالنسبة إليّ؛ لكنني لا أعرف أبدًا كيف هو طعمه بالنسبة إليك».

قالت سولفي: «إن له طعم الكركند، بالطبع».

ضحك الجميع.

لم أفهم ما جعلهم يضحكون كلّهم. كان ما قالوه صحيحًا! لكني ضحكت مثلما ضحكوا!

سألها أبي: «ولكن، كيف تستطيعين معرفة أن مذاق الكركند بالنسبة إليّ

هو نفسه مذاق الكركند بالنسبة إليك... أو كيف هو مذاقه بالنسبة إليكم جميعًا؟ من المحتمل أنني أجد طعمه مثل طعم المربى. كانت سولفي موشكة على قول شيء، لكنها لم تقله. نظرَتْ إلى الكركند، ثم رفعت رأسها ونظرت إلى أبي وقالت: «أنا لا أفهم هذا. ها هو الكركند هنا. إن له طعم الكركند، لا المربى».

ضحك الآخرون أيضًا. كنت أعرف أن أبي محق، لكني لم أعرف السبب بالضبط. جلست متأملًا في الأمر زمنًا طويلًا. كنت أحسّ دائمًا كأنني موشك على الفهم، لكن الأمر يفلت من قبضتي لحظة أبدأ استيعابه. كانت الفكرة أكبر من قدراتي.

لكنها كانت أكبر كثيرًا من قدرات غيّير. تذكّرت هذا ثم رفعت رأسي ونظرت إلى الباب الذي انفتح فجأة. دخل ستيغ. أشرق وجهه عندما رآنا.

قال لنا: «مرحبًا».

قال غيّير: «مرحبًا».

قلت: «مرحبًا».

قال وهو يجلس إلى جوارنا: «لقد فاتكم الباص، أليس هذا صحيحًا؟».

أومأ غيّير برأسه. مد إليه الكيس وقال: «ألا تريد واحدة من هذه؟».

ابتسم ستيغ واختار قطعة سكاكر. يعني هذا أن عليّ أن أقدم إليه واحدة بدوري بعد أن ينتهي من أكل هذه. أمر عجيب... لماذا فعل غيّير هذا؟ ليست لدينا سكاكر كثيرة!

كان ستيغ متقدّمًا علينا بصف واحد؛ ويذهب إلى تدريبات الجمباز ثلاث مرات في الأسبوع، ويشارك في مسابقات على المستوى الوطني، لكنه لم يكن مغرورًا على الإطلاق، لم يكن مغرورًا مثل سنورّه الذي يسبح مع الفريق الوطني، ولا يريد أن تكون له أية علاقة بنا. كان ستيغ لطيفًا، بل كان واحدًا من ألطف الأولاد الذين أعرفهم. وعندما أتى الباص جلس في مقعد أمام المقعد الذي احتللته مع غيّير. نضب ما لدينا من أحاديث عندما وصلنا إلى آخر لانغبريغا، فاستدار وظل جالسًا ينظر إلى الأمام طيلة ما بقي

من رحلتنا. أنا وغيّير ظللنا صامتين أيضًا. عاد إلى ذهني التفكير في جوربي المفقود؛ عاد بقوة متجدّدة.

أوه، لا. أوه، لا.

ماذا سيحدث الآن؟

ماذا سيحدث الآن؟

أوه، لا. أوه، لا. أوه، لا.

لا، لا، لا!

أظن أن أبي قد لاحظ تأخّرنا؟ ولعله يكون الآن واقفًا هناك، منتظرًا؟ وأما من ناحية أخرى، فقد لا يكون كذلك... قد يكون منشغلًا بأمر آخر. سأكون في أمان إن كان الأمر كذلك. إذا استطعت عبور الممر والوصول إلى غرفة السخّان من غير أن يلاحظني، فسيكون كل شيء على ما يرام لأن لدي جوارب هناك... وسوف أرتديها.

انعطف الباص ودخل جسر ترومويا فبدأت الريح الجانبية تصفعه. اهتز زجاج النوافذ. كان غيّير دائم الحرص على أن يسبق الجميع إلى جذب حبل الجرس. رفع يده وقرع الجرس على الرغم من كوننا الأشخاص الوحيدين الذين سننزل هناك. كان موقف الباص في نقطة منخفضة قبل التلة مباشرة؛ وكنت أشعر بالذنب دائمًا عندما ننزل هنا، لأن الصعود في الطريق المنحدرة سيكون صعبًا على الباص الذي لن يتمكّن من اكتساب شيء من السرعة إلا بعد وصوله إلى القمة على مسافة بضع مئات الأمتار بعد الموقف. وفي بعض الأحيان، يكون هذا الإحساس قويًا عندي إلى حدّ يجعلني أؤجّل النزول حتى الموقف التالي، أي الموقف الذي عند متجر B-Max. يحدث هذا خاصة عندما أكون وحدي. لكن، حتى الآن، وعلى الرغم من أن التفكير في الجورب المفقود كان يلسع وعيي، فقد أحسست بوخزة ضمير صغيرة عندما جذب غيّير حبل الجرس فتوقّف الباص مطلقًا تنهيدة انزعاج فنزلنا منه.

وقفنا عند أكوام الثلج المتراكمة إلى جانب الطريق وانتظرنا إلى أن تحرّك الباص من جديد. رفع ستيغ يده بالتحية مودّعًا. ثم عبرنا الطريق وسرنا صاعدَيْن في الدرب المفضية إلى منطقتنا السكنية.

عادة ما كنت أضرب حذائي بالأرض عند العتبة عدة مرات حتى أنفض عنه الثلج، ثم أستخدم المكنسة المستندة إلى الجدار لكي أزيل الثلج العالق ببنطلوني؛ لكنّي لن أضرب الأرض بقدميّ هذه المرة خوفًا من أن يسمع أبي الصوت. اكتفيت باستخدام المكنسة، ثم فتحت الباب بحذر ودخلت وأغلقته من خلفي.

لكن صوت فتح الباب وإغلاقه كان كافيًا. سمعته يفتح باب مكتبه. ثم انفتح الباب الذي عند المدخل.

وقف أبي أمامي.

«لقد تأخرت في العودة».

«صحيح، أنا آسف. لكن غيّير سقط في الطريق وآذى نفسه فلم نستطع اللحاق بالباص».

بدأت أفك رباط فردة حذائي... القدم التي فيها جورب.

لم تظهر على أبي أية علامة تشير إلى أنه سيعود إلى غرفته.

خلعت فردة الحذاء من قدمي ووضعتها عند الجدار.

رفعت رأسي ونظرت إليه فقال: «ما الأمر؟».

قلت له: «لا شيء».

كان صوت نبضات قلبي عنيفًا في أذني. كان واضحًا لي أن النهوض والسير بفردة حذاء واحدة ليس خيارًا ممكنًا. وأيضًا، كان بقائي واقفًا في مكاني وانتظار ذهابه خيارًا غير ممكن أيضًا... لأنه لن يذهب.

بدأت أفك رباط فردة حذائي الثانية، لكن بحركة بطيئة. أتتني فكرة عظيمة بينما كنت أفعل ذلك. حللت الوشاح عن رقبتي، ووضعته إلى جانب الحذاء على الأرض. سحبت قدمي من فردة الحذاء بعد أن انتهيت من فك الشريط، وأمسكت بالوشاح محاولًا -بحركة عفوية تماما- أن أجعله يحجب قدمي العارية.

انتصبت واقفًا والوشاح المتدلّي من يدي يحجب نصف قدمي.

قال أبي: «أين جوربك؟».

نظرت إلى قدمي، ثم رفعت رأسي ونظرت إليه.

قلت له: «لم أستطع العثور عليه». خفضت عيني إلى الأرض من جديد.

قال أبي: «هل أضعت جوربك؟».

قلت: «أجل».

صار أمامي في لحظة واحدة، وقبض على ذراعيّ بيديه الحديديتين. ثبتني إلى الجدار.

«هل تقول لي إنك أضعت فردة جوربك؟».

صحت: «أجل».

هزني، ثم تركني.

«كم صار عمرك الآن؟ ولماذا تظنّ أن لدينا مالًا كثيرًا؟ هل تظن أننا قادرون على تحمل تكلفة إضاعة الملابس؟».

كنت مطرقًا إلى الأرض؛ وكانت الدموع قد ملأت عينيَّ. قلت: «لا». أمسك بأذني ولواها.

قال لي: «اسمع أيها المشاغب الصغير! كن حريصًا على أشيائك».

قلت: «نعم».

«لن تذهب إلى المسبح بعد الآن. هل هذا مفهوم؟».

«ماذا؟».

«لن تذهب إلى المسبح بعد الآن».

قلت منتحبًا: «ولكن...».

«من غير 'ولكن'!».

ترك أذني وسار حتى الباب. التفت إلي وقال: «أنت لم تكبر بعد. هذا ما صار واضحًا من سلوكك الليلة. لا يمكنك الذهاب إلى المسبح بعد الآن. كانت هذه آخر مرة. هل تفهم هذا؟».

أجبته: «أجل».

«حسنًا. اذهب إلى غرفتك فورًا. ليس لك عشاء اليوم. اذهب مباشرة إلى سريرك».

لم أذهب إلى السباحة في الأسبوع الذي تلا ذلك. لكني اشتقت للذهاب، فتصرّفت في الأسبوع الذي بعده كأن شيئًا لم يحدث، جهّزت حقيبتي، وذهبت بالباص مع غيّير وداغ لوثار. طغت عليّ مخاوفي لحظات كثيرة، لكن شيئًا في داخلي قال لي إن كل شيء سيكون على ما يرام. وهذا ما كان بالفعل؛ فقد كان كل شيء طبيعيًا عند عودتي. واصلت الذهاب إلى المسبح، ولم يقل أبي أية كلمة أخرى عن ذهابي لمتابعة دورة السباحة.

وفي الأول من شهر كانون الأول، أي قبل ثلاثة أيام من عيد ميلادي وقبل يومين من عودة أمي إلى البيت، كنت جالسًا على كرسي المرحاض عندما سمعت صوت سيارة أبي، الصوت الذي أعرفه جيدًا. انعطفت السيارة وتوقّفت في الممر أمام البيت، ثم لم يعقب ذلك صوت فتح الباب وإغلاقه. بدلًا من ذلك، سمعت صوت الجرس.

ماذا يمكن أن يكون معنى هذا؟

مسحت مؤخرتي، وجذبت السلسلة، ورفعت بنطلوني، وفتحت النافذة التي فوق حوض الاستحمام، وأخرجت رأسي منها.

كان أبي واقفًا في الأسفل مرتدِيًا سترة جديدة. كان يرتدي أيضًا بنطلونًا ضيقًا جديدًا وجوارب زرقاء طويلة، وفي قدميه حذاء لونه أزرق وأبيض... كله جديد بجديد.

قال لي: «هيا، انزل. سوف نذهب للتزلج على الثلج».

ارتديت ملابسي سريعًا وخرجت من البيت حيث كان أبي يثبت زلاجتيَّ وعصاتيَّ فوق سقف السيارة إلى جانب زوج جديد من زلاجات سبليتكين الخشبية الطويلة.

سألته: «هل اشتريت لنفسك زلاجتين جديدتين؟».

«أجل. أليس هذا رائعًا؟ هكذا، نستطيع الذهاب لكي نتزلّج معًا».

«حسنًا. أين نذهب للتزلج؟».

قال: «فلنذهب إلى غرب الجزيرة، إلى هوفه».

«هل لديهم منحدرات تزلج هناك؟».

«هناك؟ أوه، بالطبع! إن لديهم أفضل منطقة تزلج في الجزيرة كلها».

كنت في شك من ذلك، لكنّي لم أقل شيئًا. جلست في السيارة إلى جانبه. كم كان منظره غير مألوف في تلك الملابس الجديدة! انطلقنا في اتجاه هوفه. لم يقل أيٌّ منا شيئًا إلى أن أوقف أبي السيارة هناك ونزلنا منها.

كان قد قاد السيارة إلى أن تجاوز مركز العطلات في هوفه، ذلك المركز المؤلف من عدد ضخم من البيوت والأكواخ الحمراء الموجودة هناك منذ الحرب الأخيرة. لقد بناها الألمان، على الأرجح، مثلها مثل ميدان الرماية الذي سمعتهم يقولون إنه كان مهبطًا للطائرات، وأيضًا مثل مرابض المدافع الإسمنتية القائمة فوق الصخور الصقيلة التي عند البحر وعند الشواطئ الحجرية القريبة من طرف الغابة، ومثل الاستحكامات المنخفضة الرائعة بين الأشجار، تلك الاستحكامات التي كنا نلعب فوق سقوفها وفي غرفها عندما نذهب إلى تلك الأماكن في أمسيات أعياد السابع عشر من أيار[1]. تجاوز أبي ذلك كله وسار في طريق ممتدة عبر الغابة لم تلبث أن انتهت عند مقلع صغير للرمل حيث أوقف السيارة.

أنزل الزلاجات والعصيَّ عن سطح السيارة، ثم أخرج حقيبة صغيرة فيها معدّات تشميع الزلاجات التي اشتراها أيضًا. شمّع كل منا زلاجتيه باستخدام شمع «Swix» الأزرق. قرأ أبي ما كان مكتوبًا على واحد من عبوات الشمع وقال إنه أفضل الأنواع. كان واضحًا أنه لم يألف ربط الزلاجتين على قدميه لأن ذلك استغرق منه زمنًا طويلًا بعد أن انتهيت من ربط زلاجتيَّ. وبعد ذلك أدخل يديه في عروَتَيّ العصاتين؛ لكنه لم يدخلهما من الأسفل بحيث لا تسقط العصا حتى عندما تلف كفه، بل أدخل يديه مباشرة!

كان هذا ما يفعله الأطفال الصغار الذين لا يعرفون كيف يمسكون بعصاتَي التزلّج.

(1) السابع عشر من أيار هو العيد الوطني للنرويج (يوم الدستور).

كانت رؤية ذلك مؤلمة لي، لكنني لم أستطع قول شيء. بدلًا من ذلك أخرجت يديَّ، ثم أدخلتهما من جديد علّه ينتبه إلى ما أفعله فيدرك أنه أدخل يديه بطريقة غير صحيحة!

لكنه لم يكن ينظر إليّ بل إلى الأعلى، إلى الروابي الصغيرة فوق مقلع الرمل.

قال لي: «فلنذهب إلى الأعلى».

على الرغم من أنني لم أره يتزلج قبل ذلك، فإنني لم أتصوّر أبدًا (حتى في أقصى حالات جموح الخيال) أنه لا يجيد التزلج. لكنه كان لا يجيده! لم يكن يجعل الزلاجتين تنزلقان في سيره، بل يمشي بخطوات عادية مثل خطواته من غير زلاجتين... خطوات قصيرة كانت، فوق ذلك، غير ثابتة أبدًا. وهذا ما جعله مضطرًا إلى التوقف بعد كل عدد من الخطوات لكي يغرس العصاتين في الثلج فيتفادى السقوط.

قلت في نفسي إن هذه ليست أكثر من بداية، وإنه سرعان ما يعثر على إيقاعه الخاص به ويتزلج نازلًا المنحدر كما ينبغي أن يكون. لكنه بلغ القمة حيث كان البحر يلوح من بين الأشجار رمادي اللون بأمواجه المكللةُ بزبد أبيض وبدأ يتبع الآثار التي رسمتها الزلاجات. ظلّ مستمرًا في المشي بالطريقة نفسها.

ومن حين لآخر، كان يلتفت ويبتسم لي.

شعرت بحزنٍ شديدٍ عليه... حزن جعلني مستعدًا للصياح عاليًا أثناء تزلجي.

مسكين أبي! مسكين، مسكين أبي!

لكني كنت محرَجًا في الوقت نفسه لأن أبي غير قادر على التزلج. حافظت على مسافة من خلفه حتى لا يدرك من يمكن أن يمر بنا أننا معًا. هذا ليس إلا شخصًا يسير أمامي... لعله سائح لا يعرف شيئًا... وأما أنا فإنني هنا وحدي. هذا موطني، وأنا أجيد التزلج على الثلج.

انعطف منحدر التزلج عائدًا إلى الغابة. واختفى مشهد البحر لكن صوت أمواجه ظل معلقًا بين الأشجار، يعلو وينخفض، وظلت رائحة الماء المالح

وأعشاب البحر المتحلّلة تفوح في كل مكان وتختلط بروائح الغابة الشتائية الواهية. روائح لعل أوضحها كانت رائحة ذلك المزيج الغريب من الرقة والخشونة، رائحة الثلج. توقّف أبي واستند إلى العصاتين. سرت إلى جانبه. كانت سفينة تلوح في الأفق. وكان لون السماء من فوقنا رماديًا فاتحًا. ألقٌ شاحب لونه بين الأصفر والرمادي كان معلّقًا في السماء فوق المنارتين اللتين في تورونغن، ويدلّ على موضع الشمس.

نظر أبي إلي وقال: «هل تعمل زلاجاتاك جيدًا؟».

«نعم، تعملان جيدًا، وماذا عن زلاجتيك؟».

«إنهما جيدتان. فلنتابع إذًا! سرعان ما يحين وقت العودة إلى البيت. علينا أيضًا أن نعدّ طعامًا للعشاء. إذًا، فلننطلق!».

سألته: «ألا تريد أن تسبقني؟».

أجابني: «لا. انطلق أنت الآن، سأسير من خلفك».

كل ما كان في رأسي جعله هذا الترتيب الجديد ينقلب رأسًا على عقب. إن سار الآن خلفي، سوف يرى كيف أتزلج، فأنا شخص يتقن التزلج؛ وسوف يدرك كم أن حركاته خرقاء. رأيت الأعمدة المغروسة في منحدر التزلج وكأنني أنظر إليها بعينيه. كانت مثل سكاكين تنغرس في وعيي. أبطأت اندفاعي بعد بضعة أمتار فقط، وبدأت أنحدر بطريقة أكثر تمهلًا وتقطعًا، أي بطريقة تشبه طريقته من غير أن تكون خرقاء مثلها، فلعله يفهم ما أفعله. كانت الأمواج المزبدة البيضاء تضرب الشاطئ الحجري متكاسلة في الأسفل. وعلى الصخور، كانت الريح تثير زوابع في بعض الأماكن وتقذف الثلج في الهواء. مر نورس من فوقنا، وكان جناحاه ثابتين من غير أية حركة. كنا نقترب من السيارة؛ ثم خطرت في ذهني فكرة عندما صرت في بداية المنحدر القصير. غيّرت أسلوب حركتي، وانحدرت تلك الأمتار المعدودة بأقصى سرعة استطعتها، ثم تظاهرت بأنني فقدت توازني فرميت بنفسي على الثلج المتراكم إلى جانب المنحدر. نهضت بأسرع ما استطعت؛ ومر بي أبي عندما انحنيت لأنفض الثلج عن بنطلوني.

قال لي: «الأمر كله متوقف على نجاحك في البقاء واقفًا على قدميك».

عدنا إلى البيت صامتَيْن. غمرني الارتياح عندما انعطفنا في مدخل بيتنا آخر الأمر لأن هذا يعني أن رحلة التزلج المرهقة تلك قد انتهت.

بقينا صامتَين أيضًا عندما وقفنا في الممر وخلعنا ملابس التزلج. لكنه التفت إليّ بعد أن فتح الباب المؤدي إلى السلم. قال لي: «تعال واجلس معي ريثما أطهو طعام العشاء».

أومأت برأسي، وتبعته إلى الأعلى.

توقّف في غرفة الجلوس ونظر إلى الجدار. قال: «ما هذا بحق الـ... هل لاحظت هذا قبل الآن؟».

الحقيقة أنني كنت قد نسيت أمر العصير الذي تناثر على الجدار ورسم عليه خطًا. ولا بد أن شيئًا من الصدق قد ظهر عليّ عندما هززت رأسي لأن انتباه أبي انصرف عني سريعًا. انحنى ناظرًا إلى الجدار ومرّ بإصبعه على الخط الضيق الذي خلّفه العصير. حتى مخيلة أبي نفسها كان صعبًا عليها التوصل إلى أنني من سبّب هذا عندما قذفت بالبرتقالة إلى الأرض بالقرب من باب الغرفة.

نصب أبي قامته وذهب إلى المطبخ. جلست على الكرسي، كما هو معتاد. أخرج أبي من البراد رزمة من أسماك البولوك ووضعها على الطاولة، ثم أحضر من الخزانة طحينًا وملحًا وفلفلًا، ثم وضع ذلك كله في طبق وبدأ يقلب شرائح الأسماك الطرية الزلقة في ذلك المزيج.

قال من غير أن يرفع رأسه وينظر في اتجاهي: «سنذهب غدًا بعد المدرسة إلى آرندال ونشتري لك هدية عيد ميلادك».

سألته: «هل سأذهب معك؟ ألا ينبغي أن تكون الهدية سرًا؟».

«أنت تعرف ما تريده، أليس هذا صحيحًا؟ ألم تقل إنك تريد ملابس كرة القدم؟».

«أجل».

«إذا ذهبت، يمكنك أن تجرب الملابس هناك لكي تتأكد من أنها على

مقاسك». قال ذلك ودفع بإصبعه كتلة الزبدة عن السكين فسقطت في المقلاة.

كنت راغبًا في ملابس كرة قدم بألوان فريق ليفربول. لكننا ذهبنا إلى متجر إنترسبورت فلم نجد مجموعة ليفربول على رفوف العرض.

«ألا نستطيع سؤال واحد ممن يعملون هنا؟ لعل ما أريده موجود في المستودع لديهم».

قال أبي: «إذا لم تكن معروضة هنا، فهذا يعني أنها غير موجودة لديهم. خذ مجموعة من المجموعات المعروضة».

«لكني أشجع فريق ليفربول».

«إذًا، خذ ملابس فريق إيفرتون، إنه من المدينة نفسها».

نظرت إلى قميص إيفرتون. قميص أزرق مع شورت أبيض. من صنع شركة إومبرو. نظرت إلى أبي. بدا عليه نفاد الصبر. كانت عيناه تتجولان في أرجاء المكان.

ارتديت القميص فوق كنزتي وحملت الشورت أمامي، عند وسطي.

قلت له: «حسنًا، هذا يبدو جميلًا».

قال أبي: «فلنأخذه إذًا»، ثم انتزع القميص والشورت من يدي وذهب لكي يدفع ثمنهما. أخرج أبي بضعة أوراق نقدية من محفظته الثخينة بينما كانوا يضعون مشترياتي في كيس، ثم رد شعره إلى الخلف بيده ونظر إلى الشارع في الخارج. كان الشارع الآن مزدحمًا بالمتسوّقين. لم تبق إلا ثلاثة أسابيع قبل عيد الميلاد.

استيقظت في وقت مبكر كثيرًا يوم ميلادي. كانت الرزمة المحتوية على ملابس كرة القدم الجديدة موضوعة في الخزانة. لم أعد قادرًا على الانتظار، أريد تجريبها. مزقت الكيس الورقي، وأخرجت الملابس الجديدة منه. ضغطتها على أنفي. لا شيء أجمل من رائحة الملابس الجديدة. ارتديت الشورت اللامع، ثم ارتديت القميص الذي كان مصنوعًا من قماش أكثر

قساوة أحسسته خشنًا على جلدي؛ ثم ارتديت الجوربين الأبيضين. ذهبت إلى الحمام حتى أرى نفسي في المرآة.

استدرت من جانب لآخر. كان منظرًا جميلًا.

هذه ليست ملابس فريق ليفربول، لكنها تبدو جميلة جدًا. ثم إنها لفريق من المدينة نفسها.

وفجأة، فتح أبي باب الحمام. قال لي: «ماذا تفعل هنا، يا ولد؟».

نظر إليّ نظرة متمعّنة، ثم صاح: «هل فتحت هدية عيد ميلادك؟ هل فتحتها بمفردك؟».

أمسك بذراعي وجرّني إلى غرفتي.

قال لي: «عليك الآن أن تغلّفها مثلما كانت! الآن!».

بكيت وخلعت تلك الملابس، ثم حاولت طيها بأحسن ما استطعت. وضعتها في الغلاف الورقي وألصقته بقطعة من الشريط اللاصق الذي كان لا يزال دبقًا.

ظلّ أبي واقفًا ينظر إلى ما أفعله. وفور انتهائي، انتزع الرزمة من يدي وخرج من الغرفة.

قال لي أثناء خروجه: «في الحقيقة، كان عليَّ أن آخذها منذ البداية. لكنني سأحتفظ بها الآن إلى أن نقدم إليك بقية الهدايا. فعلى الرغم من كل شيء، يظل اليوم عيد ميلادك».

بما أن هديتي كانت معروفة لي، وبما أنني جرَّبت الملابس في المتجر، فقد كنت واثقًا من أن هذا *اليوم* هو ما يهمني ومن أنني أستطيع ارتداءها في هذا *اليوم*.

لم أعتبر هذه الهدية واحدة من الهدايا التي سأتلقاها عندما نتناول حلوى عيد الميلاد بعد الظهر. كان أمرًا مستحيلًا أن أجعل أبي يفهم هذه النقطة. لكنّي كنت محقًّا؛ وكان مخطئًا. صارت هذه الملابس لي بكل معنى الكلمة. اليوم، هذه الملابس لي.

استلقيت في سريري وبكيت إلى أن استيقظ الآخرون. كانت أمي منتعشة.

تمنّت لي عيد ميلاد سعيدًا عندما ذهبت إليها في المطبخ. لقد صنعت لنا فطائر في الليلة السابقة؛ وكانت الآن تسخّنها في الفرن. وأيضًا، كانت تسلق البيض. لكني لم أهتم بهذا كله لأن كرهي لأبي كان مثل غمامة تغطي كل شيء.

أكلنا الحلوى بعد الظهر، وشربنا كوكا كولا. لم يسمحوا لي من قبل بدعوة أحد من أصدقائي، ولم يسمحوا لي هذه المرة. كنت حزينًا، متجهّم الوجه. أكلت الحلوى من دون أن أنطق بأية كلمة. وعندما أحضر أبي الهدايا ووضعها أمامي مبتسمًا ابتسامة عريضة ليس فيها أثر لما حدث في ذلك الصباح (وكأن من الممكن أن تكون هذه بداية جديدة!)، خفضت رأسي وفتحت غلاف ملابس إيفرتون الرياضية من غير إظهار أي سرور بها.

قالت أمي: «ما أجملها! هل ستجربها الآن؟».

قلت: «لا. لقد جرّبتها في المتجر. إنها مناسبة تمامًا».

قال أبي: «البسها حتى تراها ماما، وحتى يراها إنغفِه».

قلت له: «لا أريد».

نظر إليَّ ولم يقل شيئًا.

فأخذت الملابس الرياضية إلى الحمام حيث خلعت ملابسي ولبستها.

قال أبي: «ممتاز! أنا واثق من أن مظهرك سيكون أفضل من مظهر أي ولد آخر في الملعب هذا الشتاء».

قلت: «هل أستطيع خلعها الآن؟».

«انتظر حتى ننتهي من فتح الهدايا. هذه هدية مني».

ناولني رزمة صغيرة مستطيلة الشكل. لا بد أن تكون شريط كاسيت.

فتحت الرزمة.

وجدت فيها كاسيت فرقة «وينغز» الجديد. كان اسمه «*العودة إلى البيضة*».

نظرت إليه، لكنه نظر إلى النافذة.

سألني: «هل أعجبك الشريط؟».

«أوه، أجل. إنه آخر شريط لفرقة وينغز. سوف أشغّله الآن».

قال: «انتظر لحظة. لا تزال لديك هديتان».

قالت أمي: «هذه هدية صغيرة مني».

كانت هديتها كبيرة الحجم، لكنها خفيفة الوزن. ما الذي يمكن أن يكون موجودًا فيها.

قالت لي: «إنها شيء من أجل غرفتك».

فتحت الهدية. كان فيها كرسي صغير. أربع قوائم خشبية ونوع من مقعد شبكي بينها.

قال إنغفِه: «هذا كرسي جميل جدًا».

قلت: «شكرًا، يا ماما. إنه مناسب لأن أجلس عليه عندما أقرأ».

قال إنغفِه: «وها هي هديتي».

قلت: «أوه، نعم! فلنر ما تفتق عنه ذهنك هذه المرة!».

كانت هديته كتابًا لتعليم العزف على الغيتار.

نظرت إليه بعينين تكادان تدمعان. قلت له: «أشكرك كثيرًا جدًا».

قال: «إن فيه سلالم موسيقية، ونغمات للعزف المنفرد، وكل شيء. هناك نقطة سوداء حيث ينبغي أن تضغط بإصبعك. يستطيع أي شخص تنفيذ ذلك، حتى أنت».

أمضيت بقية اليوم في الاستماع إلى *«العودة إلى البيضة»*.

جاء إنغفِه وقال لي إن جون بونهام، عازف الدرامز في فرقة ليد زيبلين، مشارك في إحدى الأغنيات على هذا الشريط. قال أيضًا إنه قرأ في الصحيفة عن قس نرويجي يتحدّث في مطلع واحدة من الأغاني. لا بد أنها الأغنية التي في بداية الوجه الثاني من الشريط. انقلنا إلى أغنية «استقبال» التي كان فيها تسجيل مأخوذ من الراديو.

قال إنغفِه: «هذه هي. أعدها مرة ثانية».

وعندها، سمعت ذلك أيضًا، سمعت صوت عجوز خافتًا كأنه صرير. كان يقول: *«لكن، دعونا نحاول النظر إلى هذا الأمر في ضوء العهد الجديد»*[1].

---

(1) *Men la oss nå prøve å se dette I lys av Det nye testamentet*

انتبهت إلى فكرة جعلت حواسي كلها تحلّق عاليًا. لا يفهم بول ماكارتني، ولا ليندا ماكارتني، ولا ديني لين، ولا ستيف هولي، ولا لورانس جونبير، شيئًا مما يُقال هنا، لكنني أفهمه، وإنغفِه يفهمه أيضًا! نفهمه لأننا نرويجيان!

كما يحدث دائمًا، ظل أبي لطيفًا طيلة عطلة عيد الميلاد، بل حتى في الصباح الذي أعقبها. ومع اقتراب ليلة رأس السنة، فتحت المتاجر أبوابها بضع ساعات، فذهبت أمي بالسيارة إلى آرندال لكي تشتري طعامًا وألعابًا نارية. أظنّها ألمحت إلى أن ليس من الضروري أن ننفق مئات الكرونات على شراء الصواريخ -هذا ما كان أبي يقوله دائمًا-. لكن، على الأقل، كانت هي المسؤولة الآن عن شراء الألعاب النارية، في حين ظلّ أبي متراجعًا إلى خلفية الصورة كلها.

إلا أن النتيجة لم تكن نجاحًا عظيمًا!

كثيرًا ما كان أبي يجعلنا نرى الصواريخ التي اشتراها ويقول: حسنًا، في هذه السنة ستتغلّب على غوستافسن وغيره؛ أو يقول إننا سنشهد هذه السنة عددًا من الانفجارات الكبيرة! ثم تأتي ليلة رأس السنة فنراه واقفًا في الثلج اللامع في الخارج يرتب موقع إطلاق الصواريخ بكل دقة. خصلة شعر متدلية فوق وجهه، وذقنه السوداء شبه مختفية في الظلمة... يغرس علاّقة الملابس في الثلج ثم يصفّ الصواريخ الأكبر حجمًا ويسندها إليها قبل أن يضع بقية الترسانة في عدد من الزجاجات والأجسام المجوّفة. وبعد الفراغ من تلك التحضيرات كلّها، ينتظر أبي حتى تبلغ الساعة الحادية عشرة ونصفًا. ثم ينادينا إلى الخارج، ونستقبل السنة الجديدة بدفعات متتالية من الانفجارات. يبدأ أبي بأشياء صغيرة... مفرقعات بسيطة أو عيدان تطلق الشرر نتولى أمرها أنا وإنغفِه، ثم يبدأ بمفرقعات أكبر فأكبر إلى أن يطلق أكبر صاروخ لدينا عند منتصف الليل. وبعد ذلك، يعلن قائلًا إن ليلة رأس السنة هذه قد شهدت صواريخ رائعة كثيرة، لكن صاروخنا كان أفضلها على الإطلاق، كالعادة. إلا أن هذا كان أمرًا قابلًا للجدل لأننا لسنا الوحيدين

الذين ننفق مالًا على المفرقعات: غوستافسن وكارلسن يفعلان ذلك أيضًا!

وأما في هذه السنة، فإن أبي -ملك الألعاب النارية- قد تنحّى جانبًا لسبب أجهله.

فكرت كثيرًا في سبب حدوث ذلك. لكن، مهما يكن السبب، فسوف تكون لهذا التنحّي عواقب كبيرة حقًا. هذا ما توقعته. لا، لم يكن هذا توقّعًا... هذا ما كنت على يقين منه.

بعد الحادية عشرة والنصف بعدة دقائق، قالت أمي إن وقت الخروج وإطلاق الصاروخ قد حان، ففتحت فمي دهشة.

قلت لها: «الصاروخ!؟ هل اشتريت صاروخًا واحدًا فقط؟ هل هو صاروخ واحد؟».

قالت أمي: «أجل. أنا واثقة من أن هذا كافٍ تمامًا. إنه صاروخ وحيد. قالوا لي في المتجر إنه أكبر وأفضل صاروخ لديهم».

ابتسم أبي لنفسه. خرج بعدي وبعد إنغفِه، ووقف إلى جانبنا على الشرفة التي خلف البيت حيث ستجري عملية الإطلاق.

كان الصاروخ كبيرًا بالفعل. كانت أمي محقّة في ما قالته.

ثم وضعت أمي الصاروخ في زجاجة. إلا أن الزجاجة كانت صغيرة عليه فانقلبت وانقلب الصاروخ معها. أوقفَته من جديد وتلفتت من حولها باحثة. كان معطفها الجلدي ذو اللون الفاتح مفتوحًا، وسحابا جزمتها الطويلة مفتوحين، هذا ما جعل ساقا الجزمة تنفتحان عندما تتحرك أمي، فتظهران كأنهما نبتتان عجيبتان. كان شالها الثقيل البني بلون الصدأ ملفوفًا على رقبتها.

قالت: «علينا أن نستعين بشيء أكبر حتى نضع هذا الصاروخ فيه».

لم يقل أبي شيئًا.

قال إنغفِه: «عادة ما يستخدم بابا علاقة الملابس أو منشر الغسيل».

قالت أمي: «هذا صحيح».

لم نكن نستخدم منشر الغسيل إلا في الصيف. كان مصنوعًا من الخشب،

وقد أُسند إلى الجدار. أحضرته أمي وأوقفته في الثلج. قرفصت ووضعت الصاروخ مستندًا إليه، لكنها لم تلبث أن رأت أن هذا غير صحيح فوقفت تحمل الصاروخ في يدها. كانت الألعاب النارية تنطلق في كل مكان من حولنا. أنارت الانفجارات السماء، لكننا كنا نشعر بها أكثر مما نراها لشدة ثقل الغيوم ولكثافة الضباب. لم يكن ظاهرًا لنا من شلالات النجوم ومن الألوان والأشكال كلها إلا التماعات مضيئة في السماء.

قال إنغفِه: «ما رأيك في وضعه على جانبه. بابا يفعل هذا عادة».

نفّذت أمي اقتراح إنغفِه.

قال أبي: «صارت الساعة الآن الثانية عشرة. ألن تطلقي هذا الصاروخ؟».

قالت أمي: «سأطلقه». أخرجت القداحة من جيبها وقرفصت إلى جانب الصاروخ. حمت الشعلة الصغيرة بكفها واستدارت بجسدها كله مستعدة لأن تجري مبتعدة. ولحظة اشتعال الفتيل، اندفعت راكضة في اتجاهنا.

قالت لنا: «سنة سعيدة».

قال إنغفِه: «سنة سعيدة».

لم أقل شيئًا لأن الصاروخ الذي اشتعل فتيله كله بدا موشكًا على الانطلاق. لكن اللهب انطفأ وتوقف هسيسه.

قلت: «أوه، لا. لم ينطلق الصاروخ! إن فيه مشكلة. وأنت لم تشترِ إلا صاروخًا واحدًا! لماذا لم تشترِ إلا صاروخًا واحدًا؟ كيف استطعتِ أن تفعلي هذا؟».

قال أبي: «هيّا، هذه هي ليلة رأس السنة. قد يكون من الأفضل أن أتولى هذا الأمر السنة القادمة».

لم أشعر أبدًا بالأسف لفشل أمي ولا بالحزن عليها مثلما شعرت في تلك اللحظة عندما تركنا الصاروخ في الخارج ودخلنا إلى حيث الدفء، بينما كانت صيحات الجيران الفرحة وأصوات الانفجارات في كل مكان من حولنا. أكثر ما كان مؤلمًا في هذا هو أنها فعلت كل ما كان في وسعها فعله. هي غير قادرة على فعل ما هو أفضل من هذا!

كنت عند بحيرة تيينّا في عصر ذات يوم بعد أسبوعين من ذلك؛ وكانت قدماي متجمّدتين بردًا بكل معنى الكلمة. كان هناك سباق في التزلج على الثلج أقامته منظمة فراملاغيت، منظمة الأطفال في الحزب الاشتراكي التي كنت منتسبًا إليها مع معظم الأطفال المقيمين في منطقتنا السكنية. أرقام على صدورنا، وميداليات للجميع. لكن البرد كان شديدًا جدًا عندما يقف المرء هناك منتظرًا دوره في المسابقة. وعندما جاء دوري أخيرًا، كانت زلاجتاي زلقتين، ولم أستطع أبدًا أن أبلغ سرعة معقولة، فكانت نتيجتي من بين أسوأ النتائج على الإطلاق. انطلقت إلى البيت فور وصولي إلى خط النهاية واستلامي ميداليتي. كانت الظلمة معلّقة فوق أغصان الأشجار والبرد يقضم أصابع قدميّ، وزلاجتاي تنزلقان وتنزلقان بحيث لم أستطع صعود التلة المنحدرة باستخدام أسلوب التزلج المتعرج فاضطررت إلى التسلق بخطوات جانبية. وصلت أخيرًا إلى الطريق التي كانت مُنارة بمصابيح جعلتها تبدو كأنها شريط مضيء في تلك الظلمة. كان بيتنا يقع إلى الناحية الأخرى من الطريق. سرت مترنّحًا فاجتزت الشارع ودخلت الممر المفضي إلى بيتنا. حللت أربطة الزلاجتين، وأسندتهما إلى جدار البيت، ثم فتحت الباب ودخلت.

ما هذه الرائحة؟

جدّتي؟

هل جدّتي هنا؟

لا، هذا غير ممكن؛ هذا مستحيل.

لعل أبي كان في كريستيانساند فأتت تلك الرائحة معه؟

لا وحق القديسين! لقد سمعت صوت كلام في المطبخ!

خلعت حذائي في لحظة واحدة فانتبهت إلى أن جوربيّ مبتلان، وإلى أنني لا أستطيع السير بهما لأنهما سيتركان آثارًا على الأرض. هرعت عبر الممر في اتجاه غرفة السخان حيث كان هناك زوج نظيف من الجوارب معلّق على الحبل. ارتديت ذلك الزوج، وصعدت السلم بأقصى سرعة استطعتها. توقّفت.

كانت الرائحة هناك أشد قوة. ما من شك في الأمر: جدّتي هنا.
قال أبي: «هل هذا أنت، يا بطل؟».
أجبته: «أجل».
قال لي: «تعال إلى هنا لحظة».
دخلت المطبخ. ورأيت جدّتي. جريت إليها واحتضنتها.
داعبت شعري وقالت لي: «كم صرت كبيرًا!».
قلت: «ماذا تفعلين هنا، أين السيارة؟ أين جدي؟».
قالت جدّتي: «لقد أتيت بالباص».
«هل أتيت بالباص؟».
«قلت في نفسي إن ابني وحيد هنا مع ولديه، فلماذا لا أذهب إليه وأساعده قليلًا؟ ألا ترى؟ لقد أعددت لكم طعام العشاء».
«وكم ستبقين هنا؟».
ضحكت جدّتي: «أظنني سأعود بالباص غدًا. لا بد من وجود من يعتني بجدّك أيضًا. لا أستطيع أن أتركه وحيدًا فترة أطول مما ينبغي».
قلت: «هذا صحيح»، ثم عانقتها من جديد.
قال أبي: «اسمع، اسمع، اذهب إلى غرفتك قليلًا، وسوف أناديك عندما يصير الطعام جاهزًا».
قالت جدتي: «لكني أريد أولًا أن أعطيه هديته».
قلت لها: «بالمناسبة، أشكرك على هدية عيد الميلاد. لقد كانت متميزة».
انحنت جدتي وأخذت حقيبة يدها فأخرجت منها مغلفًا صغيرًا أعطتني إياه.
مزّقت الغلاف الورقي.
كان فيه فنجان عليه شعار فريق آي كي ستارت.
كان الفنجان أبيض اللون عليه شعار نادي كريستيانساند من ناحية، ولاعب كرة قدم في قميص أصفر وشورت أسود من الناحية الأخرى.
عانقتها مرة أخرى، وقلت لها: «واو! فنجان نادي ستارت».

كان وجود جدّتي وحدها عندنا أمرًا غريبًا. لا أكاد أتذكّر أنني رأيتها من غير جدّي؛ ولا أكاد أتذكّر مرة كانت فيها وحدها مع أبي. جلسا يتحدّثان في المطبخ. كنت أسمع صوتيهما عبر الباب الذي تركته مفتوحًا قليلًا. تحل لحظات صمت متقطّعة عندما ينهض أحدهما لفعل أمر من الأمور. ثم يتحدّثان قليلًا، وتضحك جدّتي، وتحكي قصة فيغمغم أبي بإجابة. ثم نادانا أبي، وأكلنا؛ وكان مختلفًا جدًا عما يكونه عادة: كان يتقرّب منا ثم يبتعد ثم يبعد نفسه، طيلة الوقت. وكنت أراه أحيانًا منسجمًا أتم الانسجام مع ما تقوله جدتي، ثم يذهب بأفكاره بعيدًا وينظر إلى مكان آخر أو ينهض لفعل أمر من الأمور، ثم ينظر إليها من جديد ويبتسم ويعلّق على كلامها بشيء يجعلها تضحك، ثم يبتعد من جديد.

سافرت جدتي في مساء اليوم التالي. عانقت إنغفِه، ثم عانقتني، ثم أخذها أبي بالسيارة إلى محطة الباصات في آرندال. وضعت كاسيت «*رابَر سول*» واستلقيت لكي أقرأ قصة حياة مدام كوري. وعندما بدأت الأغنية الثانية، كان اسمها «غابة نرويجية»، رفعت عينيّ عن الكتاب الذي كان بين يدي وحدّقت في السقف. كان الجو الذي خلقته موسيقى الأغنية، بطريقة لم أستطع فهمها، قد صار في داخلي ورفعني إلى حيث هو. كان ذلك إحساسًا رائعًا، لا نتيجة جمال الأغنية فحسب، بل أيضًا لأن شيئًا آخر كان حاضرًا فيها، شيئًا لا علاقة له بغرفتي ولا بالعالم المحيط بي.

كانت لي فتاة ذات مرة؛ بل لعل عليّ القول إنني كنت لها.
جعلتني أرى غرفتها. أليس هذا جميلًا؟... يا غابة نرويجية!
رائع، رائع!

ثم تابعت القراءة عن مدام كوري إلى أن بلغت الساعة العاشرة فأطفأت مصباح غرفتي. ومع غرقي في النوم، ومع اختلاط ما كان موجودًا في الغرفة من حولي بصور كثيرة لا أعرف أبدًا من أين جاءت، لكنّي قبلتها على الرغم من ذلك، انفتح الباب فجأة وأنير مصباح غرفتي.

كان هذا أبي.

قال لي: «كم تفاحة أكلت اليوم؟».
قلت له: «تفاحة واحدة».
«هل أنت واثق من هذا؟ قالت لي جدّتك إنها أعطتك تفاحة».
«هل قالت هذا؟».
«لكنك أكلت تفاحة بعد الغداء أيضًا. ألا تتذكّرها؟».
قلت له: «أوه، صحيح. لقد نسيت تلك التفاحة».
أطفأ أبي النور وأغلق الباب من غير أن يقول أي كلمة أخرى.
ناداني في اليوم التالي، بعد العشاء. ذهبت إلى المطبخ.
قال: «اجلس، خذ هذه التفاحة».
قلت: «شكرًا».
ناولني التفاحة وقال لي: «اجلس هنا وكلها».
رفعت رأسي ونظرت إليه. نظر في عيني. كانت نظرته جادة، فجلست على الكرسي وبدأت آكل التفاحة. انتهيت من أكلها، فناولني واحدة أخرى.
من أين أتى بهذه التفاحة؟ هل يوجد كيس تفاح خلف ظهره، أم ماذا؟
قال: «كل تفاحة أخرى».
قلت: «شكرًا، لكني لا آكل إلا تفاحة واحدة كل يوم».
«أكلت تفاحتين يوم أمس، أليس هذا صحيحًا؟».
أومأت برأسي. أخذت التفاحة منه وأكلتها.
ناولني تفاحة ثالثة. قال لي: «هذه تفاحة أخرى. اليوم يوم سعدك».
قلت له: «لقد شبعت».
«كل تفاحتك!».
أكلت التفاحة. استغرق ذلك زمنًا أطول مما استغرقته التفاحتان السابقتان. أحسست بأن لقمات التفاحة التي آكلها الآن تنزل وتستقر فوق الطعام الذي تناولته على العشاء.
كان ذلك كأنني صرت قادرًا على الإحساس بملمس التفاح البارد في بطني.
ناولني أبي تفاحة رابعة.

قلت له: «لا أريدها».

قال: «لم تكن تعرف حدودًا يوم أمس، أم إنك نسيت ذلك؟ لا بد أنك أكلت تفاحتين لأنك كنت راغبًا في أكلهما: واليوم، أنت قادر على أكل التفاح مثلما تشاء. كلها!».

مكتبة
t.me/t_pdf

هززت رأسي.

انحنى فوقي. كانت عيناه باردتين.

«كل تفاحتك. كلْها الآن».

بدأت أكل التفاحة. صارت معدتي تتقلص كلما ابتلعت لقمة جديدة، وصار عليَّ أن أبتلع ريقي عدة مرات حتى لا أتقيأ.

كان واقفًا خلفي، فلم أجد فرصة لخداعه. كنت أبكي وأبتلع؛ أبتلع وأبكي. وفي آخر المطاف، صرت عاجزًا عن الاستمرار.

قلت له: «لقد امتلأت. لم أعد قادرًا على أكل أي شيء أبدًا».

قال أبي: «كل. أنت تحب التفاح كثيرًا».

حاولت أن آكل قضمتين إضافتين لكنّي عجزت.

قلت له: «لا أستطيع».

نظر إليّ. ثم أخذ نصف التفاحة من يدي ورماه في سلة القمامة في الخزانة التي تحت المجلى.

قال لي: «يمكنك الآن أن تذهب إلى غرفتك. آمل أن يكون هذا قد علّمك درسًا».

صرت في غرفتي، وما كان لدي غير شيء واحد أتمناه كثيرًا: أن أكبر... أن أصير كبيرًا، وأن تصير لي قدرة على التحكم بحياتي. كنت أكره أبي، لكني كنت بين يديه، عاجزًا عن الفرار من سلطته. كان إقدامي على الانتقام منه أمرًا مستحيلًا إلا في العقل والمخيلة اللذين يطنب الناس كثيرًا في امتداح قدراتهما. هناك، كنت قادرًا على سحقه. هناك كنت قادرًا على أن أصير كبيرًا، على أن أصير أكبر منه، وعلى أن أضع كفي على خديه وأضغط إلى أن تتخذ شفتاه ذلك الشكل الدائري الذي تتخذانه عندما يقلدني مدعيًا أن أسناني الناتئة تجعل شفتيّ هكذا. في مخيلتي، أصير قادرًا على لكمه

لكمة شديدة على أنفه حتى ينكسر ويسيل منه الدم. أو ألكمه على وجهه حتى يدخل عظمه في دماغه ويموت. أصير أكبر منه، وأصير قادرًا على قذفه إلى الجدار، أو من فوق السلم. أمسك به من رقبته، أو أضرب وجهه بالطاولة فأحطمه. هكذا كنت أفكر، لكنّي لا ألبث أن أصير في غرفة واحدة معه فيتهاوى كل شيء ويختفي في لحظة واحدة، ويصير هو الرجل الكبير، يصير هو أبي، يصير أكبر مني كثيرًا، أكبر مني إلى حد كفيل بجعل كل شيء ينحني أمام إرادته. كانت إرادتي نفسها تنحني أمامه طائعةً كأنها لا شيء.

لعل هذا هو السبب الحقيقي الذي كان يجعلني أحوّل، (من غير قصد، بطبيعة الحال)، داخل غرفتي إلى «خارج» كبير جدًا. فعندما كنت أقرأ -أمضيت زمنًا لم أكد أفعل فيه شيئًا غير القراءة- أصير متحرّكًا في العالم الخارجي وأنا مستلق على فراشي في سكون تام... لا أصير في العالم الذي هو موجود الآن وهنا بكل ما فيه من بشر أجانب وبلدان أجنبية، لا أصير في ذلك العالم وحده، بل أيضًا في العالم الذي كان من قبل، في عالم ستوكِه بيورنيكلو، صبي العصر الحجري، كما في عالم المستقبل الذي أعيشه من خلال كتب جول فيرن.

ثم كانت لديَّ الموسيقى أيضًا. فبدورها، كانت الموسيقى تفتح غرفتي على أجوائها وتثير في نفسي مشاعر قوية لا علاقة لها بالمشاعر التي تكون في حياتي عادة. كنت أستمع كثيرًا إلى أغاني فرقتَي بيتلز ووينغز، لكني أستمع أيضًا إلى ما عند إنغفِه من أغنيات وموسيقى ظلت زمنًا طويلًا مقتصرة على فنانين منفردين، من أمثال غاري غريتر، ومود، وسليد، و«ذا سويت»، و«رينبو»، و«ستاتوسكوو»، و«راش»، و«ليد زيبلين»، و«كوين»؛ ثم لم تلبث أن تغيرت خلال سنوات دراسته الثانوية فصارت موسيقى أخرى، مختلفة تمام الاختلاف، تتسلل لتجد مكانًا لها بين أسطواناته وكاسيتاته القديمة، ومنها «ذا جام»، وأغنية منفردة لـ«سترانغلرز» اسمها «لا أبطال بعد الآن»، وأسطوانة لـ«بومتاون راتس»، وأخرى لـ«كلاش»، وشريط كاسيت لـ«شام 69»، وكذلك لـ«كرافت ويرك». كانت هناك أيضًا أغنيات يسجلها من البرنامج الموسيقي الإذاعي الوحيد الذي كان في ذلك الوقت، برنامج

«بوب سبيسيال». بدأ يصير لديه أصدقاء مهتمون بهذا النوع من الموسيقى، وأيضًا أصدقاء يعزفون الغيتار. كان اسم أحدهم بارْد بورستنسن. وذات يوم في أوائل شهر أيار، أتى بارْد لزيارة إنغفِه في غرفته عندما كان أبي خارج البيت بضع ساعات (أي إن البيت كان من غير سلطة تحرسه). جلسا يعزفان الغيتار ويستمعان إلى الأغاني. ثم سمعت نقرًا على باب غرفتي بعد قليل. كان ذلك إنغفِه: إن في غرفتي شيئًا يريد أن يراه بارْد! كنت مستلقيًا على سريري أقرأ في كتاب. فنهضت عندما دخلا الغرفة.

اتجه إنغفِه إلى ملصق عليه صورة إلفيس بريسلي على الجدار فوق طاولتي، وقال: «انظر. هل تستطيع أن تحزر ما هو موجود على ظهر هذا الملصق».

هز بارْد رأسه نفيًا.

انتزع إنغفِه الدبابيس التي تثبت الملصق، ثم أنزله وأداره. قال: «انظر. إنه جوني روتن! لكنه يفضّل صورة إلفيس!».

ضحكا معًا.

قال بارْد: «هل تبيعني هذه الصورة؟».

هززت رأسي وقلت: «إنها لي».

«لكنك تعلقها بطريقة خاطئة». قال بارْد هذا وهو يضحك من جديد.

قلت: «هذا غير صحيح. أنت ترى أنها صورة إلفيس».

قال بارْد: «إلفيس هو الماضي».

قال إنغفِه: «لا، هذا غير صحيح. إلفيس كوستيلو ليس من الماضي!»

قال بارْد: «أنت محق».

خرجا من الغرفة، لكني ظللت برهة أنظر إلى الصورتين. كان ذلك الذي اسمه جوني روتن قبيحًا. وكان إلفيس وسيمًا. لماذا أتخلّى عن صورة شخص وسيم من أجل هذا الوجه القبيح؟

خارج البيت، كنا نفعل ما اعتدنا فعله دائمًا في كل ربيع: نقطع أغصانًا من أشجار البتولا، ونربط زجاجات إلى الجزء الباقي من كل غصن مقطوع، ثم نجدها في اليوم التالي ممتلئة عصارة لزجة ذات لون فاتح. كنا نشرب

تلك العصارة. وكنا نقطع أغصانًا من أشجار الصفصاف ونصنع أنابيب من لحائها. نقطف باقات كبيرة من شقائق النعمان البيضاء ونقدمها إلى أمهاتنا. حسنًا... في حقيقة الأمر، كنا قد كبرنا على جمع شقائق النعمان؛ إلا أن ذلك كان بادرة حلوة، ويعني أننا أولاد جيدون. وذات مرة، في صباح أحد الأيام، عندما لم يكن لدينا من الوقت إلا ثلاث ساعات، جررت غيّير معي إلى الغابة لأنني كنت أعرف مكانًا فيه شقائق نعمان بيضاء تبدو لكثرتها كأنها ثلج متكوّم على الأرض. لكن قطف تلك الأزهار لم يكن خاليًا من شيء من العذاب وتأنيب الضمير، فالأزهار كائنات حية، وقطفها قتل لها. إلا أن الهدف من ذلك كان أمرًا حسنًا: أن أصير قادرًا على «نشر» السعادة من خلالها. كانت حزم نور الشمس تتخلّل الأغصان؛ وكانت الأرض المستنقعية خضراء زاهية فقطف كل منا باقة ضخمة، ثم جرينا عائدين.

كان أبي في البيت عندما وصلت. وجدته في حجرة الغسيل في الطابق السفلي. التفت إليّ؛ وكان الغضب ظاهرًا في كل حركة من حركاته.

قلت له: «لقد قطفت لك أزهارًا». مد يده، وأخذ الباقة من يدي ورماها في المغسلة الكبيرة.

قال لي: «البنات الصغيرات وحدهنّ من يقطفن أزهارًا».

كان أبي محقًا. وأظنني كنت مخجلًا له. أتى عدد من زملائه إلى بيتنا ذات يوم ولمحوني على السلم. كان شعري الأشقر طويلًا في ذلك الوقت (لأننا كنا في الشتاء)، وكنت أرتدي بنطلونًا طويلًا أحمر اللون.

قال واحد منهم لأبي: «إن لديك ابنة جميلة!».

أجابه أبي: «إنه صبي».

ابتسم أبي لزميله آنذاك، لكن معرفتي به كانت كافية لكي أدرك أن تلك الجملة لم تسعد قلبه أبدًا.

كنت مهتمًا بالملابس، وأبكي إذا لم أحصل على الملابس التي تعجبني، وأبكي إذا كان البرد شديدًا عندما نذهب إلى البحر في الزورق، بل كنت أبكي أيضًا إذا رفع أبي صوته في حالات يكون رفع الصوت فيها أمرًا طبيعيًا

جدًا... فهل من غرابة إن كان يقول في نفسه: ما هذا الصبي الذي عندي؟

كان أبي يقول دائمًا إنني ابن أمي. وقد كنت ابن أمي حقًا. كنت دائم الشوق إليها. وما كان هناك أحد أكثر مني سعادة عندما أنهت دراستها في آخر الشهر وعادت لكي تقيم في البيت إقامة دائمة.

انتهى الصيف، وكنت أستعد لبدء الصف الخامس في المدرسة عندما جاء دور أبي في الرحيل. كان ذاهبًا إلى بيرغن البعيدة حيث سيقيم في مكان اسمه بلدة فانتوفت الطلابية، وذلك لكي يحصل على شهادة متقدّمة في الأدب النورديّ ويصير معلمًا من المستوى الأعلى.

قال عندما كنا جالسين لتناول طعام العشاء في الليلة التي سبقت رحيله: «أخشى أنني لن أكون قادرًا على المجيء إلى البيت في كل نهاية أسبوع. قد لا أزوركم إلا مرة في الشهر».

قلت له: «هذا مؤسف كثيرًا».

نزلت إلى حيث كانت السيارة لكي أودعه. وضع حقيبته في صندوق السيارة، ثم جلس في المقعد الأيمن لأن أمي كانت ستقود السيارة به إلى المطار.

كان ذلك من أغرب الأشياء التي رأيتها!

لم يكن جلوس أبي في سيارة الفولكسفاغن بيتل أمرًا طبيعيًا... لم يكن كذلك أبدًا! وحتى إذا كان سيجلس فيها، فمن المؤكد أنه لا يجوز أن يجلس في المقعد الأيمن... كان ذلك أمرًا شديد الغرابة، خاصة وأن أمي جلست في مقعد السائق وشغّلت المحرك، ثم التفتت إلى الخلف وتراجعت بالسيارة.

لا يصح أن يكون أبي «راكبًا» في سيارة!... كان هذا أمرًا شديد الوضوح.

لوحّت مودعًا، فرفع أبي يده، ثم انطلقا.

ماذا عليَّ أن أفعل الآن؟

هل أذهب إلى غرفة المشغل فأنشر الخشب وأطرقه وأقصّه وأقطعه على هواي؟

هل أذهب إلى المطبخ وأصنع لنفسي كعكة وافل؟
هل أقلي بيضة؟
هل أصنع لنفسي شايًا؟
هل أجلس وأضع قدميْ على الطاولة؟
لا... كنت أعرف أنني لن أفعل شيئًا من هذا كله.

ذهبت إلى غرفة إنغفِه فأخرجت واحدة من أسطواناته ورفعت الصوت إلى أقصاه.

اخترت أغنية «اعزف» لفرقة ماغازين.

تأكّدت من رفع الصوت إلى أقصاه، ثم فتحت الباب وذهبت إلى غرفة المعيشة.

راحت جدران البيت تهتز لشدة الصوت. وكانت الموسيقى تنصبّ من الغرفة انصبابًا. أغمضت عينيّ ورحت أتمايل مع الإيقاع. بقيت كذلك بعض الوقت، ثم ذهبت إلى المطبخ، فأخذت قطعة من الشكولاته المستخدمة في إعداد الحلويات وأكلتها. كانت الموسيقى متفجّرة من حولي، لكنني لم أكن داخلها... كانت كأنها جزء من البيت، كطاولة غرفة الجلوس، وكاللوحات التي على الجدران. عدت أتمايل من جديد وأحسست كأنني ألتهم الموسيقى التهامًا... كأنها صارت في داخلي... عندما أغمض عينيّ خاصة.

صوت من الأسفل. أحد يناديني.

فتحت عينيّ وشهقت.

هل اكتشفا أنهما نسيا شيئًا في البيت فعادا؟

اندفعت إلى غرفة النوم وخفضت الصوت كثيرًا.

سمعت إنغفِه يناديني من الأسفل: «ماذا تفعل هناك؟».

أوه... يا للارتياح.

أجبته: «لا شيء. استعرت واحدة من أسطواناتك».

صعد إنغفِه السلم. وجاء من خلفه ولد آخر لم أره قبل ذلك أبدًا. لعله واحد من فريق كرة الطائرة.

قال إنغفِه: «هل فقدت عقلك؟ من الممكن أن يؤدّي هذا إلى انفجار مكبرات الصوت. أظنك أتلفتها. أنت، أيها المعتوه اللعين».

قلت: «لم أكن أعرف هذا. آسف. آسف ألف مرة».

ابتسم الصبي الآخر.

قال إنغفِه: «هذا صديقي تروند، وهذا هو أخي الصغير المعتوه».

قال تروند: «مرحبًا، يا أخاه الصغير».

أجبته: «مرحبًا».

ذهب إنغفِه إلى غرفته. رفع الصوت من جديد ووضع أذنه على مكبرات الصوت.

قال وهو ينهض واقفًا من جديد: «أنت لم تتلفها، لحسن الحظ. أنت محظوظ. لو تلفت، لكان عليك أن تشتري لي غيرها؛ ولكان عليَّ أن أحرص شخصيًا على أن تفعل ذلك».

نظر إلي وسألني: «هل بقي الصوت مرتفعًا مدة طويلة؟».

رفعت كتفيّ وقلت: «نصف ساعة».

أغلق إنغفِه باب غرفته، فبقيت في غرفة الجلوس بعض الوقت إلى أن لمحت ماريانِه وسولفيغ في الخارج. كانت أمامهما عربة أطفال تدفعانها. خرجت وجريت خلفهما.

قلت لهما: «ما رأيكما في أن نمشي معًا؟».

قالتا: «لا بأس. أين نذهب؟».

«صعودًا».

«من الذي تريد أن تذهب لرؤيته؟».

رفعت كتفيّ: «طفل مَنْ هذا؟».

«إنه طفل أسرة ليوناردسن».

«وكم سيدفعون لكما؟».

«خمس كرونات».

«هل تدّخران المال لكي تشتريا به شيئًا؟».

«ما من شيء خاص. ربما سترة».

قلت: «وأنا أيضًا سأشتري سترة جديدة. سترة سوداء ماركة ماتينيك. هل تعرفان سترة ماتينيك؟».

«لا نعرفها».

«كمّاها طويلان مصنوعان من قماش مختلف عن بقية قماشها. مختلف بعض الشيء. ولها طية صغيرة في وسطها تغطي السحّاب. ما نوع السترة التي تريدان شراءها؟».

هزت ماريانِه كتفيها: «أفكر في شراء معطف».

«معطف؟ هل هو معطف فاتح اللون؟».

«ربما. لكني أريده قصيرًا».

قالت سولفيغ: «أنت الصبي الوحيد الذي يتحدّث عن الملابس».

أجبتها: «أعرف ذلك». كان هذا أمرًا اكتشفته في الآونة الأخيرة. كان الكلام مع البنات أمرًا شديد الصعوبة. فبعد أن نخطف قبعاتهنّ، ونوجه إليهنّ بضع كلمات نابية... ما الذي يمكن قوله بعد ذلك؟ ينتهي الكلام! حسنًا، قد يكون الكلام في الواجبات البيتية أمرًا ممكنًا. لكن، ما من شيء آخر. ثم أدركت الأمر فجأة: الملابس! هذا ما يهم البنات. وليس مطلوبًا منك أن تفعل شيئًا غير أن تثرثر عن الملابس.

ودّعتهما مع اقترابنا من متجر B-Max، ثم جريت نازلًا المنحدر حتى وصلت إلى منطقة الألعاب فلم أجد فيها أحدًا. صعدت المنحدر المعشِب في اتجاه حطام السيارة القديمة فلم أجد أحدًا. ثم ذهبت إلى ملعب كرة القدم، فلم أجد أحدًا. توجّهت إلى بيت برستباكمو فقرعت جرس الباب. لكن غيّير كان يتناول طعام العشاء. قال إنه سيذهب إلى بيت فيموند بعد ذلك.

أوه، نعم!

نزلت إلى الطريق، فلم أجد أحدًا. إنه يوم أحد، وقت العشاء، والأطفال يأكلون في بيوتهم، أو خرجوا لزيارة أطفال آخرين، أو ذهبوا في نزهة مع أهلهم.

ثم أتتني فكرة مفاجئة: لدى إنغفِه صديق يزوره. ألا أستطيع الانضمام إليهما؟

جريت نازلًا في الطريق، لكني لم أجد دراجتَيهما. لا بد أنهما قد ذهبا. فماذا أفعل؟

كان الجو غائمًا، ولم يكن فيه دفء. من المستبعد أن أجد أحدًا عند الصخرة.

بدأت السير نازلًا بخطوات بطيئة متّجهًا إلى مرسى الزوارق. من الممكن أيضًا ألا أجد أحدًا هناك؛ إلا أن من الممكن -على الأقل- أن أنظر إلى الزوارق المختلفة وأن أتنفس تلك الروائح المتميزة، روائح الفايبر كلاس والخشب والوقود والماء المالح.

لا... رأيت هناك جمعًا من الناس.

ذهبت إليهم ودخلت بينهم من دون أن أثير جلبة. كان بعضهم من أصحاب الزوارق؛ وكانوا جالسين فيها يبصقون في الماء ويصغون إلى من كانوا واقفين على المرسى ممن لا يملكون زوارق، لكنهم أتوا لكي يقفوا على مقربة ممن يملكونها. وقفت معهم على الرغم من أنني لم أكن من الحالمين بامتلاك زورق. كان ذلك غير واقعي. يكاد يعادل أن أستيقظ صباح اليوم التالي فأجد نفسي في عصر الفايكينغ، مثلما حدث لذلك الصبي الذي قرأت عنه في أحد الكتب. لا... إن كنت أحلم بشيء، فهو أن يكون لدي حذاء رياضي جديد أبيض عليه شعار شركة نايكي ذو اللون الأزرق الفاتح، كذلك الذي عند إنغفِه؛ أو بنطلون جينز ليفايز جديد ذو لون أزرق فاتح، أو سترة كاتالينا جديدة ذات لون أزرق فاتح، أو حذاء كرة قدم جديد ماركة بوما، أو بيجامة رياضة ماركة أدميرال، أو شورت ماركة آمبرو. أو ربما سروال سباحة سبيدو. كنت أفكّر كثيرًا في حذاء أوليمبيا أديداس الأسود والأبيض. وكنت أفكر أيضًا في زوج من واقيات الساقين... وحقيبة ماركة بوما. ومن أجل الشتاء، زلاجتان كبيرتان ماركة أتوميك، وعصاتا تزلج ماركة ديناستار. أردت أيضًا سراويل تزلج وسترة تزلج أصلية مبطنة

بالزغب، وزلاجتين من الألياف الزجاجية ماركة سبليتكين، وأربطة ماركة روتيفيلا. أردت أيضًا جزمة من جلد الغزال فاتحة اللون من ماركة سامي، تلك الجزمة ذات المقدمة المرتفعة قليلًا إلى الأعلى. أردت قميصًا جديدًا أبيض وسترة طلابية حمراء. انتقيت في ذهني جزمة مطاطية بيضاء بدلًا من الجزمة الزرقاء الداكنة التي أستخدمها الآن. وكنت أحب أيضًا أن تكون لدي قلادة ذات لون وردي مرجاني رأيتها ذات مرة... لها قفل أبيض.

لم يكن اهتمامي بالزوارق والدراجات الآلية والسيارات كبيرًا. لكنّي لم أكن قادرًا على إخبار أحد بهذا، فاخترت بضع ماركات حتى أقول إنني أفضّلها. الزورق: زورق ماركة «WITHDROMEDILLE» طوله عشر أقدام مع محرك «YAMAHA» بقوة خمسة أحصنة. الدراجة: ماركة «SUZUKI». السيارة: ماركة «BMW». كان لهذه الاختيارات صلة قوية ببعض الحروف في أسمائها... Y, Z, W. ولهذا السبب نفسه، كنت أجد نفسي منجذبًا إلى فريق «WOLVERHAMPTON WANDERERS» الذي كان أول فريق كرة قدم أشجّعه. وحتى بعد أن احتل فريق ليفربول مكانه، ظل قلبي متعلقًا بـ«WOLVES» فمن غيرهم كان من بلدة اسمها «MOLINEUX» ومن غيرهم كان شعارهم رأس ذئب على أرضية برتقالية اللون؟

بنطلونات وسترات وأحذية وملابس ومعدّات رياضية... كان هذا كله يدور في ذهني دائمًا لأنني أحب أن أبدو حسن المظهر، ولأنني أحب أن أفوز. عندما رأيت التماعة غضب خطيرة في عيني لاعب التنس جون ماكنرو، الذي كنت أعتبره أفضل لاعب على الإطلاق، بعد قرار الحكم، عندما رفع رأسه ناظرًا إليه وهو يتأهّب لضربة الإرسال، قلت في نفسي قانطًا، لا... لا تفعل هذا... لا تفعل هذا... لن يكون مفيدًا... لا يجوز أن تخسر هذه النقطة. لا تفعل ذلك! ثم لم أكد أقوى على متابعة المشهد عندما فعل ما خشيت أن يفعله وبدأ يشتم الحكم، ثم قذف مضربه على الأرض بقوة شديدة جعلته يقفز مبتعدًا عدة أمتار. كنت متماهيًا معه إلى حد يجعلني أبكي كلما خسر لعبة، ولا أعود قادرًا على البقاء في البيت بل أجد نفسي في حاجة ماسة إلى الخروج إلى الطريق حيث أجلس على الحواجز الإسمنتية حزينًا لهزيمتنا،

وتبلل دموعي وجنتيّ. كانت لدي المشاعر نفسها إزاء فريق ليفربول، فمن شأن هزيمة لهم في نهائي كأس النوادي الإنكليزية أن تجعلني أندفع خارجًا إلى الطريق والدموع منسكبة على وجهي. في ذلك الفريق كان إميلين هيوز لاعبي المفضل؛ لكني كنت أحب الآخرين أيضًا - بالطبع-وأكثرهم راي كليمنس وكيفين كيغان (قبل أن يذهب إلى هامبورغ، وإلى نيوكاسل). قرأت في مجلة من مجلات إنغفهِ مقارنة بين كيفين كيغان وكيني داليغيش الذي حل محله في الفريق. سارت المقارنة نقطة فنقطة؛ وعلى الرغم من أن كلًا منهما كانت لديه جوانب قوته وجوانب ضعفه فقد خرجا متعادلين في آخر المطاف. إلا أن شيئًا ورد في تلك المقارنة ترك في نفسي أثرًا حارقًا. قالت المقارنة إن كيفين كيغان كان شخصًا «منفتحًا»، في حين كان كيني دالغيش «منطويًا». جعلتني رؤية هذه الكلمة... «منطويًا»... أسقط في حالة من القنوط.

هل أنا شخص منطو؟

أوَلم أكن كذلك بالفعل؟

ألم يكن بكائي أكثر من ضحكي؟ ألم أكن أمضي وقتي كله في القراءة في غرفتي؟

هذا هو سلوك الشخص المنطوي، أليس كذلك؟

منطو، منطو... لست راغبًا في أن أكون شخصًا منطويًا.

بل إنَّ هذا آخر ما يمكن أن أرغب فيه - لا شيء أسوأ منه أبدًا!

لكني كنت منطويًا. تنامت هذه الفكرة في داخلي كأنها نوع من سرطان ذهني.

كان كيني دالغيش يفضل البقاء وحده.

أوه... هذا ما كنت أفعله، أنا أيضًا! لكني لم أكن أفضله فعلًا! لقد أردت أن أكون شخصًا منفتحًا!... شخصًا منفتحًا!

مضت ساعة بعد سلوكي الطريق عبر الغابة، وبعد تسلّقي شجرة لأرى إن كنت أستطيع أن أرى البحر من أعلاها، نزلت إلى الطريق راكضًا لحظة

ظهرت سيارة أمي متقدّمة صوب البيت. لوّحت لها، لكنها لم ترني، فجريت خلف السيارة بأقصى سرعة استطعتها. اجتزت المنطقة الصاعدة من الطريق، وعبرت المنطقة المستوية حتى بلغت الممر المفضي إلى بيتنا حيث رأيت أمي تنزل من السيارة وتعلّق حقيبتها على كتفها ثم تغلق الباب.

قالت لي: «مرحبًا، هل تحب أن تساعدني في صنع الخبز؟». لعل ذلك كان في السنة التي لم تعد فيها قبضة أبي الثقيلة تسيطر علينا.

بعد سنين كثيرة من ذلك، صار يقول إنه بدأ الشرب عندما عاش في مدينة بيرغن.

قال لي ذلك عرَضًا عندما كنت في زيارة عنده ذات صيف في أوائل عقد التسعينيات. كان ثملًا، وقلت له إنني سأنتقل للعيش في آيسلندا في ذلك الشتاء. قال لي: آيسلندا... لقد ذهبت إليها. لقد ذهبت إليها... ذهبت إلى ريكيافيك».

قلت: «هل ذهبت إليها حقًا؟ متى كان ذلك؟».

قال: «حدث ذلك خلال فترة إقامتي في بيرغن. أنت تتذكّر تلك الفترة. كانت لديّ صديقة هناك. كانت آيسلندية فدعتني إلى الذهاب معها إلى ريكيافيك».

«هل حدث هذا عندما كنت لا تزال مع ماما؟».

«أجل. كنت في الخامسة والثلاثين؛ وكنت أعيش في السكن الطلابي».

«لست مضطرًا إلى التماس الأعذار. لك أن تفعل ما يعجبك».

«صحيح. هذا صحيح. أشكرك، يا ولدي».

بطبيعة الحال، لم يتناهَ شيء من هذا إلى آذاننا في ذلك الوقت؛ ولم تكن لدينا تجارب تسمح لنا بتخيّله. الأمر الوحيد الذي كان يهمني هو أن أبي ليس موجودًا معنا في البيت. لكن، ومع أن البيت قد انفتح آنذاك، وصرت قادرًا أول مرة في حياتي على فعل ما أريده، فقد كان أبي باقيًا هناك -بطريقة غريبة- وعندما أفكّر فيه يسري في جسدي شيء مثل صاعقة... إذا تساقط داخل عتبة البيت تراب كان عالقًا بحذائي، أو إذا سقطت مني نثرات خبز

على الطاولة عندما أتناول الطعام، أو حتى إذا جرت نقطة عصارة على ذقني عندما آكل إجاصة. عندها، أستطيع سماع صوته قائلًا لي: «هل أنت عاجز حتى عن أكل إجاصة من غير أن تسيل عصارتها على ذقنك، يا ولد؟».

وإذا كان أدائي جيدًا في امتحان من الامتحانات، فهو من كنت أحب أن أزف إليه النبأ، لا أمي: إخبارُه أمر مختلف تمامًا!

إلا أن ما كان يجري في الخارج كان ذا طبيعة تتغير تغيرًا بطيئًا؛ وكان يصير أحسن وأسوأ، في وقت واحد. كان ذلك وكأن عالم الطفل اللطيف، حيث تكون الضربات التي تصيب المرء مخففة، لا تستهدف إيقاع الأذى (بمعنى أنه يكون مقصودًا بها كل شيء ولا شيء)، قد صار عالمًا فيه ضربات أكثر حدة ووضوحًا، صار عالمًا خاليًا من الشكوك: أنت هو من لا نحبه، وما تقوله هو ما لا نحبه، وهذا خط أحمر؛ في حين ينفتح شيء آخر ولا يكون لذلك الشيء الآخر أية علاقة شخصية بي مع أن أثره عليّ قد يكون أعظم شأنًا لأنني جزء منه، ولأن ذلك الجزء لا علاقة له بأسرتي، ولأنه منتم «إلينا» إلى أولئك الذين يكونون هناك، في تلك اللحظة نفسها. كنت في ذلك الخريف -أي مع بداية الصف الخامس في المدرسة- منجذبًا إلى الفتيات كلهنّ تقريبًا؛ لكني لم أكن أراهنّ مختلفات عني اختلافًا جذريًا: كان في داخلي شيء يجعل تواصلي معهنّ سهلًا. لم أنتبه إلى أن هذه غلطة كبيرة؛ والواقع أنها كانت أكبر غلطة يمكن أن يقع فيها صبي. كان لدينا في تلك السنة معلّمة كبيرة السن اسمها السيدة هوسْت. تولت السيدة هوسْت تعليمنا مواد كثيرة، وكانت مولعة بأن تجعلنا نمثل أدوارًا. كثيرًا ما كانت تختار حوادث صغيرة لكي نمثّلها، وكنت متطوّعًا دائمًا للقيام بذلك لأنه كان النشاط المفضل عندي: ينظر إليّ الجميع، وأصير قادرًا على أن أكون شخصًا آخر. كانت لدي موهبة خاصة في تمثيل أدوار البنات. كنت ماهرًا في تمثيل تلك الأدوار. أرد شعري إلى الخلف، وأمطّ شفتي قليلًا، وأسير مؤرجحًا ردفيّ، وأتكلّم بصوت متصنّع بحيث يكون مختلفًا عن صوتي العادي. كانت السيدة هوسْت تضحك كثيرًا بعض الأحيان فتسيل دموعها على خدّيْها.

في يوم من الأيام، كنت في نزهة في الخارج مع سْفيره التي كانت تحب التمثيل مثلي، فضلًا عن كونها تلميذة جيدة. وقد كان التشابه بيننا كبيرًا إلى حد جعل اثنتين من المعلمات الدائمات تعتقدن (كل بمفردها) أننا توأمان. اقترحت على سْفيره أن نزور السيدة هوسْت في بيتها الواقع على مسافة نحو ثلاثة كيلومترات، أو نحو ذلك، من منطقة سكننا.

قالت سْفيره: «هذه فكرة جيدة. لكن عجلة دراجتي مثقوبة. والمسافة أطول من أن نذهب سيرًا على الأقدام».

قلت لها: «فلنستوقف سيارة».

«حسنًا».

نزلنا حتى تقاطع الطرق حيث وقفنا على الرصيف. خلال السنة الماضية، استوقفت سيارات كثيرة -مع داغ ماغنِه أكثر الأحيان- بغية الذهاب إلى هوفه، أو الصعود إلى رولايدن، أو زيارة أماكن أخرى كثيرة نشعر برغبة في الذهاب إليها. لم يحدث أبدًا أن انتظرنا هناك أكثر من ساعة واحدة قبل أن تتوقّف سيارة من أجلنا.

وأما في هذه الأمسية، توقّفت أول سيارة أشرنا إليها.

كان في السيارة شابان.

صعدنا إلى السيارة. كان صوت الموسيقى فيها مرتفعًا؛ وكانت نوافذها تهتز لشدته. التفت السائق إلينا وقال: «أين تريدان الذهاب؟».

أجبته، فانطلق بسرعة كبيرة جعلتنا مسمّرَين إلى المقعد.

«هل لديكما أحد يعيش في تلك المنطقة؟».

قالت سْفيره: «إنها السيدة هوسْت، معلمتنا في المدرسة».

قال الشاب الجالس إلى جوار السائق: «أها! أنتما ذاهبان إليها لكي تقوما ببعض الألاعيب والشغب. فعلنا هذا عندما كنا أصغر سنًا. كنا نذهب إلى بيوت المعلمين ونعذّبهم إلى حد يثير جنونهم».

قلت له: «الحقيقة أننا لسنا ذاهبين من أجل فعل ذلك. إننا ذاهبان لزيارتها فقط».

استدار الشاب ونظر إلي: «تزورانها؟ لماذا تزورانها؟ هل للأمر علاقة بالواجبات البيتية، أم ماذا؟».

قلت: «لا، لا. أحببنا أن نزورها».

عاد الشاب إلى جلسته الأولى بعد أن كان ملتفًا في اتجاهي. ثم ظلَّ الاثنان صامتين بقية المسافة كلها. توقفت السيارة توقفًا مفاجئًا عند تقاطع الطرق.

قال السائق: «هيا، اقفزا هنا».

أحسست بشيء من تأنيب الضمير فقد كنت مدركًا أننا خيّبنا أمل هذين الشابين. لكن الكذب لم يكن خيارًا وارِدًا. شكرتهما شكرًا حارًا إلى أقصى حد استطعته.

انطلقت السيارة في الظلام وإيقاع الموسيقى يتردّد من حولها.

سرت مع سْفيره في الممر المرصوف بالحصى. على الجانبين أشجار ذات أوراق ضخمة وأغصان ممتدّة. لم نذهب إلى بيتها قبل ذلك؛ لكننا كنا نعرف مكانه.

وجدنا سيارتين متوقّفتين في الخارج. كانت نوافذ البيت مضاءة كلّها.

قرعت الجرس.

فتحت السيدة هوسْت الباب. بدت عليها الدهشة وقالت: «حسنًا... لم أتوقّع أبدًا...».

قلت لها: «لقد أحببنا أن نزورك».

قالت سْفيره: «هل نستطيع الدخول؟».

ترددت السيدة هوسْت.

«أخشى أن لدي الآن ضيوفًا. ليس الوقت مناسبًا تمامًا. لكن، هل أتيتما هذه المسافة كلها لزيارتي فقط؟».

«أجل».

«إذًا، ادخلا! يمكنكما البقاء نصف ساعة إن أحببتما. الحقيقة أن لدي بسكويتًا. لدي عصير أيضًا».

دخلنا البيت.

كانت غرفة المعيشة مليئة بأشخاص كبار. قالت لهم السيدة هوسْت إننا تلميذان عندها. ثم جلسنا إلى الطاولة -على كراسٍ مرتفعة- وقدّمت معلمتنا لكل منا كأس عصير وطبقًا فيه ثلاث بسكويتاتٍ.

قالت إننا التلميذان المفضّلان عندها، وإننا ممثّلان جيّدان جدًّا.

قال أحد الجالسين: «هل يستطيعان الآن أن يمثلا شيئًا أمامنا؟».

نظرت السيدة هوسْت إلينا.

قلت: «أنا مستعد. ما رأيك؟».

قالت سفيره: «بالتأكيد».

رددت شعري إلى ما خلف أذني، ومططت شفتيّ وارتجلت دورًا. هذا ما جعلهم جميعًا يغرقون في الضحك. انتهينا من الأداء فانحنينا للضيوف وقد احمر وجهينا قليلًا لكننا كنا مسرورَيْن لسماع التصفيق.

تكرر نجاحي في حفلة الملابس التنكرية قبيل عيد الميلاد عندما ارتدينا ملابس النساء، أنا وداغ ماغنِه، ووضع كل منا مواد تجميل على وجهه، وحمل حقيبة يد. كان تشخيصي جيّدًا جدًّا فلم يعرفني أحد، ولا حتى داغ لوثار، الذي بقيت واقفًا إلى جانبه خمس دقائق قبل أن يدرك فجأة حقيقة هذا الشخص الغريب الذي ظن أنه لا يعرفه.

مع أنني لم أكن أخجل من ارتداء ملابس الفتيات، ولا من الخوض معهنّ في أحاديثهنّ، فقد كنت أخرج مع بعضهنّ، في واقع الأمر. كانت أفضلهنّ ماريان؛ وقد بقينا معًا أسبوعين كاملين: نذهب للتزلج معًا. وكانت تجلس في حضني وتقبلني؛ كما كنت الصبي الوحيد المدعو إلى عيد ميلادها حيث جلست في حضني تتحدّث مع صديقاتها وذراعاي من حولها؛ وتبادلنا القبل هنا أيضًا. لكني لم أعد مهتمًا في نهاية الأمر -لا شك في أنها كانت واحدة من أجمل فتيات المدرسة، لكنها لم تكن أجملهنّ على الإطلاق- وأيضًا، ربما كان لدي شيء من الإحساس بالأسف تجاهها لأنها تعيش مع أمها وأختها فقط، ولأنهم كانوا فقراء... فعلى سبيل المثال، لم تكن

تحصل على ملابس جديدة، تقريبًا (تفعل أمّها أقصى ما تستطيعه لتعديل ملابس أختها القديمة حتى تصير مناسبة لها). هذا ما كان يجعلني أشعر بالفراغ عندما أكون في غرفتها، وأشعر بشيء يشبه رهاب الأماكن المغلقة عندما نتبادل القبل، وأصير راغبًا في الانصراف في أسرع وقت ممكن. في آخر المطاف، أقنعت داغ ماغنِه بأن يذهب إليها ويخبرها بأن الأمر بيننا قد انتهى. لكن ارتكبت غلطة رهيبة في ذلك اليوم نفسه. كانت تجري خلفي تحت المنطقة المسقوفة في الخارج فمددت ساقي أمامها بحركة انعكاسية عفوية تمامًا. تعثرت ماريان، وسقطت على الأرض الأسفلتية فأصابت وجهها. بكت، وكان هناك دم. لكن سقوطها لم يكن أسوأ ما في الأمر، فقد صبّت عليّ جام غضبها، ووقفت البنات كلهنّ في صفها واجتمعن من حولها لمساعدتها. أكون كاذبًا إن قلت إنني حظيت بأي قدر من الشعبية في الأسابيع التي تلت ذلك. ولم ألق أية استجابة متعاطفة معي قولي إنني لم أقصد فعل ذلك، وإن الأمر كله كان لعبًا. كان يبدو لي أحيانًا أن الفتيات تكرهنني جميعًا وتعتبرنني واحدًا من الحثالة؛ لكن الأمر يكون عكس ذلك في أحيان أخرى: لا يقف الأمر عند رغبتهنّ جميعًا في الكلام معي، بل أجد نفسي مدعوًا إلى مشاركتهنّ في حفلات الصف التي كنّ قد بدأنا بإقامتها في المدرسة وفي البيوت. كثيرات كنّ -أحيانًا- راغبات أيضًا في الرقص معي. وأما موقفي منهنّ، فقد كان متناقضًا، أو كان له أكثر من وجه، وذلك بقدر ما يكون الأمر متعلّقًا بالبنات اللواتي في صفي، على الأقل. فمن ناحية أولى، كنت أعرفهنّ معرفة جيدة جدًا على امتداد قرابة خمس سنوات كاملة في المدرسة؛ وقد جعلتني هذه المعرفة غير مبالٍ بهنّ على الإطلاق. وأما من جهة ثانية، فقد بدأت تغيرات تظهر عليهنّ... بدأت صدورهن تصير ناتئة تحت كنزاتهنّ، وبدأت أردافهن تزداد عرضًا، وصار سلوكهن مختلفًا. لقد صرن أطول منا؛ وفجأة، صرن ينظرن إلى الأولاد وكأنهنّ أكبر منهم بصفين أو ثلاثة صفوف. لم نكن في أنظارهنّ أكثر من هواء... بأصواتنا التي لا تزال طفولية حادة، وبنظراتنا الخبيثة قليلًا عندما نكون معجبين بالصفات

الجديدة التي ظهرت لديهن. لكن، على الرغم من كونهنّ مهمات كثيرًا، فقد كنّ أيضًا غير عارفات شيئًا عن العالم الذي يتّجهن إليه. فماذا تعرف تلك البنات عن الرجال والنساء والرغبات؟ هل قرأنَ ويلبر سميث حيث يأخذ الرجال النساء بالقوة تحت سماء مدلهمّة عاصفة؟ هل قرأن كين فوليت حيث يحلق رجل شعر عانة امرأة مستلقية في حوض استحمام مليء برغوة الصابون وقد أغمضت عينيها؟ هل قرأن في كتاب *«صيف الحشرات»* لكنوت فاندباكن تلك الفقرة التي أحفظها غيبًا حيث يخلع عنها سروالها الداخلي على كومة من القش؟ هل وقعت أيديهن على مجلة إباحية؟ ثم ماذا تعرفن عن الموسيقى؟ يعجبهنّ ما يعجب الجميع، ولا تعني لهن فرقة «كيدز» شيئًا ولا بقية التفاهات التي تظهر على قوائم الأغاني الأكثر رواجًا... هذا لا يعني لهنّ شيئًا، ولا فكرة لديهن عن الموسيقى ولا عما يمكن أن تكونه. وهن أيضًا لا يعرفن كيف يلبسن لأنهن يأتين إلى المدرسة بملابس غير منسجمة على الإطلاق... ولا يدركن ذلك! فكيف ينظرن إليّ تلك النظرات المتعالية؟ كنت قد قرأت ويلبر سميث وكين فوليت وكنوت فاندباكن؛ وكنت أتصفح المجلات الإباحية منذ سنين، وأستمع إلى فرق غنائية لها أهميتها، وأعرف كيف ألبس أيضًا. فبأي شيء أكون أقلّ منهنّ شأنًا؟

أقدمتُ على خدعة صغيرة في درس الموسيقى حتى أجعل الوضع الحقيقي واضحًا للجميع. كان لدينا في كل يوم جمعة ما ندعوه «اختيار أفضل أغنية في الصف». ستة تلاميذ يجلب كل منهم أغنية، فنستمع إلى الأغاني ويدلي الجميع بأصواتهم. كانت أغنيتي تأتي في آخر القائمة، دائمًا، مهما تكن تلك الأغنية. ليد زيبلن، أو كوين، أو وينغنز، أو البيتلز، أو بوليس، أو جام، أو كيدز... النتيجة نفسها دائمًا: صوت واحد أو صوتان؛ أي إن الأغنية التي أقترحها تكون الأغنية الأخيرة من حيث عدد الأصوات. كنت أعرف أن هذا التصويت موجّه ضدي، لا ضد الأغنية التي أقدّمها. لم يكونوا مهتمين حقًا بالإصغاء إلى الموسيقى. ضايقني هذا إلى حد يفوق الاحتمال.

شكوت إلى إنغفِه ما أعانيه ففهمني جيدًا وفهم الضيق الذي كنت فيه لأنه، هو أيضًا، لا يحب الأغاني الرائجة؛ إلا أنه ابتكر طريقة تسمح لي بخداعهم. لم يكن ألبوم فرقة كيدز الثاني قد صدر بعد. وفي يوم الجمعة، أخذت معي الأسطوانة الأولى لفرقة *«آلير فارشتهِ»* التي كان إنغفِه قد اشتراها قبل بضعة أيام من ذلك، وكان اسمه *«ماتيريالتريتيت»*. قلت لهم إنني حصلت على نسخة مبكرة من ألبوم فرقة كيدز الجديد. انطلت الحيلة على معلمة الموسيقى أيضًا. جعلتُ الصف يستمع إلى الأغنية الأولى على الأسطوانة التي كانت في غلاف أبيض غير مطبوع لأنها «جديدة» -هكذا قلت لهم- ولم يصمّموا غلافها بعد. في نظرهم، كانت أغاني *«آلّه نارشتهِ»* هي الأسوأ على الإطلاق؛ ففي آخر مرة قدّمت إليهم في الصف الأغنية المنفردة «ريينّه هندهِ»، ظلوا أيامًا كثيرة يصيحون في أثري ريينّه هندهِ! ريينّه هندهِ! لكن النغمات الأولى التي سمعوها من هذه الأسطوانة الجديدة في غرفة الصف جعلتهم يبدون استحسانهم ويتحمّسون لها. ثم بلغ الأمر ذروته عند التصويت إذ اتضح أن *«آلّه نارشتهِ»*- تحت الاسم الكاذب «كيدز» - قد فازت بكل سهولة. كم شعَّت عيناي انتصارًا عندما صرت قادرًا على أن أنهض واقفًا وأقول لهم إنهم لم يصوتوا لفرقة كيدز بل لفرقة *«آلّه نارشتهِ»!* قلت لهم إن هذا برهان على أنهم غير مهتمين بالموسيقى، وعلى أن هناك أمورًا أخرى تجعلهم يقررون كيف يصوتون. وكم غضبوا عند ذلك، لكنهم ما كانوا قادرين على قول شيء. كانت خدعتي محكمة، فأسقط في أيديهم.

وبالطبع، لم أكن مهتمًا بسماع شيء بعد ذلك. كنت معجَبًا بنفسي، ورأيت نفسي كبيرًا جدًا؛ وكنت مقتنعًا بأن عليّ أن أحب الأشياء غير المألوفة، لا تلك الأشياء التي يحبّها الجميع. إلا أن هذا لم يكن صادقًا تمامًا، فالحقيقة أنني كنت أحب الموسيقى الجيدة، لا الموسيقى السيئة... وبالتأكيد، هذه ليست غلطتي! وقد تعلّمت عن الموسيقى أمورًا كثيرة بفضل إنغفِه ومجلاته الموسيقية التي كنت أقرأها قراءة متمعّنة، وكذلك الأغاني التي كان يجعلني

أستمع إليها. فرق غنائية من أمثال: ماغازين، وكيور، وستراندلز، وسمبل مايندز، وإلفيس كوستيلو، وسيكدس، وستيف ليتل فندرز، وإكس تي سي؛ وكذلك فرق غنائية نرويجية من بينها: كيوت، وبلاو، وبلاومكت، وآلّه نارشتهِ، وكَت، وستافانغر إنسبمبلت، وبيبرس، وبيتونغ هيستريا، وهارفارك! وأيضًا، علّمني إنغفِه الكثير عن سلاسل العزف على الغيتار. كنت أنتظره إلى أن يخرج من البيت فأقف حاملًا غيتاره الأسود ماركة جيبسون بليكتروم، وأعزف عليه بنفسي وقد علقت حمّالته (ماركة فيندر) على كتفي. وحتى أبقى في أمان، اشتريت أيضًا كتاب «علّم نفسك عزف الدرامز»، ونَحَتُّ عصاتين من الخشب، ووضعت عددًا من الكتب في دائرة من حولي: الكتاب الذي إلى يساري هو الصنج ذو الدواسة، وبعده الطبل الكبير، ثم ثلاثة كتب مرتفعة قليلًا هي الطبول الصغيرة. كان داغ ماغنِه الشخص الوحيد الذي يفهمني تمامًا، وكنت أمضي معه قسطًا متزايدًا من الوقت. غالبًا ما نجلس في بيته ونستمع إلى الأغاني ونحاول العزف معًا على غيتاره ذي الاثني عشر وترًا. لكنه كان يأتي إلى بيتنا أيضًا حيث نجلس ونقرأ المجلات (لم يعد حظر الزيارات الذي فرضته أمي حظرًا مطلقًا)، ونصغي إلى أشرطة الكاسيت التي عندي، ونتحدّث عن البنات، أو عن الفرقة التي سنشكّلها معًا... ونناقش خاصّة الاسم الذي سنطلقه عليها. أراد أن يسميها «فرقة أنونيموس ديسيبل لداغ ماغنِه»؛ وأردت أن أسميها «بلود كلوت». كنا متّفقين على أن كلًّا من الاسمين حسن، وكذلك على أننا لسنا مضطرَّيْن إلى اتخاذ أي قرار قبل أن يحين وقت وقوفنا على المسرح لكي نعزف موسيقانا.

مر الشتاء على هذه الشاكلة؛ وكانت فيه أولى حفلات صفنا حيث نلعب لعبة «ساعي البريد يدق الباب»، ونرقص على أنغام هادئة فندور وندور على الأرض محتضنين الفتيات اللواتي كنا معهنّ في الصف نفسه طيلة خمس سنين، وكنا نعرفهنّ أكثر مما نعرف أخواتنا. وكان رأسي يكاد ينفجر عندما أحتضن جسد آنِه ليزبيت إلى جسدي. شذا شعرها، وعيناها اللامعتان المتفجرتان حيوية! و، أوه... الثديان الصغيران تحت بلوزتها الرقيقة البيضاء.

ألم يكن هذا إحساسًا رائعًا؟

كان شيئًا جديدًا كلّ الجدة، شيئًا غير معروف طيلة تلك السنين كلّها. لكني صرت الآن أعرفه، وصرت راغبًا في العودة إلى ذلك المكان من جديد.

ثم انقضى الشتاء وجاء الربيع بنوره الذي بدأ يجعل ممر العبور إلى الليل أطول قليلًا. وفي صباح من صباحات شهر آذار، صباح مثقل بالظلمة والمطر، دخلت المطبخ لكي أتناول طعام الإفطار كالمعتاد. كانت أمي قد خرجت لأن عملها يبدأ في ساعة مبكرة من ذلك اليوم. نسيت أن تغلق الراديو قبل خروجها. فحتى عندما كنت في غرفتي جعلني صوت الراديو أظنّ أن أمرًا كان يحدث في الليل. كنت أسمعه صوتًا بعيدًا من غير تمييز الكلمات –وقد بدا لي وقتها أن ما يحدث كان أمرًا دراماتيكيًا. وضعت الزبدة على قطعة خبز، ثم مسحتها عليها، ثم وضعت عليها شريحة سلامي، وسكبت كأس حليب. لقد وقعت حادثة في بحر الشمال حيث انهارت منصة نفطية وانقلبت رأسًا على عقب. كانت قطرات المطر تنزلق بطيئة على زجاج النافذة الخارجي. وكان قرع المطر الواهن على السطح يحيط بالبيت كلّه كأنه غشاء يضمّه. الماء متدفّق في المزاريب. انطلق صوت محرك سيارة عند بيت غوستافسن، ثم ظهر نور مصباحيها الأماميين. كانت تلك الحادثة في البحر كارثة فُقد فيها أشخاص لم يكن أحد يعرف عددهم، وعند وصولي إلى متجر B–Max بعد نصف ساعة من ذلك (فردتا بنطلوني محشورتان داخل جزمتي، وقبعتي الواقية من المطر مربوطة ربطًا محكمًا من حول وجهي)، كان كل من هناك يتحدّث عن الحادثة. كل منهم يعرف شخصًا يعرف شخصًا له أب أو أخ يعمل على تلك المنصة النفطية. اسم المنصة «ألكساندر كيلاند»؛ وكان واضحًا أن واحدة من قوائمها قد انهارت. هل كان سبب ذلك موجة ضخمة من تلك التي لا تأتي واحدة منها إلا كل مئة سنة؟ أم قنبلة؟ أم خلل إنشائي؟

تكلّمت المعلمة في الدرس الأول عن الحادثة على الرغم من أنه كان

درس رياضيات. تساءلت في سرّي عما يمكن أن يقوله جدي الآن. لقد اعتاد أن يكرّر على مسامعنا أن علينا أن نجد عملًا في قطاع النفط. النفط هو المستقبل! لكن إشارات مختلفة كانت تأتينا من أماكن أخرى: احتوت افتتاحية واحدة من الفقرات الإخبارية على تنبؤ مفاده أن احتياطي النفط سوف ينضب عما قريب، وأن ذلك سيحدث في وقت أبكر مما يظنّه الجميع، أي إن النفط سينتهي في غضون خمسة وعشرين عامًا فقط. كان وقع رقم السنة التي توقّعوا نضوب النفط فيها، سنة 2004، أشبه بوقع السحر. هذا لأنها كانت سنة بعيدة جدًا، ولأنها كانت في حقيقة الأمر رقمًا غير واقعي، لكنهم تعاملوا معه في ذلك الخبر كأنه واقع معروف، أو كأنه شيء من نوع مختلف عن الواقع الذي يجده المرء في كتب الخيال العلمي ومجلاته... أي إنه كان أشبه بصدمة: هل ستأتي سنة 2004 حقًّا؟ وهل سنكون أحياء عند ذلك؟ وفي الوقت نفسه، أصابني بالتوتر مما لمسته من كآبة وظلمة في أصوات هؤلاء الرجال المنذرين بوقوع أمور فظيعة، الأصوات الجازعة من أن هناك شيئًا سوف ينتهي. لم يعجبني هذا كله، فقد أردت أن يستمرّ كل شيء، وأن يدوم إلى الأبد. النهايات مخيفة كلها. من هنا، كنت أتمنّى أن يفوز جيمي كارتر بفترة رئاسية ثانية، وأن يفوز أودفار نوردلي[1] من الحزب الاشتراكي في الانتخابات القادمة. كنت أحب جيمي كارتر، وكنت أحب أودفار نوردلي على الرغم من أنه يبدو مرهقًا ومستنفدًا على الدوام. ولم يكن يعجبني موغنز غليستروب، ولا أولاف بالمِه لأنني كنت أرى فيهما

(1) أودفار نوردلي: رئيس الحكومة النرويجي (حزب العمال): 1976 – 1981.
موغنز كريستروب: سياسي دانماركي يميني.
أولاف بالمه: رئيس الحكومة السويدي: 1969 – 1976 (زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي).
إينار فورده، ورايلف ستين: سياسيان نرويجيان.
حنه كفانمو: سياسية يسارية من النرويج.
بير كليبه: اقتصادي نرويجي.
هاموند روسباخ وتريدفه براتيلي: سياسيان نرويجيان.

شيئًا ملتويًا، أراه في شفاههما وفي عيونهما. كنت أرى هذه السمة في إينار فورده وفي رايلف ستين أيضًا، لكنه لم يكن مزعجًا كثيرًا. إلا أنني كنت معجبًا بحنًّه كفانمو. لم تعجبني غولدا مئير، ولا مناحيم بيغن، على الرغم من النجاح في إبرام اتفاقية كامب ديفيد في ذلك الوقت. وجدت صعوبة في التوصل إلى حكم على أنور السادات. يصح الأمر نفسه على بريجنيف، مع أن ذلك كان أمرًا من طبيعة مختلفة تمامًا. عندما رأيته واقفًا، مرتديًا معطفًا من الفراء وقبعة، ورأيت حاجبيه الكثيفين من فوق عينيه المغوليتين الضيقتين في وجهه الخالي من التعبير وهو يلوّح بحركة آلية لاستعراض عسكري يجري في الأسفل (صواريخ محمولة متتالية تمر أمامه)، وهو محاط بآلاف من جنود متماثلين يمشون مشية الإوزة، لم أره شخصًا بشريًا، بل كان شيئًا آخر، شيئًا أجد استحالة في أن تكون لي صلة به.

هل كنت أحب «بير كليبَّه؟».

أجل، على نحو ما. كانت لدي آمال حماسية في نجاح حزمة التدابير المضادة للتضخم التي طرحها كليبَّه.

كنت أحب هانز هاموند روسباخ، لكنّي كنت أعتبر تريدفه براتيلي شخصًا غريبًا بعض الشيء بسبب صوته الهامس المنخفض وغرابة لفظه حرف «ر»، وكتفيه الضيقتين، ورأسه الكبير الشبيه بالجمجمة، وحاجبيه الكثيفين الأسودين.

ظلت حادثة بحر الشمال موضوع حديث الجميع نحو ربع ساعة، ثم استؤنفت الدرس على النحو المعتاد، أي إننا اشتغلنا على عمليات الجمع في دفاترنا في حين كانت معلمتنا تسير بين صفوف المقاعد وتساعد من تراه في حاجة إلى مساعدة. كانت يد الظلام في الخارج ترخي قبضتها عن نور الصباح الذي لم يلبث أن صار منيرًا. قال أحدهم في الاستراحة بين الدرسين، إن من المحتمل أن توجد في المنصة المنهارة جيوب هوائية تسمح بالحياة أيامًا كثيرة. وقال آخرون إن مدرستنا ليس فيها أحد يعمل والده هناك؛ إلا أن

والد أحد التلاميذ في مدرسة رولفدن كان من بين المفقودين. كانت معرفة مصدر هذه الإشاعات كلها أمرًا صعبًا، وكذلك معرفة الأخبار الحقيقية. كان لدينا بعد ذلك درس في اللغة النرويجية. جلست المعلمة إلى طاولتها، فرفعت يدي.

«نعم، يا كارل أوفِه».

«هل صحَّحت موضوعات الإنشاء التي كتبناها؟».

قالت: «عليك أن تنتظر حتى ترى».

لكنّي فهمت على الفور أنها صحَّحتها لأنها بدأ تتحدّث عن بعض الكلمات والقواعد وتشرحها على اللوح، فافترضتُ أنها أمثلة على الأغلاط التي وجدتْها في الموضوعات التي استلمتها منا يوم الخميس السابق.

نعم، بالفعل، أخرجت مجموعة الدفاتر من حقيبتها ووضعتها على الطاولة.

قالت: «كانت لدينا موضوعات كثيرة ممتازة هذه المرة. أحب أن أقرأها عليكم كلّها، لكن الوقت لا يكفي لذلك. لذا فقد اخترت أربعة منها. هذا لا يعني بالضرورة أنها أفضل أربعة. أنتم تعرفون هذا؟ كتابة جميع من في الصف جيدة جدًا».

حدّقت في الدفاتر التي اختارتها لأرى أن كان دفتري واحدًا منها. لم يكن الدفتر الذي في أعلى المجموعة دفتري؛ كنت واثقًا من هذا.

رفعت آنِه ليزبيت يدها. كانت ترتدي كنزة بيضاء مناسبة لها تمامًا. كنزة منسجمة كل الانسجام مع شعرها الأسود وعينيها السوداوين، وكذلك مع شفتيها الحمراوين ومع حمرة وجنتيها اللتين تتورّدان دائمًا كلما دخلت مكانًا دافئًا.

قالت المعلمة: «نعم؟».

قالت آنه ليزبيت: «هل تسمحين لنا بالحياكة وأنت تقرأين؟».

قالت المعلمة: «أجل؛ لا أرى مشكلة في هذا».

انحنت أربع بنات وأخرجن أشغال الحياكة من حقائبهن.

قال غيّير هاكون: «هل تسمحين لنا أيضًا بكتابة واجباتنا البيتية؟».

قهقه أحدهم.

قالت المعلمة: «غيّير هاكون، عليك أن ترفع يدك قبل أن تتكلّم، مثلما يفعل الآخرون. لكن الإجابة لا، بالطبع».

ابتسم غيّير هاكون، واحمرّ وجهه، لا لأنها أوقفته عند حده، بل لأنه تجرأ على الكلام. كان وجهه يتورّد دائمًا كلما تكلّم في الصف.

بدأت المعلمة القراءة. لم يكن الدفتر الأول دفتري. لكن، لا تزال هناك ثلاثة دفاتر. فكّرت في هذا ومددت ساقيَّ تحت المقعد. كنت أحب الدروس الأولى في الصباح عندما يكون الظلام مخيمًا في الخارج. ونكون كأننا جالسون في كبسولة مُنارة: شعر كل منا مشعث قليلاً، وعيوننا ناعسة، وحركاتنا بطيئة... ثم يبدأ اتضاح ضوء النهار إلى أن نصحو تمامًا ونجري هنا وهناك متصايحين بعيون مفتوحة إلى آخرها، وبأطراف متحرّكة في كل اتجاه.

لم يكن الدفتر الثاني دفتري. ولم يكن الثالث.

رفعت رأسي ونظرت قلقًا عندما أمسكت بالدفتر الرابع. هذا ليس دفتري أيضًا، أليس كذلك؟

أوه. لن تقرأ ما كتبته!

تهاوى شيء في داخلي تحت ثقل الخيبة. لكن شيئًا آخر ارتفع منتعشًا. موضوعي هو الأفضل؛ أعرف ذلك؛ وهي تعرف ذلك أيضًا، لكنّها لم تقرأ موضوعي في المرة الماضية، ولا في هذه المرة! ما الغاية من كتابة موضوع جيّد إذا كان هذا ما سيحدث؟ في المرة القادمة، سأحاول أن أجعل كتابتي سيئة إلى أقصى حد أستطيعه.

وأخيرًا، أنهت المعلمة قراءة ذلك الموضوع اللعين، ووضعت الدفتر من يدها.

رفعت يدي.

قلت لها: «لماذا لم تقرئي موضوعي؟ هل كان سيئًا؟».

ضاقت عيناها لحظة، ثم انفتحتا، ثم ابتسمت. قالت لي: «لقد استلمت خمسةً وعشرين موضوعًا. لا أستطيع قراءتها كلها. أنا واثقة من أنك قادر على فهم هذا! والحقيقة أنني كثيرًا ما أقرأ موضوعاتك. وأما هذه المرة، فقد كان الدور لغيرك»... ضمت يديها من جديد... «لقد كانت الموضوعات هذه المرة رائعة فعلًا. ما هذه المخيّلة التي لديكم! الحقيقة أنني استمتعت بكل ما قرأته».

أومأت برأسها لغيّير ب، فقفز واقفًا ومضى إلى طاولتها. كان غيّير ب عريف الصيف، وكان عليه أن يوزّع الدفاتر. نظرت إلى دفتري. غلطة واحدة تقريبًا في كل صفحة. كتبت المعلمة في آخر الموضوع، «كتابة مبتكرة، وذكية، يا كارل أوفِه. لكنني أظن أن نهاية القصة كانت مبتورة بعض الشيء. الأغلاط قليلة جدًا؛ لكن عليك أن تزيد عنايتك بالكتابة».

كان مطلوبًا منا أن نكتب عن شيء في المستقبل. وقد كتبت عن رحلة في الفضاء. لكن ما حدث هو أنني أنفقت وقتًا طويلًا جدًّا في وصف البرامج التدريبية التي خضع لها رواد الفضاء، فملأت عشر صفحات قبل أن أصل إلى يوم انطلاق الرحلة. وبعد تفكير عميق، قرّرت أن تلك الرحلة قد ألغيت في اللحظة الأخيرة نتيجة خلل فني، وأن رواد الفضاء قد عادوا إلى بيوتهم من غير أن ينجزوا مهمتهم.

كتبت في إحدى الصفحات كلمة «hotel»، ووجدت أن المعلمة قد أضافت إليها حرف «l» بقلمها الأحمر. رفعت يدي، فأتت المعلمة إليّ.

قلت لها: «هذه الكلمة فيها حرف L واحد فقط، إنني واثق من هذا، لقد رأيتها في كتاب، وأنا واثق تمامًا».

انحنت المعلمة فوق دفتري. شممت من يديها رائحة صابون، ومن شعرها شذًا واهيًا لعطر خفيف.

قالت: «آه، حسنًا... أنت محق من ناحية واحدة لأن كلمة hotel لها حرف l واحد في الإنكليزية، لكنها تكتب بحرفي l في اللغة النرويجية».

«لكن ذلك الفندق في آرندال اسمه « HOTEL PHØNIX»؛ أي إنهم كتبوها بحرف L واحد فقط. هذا في النرويج!».

«أنت محق».

هذا يعني أنها ليست غلطة، أليس كذلك؟».

«صحيح. فلنقل إنها ليست غلطة! ثم إن موضوعك كان جيدًا، يا كارل أوفِه». انتصبت واقفة وعادت إلى طاولتها. لقد أدفأت كلماتها قلبي على الرغم من أنها قالتها لي وحدي ولم يسمعها الآخرون.

كان المطر والريح مستمرَّين في الخارج. وكانت الأشجار التي خلف ملعب المدرسة تتمايل وتطقطق. عندما ذهبنا إلى الصالة الرياضية في آخر الاستراحة، كانت الريح تصفع الجدران الخارجية بقوة كبيرة، فصار الصوت أشبه بصوت أمواج تصطدم بها. راحت فتحات التهوية تزأر وتصفِّر كأن المبنى كائنٌ حيٌّ... كأنه حيوان ضخم فيه غرف كثيرة وممرات، حيوان ضخم جاثم إلى جوار المدرسة ينوح باكيًا متحسرًا على وحدته. أو لعل الصوت كان هو ذلك الكائن الحي! هذا ما فكرت فيه وأنا جالس على المقعد في غرفة تبديل الملابس. كنت أخلع ملابسي فيما الأصوات تعلو وتنخفض وتدور بعض الوقت هنا وهناك، وتندفع إلى هذه الناحية، وتندفع إلى تلك الناحية، كأنها تلعب لعبة. وقفت عاريًا، وتناولت منشفتي، ودخلت إلى الدوش الذي جعله البخار حارًّا منذ الآن. وجدت لنفسي مكانًا في حشد أجساد الأولاد الشاحبة التي تكاد تكون بيضاء كالرخام؛ ثم دخلت تحت الماء الحار الذي نزل على قمة رأسي أول الأمر، ثم جرى خيوطًا متّصلة على وجهي وصدري ورقبتي وظهري. التصق شعري بجبهتي. أغمضت عيني.

صرخ أحدهم في تلك اللحظة: «قضيب تورِه منتصب! قضيب تورِه منتصب!».

فتحت عيني ونظرت إلى سْفير. كان هو من قال ذلك. رأيت يده تشير إلى الناحية الأخرى من تلك الغرفة الضيّقة حيث كان تورِه واقفًا. ذراعاه متدليتان إلى جانبي جسده، وقضيبه منتصب، وابتسامة على وجهه.

كان تورِه صاحب أكبر قضيب في الصف... حسنًا، لعله كان الأكبر في المدرسة أيضًا! عادة ما يكون متدلّيًا بين ساقيه كقطعة نقانق كبيرة. لم يكن

ذلك سرًا لأنه يرتدي دائمًا بنطلونات ضيقة، ولأن قضيبه يكون مائلًا بزاوية تحت البنطلون، متجهًا إلى الأعلى، بحيث يراه الجميع. أجل، لقد كان كبيرًا. وأما الآن، في انتصابه، فقد كان ضخمًا.

صاح غيّير هاكون: «شيء عجيب».

نظر الجميع إلى تورِه، وسرت حماسة مفاجئة في الجو. كان واضحًا أنه لا بد من فعل شيء. لا يجوز إهدار حدث استثنائي من هذا النوع.

صاح سْفير: «فلنأخذه إلى السيدة هنسل! هيا، أسرعوا قبل أن يفوت الأوان».

كانت السيدة هنسل معلمة الرياضة، امرأة ألمانية تتكلّم نرويجية مكسرة. كانت معلمة صارمة، أنيقة، متكلّفة؛ هذا ما يراه المرء بوضوح شديد عندما ينظر إلى شعرها الذي ترده إلى الخلف وتثبته بقوة بالدبابيس، وإلى نظارتها الضيقة. كانت شديدة الاهتمام بالتفاصيل، لكنها بعيدة عنا... باختصار، كنا ندعوها «المتكبّرة». وأما من ناحية كونها معلمة، كانت دروسها كابوسًا لنا لشدة ولعها بالأجهزة الرياضية وعدم سماحها لنا بالخروج للعب كرة القدم. عندما اقترح سْفير أخذ تورِه إليها، رأينا جميعًا أن تلك فكرة ممتازة. في تلك اللحظة، كانت السيدة هنسل ترتب الأدوات الرياضية ببنطلونها الأبيض وبلوزتها الزرقاء، والصفارة تتدلّى من عنقها.

قال تورِه: «لا، لا تفعلوا هذا!».

ذهب سْفير وغيّير إليه وأمسكا بذراعيه. صاح بنا سْفير: «هيا بنا الآن! يلزمنا اثنان آخران». ذهب إليهما داغ ماغنِه وغيّير ب فأمسكا بساقي تورِه. رفعه أربعتهم عاليًا. احتج تورِه وحاول التملص منهم عندما خرجوا به من غرفة الدوش. لكن احتجاجه لم يكن حقيقيًا تمامًا. سرنا جميعًا من خلفهم. كان ذلك مشهدًا غريبًا حقًا. تورِه العاري، قضيبه الضخم منتصب، يحمله أربعة أولاد عراة مثله، ومن خلفهم موكب من أولاد عراة. اجتزنا غرفة تبديل الملابس ودخلنا الصالة الرياضية الكبيرة الباردة فاستدارت السيدة هنسل صوبنا -كان عمرها نحو ثلاثين عامًا- وكانت تقف في آخر الصالة، عند المنصة.

قالت لنا: «ماذا تريدون؟».

جرى الأربعة في اتجاهها حاملين توره. وعندما صاروا أمامها أوقفوه في وضع رأسي كأنه تمثال يريدون منها أن تتفحّصه. تركوه هكذا خمس ثوانٍ، ثم أعادوه أفقيًا وعادوا به إلى غرفة تبديل الملابس. لم تقل السيدة هنسل شيئًا غير «لا، لا، يا أولاد! هذا ليس جيدًا أبدًا!». لم تصرخ، ولم ترفع صوتها، ولم تجحظ عيناها، ولم تفتح فمها مذهولة مثلما توقعنا وأملنا. إلا أن الأمر كله كان ناجحًا. لقد جعلناها ترى قضيب توره الهائل.

في غرفة تبديل الملابس، رحنا نناقش ما سيحدث بعد ذلك. لم ير أكثرنا أن ما فعلناه ستكون له أية عواقب، وذلك لسبب بسيط هو أن المعلّمة ستجد حرجًا في متابعة الأمر. لكننا كنا مخطئين. صار ما حدث قضية كبيرة؛ وجاء المدير إلى صفّنا. عوقب الأولاد الأربعة الذين حملوا توره بالبقاء في المدرسة زمنًا إضافيًا بعد انتهاء الدروس، واستمعنا جميعًا إلى محاضرة لن ننساها أبدًا. كان توره الشخص الوحيد الذي خرج من الأمر كلّه من غير أن يناله سوء، وذلك لأنهم اعتبروه ضحية (رأى كل من المدير ومعلمة الصف والسيدة هنسل أنه وقع ضحية تنمّر الآخرين عليه)؛ ثم إنه خرج فائزًا أيضًا لأن الجميع، بمن فيهم البنات، صاروا الآن على علم بهذه الناحية المثيرة في تكوينه الجسدي. تحقّق له ذلك من غير أن يحرّك ساكنًا!

في تلك الليلة، وقفت زمنًا طويلًا عاريًا أمام المرآة.

لكن قول هذا أسهل من فعله لأن المرآة الطويلة الوحيدة في بيتنا كانت عند بداية السلم في ممر الطابق السفلي. لم أكن قادرًا على الوقوف عاريًا هناك حتى إذا لم يكن في البيت غيري، وذلك لأن من الممكن أن يأتي أحد في أية لحظة. وحتى إذا كنت سريع الحركة، فسوف يرى الآتي مؤخرتي عند انسحابي وصعودي السلم.

لا... كانت مرآة الحمام هي الخيار الوحيد الممكن.

لكن مرآة الحمام صغيرة، من أجل الوجوه فقط. إذا قرّبت وجهي منها كثيرًا وجعلت ساقيّ تتراجعان كثيرًا إلى الخلف، فمن الممكن أن أرى

جسدي فيها؛ لكني سأراه من زاوية لا تحقّق الفائدة المرجوة... لن تكون الرؤية واضحة!

هذا ما جعلني أفضل الانتظار إلى أن فرغت أمي من غسل الأطباق بعد العشاء وجلست في غرفة المعيشة مع صحيفة وفنجان قهوة. دخلت المطبخ وأحضرت منه كرسيًا. إذا سألتني أمي عما أريد فعله بالكرسي، ففي وسعي القول إنني سأضع عليه مسجلة الكاسيت حتى أستمع إلى الموسيقى أثناء استحمامي. وإذا سألتني لماذا لا أضعها على الأرض كعادتي، فسوف أخبرها بما سمعته من أن الكهرباء تكون خطيرة إذا كانت قريبة من الماء: غالبًا ما تنسكب مياه كثيرة على الأرض عندما أستحم!

لكنها لم تسأل.

أقفلت الباب، وخلعت ملابسي، ووضعت الكرسي عند الجدار، ثم صعدت عليه.

نظرت أولًا إلى جسدي من الأمام.

لم يكن قضيبي مثل قضيب توره... على الإطلاق. كان أشبه بسدادة من الفلين. أو لعله كان أشبه بنابض لأنه يرتعش إذا نقرته نقرة صغيرة.

أحطته بيدي. كم يبلغ حجمه؟

ثم استدرت، وألقيت عليه نظرة جانبية. الحقيقة أنه بدا لي أكبر قليلًا.

على أية حال، كان شبيهًا بما أراه لدى الجميع في صفنا، أليس كذلك؟... باستثناء ما لدى توره!

لكنّ حالة ذراعيَّ كانت أسوأ من ذلك! كانتا نحيلتين. وكان صدري ضيقًا. تذكّرت فجأة صورة ملتقطة لي وقت مباراة كأس النرويج؛ وتذكّرت كيف كان صدري في تلك الصورة يزداد ضيقًا كلما اقترب من رقبتي. بالتأكيد، لا يجوز أن يكون صدري هكذا! كان ينبغي لي أن أكرر تمرينات الضغط مرات كثيرة؛ لكني كنت أغش دائمًا وأتهرب منها لأنني، في حقيقة الأمر، لم أكن قادرًا على أداء ذلك التمرين حتى ولو مرة واحدة. لم يكن أحد غيري على علم بهذه الحقيقة.

نزلت عن الكرسي، وفتحت الماء في حوض الاستحمام فتدفق من الفتحة الصغيرة تحت القضيب المستعرض ذي العينين المدورتين، واحدة زرقاء وواحدة حمراء. فتحت الباب وجريت مسرعًا إلى غرفتي، فأحضرت مسجلة الكاسيت ووضعت فيها شريط *«آوتلاندس دامور»* الذي كان موسيقى الاستحمام المفضلة عندي. وضعت المسجّلة على الكرسي، وضغطت زر التشغيل، وخطوت إلى الحوض بحذر. لسعت حرارة الماء جلدي لسعة شديدة؛ وكان الجلوس فيه مستحيلًا. لكنّي تدبّرت الأمر. جلست، ثم نهضت، ثم جلست، ثم نهضت، ثم جلست، ثم نهضت، إلى أن أَلِف جلدي حرارة الماء وصرت قادرًا على الاستلقاء فيه وترك الحرارة تتغلغل في جسدي بينما كانت الأنغام منبعثة من آلة التسجيل الصغيرة. رحت أغني «سو لونلي» لفرقة «بوليس» بأعلى صوتي. أحلم بأنني صرت شخصًا شهيرًا، وبما ستقوله عني، عند ذلك، البنات اللواتي أعرفهن.

كنت أحاكي كل تلوين صغير من تلاوين صوت المغني، بل حتى تلك النغمة التي تشبه البكاء في آخر الأغنية. ومن حين لآخر، وأضرب حافة الحوض بقبضة يدي متحمسًا. جفّفت يدي بالمنشفة عندما انتهت الأغنية، وقلبت الشريط على الوجه الآخر، ثم اخترت أغنية *«ماسوكو تانغا»*... واحدة من الأغاني المفضَّلة عندي. أوه، ماسوكو تانغا!

خرجت من الحمام ووقفت أمام الخزانة في غرفتي لكي أختار الثياب التي سأرتديها. فقد تبقت بضع ساعات من تلك الأمسية.

ينبغي أن أرتدي قميصًا أزرق فاتحًا له أزرار بيضاء، وبنطلون جينز ليفايز ذا لون أزرق داكن.

ذهبت فوقفت أمام أمي في غرفة الجلوس وقلت لها: «متى سنذهب لشراء الملابس من أجل السابع عشر من أيار؟».

قالت أمي: «لا نزال في أواخر آذار. لدينا متسع كبير من الوقت».

قلت: «قد تكون الملابس الآن أرخص ثمنًا».

«علينا أن نتأكّد. وأنت تعرف أيضًا أنه ليس لدينا مال كثير لأن بابا يدرس».

«أليس لدينا بعض المال؟».

ابتسمت أمي وقالت: «بالطبع، سأشتري لك ملابس جديدة من أجل السابع عشر من أيار».

«وحذاء أيضًا».

«وحذاء أيضًا».

كان يوم السابع عشر من أيار لا يزال بالنسبة إلينا نقطة الذروة في فصل الربيع، مثلما كان عيد الميلاد نقطة الذروة في فصل الشتاء. نغني في المدرسة «*Vi Ere En Nasjon Vi Med*»، و«*Norge I Rødt*»، و« *Hvitt og Blått*»، و«*Ja, Vi Elsker*»[1]؛ ونتعلّم دروسًا عن هنريك فيرغيلاند وعما حدث في إيدسفول سنة [2]1814. وفي البيت، كنا نخرج الأعلام والأشرطة الملونة، وكذلك كل ما لدينا من زمّارات وآلات نفخ موسيقية. ثم يأتي يوم السابع عشر من أيار، فترتفع الأعلام على السواري، وتخرج الأسر من بيوتها في الصباح الباكر بالملابس التقليدية: فساتين أو بدلات من فوقها معاطف أو أردية فضفاضة لأن الجو يكون باردًا أو مطيرًا. يخرج الأطفال حاملين الأعلام بأيديهم، وتكون مع بعضهم حقائب آلاتهم الموسيقية لأن في منطقتنا عدد غير قليل ممن يعزفون في فرقة الاستعراض الموسيقية، وكانوا يرتدون ملابس موحّدة خاصة بالفرقة؛ ثم يسرعون بعد انتهاء الاستعراض إلى خلع ذلك الزي وارتداء أفضل ما لديهم من ملابس. كان زي فرقة مدرسة ترومويا مؤلّفًا من سترة صفراء بلون الخردل، وبنطلون

(1) في النرويجية، على التوالي: «نحن أمة، نحن معًا»، و«النرويج تلبس الأحمر»، و«الأبيض والأزرق»، و«نعم، نحبها».

(2) في سنة 1814، انعقدت الجمعية الدستورية في بلدة إيدسفول وصاغت دستور النرويج وأقرته.

هنريك فيرغيلاند: من رواد الأدب النرويجي. له كتابات كثيرة في فنون الأدب المختلفة، وفي السياسة. كان صاحب دور مهم في اجتماع إيدسفول.

أسود له خطان أبيضان على الجانبين، فضلًا عن قبعة عسكرية سوداء تشبه قبعات الفيلق الأجنبي. وكانت صدور السترات مزينة بأوسمة حصلت عليها الفرقة في المناسبات الكثيرة التي شاركت فيها. ثم تتحرّك السيارات من أمام البيوت، سيارة تلو أخرى، وتنطلق على الطريق في اتجاه آرندال، حيث نكون مضطرين إلى إيقاف السيارات بعيدًا عن مركز البلدة لكثرة الناس المتقاطرين من كل اتجاه، ولأن الشوارع الطويلة تكون مزدحمة بحشودهم المصطفّة على الجانبين في انتظار مرور الموكب. ثم يأتي الموكب... الذي هو نحن. نجتمع في تيهولمن تحت شعار مدرسة ساندلز الذي كنا فخورين بأن نسير من خلفه صفًا طويلًا يكاد يكون من غير نهاية لأنه غير مقتصر على تلاميذ مدارس آرندال وحدها فحسب، بل تشارك فيه أيضًا مدارس المنطقة كلّها. نسير بعد ذلك في صفين يمران بالشوارع كلها وسط بحر من الناس. ويكون عليك أن تظل منتبهًا لأن أباك وأمك يمكن أن يكونا في أي مكان: تلوّح لهما بيدك، ويلتقطان لك صورة.

لقد كان ذلك اليوم، في السابع عشر من أيار 1980، مختلفًا عن كل ما عرفته قبل ذلك من «أيام الدستور». كان الجو ماطرًا عندما استيقظنا في الصباح الباكر؛ وقد أحزنني هذا لأنني سأكون مضطرًا إلى ارتداء السترة والبنطلون الواقيين من المطر فوق ملابسي الجديدة. لقد اشترت لي أمي بنطلون جينز ماركة ليفايز ذا لون أزرق فاتح، وحذاء تنس أبيض ماركة تريتون، وسترة قصيرة لونها بين الرمادي والأبيض. وكنت مسرورًا خاصّة ببنطلون الجينز الجديد.

خارج البيوت، وفي الطريق الصاعدة، كان المرء يسمع تنهيدات متطاولة صادرة عن الآلات الموسيقية التي يحملها بعض الأولاد. أبواب البيوت تغلق، وصيحات تتمادى عبر ممرّات الحدائق، وجو محموم، لكنه مترقّب. مع اقترابنا من منطقة التجمع في هولمن، ومع تواصل زخات المطر الناعم التي ترسلها السماء من فوقنا، صار واضحًا لي أننا سوف نسير إلى جانب صف من مدرسة روليدن. فيما مضى، لعبت كرة القدم مع بعض أولاد تلك

المدرسة، لكنّي لم أر معظم تلك الوجوه قبل الآن. التفتت فتاة من ذلك الصف.

كان شعرها أشقر متموجًا، وعيناها كبيرتين زرقاوتين. ابتسمت لي.

لم أبتسم ردًا على ابتسامتها، لكنّي نظرت في عينيها. أدارت الفتاة نظرها إلى الأمام.

بدأت حركة الموكب. كانت الفرقة تعزف في مكان بعيد أمامنا. بدأت واحدة من معلماتنا الغناء فشاركناها. بعد مسيرة نحو عشرين دقيقة، بدأ صبر البعض يتراجع -الأولاد خاصة- وبدأ الضحك والعبث هنا وهناك. وعندما راح بعض الأولاد يستخدمون الأعلام لرفع تنورات الفتيات، ثم حذا حذوهم آخرون، اقتربت من تلك الفتاة الشقراء وإلى جانبي داغ ماغنِه (كان هذا من حسن حظي لأنه يجعلني جزءًا من شيء ما، فلا أكون وحدي). وضعت العلم تحت طية تنورتها ورفعتها. استدارت وأنزلت تنورتها بإحدى يديها وهي تصيح، *إياك أن تجرؤ على ذلك؛ إياك أن تجرؤ على ذلك!* لكنّ عينيها اللتين نظرتا إلي كانتا مبتسمتين.

فعلت ذلك مع عدة فتيات غيرها إلى أن صار اقترابي منها مرة ثانية أمرًا لا يدعو إلى الريبة.

قالت لي هذه المرة: «إياك أن تجرؤ على ذلك! لا تفعل ما يفعله الأطفال!». ثم جرت مبتعدة عني.

هل غضبت حقًا؟

مرت بضع ثوانٍ. ثم التفتت وابتسمت لي. كانت ابتسامة سريعة، لكنّها كافية لأن أعرف أنها ليست غاضبة مني وأنها لا تراني طفلًا.

لكن، هل هذه لهجة منطقة أوستلاند؟

لعلها ليست من هنا! لعلها آتية في زيارة فقط!

إن كان الأمر هكذا، فلن أراها بعد الآن أبدًا.

لا، لا، لا. اهدأ. لا يسمحون للزائرين بالمشاركة في موكب المدرسة.

انتبهت فجأة إلى العلم الذي كان في يدي، فرفعته. في السابع عشر من أيار الماضي، غضب أبي لأن علمي لم يكن مرفوعًا عندما مررت أمامهما.

ابتسم داغ ماغنِه ابتسامة عريضة. لمع فلاش كاميرا. كان والداه واقفين في الصف الأمامي. كانا في غير مظهرهما المعتاد؛ وبدا مظهر أفضل ما لديهما من ثياب الأحد غريبًا عليهما.

لاحظت تلك الفتاة من جديد. لم تكن طويلة كثيرًا. سترة وردية وتنورة زرقاء فاتحة من تحتها جوارب بيضاء رقيقة. شعرها الأشقر متموّج، وأنفها صغير، وفمها عريض، وانخماص صغير أسفل ذقنها.

أحسست وخزات في بطني.

عندما التفتت لكي تمنعني من رفع تنورتها، لاحظت أن لها ثديين كبيرين. كانت سترتها مفتوحة، والكنزة التي تحتها خفيفة.

أوه، يا إلهي، أرجوك يا إلهي، دعني أخرج معها!

صاحت أمي من مكان ما: «كارل أوفِه!». بحثت عيناي بين صفوف الناس. وجدتهما واقفين إلى الناحية الأخرى من الشارع، قبالة فندق فونكس. لوحت لي أمي بيدها، ثم رفعت الكاميرا إلى عينها. أومأ لي أبي برأسه.

التفتت الفتاة من جديد ونظرت إليّ في طريق عودتنا إلى مركز المدينة. ثم انفرط الموكب بعد ذلك مباشرة فضاعت وسط الحشد الصاخب.

لم أعرف حتى اسمها.

بعد انفضاض موكب المدرسة في آرندال، عاد أهل منطقتنا السكنية إلى بيوتهم بسياراتهم. غيروا ملابسهم، وتناولوا طعامهم، ولعلّهم تابعوا أيضًا بثًا تلفزيونيًا عن مواكب الأطفال في أنحاء البلاد كلها، ثم عادوا بسياراتهم مرتدين ملابس أكثر رسمية، واتجهوا إلى هوفه حيث تكون ذروة ذلك اليوم الاحتفالي. كانت في هوفه أكشاك تبيع الهوت دوغ والآيس كريم والمشروبات الغازية، وأكشاك أخرى حيث يمكنك شراء بطاقة يانصيب ولعب التومبولا. كانت هناك أيضًا ألعاب منظّمة وجمع كبير من الأطفال مع كل منهم ورقة نقدية من فئة عشر كرونات تكاد تحرق جيبه... أطفال يجرون هنا وهناك فيشترون الهوت دوغ ويتراكضون، ويشاركون في سباق

القفز بالأكياس وقد تلطخت أكمامهم بالكاتشب وعلقت آثار الآيس كريم حول شفاههم وفي أيديهم زجاجات الكوكا كولا. لم نكن قد كبرنا كثيرًا على ذلك كله، لكن لعل سرعتنا في فعله قد نقصت بالمقارنة مع السنة السابقة. وأما من ناحيتي، فقد كنت أفتش بين الحشود عن الفتاة التي رأيتها في الموكب. يكاد يتوقّف قلبي كلما لمحت فتاة في سترة وردية أو تنورة زرقاء؛ لكني لم أرها أبدًا. لم تكن هناك. حتى لو كنت أعرف صفها، وحتى إن كنت قد لعبت كرة القدم مع اثنين من الأولاد الذين هم معها في ذلك الصف، فلن أكون قادرًا على سؤالهما عنها لأنهما سيدركان مباشرة ما يجول في ذهني، ولأنهما لن يتردّدا لحظة قبل نشر الخبر في كل اتجاه. لكنّي أعرف أنني سأراها مرة أخرى، عاجلًا أو آجلًا. هذا ما كنت واثقًا منه لأن ترومويا ليست منطقة كبيرة جدًا.

عاد أبي إلى البيت بعد أسبوعين من ذلك. عاد معتزًا بأنه تمكّن من إنهاء دراسته في غضون بضعة شهور فقط. لقد باع مجموعة الطوابع التي لديه، وتخلّى عن التزاماته السياسية، واهتم بالحديقة من جديد فعادت غايةً في الأناقة والترتيب. لقد ضاق ذرعًا بوظيفته التعليمية وصار الآن باحثًا عن عمل جديد. سوف ننتقل إذا حصل على عمل آخر. سوف ننتقل إذا حصل على وظيفة جديدة. كان رجاؤه أن تكون تلك السنة آخر سنة له في وظيفة معلم عادي في مدرسة ثانوية.

ومع بداية الصيف، اشترى لنفسه زورقًا جديدًا. كان ذلك زورق ماركة «رانا فيسك 17»، له محرك خارجي بقدرة خمسة وعشرين حصانًا. كنت أقف مع إنغفِه وأمي على المرسى عندما أتى من آرندال بالزورق أول مرة. رأيناه خلف عجلة القيادة بينما كان الزورق يشق عباب المياه متقدّمًا في اتجاهنا. لم يبتسم، ولم يلوِّح لنا بيده، لكني رأيت اعتزازه بزورقه الجديد واضحًا على وجهه.

خفّف من سرعة الزورق فانخفضت مقدّمته؛ لكن تخفيف السرعة لم

يكن كافيًا لأن يسمح له بالانعطاف والرسوّ حيث كنا واقفين. اندفع الزورق إلى الأمام واصطدم بإحدى العوامات. تراجع أبي بالزورق، ثم اقترب من المرسى وقذف بالحبل إلى أمي التي لم تدرك تمامًا ما ينبغي لها فعله به.

قلت له: «هل يسير الزورق جيدًا؟».

«أجل، إنه ممتاز. لقد رأيت، أليس كذلك؟».

قفز إلى المرسى حاملًا بيده صفيحة وقود حمراء. ثبت على الزورق غطاءً واقيًا مصنوعًا من التاربولين، ووقف لحظة ينظر إليه ثم جلسنا في السيارة وانطلقنا في اتجاه البيت. كان أبي هو من قاد السيارة على الرغم من أنها سيارة أمي.

وعندما بدأت السنة الدراسية، كان عليّ أن أذهب معه لرمي الشباك بعد الظهر، وأن أذهب معه لسحبها قبيل الفجر. يأكل كل منا قطعة خبز؛ ويكون وجهانا غائرين من التعب؛ ثم ننطلق في الظلمة. يشغّل السيارة ويقودها حتى المرسى الذي يكون هادئًا مهجورًا، ثم يفك عن الزورق غطاء التاربولين الأخضر ويضع صفيحة الوقود الحمراء في مكانها. يفك الحبل، ويشغّل المحرك، ويتراجع إلى الخلف ببطء وحذر. كنت أجلس في مقدمة الزورق خلف الزجاج الواقي من الريح مكوّرًا كتفيّ وضامًا ذراعيَّ إلى جسدي ويداي مدفونتان في جيبيّ لشدة البرد. ومع أن هذا الزورق أسرع من زورقه القديم، فلا تزال رحلتنا إلى الناحية البعيدة من الجزيرة تستغرق نصف ساعة. يقف أبي ممسكًا بعجلة القيادة، ويركز انتباهه على توجيه القارب عبر الممر الضيق بين الشاطئ وجزيرة غَيّرستاغهولمن حيث كانت هناك صخرة تحت الماء اصطدم بها في وقت مبكر من الصيف. ومع خروجنا إلى لسان ترومويا البحري، يجلس أبي فيما الزورق منطلقًا بنا، والأمواج تضرب أسفل مروحته البلاستيكية ورشاش الماء منطلقًا في الهواء. عادة ما كان يرمي الشباك في مكان قريب من الشاطئ. وقد كانت مهمتي أن أجلس في مقدمة القارب وألتقط العوامات الصغيرة التي تكون الشباك معلقة منها. لكن ذلك كان عملًا صعبًا لأن العوامات زلقة. وإذا لم أنجح منذ المحاولة

الأولى، يقول لي أبي كيف ينبغي أن أتصرّف، ويقول إنه ليس مطلوبًا مني إلا أن ألتقطها! يداي متجمدتان منذ الآن، والماء بارد كالجليد؛ وهناك، في عرض البحر، تهبّ ريح باردة في الصباح الباكر. كان شعر أبي مشعثًا، متطايرًا في الريح. الضيق ظاهر في عينيه عندما يتراجع بالقارب ويسير في مواجهة الريح من جديد. يصيح بي إذا فشلت في التقاط العوامة هذه المرة أيضًا، فأبدأ بالبكاء، فيزداد غضبه أكثر من ذي قبل. وقد يأتي لكي ليلتقطها بنفسه ويقول لي أن أذهب وأمسك بعجلة القيادة وأحافظ على وضع الزورق في مواجهة الريح... يقول لي، *قلت لك في مواجهة الريح، يا غبي، ألا تستطيع فعل أي شيء صحيح!* أقول له إن توجه المركب ضد الريح ليس سهلًا، فيقول إنه ليس *توجهًا*، بل هو توجيه*! توجيـ ييه!* أبكي، وأتجمّد بردًا، وينحني أبي من فوق حافة القارب فيرفع العوامة إلى سطحه. تتقاذف الأمواج زورقنا في ضياء الفجر الذي بدأ يبين خطًا شاحبًا عند الأفق. يرفع أبي الشبكة، ويهدأ الغضب المتّقد في عينيه، يهدأ شيئًا فشيئًا، ويحاول تخفيف أثر انفجار غضبه، لكن الوقت يكون قد فات لأن البرد تغلغل عميقًا في روحي مثلما تغلغل في يديّ. كنت أكرهه كما لا يمكن أن يكره المرء أحدًا غير أبيه. تكون الأسماك مستمرّة في التلوّي في الدلو الأبيض خلال عودتنا؛ ولا نتبادل أية كلمة. يذهب مباشرة لكي ينظّف الأسماك في الغرفة الصغيرة في القبو؛ وأصعد إلى غرفتي لكي أعدّ حقيبتي المدرسية من أجل ذلك اليوم الذي يبدأ الآن بالنسبة إلى رفاقي في الصف... لكن يومي بدأ منذ ساعات كثيرة!

ومع بداية الخريف، صارت الفرقة التي كنا نحلم بها حقيقة. حملت الفرقة الاسم الذي اخترته لها: صار اسمها «بلود كلوت». كتبنا ذلك الاسم على سترتينا، وعلى حقيبتينا. كنا نتمرن على العزف في قبو الكنيسة الجديدة. لقد تولّى داغ ماغنِه ترتيب هذا الأمر من أجلنا لأن أمه تؤدي تقوم بأعمال التنظيف في بيت طبيب هو عضو في لجنة الكنيسة. وكان داغ ماغنِه أيضًا الوحيد بيننا القادر على إظهار قدر من الموهبة الموسيقية. كان يعزف

الغيتار ويغني، وكنت أعزف الغيتار، وكان كِنتْ آرنِه يعزف الغيتار الجهير الذي اشترته له أمه، وداغ لوثار يعزف الدرامز. وقفنا على المنصة في الصالة الرياضية لكي نعزف في حفلة عيد الميلاد في آخر الفصل الدراسي. علّمني إنغفِه أنغام أغنية *«فورلِسكا إي لا رن»*[1] التي كانت أغنية مفضلة لدى الأطفال. وعلى الرغم من أن أداء تلك الأغنية كان شيئًا أشبه بالفشل (في نظري)، فقد كانت أسهل أغنية يعرفها إنغفِه؛ بل لعلّها الأغنية الموجودة الوحيدة التي تبلغ من البساطة حدًا يجعلنا قادرين على أدائها. ومع أن فرقتنا بذلت أقصى الجهد في تلك العملية، فقد راح كل منا يعزف على هواه، وبدأ كِنتْ آرنِه يدوزن غيتاره في منتصف الأغنية. أبدى معظم الحاضرين ملاحظات سلبية؛ وحتى تلاميذ الصف الرابع لم يتوانوا عن الإدلاء بتعليقاتهم. كان هذا كله محقًا لأننا لم نكن قادرين على العزف. إلا أن إحساسنا بعد ذلك كان إحساسًا يصعب نسيانه... كنا واقفين في ملعب المدرسة، نرتدي بنطلونات جينز ممزّقة، وسترات جينز، وشالات ملفوفة على أعناقنا. كنا في الصف السادس، وسنكون في المدرسة الثانوية عما قريب! وكنا أيضًا أفراد فرقة موسيقية! صحيح أن انفراط الفرقة بعد ذلك مباشرة كان نكسة لنا (لم يُبْدِ داغ لوثار وكِنتْ آرنِه أي اهتمام بالاستمرار معنا)، إلا أننا بقينا ثنائيًا موسيقيًا، أنا وداغ ماغنِه، طيلة ما بقي من عمر تلك الفرقة؛ وصرنا نسجل الأغاني في بيته، ونستمع إلى الموسيقى، ونحلم بنجاح كبير يمكن أن نحققه، على سبيل المثال، في مهرجان «ساغا نايت» ذي الشهرة المحلية الذي يقام في آرندال خلال الصيف حيث يسمحون للفرق الجديدة بالمشاركة. ذهبت لرؤية هافارد الذي يعزف مع فرقة الـ«بونْك» الوحيدة في البلدة. كان أكبر منا بخمس سنين؛ وكان بيته عند جسر ترومويا. سألته إن كان قادرًا على مساعدتنا في المشاركة في المهرجان. لم يستطع أن يعدني بشيء، لكنه قال إنه سيتحدّث مع أحدهم. ما علينا إلا أن ننتظر، ونرى.

---

(1) أحب معلمتي.

قدّمنا أغنيتين في أمسية لأهالي تلاميذ المدرسة في ذلك الربيع. داغ ماغنِه على الغيتار، وأنا على الدرامز. كانت الأولى أغنية كتبتها بنفسي اسمها «Tramp På En Soss»[1]؛ وكانت الثانية أغنية من أغاني آفِهْ ألكساندرسن اسمها «ريف - راف». وقبل أن نبدأ العزف، ألقيت على الأهالي الحاضرين كلمة تمهيدية قصيرة شرحت فيها معنى موسيقى «بونْك».

«ظهر في السنوات القليلة الماضية، نوع جديد من الموسيقى في أوساط الطبقات العاملة الإنكليزية. لعل من بينكم من سمع بها! اسم هذه الموسيقى بونك. ليس من يعزفون بونك موسيقيين كبارًا، بل هم متمرّدون يريدون أن يثوروا على المجتمع. يرتدون سترات جلد وأحزمة مرصَّعة بالمسامير، ويعلّقون الدبابيس الإنكليزية في كل مكان. يمكن القول إن شعارهم هو الدبوس الإنكليزي».

جالت عيناي المتحمّستان بين صفوف الممرضات والسكرتيرات ومصففات الشعر وربات البيوت وعاملات التنظيف. كان عمري اثني عشر عامًا؛ وهم يرونني واقفًا على المنصة، كل عيد ميلاد وكل صيف، منذ خمس سنين كاملة... يرونني في دور جوزيف في مسرحة «نيتيفيتي»، أو في دور العمدة في مسرحية «عمدة المدينة»؛ لكنّي أقف أمامهم الآن من جديد، أقف هذه المرة متحدّثًا عن موسيقى بونك بصفتي واحدًا من أعضاء فرقة «بلود كلوت».

«وسوف نجعلكم الآن تتذوّقون هذا النوع من الموسيقى. نبدأ بأغنية كتبناها بأنفسنا اسمها Tramp På En Soss».

بدأ داغ ماغنِه الذي كان واقفًا إلى جانبي العزف على غيتاره ذي الاثني عشر وترًا، في حين بدأت أغني وأضرب على الدرامز كلّما استولت عليَّ الحماسة.

كان أداؤنا الثاني في واحد من الدروس. قدمنا الأغنيتين نفسيهما. وبعد

(1) بالنرويجية: دوسوا على المتكبِّر.

أن انتهينا، انطلق صفير الاستهجان من كثير من التلاميذ، ثم تقدّمت المعلمة ذات الشعر الأحمر التي كان اسمها فينسادال من داغ ماغنِه وقالت له إن عزفه على الغيتار قد بدأ يتحسّن قليلًا.

كان هذا مؤلمًا.

ردًا على ذلك، وبأقصى قدر من السرّية، بعثت برسالة إلى محطة NRK التي كانت تبث برنامجًا يستطيع فيه الأطفال الغناء إلى جانب فرقهم المفضلة أو مغنيهم المفضلين. كتبت قائلًا إنني أود أن أعزف أغنية «رامب» إلى جانب آفِه ألكساندرسن.

عشت على الأمل زمنًا طويلًا، لكني لم أتلق أية إجابة. وشيئًا بعد شيء، تلاشى حلمي بأن أصير بين عشية وضحاها نجمًا شهيرًا من نجوم البوب؛ لكن أملًا آخر احتل محله، جمعَنا أوفيند، مدرب كرة القدم، في نهاية تدريب من التدريبات وقال إن من الممكن أن نلعب قبل مباراة فريقي «IK» و«ليون دالن»[1]. في نظري، أنا الذي حضرت المباراة النهائية في كأس الدوري، السنة الماضية، في ملعب كريستيانساند، ورأيت فريق «ستارت» يفوز في الثواني الأخيرة... أنا الذي اندفعت إلى الملعب مع مئات غيري ووقفت تحت المبنى الذي كانت فيه غرف تبديل الملابس مغنيًا ومهنيًا ومحتفلًا باللاعبين، بل تمكّنت حتى من لمس قميص سبيْن ماتييسن قبل أن يبعده عني بعد ثانية واحدة من ذلك رجل كبير له عينان جاحظتان... في نظري، أنا الذي كنت أحضر -يوم الأحد، كل أسبوعين- كل ما يُقام في المدينة من مباريات... أنا الذي كان خالي غونار على معرفة حقيقية بالنجم سبيْن ماتييسن وجعله يكتب أوتوغرافًا من أجل إنغفهِ... في نظري، كان اللعب في ملعب كريستيانساند، وفرصة أن يراني الجمهور المحتشد كلّه، واللاعبون أنفسهم أيضًا... كان هذا مفعمًا بأهمية كبيرة جدًا. كان الفريق الذي ألعب فيه واحدًا من أفضل الفرق في الدوري كلّها؛ وكنا نفوز في معظم المباريات

(1) كان الأطفال يلعبون كرة قدم قبل بدء مباراة يخوضها فريقان كبيران، وذلك تشجيعًا لهم.

ونحقّق أهدافًا كثيرة؛ كما فزنا ببطولة الدوري طيلة سنوات وجودي في ذلك الفريق. كنت أقول لنفسي دائمًا إن كوني واحدًا من أسوأ لاعبي الفريق -لاعبًا بطيئًا من غير أي قدر كبير من المهارة- ليس إلا حالة مؤقتة؛ فحقيقة الأمر هي أنني لاعب جيد؛ وحقيقة الأمر هي أنني قادر على فعل كل شيء على نحو لا يقل جودة عن الآخرين... والمسألة ليست أكثر من مسألة وقت قبل أن يصير هذا كله واضحًا للجميع. كان إحساسي هكذا لأنني كنت قادرًا، في ذهني، على التسديد وإحراز الأهداف من أية زاوية يمكن تصورها ومن أية زاوية لا يمكن تصورها، مثلما يفعل يوْن. كنت أرى نفسي قادرًا على المناورة بالكرة وتجاوز أي لاعب يكون أمامي، مثلما يفعل هانز كريستيان. وما كان علي غير أن أجعل ما أفعله متّسقًا مع ما أفكر فيه، أن أجعلهما شيئًا واحدًا، فيتحقّق كل ما أحلم به. فلماذا لا يحدث هذا خلال لعبتنا التي تسبق المباراة في ملعب كريستيانساند؟ لماذا لا يحدث بالسهولة نفسها التي يحدث فيها أثناء التدريب في ملعب هوفِه؟ ألم يكن أمرًا حقيقيًا أنني أتحسّن دائمًا مع مرور كل أسبوع من أسابيع ذلك الخريف؟ ألا يمكن أن أصير فجأة قادرًا على تجاوز اللاعبين جميعًا، واحدًا تلو آخر؟

بلى... هكذا كان الأمر! هكذا كان الأمر في رأسي! وعلى الرغم من حقيقة أنني لم أُظهر بعدُ شيئًا مما كانت آمالي متّجهة إليه، فقد بقيت محتفظًا -ويا للغرابة- بمركز دائم كلاعب في خط الوسط. خضنا في وقت مبكر من ذلك الربيع أول مباراة تدريبية في الملعب الرملي القريب من صالة ترومويا الرياضية، فوق مدرسة روليدن. وعندما أخرجني المدرب أثناء الشوط الثاني من المباراة، اندفعت الدموع إلى عينيّ وأنا أغادر الملعب. كنت مطرقًا برأسي إلى الأرض لكن المدرب انتبه إليّ وجرى خلفي عندما اتجهت إلى غرفة تبديل الملابس. كان علي أن أظل في الملعب لمتابعة المباراة، لكن إخراجي من المعلب جعلني في حالة شديدة من خيبة الأمل، بحيث ما عدت مهتمًا بالمباراة كلّها. هذا من ناحية. وأما من ناحية أخرى، فقد كنت حريصًا على ألا يراني أحدٌ باكيًا.

قال لي المدرب: «كارل أوفِه، ما الأمر؟».

أجبته: «لا شيء».

«أهذا لأنني أخرجتك من الملعب. تعرف أنه ينبغي أن يحظى الجميع بفرصة المشاركة في المباراة. لا يعني هذا أنني أخرجتك من الفريق. ليس الأمر هكذا أبدًا. أخرجتك اليوم فقط، هذه مباراة تدريبية».

ابتسمت من خلف دموعي. قلت له: «لا مشكلة في هذا... لا بأس».

«هل أنت متأكد؟».

«طبعًا»؛ وشعرت باندفاع الدموع إلى عينيّ من جديد.

قال: «جيد».

لكني لم ألبث أن تساءلت في نفسي بعد ذلك عما إذا كان المدرب سيسمح لي بمواصلة اللعب إشفاقًا عليَّ، أو حتى لا تتكرّر هذه التجربة! لم تكن هذه الفكرة سارّة لي؛ إلا أن بقائي في الفريق كان أمرًا كبير المعنى بالنسبة إليّ، على الرغم من نواقصي الكثيرة.

كنا نتمرن ونخوض مباريات محلّية في ملعب تيينّا الواقع مباشرة تحت المنطقة السكنية الكبيرة في كراتيكييف. وكان أكثر الأولاد الذين ألعب معهم ممن يعيشون في تلك المنطقة. وهناك، رأيتها مرة أخرى.

أوائل شهر حزيران، وسماء زرقاء، وما من غيمة تراها العين. كنا نلعب بين مخاريط بلاستيكية موضوعة في وسط أحد نصفي الملعب، لأن العشب عند المرمَيَيْن وفي دائرة الوسط كان مقتلعًا، وكانت التربة متآكلة. كان الطقس حارًّا على الرغم من أن الشمس منخفضة وعلى الرغم من الظلال الطويلة الممتدة عبر الملعب، فتصبب العرق على وجهي ورقبتي بينما كنا نجري هنا وهناك ونطارد الكرة. عصافير تزقزق في الأشجار عند طرفي الملعب، وزعيق النوارس، وأصوات سيارات نادرة تمر على مقربة منا، وطَنين آلة لجزّ العشب يعلو ويخفت في البعيد، وصراخ وضحك آتيان من ناحية غرف تبديل الملابس المؤقتة، ومجموعة أطفال سابحين في مياه بحيرة تيينّا ذات اللون البني، ونحن نجري ونلهث ونركل الكرة ونتقاذفها

في ما بيننا. كنت في أفضل فريق خلال هذا الموسم؛ وألعب مع أولاد أكبر مني بسنة واحدة. وذلك نتيجة تاريخ ميلادي الذي سيجعلني -في السنة القادمة- ألعب مع أولاد أصغر مني بسنة واحدة، مثلما كان الأمر في السنة الماضية. كنا في صدارة الدوري؛ ومتقدّمين كثيرًا على غيرنا. وبعد شهر من الآن، سنذهب من جديد إلى «كأس النرويج»، وسيكون لدينا بعض الأمل في أن نفوز بمباريات كثيرة ونلعب في المباراة النهائية في ملعب أوليفال. كنت أرتدي شورت أمبرو أبيض اللون، وأنتعل حذاء من ماركة لو كوك سبورتيف ألمّعه بعد كل لعبة، ولا أزال قادرًا على تقليبه بين يديّ معجبًا به كثيرًا مع قدر وافر من السرور والرضا.

وفي تلك الأمسية، قفزت أربع فتيات عن دراجاتهنّ عند آخر الملعب. تركن الدراجات واقفات هناك، وسرن مثرثرات ضاحكات إلى جانب الملعب، عند الصخور، حيث جلسن ناظرات إلينا. تأتي الفتيات أحيانًا وتنظرن إلينا على هذا النحو، لكنّي لم أرها هنا قبل هذا اليوم. فوجئت عندما رأيتها؛ وما كان عندي أي شك في أنها هي نفسها. كانت هذه المرة ببنطلون جينز أزرق اللون مع تي شيرت أبيض. لم يفارقني إحساسي بوجودها طيلة ما بقي من وقت في تلك اللعبة. كل ما فعلتُه، فعلته من أجلها. وعندما فرغنا من اللعب، ونفّذنا تمرينات التمطيط والاسترخاء وظهرت زجاجة الماء بيننا، جلست على العشب مع لارس وهانز كريستيان. قذف الاثنان الفتيات ببعض الكلمات البذيئة، فأجبن على كلماته بالضحك وبكمية أكبر من الشتائم.

قلت بأقصى حذر استطعته: «هل تعرفان تلك الفتيات؟».

قال لارس بصوت ضجر: «أجل».

«وهل هنّ في صفكما؟».

«كايزا وسولفا في صفنا. والاثنتان اللتان معهما في صف آخر».

هذا يعني أن اسمها كايزا أو سولفا.

استلقيت على العشب واضعًا يديَّ تحت رأسي، وتقلّصتْ عيني تحت

وهج أشعة الشمس البرتقالية. غمس واحد من الأولاد رأسه في دلو الماء الموضوع عند حافة الملعب. نصب قامته وهز رأسه فتطايرت منه قطرات الماء مشكّلة قوسًا ظلّ معلقًا في الهواء لحظة قصيرة قبل أن يختفي. وبأصابع منفرجة، مرر الفتى يديه في شعره المبتل.

قلت: «لقد رأيت واحدة منهما في مرة سابقة. تلك الجالسة إلى جهة اليمين، ما اسمها؟».

مكتبة
t.me/t_pdf

«هل تعني كايزا؟».

«أوه، أهذا هو اسمها؟».

نظر لارس إليّ. كان له شعر متموج، ونمش كثير، وكان تعبير وجهه غليظًا بعض الشيء، لكنّ عينيه تظلان دافئتين ويظل فيهما بريق دائم.

قال لي: «إنها جارتي. أعرفها منذ أن تعلمت المشي. هل أنت مهتمّ بها؟».

قلت: «لا، لا».

لكز لارس صدري بإصبعه عدة لكزات. قال مبتسمًا: «بل أنت مهتم بها. هل تريد أن أعرِّفك عليها؟».

قلت: «تُعرّفني؟». فاجأني جفاف فمي.

«أليست هذه هي الكلمة المستخدمة؟... أنت، يا من يعرف كل شيء؟».

«هذا صحيح. لا. ليس الآن. أعني أنني... لا حاجة إلى هذا. لست مهتمًا بها. كان سؤالًا فحسب. ظننت أنني رأيتها في مكان ما».

قال لارس: «كايزا فتاة لطيفة فعلًا...»، ثم قال هامسًا... «ثم إن لها ثديين كبيرين».

قلت: «نعم»، ثم التفتّ من غير تفكير ونظرت إليها. ضحك لارس ونهض واقفًا. نظرت كايزا إليّ.

لقد نظرت إليّ!

نهضت واقفًا مثل لارس، وسرت خلفه في اتجاه غرف تبديل الملابس. قلت له: «أعطني الماء».

رمى لي زجاجة الماء فرددت رأسي إلى الخلف وضغطت عليها فانساب الماء في حلقي.

قال لي: «هل ستذهب إلى الدوش؟».

قلت: «لا. عليَّ أن أذهب إلى البيت».

قال: «إذا ذهبت إلى الدوش، فقد تذهب كايزا إليه أيضًا».

قلت: «لا تقل هذا».

نظر إليَّ فهززت رأسي. ابتسم ولم يقل شيئًا. تدافع بقية الأولاد من خلفنا قادمين في اتجاه غرف تبديل الملابس. وفي الداخل، لبست التي شيرت ومن فوقه سترة بيجامة الرياضة، وانتعلت حذائي، ووضعت حقيبتي على دراجتي وانطلقت بها في اتجاه البيت عبر الطريق الترابية القديمة التي تمرّ بالغابة. سرعان ما صار الهواء أبرد قليلًا في الأماكن التي لا تطالها أشعة الشمس. وكان علي أن أغلق فمي في تلك الجيوب الظليلة الرمادية لأن أسرابًا كبيرة من البعوض كانت تحوم فيها. أنارت الشمس الحافة الصخرية المجاورة التي لا تزال تظهر فيها آثار الحريق الذي أتى عليها في السنة الماضية. ثم انتهت الحافة الصخرية، اختفت حيث تبدأ التلال وأشجار الصنوبر الطويلة الكثيفة المصطفّة على جانبي الطريق مثل جدار. كانت دراجتي هي نفسها التي أركبها منذ كنت صغيرًا، دراجة DBS Kombi، لكن مقعدها ومقودها صارا مرفوعَيْن إلى أقصى حد ممكن. جعلها ذلك تبدو كأنها دراجة ممسوخة، أو في طور التحوّل من دراجة صغيرة إلى كبيرة. رحت أغنّي بأعلى صوتي وأنا مندفعٌ بأقصى سرعتي بين كل ما في تلك الدرب من حفر وحدبات؛ تنزلق دراجتي يمينًا وشمالًا عندما اضطر إلى استخدام المكابح. كنت أغني وأدندن مقلّدًا الأغنية الأولى في ألبوم «هيا بنا معًا» لآبي رود إل بي أو، على الأقل، أحاول أداءها مثلما تسمعها أذني! لا بأس... كنت أعرف أنها ليست مثلما أغنّيها تمامًا، فهي من ذلك النمط الذي يدعونه «العيون الساحرة». لكن، ما أهمية هذا عندما أكون نازلًا كالبرق في تلك الدرب التي في الغابة والسعادة نابضة في جسدي كلّه؟

بلغت تقاطع الطرق في الأسفل فتوقّفت أمام سيارة عابرة، ثم سرت مسرعًا من جديد وقدماي تضغطان على الدواستين بأقصى قوة في سيري صاعدًا على حافة الطريق الأخرى المرصوفة بالحجارة. اجتزت الطريق الرئيسة عند قمة سبيدمانسباكن حيث اتّبعت درب الدراجات النازل حتى محطة فينا فوجدت هناك عصبة من فتيان جالسين إلى الطاولات التي في الخارج، لا في الداخل مثلما يكون الأمر في فصل الشتاء. كانوا قد أوقفوا دراجاتهم العادية والآلية على مقربة منهم. لم أعد أخشى الدخول إلى ذلك المكان لأن أسوأ ما يمكن أن يحدث الآن هو أن يقول أحدهم شيئًا سخيفًا، لا أكثر. لكن ذلك المكان ظل مكانًا لا يعجبني. هذا ما جعلني أتّخذ الجهة الأخرى من الطريق عندما مررت بهم. في هذا المساء، رأيت بينهم ثلاثة من صفي؛ رأيت يون، ورأيت أيضًا تور وأوني، ثم رأيت ماريان التي كانت في صفي، لكنها في الشعبة الأخرى. لقد كنت أخرج معها في ما مضى. لم يول أحد منهم مروري أي اهتمام، ولعلهم لم ينتبهوا إليه أصلًا!

كانت متابعة السير على الطريق نفسها أسرع السبل للوصول إلى البيت على الدراجة، لكني انحرفت عن الطريق ودخلت دربًا صاعدة، ثم نزلت وبدأت أدفع دراجتي إلى الأعلى. صار المشهد من حولي ريفيًا تمامًا لحظة اختفاء الطريق خلف الأشجار من خلفي، فأعجبني هذا التغير وجعلني مستمتعًا بالدقائق الإضافية التي يستغرقها هذا المسار.

ثم صار كل ما حولي غابة، فلا بيوت تراها العين، ولا طريق، بل أشجار في كل مكان، أشجار عالية كثيفة بأوراقها الخضراء المتزاحمة وطيورها المغنية. وفي أماكن كثيرة، كانت جذور ضخمة ظاهرة على سطح الأرض تعترض الدرب، التي هي ليست أكثر من تراب مرصوص وحجارة مسطحة عارية. بدت تلك الجذور كأنها من حيوانات من قبل التاريخ. كان العشب النامي على امتداد الجدول كثيفًا يانعًا؛ وفي الأسفل أشجار ساقطة ذات جذوع ملساء ونباتات كثيرة تملأ الفراغات بين الأغصان الميتة الجافة الراقدة هناك منذ أقصى زمن أستطيع تذكّره. ومن خلفها حافة من جذوع

الأشجار المقطوعة بين الأعشاب الطويلة وبين الأشجار الفتية التي احتلت مكان تلك الأشجار التي ماتت. إن سرت نازلًا أول مئة متر من تلك الدرب، فقد تتخيّل أن الغابة عميقة، بل قد تظنّها لا نهائية العمق... وقد تتخيلها مكانًا كله أسرار. لم يكن صعبًا أن يطرد المرء من ذهنه فكرة أنه قادر في الخريف والشتاء على أن يرى، من بين الأغصان، لمحات من المنحدر الصخري الطويل النازل من ناحية الطريق الملتفّة حول منطقتنا السكنية كلّها، أو لمحات من سقوف البيوت ذات اللون البرتقالي. لا يحدّ العالم مخيلتك، فهذه ليست مشكلة كبيرة. بل مخيلتك هي ما يحدّ العالم. لكني لم أكن -هذه المرة- في الخارج حتى ألعب، بل حتى أسلِّم نفسي للطبيعة، وحتى أعيش ذلك الإحساس بالحرية الذي منحتني إياه نظرة كايزا.

كايزا... اسمها كايزا!

تابعت سيري صاعدًا ودراجتي تتقافز على الحجارة إلى جانبي الطريق. وعندما انتهت المرحلة الصاعدة من الدرب، قفزت إلى الدراجة من جديد وأسرعت نازلًا. خرجت إلى الطريق الأسفلتية تحت صالة الأبرشية مباشرة. كانت الطريق أمام بيت كيتيل مزدحمة بأطفال يلعبون كرة القدم. رأيت والده جالسًا على كرسي من كراسي النزهات على الشرفة مرتديًا بنطلونًا قصيرًا وبطنه ظاهر من قميصه المفتوح ذي الكمين القصيرين. وكان دخان مشوى اللحم يتصاعد على مقربة منه.

أوه، يا لها من رائحة!

وإلى الجهة الأخرى، كان توم يغسل سيارته. على وجهه نظارة كبيرة تشبه نظارات الطيارين. ويرتدي بنطلونًا قصيرًا من الجينز تدلّت منه خيوط على فخذيه. لم يكن يرتدي شيئًا غير ذلك البنطلون القصير. عرفت الأغنية التي كان صوت موسيقاها المرتفع مندفعًا عبر الأبواب المفتوحة التي جعلت السيارة الصغيرة تبدو كأنها طائرة صغيرة منتفخة. إنها أغنية لفرقة «د. هوك». ثم بلغت التلّة، فلاح لي لسان ترومويا البحري البعيد الأزرق من خلف خضرة الأشجار، وكذلك خزّانات الغاز البيضاء على الضفة الأخرى

من اللسان. انحدرت مسرعًا فصفعت الريح وجهي وجعلت الدموع تطفر من عينيّ. مجموعة أطفال أخرى تلعب كرة القدم عند بيتنا. شقيق ماريانِه الصغير، وشقيق غيّير هاكون الصغير، وشقيق بينتِه الصغير، وشقيق يان آتلِه الصغير. لم أرد عليهم السلام، بل قفزت عن دراجتي ودفعتها صوب البيت حيث رأيت سيارتين متوقّفتين على مقربة منه. سيارة آنِه ماي السيتروين الكبيرة، وسيارة 2CV... إنها سيارة داغني. لقد نسيتُ تمامًا أنهما آتيتان إلينا! أحسست برعشة سرور صغيرة تتخلّل جسدي عندما رأيت السيارتين.

كانتا جالستين في غرفة المعيشة مع أمي. لقد أعدت الكيك، فلعلّهم تركوا لي قطعة! أعدّتْ لهما قهوة أيضًا. كان الحديث يجري بين النساء الثلاث الغارقات وسط سحب دخان السجائر. سلّمت عليهما. سألتاني عن أحوالي فقلت إنني بخير وإنني كنت في تمرين كرة القدم. سألتاني إن كانت العطلة الصيفية قد بدأت فقلت إنها بدأت وإنها رائعة. أخرجت آنِه ماي من حقيبة يدها لوحًا من شوكولاته فريّا.

قالت لي: «أظنّك صرت الآن كبيرًا على هذه الأشياء!».

قلت: «ليس على هذه الأشياء. لا يمكن أن يكبر المرء على أكل هذه الشوكولاته، أليس كذلك؟».

حملت حقيبتي واستدرت لكي أذهب إلى المطبخ. فقالت آنِه ماي: «ما هذا المكتوب على ظهرك؟ ترامّه». ثم ضحكت.

قالت أمي: «إن ترامّه اسم فريق كرة القدم الذي يلعب فيه».

قالت داغني: «ترامّه!». بدأن يضحكن معًا.

قلت لهنّ: «ما المشكلة في هذا الاسم؟».

«أنت لا تعرف أن هذا هو مجال عملنا. عندما يحدث شيء فظيع، تصيبك ترامّه[1]! كان أمرًا مضحكًا حقًا أن نرى هذه الكلمة مكتوبة على ظهرك».

---

(1) ترامّه (trauma): صدمة، في اللغة النرويجية.

قلت: «أوه... لكن هذا ليس معناها. إن هذه الكلمة آتية من كلمة ثروما التي هي اسم ترومويا القديم، منذ أيام الفايكينغ».

كنّ مستمرّات في الضحك عندما ذهبت إلى غرفتي. وضعت شريط «سبيشالز» في مسجلة الكاسيت، واستلقيت على السرير لأقرأ، في حين كانت أشعة الشمس الأخيرة تنير الجدار المجاور له. راحت المنطقة التي حول البيت تخلو من الأصوات شيئًا فشيئًا.

سكنت كايزا مخيلتي طيلة الأسابيع التي تلت ذلك. كانت صورتان لها تعاوداني. أراها في الصورة الأولى تلتفت إلي بشعرها الأشقر وعينيها الزرقاوين وملابسها الوردية والزرقاء الفاتحة التي رأيتها عليها يوم السابع عشر من أيار. وأراها في الصورة الثانية عارية، مستلقية أمامي في حقل في الغابة. كنت أرى الصورة الثانية كل ليلة قبل أن أنام. وكان تفكيري في ثدييها الكبيرين الأبيضين وحلمتيها الورديتين يجعل جسدي متألّمًا كله. أرقد متلويًا وأتخيّل أمورًا كثيرة أفعلها معها تخيلًا غير واضح المعالم، لكنه كثيف جدًا. وكانت هذه الصورة الثانية تثير فيّ شيئًا آخر، شيئًا يقع في لحظة أخرى من الزمن: كأنني أقفز من فوق جرف في الجزيرة فأطير في الهواء والشمس في وجهي، أراها لمحة سريعة فيتصاعد هتاف مجنون منطلقًا من داخلي في اللحظة عينها عندما تمس قدماي السطح ويغوص جسدي في ماء البحر الأزرق المخضر، منهيًا سقوطًا من ارتفاع عدة أمتار... يحيط بي وابل من فقاعات، وأحس طعم الملح على شفتيّ، ثم أصعد إلى السطح من جديد بحركات بطيئة من ذراعيّ، وترقص سعادة في صدري. أو أكون جالسًا إلى الطاولة وقت العشاء أنزع جلد قطعة من سمكة القد، على سبيل المثال، أو أمضغ لقمة من لحم الرئة المفروم ذي القوام غير السارّ على الإطلاق. تتمدّد تلك اللقمة أول الأمر، وتملأ فمي، فأتابع مضغها، وتغوص أسناني مخترقة كتلتها فلا تلقى مقاومة إلا في النهاية عندما تلتصق بلثتي، ثم تظهر لي صورتها فجأة وأراها متألّقة فيتنحى كل شيء غيرها ويلوذ بالظلال. لكنّي لم أرها في الحقيقة أبدًا. قد لا تتجاوز المسافة المباشرة بين منطقتينا

السكنيتين بضعة كيلومترات، لكن المسافة الاجتماعية أكبر من ذلك؛ وما كان اجتيازها على الدراجة ممكنًا، ولا في الباص. كانت كايزا حلمًا، صورة في عقلي، نجمة في السماء.

ثم حدث أمر. كنا نلعب مباراة في ملعب تيينّا، وكان الموسم الربيعي قد انتهى في حقيقة الأمر، لكن إحدى المباريات قد ألغيت وحُدّد لها موعد آخر. وهكذا كنا نعدو على العشب في ذلك الحرّ، ومن حول الملعب العدد المعتاد من المتفرّجين -عشرة، أو خمسة عشر- عندها، رأيت بطرف عيني ثلاثة أشخاص يسيرون عند حافة الملعب، فعرفتها على الفور. طيلة الوقت الباقي من المباراة، كان انتباهي متركّزًا على المتفرجين الواقفين على الرابية المجاورة للملعب بقدر ما كان متركّزًا على الكرة نفسها.

أتت إليّ فتاة بعد انتهاء المباراة.

قالت لي: «هل أستطيع أن أقول لك كلمة؟».

قلت: «أجل، بالطبع».

أضاء في داخلي أمل مجنون جعلني أبتسم.

«هل تعرف من هي كايزا؟».

تورّد وجهي وأطرقت برأسي. قلت: «أجل».

«طلبت مني كايزا أن أطرح عليك سؤالًا».

قلت: «عفوًا؟».

سرتْ موجة حارّة في داخلي وكأن صدري قد امتلأ دمًا.

قالت الفتاة: «تريد كايزا معرفة إن كنت تحب الخروج معها. فماذا تقول؟».

أجبتها: «نعم».

قالت: «عظيم. سأقول لها هذا».

تحرّكت الفتاة مبتعدة فسألتها: «أين هي الآن؟».

التفتت إلي وقالت: «إنها في انتظاري عند غرفة تبديل الملابس. هل نراك هناك بعد قليل؟».

أجبتها: «بالطبع. سأكون هناك».

نظرت إلى الأرض لحظة بينما كانت الفتاة تسير مبتعدة.

شكرت الربّ في نفسي. لقد حدث ما تمنيته. الآن، سوف أخرج مع كايزا.

هل كان هذا حقيقة؟

هل سأخرج مع كايزا حقًّا؟

... مع كايزا!

سرت على امتداد حافة الملعب، وكنت في حالة دوار. ثم فاجأتني فكرة أنني الآن أمام مشكلة كبيرة. إنها هناك، في انتظاري. وسيكون عليَّ أن أتكلّم معها. سيكون علينا أن نفعل شيئًا معًا. فماذا نفعل معًا؟

عند دخولي إلى غرفة الملابس، يمكنني أن أتظاهر بعدم رؤيتها هناك، أو أن أبتسم لها ابتسامة سريعة فحسب... لأن عليّ أن أدخل لكي أغير ملابسي. لكن، عندما أخرج بعد ذلك...!

كان المساء لطيفًا، والهواء عابقًا برائحة العشب، زاخرًا بغناء الطيور. لقد ربحنا تلك المباراة؛ وكانت الأصوات الآتية من غرفة تبديل الملابس فرحة ومبتهجة بالفوز. كانت كايزا واقفة في الطريق، على مقربة من الغرفة، ومعها فتاتان. كانت يدها على دراجتها. التفتت إليّ عندما نظرت في اتجاههنّ. ابتسمت لي، فابتسمت لها.

قلت: «مرحبًا».

«مرحبًا».

قلت: «سأدخل لكي أبدل ملابسي، ثم أخرج».

أومأت برأسها.

خلعت ملابسي في غرفة تبديل الملابس الشبيهة بالسقيفة، خلعتها بأبطأ ما استطعت وعقلي يحاول محاولات محمومة أن يعثر على طريقة أخلّص بها نفسي مع حفظ ماء الوجه. ليس معقولًا أبدًا أن أذهب معها من غير أن أكون مستعدًّا؛ فالأمر لن ينجح أبدًا. لذا، كان لا بد لي من إيجاد عذر مقنع.

أأقول لها إن لديَّ واجبًا بيتيًا؟ قلّبت هذه الفكرة في ذهني وأنا أفك واقية الساق التي صار سطحها الداخلي لزجًا لشدة تعرقي. لا... سوف يعطي هذا انطباعًا سيئًا عني.

وضعت واقية الساق في الحقيبة، ثم فككت الأخرى وأنا أنظر إلى البحيرة من خلال النافذة الصغيرة. فككت الرباط عن قدمي، ثم طويته. كان الأولاد قد بدأوا يخرجون من غرفة تبديل الملابس.

وكان يون يقول لجوستن الذي كان يصفع وجهه بقفاز حارس المرمى: «ماذا بك؟ هل أنت مجنون، أم ماذا؟ ضعه في مكانه، يا ابن الحرام». شعرت برغبة في أن أقول بصوت مرتفع إنني سأخرج مع كايزا، لكني لم أقلها، بالطبع. بدلًا من ذلك، نهضت واقفًا وارتديت بنطلوني الجينز ذا اللون الأزرق الفاتح.

قال جوستن: «يا لهذا البنطلون الأنيق!».

قلت له: «بنطلونك هو الأنيق».

أشار إلى بنطلونه ذي الخطوط الحمراء والسوداء: «هذا؟».

«أجل».

«هذا بنطلون عادي جدًا، يا أبله!».

«لا، إنه ليس كذلك. هذا بنطلون من عند إنترميزو. متجر فاخر، بالتأكيد».

«وهل حزامي فاخر أيضًا».

«لا، إنه حزام عادي».

«إلا أن بنطلونك فاخر بكل تأكيد».

«أنا لست ممن يرتدون الأشياء الفاخرة».

تدخّل يون. قال: «لكنك جيسي بعض الشيء».

جيسي!؟ ما معنى هذه الكلمة؟

ضحك جوستن: «ها ها ها. هيا، يا جيسي!».

قلت: «ماذا قلت؟ أنت، ابن البابا المدلل».

قال: «هل أكون مخطئًا إذا كان لدى أبي مال كثير».

رفعت سحاب سترتي، سترة بوما زرقاء وبيضاء. قلت له: «لا. إلى اللقاء».

قالا: «إلى اللقاء»، ثم خرجت إلى لقاء كايزا من غير أن أتوصّل إلى تحضير شيء أقوله.

وقفت أمامها واضعًا يديَّ على مقود دراجتي.

قلت: «مرحبًا».

قالت كايزا: «لقد لعبتم جيدًا، كلّكم».

كانت ترتدي تي شيرت أبيض اللون، وثدياها نافرين تحته.

بنطلون جينز ليفي 501 مع حزام بلاستيكي أحمر. جوارب بيضاء. حذاء نايكي أبيض عليه شعار الشركة بلون أزرق فاتح.

ابتلعت ريقي وقلت: «أهذا رأيك؟».

أومأت برأسها وقالت: «هل نعود معًا؟».

«الحقيقة أنه ليس لدي متسع من الوقت هذا المساء».

«أوه، حقًا؟».

«أجل. عليَّ أن أذهب الآن».

نظرت في عينيّ وقالت: «أوه، هذا مؤسف. ما الذي يجعلك مضطرًا للذهاب؟».

«وعدت أبي بأن أساعده. إنه يبني جدارًا. لكن، ألا يمكن أن نلتقي غدًا؟».

«بالطبع».

«أين نلتقي؟».

«أستطيع ملاقاتك عند بيتك بعد المدرسة».

«هل تعرفين مكان بيتي؟».

«إنه في تيباكن، أليس هذا صحيحًا؟».

«هذا صحيح».

امتطيت دراجتي وقلت: «إلى اللقاء».

قالت: «إلى اللقاء. أراك غدًا».

انطلقت مبتعدًا. كانت حركاتي عادية إلى أن صرت بعيدًا عن الأنظار. وقفت على الدواستين، وانحنيت إلى الأمام، واندفعت بأقصى سرعتي كأنني مجنون. كان ذلك رائعًا بالمطلق، فظيعًا بالمطلق. أراك عند بيتك... هكذا قالت لي. إنها تعرف مكان بيتي! وهي تريد أن تكون معي! ليس هذا فحسب! سوف نخرج معًا! سوف أخرج مع كايزا! أوه... كل ما أردته وحلمت به صار الآن في متناول يدي!... لكن لا... ليس بعد! عن أي شيء أحدّثها عندما أراها؟ وماذا سنفعل معًا؟

انعطفت داخلًا الممر المفضي إلى بيتنا بعد نصف ساعة من ذلك. كانت أمي جالسة على الشرفة التي خلف البيت تقرأ الصحيفة وأمامها فنجان قهوة على طاولة الرحلات القابلة للطيّ. ذهبت إليها، وسألتها: «أين أبي؟».

قالت: «ذهب إلى الصيد. كيف كانت المباراة؟».

«جيّدة. لقد فزنا».

صمت قصير.

نظرت أمي إلي وقالت: «هل حدث شيء؟».

قلت: «لا». «هل تريد أن تقول شيئًا؟».

«لا، لا شيء».

ابتسمت لي وعادت إلى قراءة الصحيفة. تناهى إلى مسمعي صوت الراديو آتيًا من جهة بيت برستباكمو. رفعت رأسي ونظرت فرأيت مارثا جالسة مثل أمي... جالسة على كرسي للرحلات وقد فتحت صحيفة أمامها. وعلى مقربة منها، عند الجدار الحجري المواجه للغابة، كان برستباكمو نفسه منحنيًا فوق واحد من الأحواض في الحديقة التي يزرعون فيها الخضار، وفي يده مجرفة. لمحت حركة جعلتني ألتفت باتجاه الممرّ. إنه فريدي. عرفت ذلك على الفور لأنه كان ولدًا أمهقَ. لا يمكن أن تخطئ العين رؤية شعره الأبيض. كان في الصف الرابع. وكان قوس للرماية معلقًا على ظهره.

نظرت إلى أمي من جديد. قلت لها: «ماما، هل تعرفين معنى كلمة جيسي؟».

وضعت الصحيفة في حضنها. قالت لي: «جيسي؟».

«نعم».

«لا، لا أعرف معناها، لكن هذه الكلمة اسم من أسماء البنات».

«إذًا، كالبنات».

«أظن هذا. لماذا تسأل؟ هل قال لك أحد إنك جيسي؟».

«لا، على الإطلاق. لكنّي سمعتها اليوم، بعد المباراة. سمعتها من أحد الأولاد. لم أسمع هذه الكلمة من قبل».

نظرت أمي إليّ، ورأيت في وجهها أنها أرادت أن تقول شيئًا.

نهضت واقفًا وقلت لها: «أوه، لا بأس. من الأفضل أن أضع حقيبة كرة القدم في الداخل».

ذهبت إلى غرفة إنغفِه بعد العشاء وأخبرته عما جرى.

قلت: «لقد صارت لي علاقة مع كايزا بعد ظهر اليوم».

رفع رأسه عن الكتاب المدرسي الموضوع على مكتبه.

«كايزا؟ لم أسمع باسمها من قبل! من هي؟».

«تعيش في روليدن. هي في الصف السادس. تبدو جيدة حقًا».

قال إنغفِه: «لا شك عندي في هذا. أهنئك».

قلت: «شكرًا. لكنْ هناك أمر... أنا في حاجة إلى نصحك...».

«ماذا تريد؟».

«لست أدري... حسنًا، أنا لا أعرفها على الإطلاق. ولا أعرف... ما سنفعله! سوف تأتي غدًا لمقابلتي هنا... كما ترى. لا أعرف حتى ما يمكن أن أقوله لها».

قال إنغفِه: «سيكون كل شيء على خير ما يرام. لا تفكّر في الأمر، وسوف تسير الأمور سيرًا حسنًا. دائمًا، يمكنك اللجوء إلى التقبيل بدلًا من الكلام!».

«ها ها».

«لا تتوتّر، يا كارل أوفِه، فالأمر بسيط».

«أهذا ما تظنه؟».

«بكل تأكيد».

«حسنًا، ماذا تفعل؟».

«الواجبات البيتية... كيمياء، ثم جغرافيا».

قلت: «أنتظر بفارغ الصبر أن أصير في المدرسة الثانوية».

قال إنغفِه: «سيكون عليك أن تقرأ كثيرًا».

قلت: «نعم... وإن يكن!».

استدار إنغفِه عائدًا إلى كتابه، فخرجت من الغرفة. كان إنغفِه قد أنهى السنة الأولى من المدرسة الثانوية؛ وكنت أعرف أنه يريد أن يتّجه إلى الدراسات الاجتماعية، في حين أراد أبي منه أن يتّجه إلى العلوم الطبيعية؛ وبالتالي، كان عليه أن يفعل ذلك. أمر غريب بعض الشيء لأن أبي درس اللغتين النرويجية والإنجليزية.

وضعت شريط كاسيت لفرقة «ماكارتني2»، واستلقيت على السرير مفكّرًا في ما يمكن أن أقوله وأفعله في اليوم التالي. ومن حين لآخر، كانت تنتابني حالة من الارتعاش. أتخيل نفسي خارجًا معها! لعلها الآن مستلقية في سريرها في غرفتها، في بيتها. هل تفكر فيّ الآن، في هذه الدقيقة؟ لعلها نامت! ولعلها تنام في فراشها بسروالها الداخلي وحده! انقلبت على بطني وضغطت وسطي على الفراش، ورحت أغني أغنية «سكرتيرة مؤقتة» وأفكر في كل ما هو في انتظاري.

وصلت كايزا بعد ساعة من تناولنا طعام العشاء. كنت أذرع غرفتي، مقتربًا من النافذة، مبتعدًا عنها، ناظرًا إلى الطريق؛ وكنت مستعدًا إلى أقصى حد. على الرغم من هذا، فوجئت عندما رأيتها صاعدة الطريق على دراجتها. وقفت أنظر إليها عدة ثوانٍ، عاجزًا عن التنفس بطريقة طبيعية. كان

كِنتْ آرنِه وغيّير هاكون وليف توره وأوفيند في الخارج. كانوا واقفين هناك، مستندين إلى مقاود دراجاتهم. غمرتني موجة من الاعتزاز بالنفس عندما التفتوا جميعًا لكي ينظروا إليها. لم ير أحد قبل الآن في تيباكن فتاة على هذا القدر كلّه من الجاذبية. كانت آتية لكي تراني أنا... أنا!

انتعلت حذائي، وارتديت سترتي، وخرجت من البيت.

رأيت أنها قد توقفت عندهم. كانت تتكلّم معهم.

دفعت دراجتي وسرت بها في اتجاههم.

قال غيّير هاكون: «كارل أوفِه، إنها تسألنا عن بيتك».

قلت له: «أوه، نعم».

نظرت إلى كايزا، وقلت لها: «أرى أنكِ استطعتِ معرفة الطريق إلى هنا».

قالت: «نعم. لم يكن ذلك صعبًا. لكني لم أكن أعرف موقع البيت على وجه التحديد. إلا أنني... ».

قلت: «هل نذهب؟».

«هيا بنا».

مكتبة
t.me/t_pdf

امتطيت دراجتي وامتطت دراجتها.

قلت للأولاد الأربعة: «إلى اللقاء»، ثم التفت إليها وقلت: «ما رأيك أن نذهب إلى الأعلى».

قالت: «حسنًا».

كنت أعرف أن عيونهم تتابعنا، وأنهم يحسدونني جميعًا... أكثر من المعتاد. كانوا يقولون في أنفسهم: عجيب، كيف استطاع أن يفعل هذا؟ أين التقاها؟... بحق كل ما هو حي، وبحق كل ما يتحرّك... كيف استطاع ترتيب أموره معها؟

نزلت كايزا عن دراجتها بعد أن اجتزنا جزءًا من الطريق الصاعدة.

فعلْتُ مثلما فعلَتْ. هبت نسمة عبر الغابة فاهتزت أوراق الأشجار من حولنا، ثم سكنت. صوت عجلات الدراجة على الإسفلت. صوت احتكاك فردتي البنطلون. صوت عقبيّ صندلها المصنوعين من الفلين.

انتظرت إلى أن صارت إلى جانبي. قلت: «سترتك جميلة. من أين اشتريتها؟».

أجابت: «شكرًا. اشتريتها من عند بايازو في كريستيانساند».

قلت: «أوه».

بلغنا نقطة تقاطع الطريق مع طريق إنغستين. كان نهداها يترجرجان في سيرها. وكانت عيناي منجذبتين إليهما من غير انقطاع. هل لاحظَتْ هذا؟

قلت: «من الممكن أن نذهب إلى المتجر ونرى إن كان هناك أحد».

قالت: «ممم».

لعلّها بدأت تصير نادمة على خروجها معي!

هل أقبّلها الآن؟ هل سيكون هذا هو التصرّف الصحيح؟

بلغنا قمة التلة. جلست على مقعد دراجتي. انتظرت إلى أن صارت قدمها على الدواسة. ثم انطلقت. هبت علينا نسمة أخرى. قدت الدراجة ممسكًا مقودها بيد واحدة. كنت نصف ملتفت إليها.

قلت: «هل تعرفين لارس؟».

قالت: «لارس. نعم، إنه جارنا. وأنت تعرفه طبعًا. أنتما في فريق واحد».

قلت: «نعم. هل تابعت المباراة كلها يوم أمس؟».

«أجل. أنتم فريق جيّد جدًا».

لم أجبها بشيء. أمسكت المقود بيدي الأخرى، وتابعت النزول من غير أن أضغط على الدواستين إلى أن بلغنا B-Max. كان المتجر مغلقًا. لم أر أحدًا من حوله.

قلت: «الظاهر أن ما من أحد هنا؟ هل نذهب إلى بيتك؟».

قالت: «لا بأس».

قرّرت أن أقبلها عندما تسنح لي الفرصة. وبالتالي، سأمسك بيدها بالتأكيد. لقد حدث شيء بيننا. ألست الآن صديقها؟ أليست الآن صديقتي؟

لقد صارت كايزا صديقتي!

لكن فرصة تقبيلها لم تسنح لي. سرنا في الطريق الترابية حتى بلغنا تيينًا.

لم نجد أحدًا هناك. صعدنا التلال حتى بيتها، وتوقّفنا أمامه. لم نتبادل جملًا كثيرة طيلة الطريق؛ لكن ما قلناه كان كافيًا لمعرفة أن الأمر لم يكن كارثة.

قالت لي: «أبي وأمي في البيت. هذا يعني أنك لا تستطيع الدخول».

هل يعني هذا أنني أستطيع الدخول عندما لا يكونان في البيت؟

قلت: «لا بأس. لقد تأخّر الوقت الآن. وأظن أن عليَّ أن أعود».

قالت لي: «نعم. إن المسافة إلى بيتك كبيرة».

قلت: «هل أراك غدًا؟».

قالت: «لا أستطيع. لدينا نزهة بالزورق».

«ما رأيك في يوم الخميس».

«نعم. هل يمكنك أن تأتي إلى هنا؟».

«أجل، بالطبع».

كانت الدراجتان بيننا طيلة الوقت. ولم أكن قادرًا على الانحناء في اتجاهها لتقبيلها. ثم إنها قد لا تكون راغبة في حدوث ذلك أمام بيتها.

جلست على دراجتي. قلت لها: «سأذهب الآن. إلى اللقاء».

«إلى اللقاء».

انطلقت بأقصى سرعة استطعتها.

لا بأس... كان ممكنًا أن تجري الأمور على نحو أسوأ من هذا! لم أحقّق الكثير. لكن، لم يحدث شيء لا يمكن إصلاحه. كنت مدركًا أن الأمر لا يمكن أن يستمر على هذا النحو... لا يمكن أن نكتفي بالكلام! إذا اكتفينا بالكلام، فسيذبل كل شيء وسيموت. عليّ أن أقبّلها؛ وعلينا أن نفعل ما يفعله كل صديق وصديقته. لكن، كيف أفعل ذلك؟ لقد قبّلت ماريان في ما مضى، لكنني لم أكن شديد التوق إلى تقبيلها، ولم أجد في ذلك مشكلة: لم أفعل إلا أن طوّقتها بذراعيّ، ثم جذبتها إليّ وقبّلتها. وقبل ذلك، كان كل ما فعلته هو أن أمسكت يدها ونحن سائرَين جنبًا إلى جنب. لكنّي لا أستطيع فعل هذا مع كايزا؛ لا أستطيع أن أطوّقها بذراعيّ... هكذا، فجأة، من غير مقدّمات. تخيل لو أنها لا تريد ذلك! تخيل لو أنني لم أستطع فعل ذلك! لكن

ذلك يجب أن يحدث، بل يجب أن يحدث في المرة القادمة. كنت متأكدًا من هذا. يجب أن يحدث في مكان مناسب حيث لا يستطيع أحد رؤيتنا.

من حسن حظّي أن لديها غدًا نزهة بالقارب مع أهلها. سيتيح لي هذا فرصة يومين كاملين للتخطيط.

تذكّرت لحظةَ كنت موشكًا على النوم أن لدينا تدريب كرة القدم يوم الخميس. يعني هذا أن عليَّ أن أتصل بها لكي أخبرها بذلك. لكني أمضيت اليوم التالي كلّه خائفًا من الاتصال. كان جهاز الهاتف في بيتنا في الممر حيث يمكن أن يسمع الجميع كل ما يقال، إلا إذا أغلقت الباب المنزلق! لكن من شأن ذلك أن يثير فضولهم! لذا، كان أفضل الحلول أن أخرج لكي أتصل بها من هاتف عمومي. هناك هاتف عمومي عند موقف الباص قبالة محطة فينا. قدت دراجتي إليه في ساعة متأخرة إلى أقصى حد أستطيعه، أي بعد الثامنة بقليل. إذا لم تكن هناك أية مناسبة خاصّة، فإن عليّ أن أعود إلى البيت في الثامنة والنصف لأن موعد نومي يحين في التاسعة والنصف: قاعدة لا تزال مستمرّة على الرغم من أن الأولاد الذين أعرفهم جميعًا يسهرون أكثر من ذلك.

أوقفت دراجتي خارج الكشك، وبحثت عن رقم بيتهم في دليل الهاتف. كان ما سأقوله لها يجول ويتردّد في رأسي.

توقفت قبل إدخال الرقم الأخير. ثم انتظرت بضع ثوانٍ حتى أستعيد السيطرة على تنفسي، وأكملت الرقم.

أتاني صوت امرأة: «هذا منزل بيدرسون».

قلت مسرعًا: «من فضلك، هل أستطيع أن أتحدّث مع كايزا؟».

«من المتكلم؟».

قلت: «كارل أوفِه».

«لحظة، من فضلك».

حلت لحظة صمت. سمعت صوت خطوات مبتعدة عن الهاتف. ثم سمعت صوت كلام. أتى الباص نازلًا في الطريق، ثم تمهل عند الموقف. ضغطت سماعة الهاتف على أذني.

قالت كايزا: «ألو».

قلت: «ألو، كايزا!»

«نعم».

«أنا كارل أوفِه».

«لقد عرفت صوتك».

«مرحبًا».

«مرحبًا».

«علي الذهاب غدًا إلى كرة القدم. هذا يعني أنني لن أستطيع الذهاب إلى بيتك مثلما اتفقنا».

«إذًا، أراك هناك. ستكونون في ملعب تيينّا، أليس هذا صحيحًا؟».

«أجل»، وأضفت: هل كانت ممتعة؟».

«ما هي؟».

«نزهة القارب. هل كانت ممتعة؟».

«أجل».

لحظة صمت.

قلت: «إذًا، أراك غدًا».

قالت: «نعم. إلى اللقاء».

«إلى اللقاء».

وضعت السماعة ورفعت رأسي، فالتقت عيناي عيني معلم في الأربعينيات من العمر يعمل مع أبي. كان جالسًا في الباص، لكنه أدار وجهه عندما رأيته. فتحت باب الكشك المغبر، وخرجت. كان الهواء دافئًا ويفوح برائحة دخان محرّك الباص الذي لا يزال متوقفًا هناك. رأيت أبًا وأمًا وطفلين جالسين خارج محطة فينا يتناولون الآيس كريم. مررت ببيت يون فرأيته خارجًا من الباب. كانت خوذة ركوب الدراجة في يده. وكان عاري الصدر. في قدميه ما يشبه حذاءً منزليًا.

ناداني: «مرحبًا، يا كارل أوفِه».

صحت: «مرحبًا».

وضع خوذته على رأسه (كانت خوذة سوداء لها حافة سوداء أيضًا)، ثم جلس على الدراجة الآلية، خلف سائقها. أدار السائق محرك الدراجة بضربتين قويتين من قدمه. ثم انطلقت الدراجة هادرة في الطريق الصاعدة من خلفي. لوّح لي يون بذراعه عندما تجاوزاني. كانت جبهتي تنضح عرقًا، فمسحتها بيدي ومررت أصابعي في شعري. كانت يدي متعرقة أيضًا، لكن شعري كان في أحسن حال لأنني غسلته الليلة الماضية لكي يكون نظيفًا من أجل اليوم التالي، ومن أجل موعدي مع كايزا. توقّفت أمام B-Max عند موقف الباص على قمة التلة.

وفجأة، أدركت كيف سأفعل ذلك. كنت في هذا المكان قبل بضعة أسابيع، وكان من حولي عدد كبير من الأشخاص الذين انصبّ اهتمامهم كلّهم على تور. لقد بنى دراجته بنفسه فركّب لها مقعد دراجة آلية وعجلة ضخمة جديدة في المقدمة. كان يتقدّم بالدراجة ويتراجع بها ويبصق على الإسفلت كتلًا كبيرة من اللعاب. كانت هناك أيضًا صديقته ميريثه. الحقيقة أنني كنت أتسكّع مع داغ ماغنِه وصادفنا أولئك الناس فوقفنا معهم. قاد تور دراجته إلى حيث كانت ميريثه وقبلها. ثم أخرج ساعة من جيبه الداخلي. (كانت ساعة ذات سلسلة). ألقى على الساعة نظرة وقال لصديقته: «ما رأيك أن نرى كم نستطيع الاستمرار في التقبيل؟» أومأت ميريثه برأسها، ثم مال كل منهما صوب الآخر وبدأت قبلتهما. كنا نرى لسان كل منهما يتحرك في فم الآخر. كانت عيناها مغمضتين، وذراعاها من حوله، أما هو فقد أبقى يديه في جيبيه وظل فاتحًا عينيه. كان الحاضرون جميعًا ينظرون إليهما. رفع ساعته بعد عشر دقائق، ونصب ظهره. مسح فمه بظهر يده، وقال: «عشر دقائق». نعم... هذا ما ينبغي أن أفعله مع كايزا. سوف أخرج ساعتي وأسألها إن كانت تحب أن نرى كم نستطيع الاستمرار في التقبيل. عندها، لن يكون علينا إلا أن نتبادل قبلة طويلة.

دفعت الأرض بقدمي، وسرت نازلًا حتى هولكت. كان العثور على

مكان مناسب أمرًا مهمًا جدًا. في الغابة؛ لكن أين؟ على مقربة من بيتها؟ لا، لأنني أعرف الغابة هناك. ينبغي أن أجد مكانًا على مقربة من هنا.

ولعل من الأفضل ألا يكون المكان قريبًا من بيت أي منا.

سوف نلتقي عند بيتها.

لكن... هذا واضح!... أوه، نعم... في الغابة، عند الدرب الصاعدة من محطة فينا. تحت الأشجار التي هناك. ذلك مكان ممتاز. لن يرانا هناك أحد. والأرض طرية هناك. ونور الشمس رائع هناك عندما يكون ساقطًا عبر قمم الأشجار.

أردت ألا أكون أول من يصل إلى ملعب كرة القدم صباح اليوم التالي، فسرت على قدمي دافعًا دراجتي على طول الطريق الصاعدة. لكن ذلك لم يفدني شيئًا لأنني وصلت فرأيت الملعب أمامي خاليًا. كانت مرشّات المياه منتشرة فيه، تخرخر وتدور ناثرة مياهها، كل بحسب إيقاعها الخاص. رأيت كريستيان وهانز كريستيان جالسَين على بوابة المدخل ينظران إليّ مضيّقين أعينهما في الشمس.

سألتهما: «هل لديكما كرة؟».

هزا رأسيهما.

سأل كريستيان: «هل صحيح ما سمعته من أنك تخرج مع كايزا؟».

قلت: «صحيح». عضضت على شفتي حتى أمنع نفسي من الابتسام.

قال: «إنها فتاة جميلة».

لم يكن كريستيان قد خرج مع أية فتاة على الإطلاق، فهو ليس من النوع الذي يخرج مع الفتيات! لكنه كان معنا عندما ذهبنا إلى كأس النرويج في الصيف الماضي حيث اشترى ليلة وصولنا مجلة إباحية من الكشك الذي إلى جانب المدرسة، ثم شاء سوء حظه أن يجده أبوه (الذي كان مدربًا لفريق الصغار) مختبئًا داخل كيس النوم ينظر إلى تلك الصور الفاضحة. كان عليه أن يذهب ويرمي المجلة في حاوية القمامة تحت أعين الجميع، ثم يعود ويعتذر من أبيه.

أجبته: «نعم، إنها جميلة».

لم ننتظر طويلًا قبل أن يأتي أوفيند حاملًا الكرات والمفاتيح. جرينا في الملعب، بين المرشّات، متّجهين إلى المرمى البعيد، وبدأنا نسدّد الكرات في حين أغلق أوفيند الماء، ورفع المرشّات من الملعب. وبعد وصول الجميع، جرينا حول الملعب مرتين، ونفّذنا تمرينات الإحماء وتمطيط العضلات، ثم لعبنا سبعة ضد سبعة مستخدمين نصف الملعب فقط. لم تصل كايزا إلا قبيل نهاية اللعبة. كانت بصحبة الفتيات الثلاث اللواتي أتين معها في المرة السابقة. لوحت لي بيدها، فلوّحت لها.

صاح أوفيند: «كارل أوفِه، ركّز يا كارل أوفِه. التمرين أولًا، ثم الفتيات».

انتهت اللعبة، فغمرت رأسي في دلو الماء عند حافة الملعب وحاولت أن يكون تصرّفي طبيعيًا. لكن ذلك لم يكن سهلًا: كانت معرفة أنها في انتظاري هناك، وأنها تنظر إلي -لا تنظر وحدها، فرفيقاتها معها أيضًا- أشبه بجمرة ملتهبة في وعيي.

ثم أتت إليّ. قالت لي: «هل ستذهب لتبديل ملابسك؟».

أومأت برأسي.

«سآتي معك. إن لدي ما أقوله لك بعد ذلك».

لديها ما تقوله لي؟ هل ستقول لي إن الأمر قد انتهى.

بدأت السير. مدّت يدها فمسّت يدي. هل كانت مصادفة؟... أم أنني... أم أنها تريد أن أمسك يدها؟

نظرت إليها. ابتسمت لي. أمسكت يدها بحركة سريعة.

سمعت أحدًا يهمس من خلفنا. التفتّ. إنهما لارس ويون. كانا ينظران إليّ بعيون ممتلئة دهشة. ابتسمت كايزا وضغطت على يدي بلطف.

لم يكن السير من أول الملعب إلى آخره، في أي وقت مضى، طويلًا مثلما أحسسته في ذلك المساء. كان سيري إلى جانبها ممسكًا يدها أمرًا يكاد يتجاوز قدرتي على الاحتمال. وطيلة الوقت، كنت أحس شيئًا يدفعني إلى سحب يدي حتى أضع حدًا لتلك السعادة التي لا أستطيع احتمالها.

وصلنا فقالت لي: «أسرع الآن».

قلت: «حسنًا».

دخلت، وجلست على المقعد مستندًا إلى الجدار. كان قلبي يخفق ويخفق. ثم استجمعت شتات نفسي وارتديت ملابسي وخرجت. كانت الفتيات واقفات على الطريق تحت الملعب مع دراجاتهن. ذهبت إليهن ووقفت إلى جوار كايزا. بدت لي سعيدة. بيدها الصغيرة، أزاحت خصلة شعر عن وجهها. كانت أظافرها مطلية بلون وردي شبه شفّاف. امتطت صديقاتها دراجاتهنّ كأن تلك الحركة كانت إشارة لهنّ، ثم انطلقن مبتعدات.

قالت لي: «سأكون يوم السبت في البيت، ولن يكون أبي وأمي هناك. قلت لماما إن سولفا ستزورني. سوف تصنع بيتزا وتشتري كوكا كولا من أجلنا. لكن الحقيقة هي أن سولفا لن تزورني. هل تحب المجيء؟».

ابتلعت ريقي وقلت لها: «أجل».

هلّل لنا عدد من الأولاد الذين في الطريق. وقفت كايزا واضعةً يدها على مقود الدراجة في حين ظلّت ذراعها الأخرى مسبلة إلى جانبها.

سألتها: «هل نذهب؟».

قالت: «فلنذهب».

وانطلقنا على درّاجتيْنا. سرنا على الدرب الظليلة المفروشة بالحصى، أنا في المقدمة، وكايزا خلفي مباشرة. خفّفت السرعة في أعلى التلة الطويلة حتى نبدأ النزول جنبًا إلى جنب. أنارت الشمس الحافّة الصخرية التي فوقنا. وكانت الحشرات المحوِّمة في الهواء أسرابًا كأنها نُثار لامع نشره أحدهم في الهواء. عند منتصف نزولنا، كانت هناك درب داخلة في الغابة، إلى جهة اليمين، فخطر لي فجأة أن من الممكن أن تقود تلك الدرب إلى مكان مناسب. صحت قائلًا لكايزا، مع الريح التي كانت تتخلّل شعرنا، إننا سنتخذ تلك الدرب. أومأت برأسها موافقة، فانعطفنا ومضينا نحو عشرة أمتار قبل أن تتباطأ دراجتانا وننزل عنهما. لم تقل شيئًا، ولم أقل شيئًا. سرنا في الدرب المعشبة التي تناثرت فيها قطع من لحاء الأشجار وحطامها. بلغنا القمة. نظرت في الغابة فأدركت

أن المكان غير مناسب. كانت الأرض مغطاة بجذوع أشجار كثيرة، وكانت أشجار الصنوبر من خلفها كثيفة كأنها جدار كتيم.

قلت: «لا. المكان ليس جيدًا. فلنذهب».

ظلّت كايزا صامتة. امتطت دراجتها مثلما امتطيت دراجتي. وانطلقنا نازلين من غير أن نحرّك الدواسات. كانت كايزا واقفة على الدواستين وكانت تستخدم المكابح أكثر مني.

لا... الدرب التي فوق محطة فينا هي المكان المناسب لنا!

أطلقت هذه الفكرة موجة ذعر تخلّلتني. كانت أشبه بتسلّق صخرة شديدة الارتفاع والنظر منها إلى الماء في الأسفل... عندها، لا يكون أمامك إلا أن تهزم خوفك وتقفز، أو أن تنسحب خائبًا.

هل كانت تعرف ما سيحدث بيننا؟

استرقت نظرة إليها. آه... ترجرُج ثدييها! آه، آه، آه.

لكن وجهها كان جادًّا. ما معنى هذا؟

قفزنا عن دراجتينا وسرنا صعودًا حتى الطريق، سرنا في الظلال الكثيفة لقمم الأشجار المتعالية بعيدًا من فوقنا.

لم نكن قد تبادلنا أية كلمة منذ مغادرتنا تيينًا. إن قلت لها الآن شيئًا فلا بد أن يكون ما أقوله شيئًا مهمًا... لا يجوز أن يكون كلامًا خفيفًا فارغًا!

كان بنطلونها قطنيًا ذا لون أخضر لامع قليلًا؛ ومربوطًا على خصرها بحزام يشبه حبلًا. كان البنطلون فضفاضًا عند فخذيها، لكنه أكثر ضيقًا عند مؤخرتها وأسفل بطنها. ومن فوق البنطلون، كانت ترتدي قميصًا قصير الكمين ووشاحًا رقيقًا أبيض فيه مسحة من لون أصفر. قدامها عاريتان في صندلها الصيفي، وأصابع قدميها مطلية باللون نفسه الذي على أظافر يديها. وتضع سلسلة من حول كاحلها.

كان شكلها رائعًا!

عند بلوغنا الطريق الرئيسية، بقيت أمامنا مسافة من السير نزولًا، ثم مسافة من السير صعودًا، حتى نبلغ ما كان موشكًا على الحدوث؛ وكان

أكثر ما أردت فعله هو أن أمتطي دراجتي وأتركها هناك... أن أضغط على الدوّاستين وأنطلق خارجًا من حياتها! لكن، لماذا أتوقّف عند ذلك؟ يمكنني أن أتابع المضي على دراجتي وأخرج من بيتنا... أخرج من تيباكن، ومن ترومويا، ومن آيست-آغبير، ومن النرويج، ومن أوروبا... أترك كل شيء خلفي! سوف يدعونني «الهولندي راكب الدراجة»[1]. وستركبني لعنة المضي على الدراجة في العالم كله وضوءٌ شبحيٌّ من المصباح الذي على مقود دراجتي ينير الطرق الريفية أمامي.

سألتني عندما بدأنا السير نزولًا: «أين نحن ذاهبان؟».

قلت: «أعرف مكانًا جميلًا. لم يعد بعيدًا».

لم تقل شيئًا. عبرنا محطة فينا على دراجتينا فأشرت لها إلى التلة بين الأشجار. ومن جديد، قفزت عن دراجتها لحظة بداية الصعود. على جبهتها طبقة عرق رقيقة لامعة. تجاوزنا البيت القديم الأبيض، والحظيرة القديمة الحمراء. كانت السماء صافية زرقاء. وكانت الشمس معلقة فوق الصخور العالية إلى جهة الغرب قرصًا ملتهبًا صامتًا. منح ضياؤها أوراق الأشجار أمامنا ألقًا كثيفًا. كان الهواء ضاجًّا بغناء الطيور. وكنت موشكًا على التقيؤ. دخلنا الدرب. الضوء متسرّب إلى الأسفل عبر قمم الأشجار، مثلما تخيّلته. كان الضوء منكسرًا مثل انكساره في الماء. أعمدة من ضياء الشمس نازلة حتى الأرض.

توقّفت في ذلك المكان. قلت لها: «نستطيع ترك دراجتينا هنا».

تركنا الدرّاجتين. أنزل كل منا مسند الدراجة المعدني لكي تظل واقفة. بدأت السير. سارت خلفي. بحثت عن مكان صالح للاستلقاء. عشب أو طحالب. كان وقع أقدامنا عاليًا علوًّا غير طبيعي. لم أجرؤ على النظر إليها، لكنها كانت خلفي تمامًا. هناك. أرى بقعة مناسبة هناك.

---

(1) تشبيهًا بـ«الهولندي الطائر»: سفينة شبحية أسطورية محكوم عليها بالإبحار في المحيطات على غير هدى من غير أن ترسو أبدًا.

قلت: «نستطيع الاستلقاء هنا»، ثم جلست من غير أن أنظر إليها. جلست إلى جانبي بعد شيء من التردّد. وضعت يدي في جيبي وبحثت عن ساعتي. أخرجتها ومددت يدي مبسوطة أمامها، والساعة أمامها.

قلت لها: «ما رأيك في أن نقيس أقصى زمن لاستمرار قبلتنا؟».

قالت: «ماذا؟».

قلت: «إن لديَّ ساعة. استطاع تور أن يجعل القبلة تستمر عشر دقائق. نستطيع تسجيل زمن أطول».

وضعت الساعة على الأرض. نظرت إليها فكانت الساعة الثامنة إلا ثماني عشرة دقيقة. وضعت يدي على كتفيها، وبدأت أميلها برفق إلى الخلف بعد أن وضعت شفتيّ على شفتيها. أدخلت لساني إلى فمها عندما صرنا مستلقيين على الأرض، فلاقى لسانها. كان مدببًا وطريًا مثل حيوان صغير. بدأت أحرك لساني وأجعله يدور في الداخل. ظلت يداي إلى جانبي جسدي. لم أكن على تماس معها بأي شيء غير شفتي ولساني. كان جسدانا مستلقيين مثل زورقين صغيرين مستقرّين على الأرض تحت الأشجار. ركزت على جعل لساني يواصل الدوران بأقصى حد ممكن من النعومة والانسياب، في حين كان تفكيري في ثدييها القريبين مني كثيرًا، وفي فخذيها القريبين مني كثيرًا، وفي ما بين فخذيها، في ما تحت بنطلونها، في ما تحت سروالها الداخلي، يلسع وعيي لسعًا عنيفًا. لكني لم أجرؤ على مد يدي إليها. كانت مستلقية، مغمضة العينين، تدور بلسانها من حول لساني. وكانت عيناي مفتوحتين. تلمّست الأرض بحثًا عن الساعة. عثرت عليها وقرّبتها لكي أراها. ثلاث دقائق حتى الآن. سال شيء من اللعاب من زاوية فمها. تململت. ضغطت بصلبي على الأرض وتركت لساني يدور ويدور، يدور ويدور. لم يكن هذا حسنًا بقدر ما توقّعت؛ والحقيقة أنه كان مضنيًا تمامًا. تكسرت بضع ورقات شجر جافة تحت رأسها عندما حرّكته. صار فمي وفمها ممتلئين لعابًا كثيفًا. سبع دقائق حتى الآن. بقيت أربع دقائق. أصدرتْ صوتًا، مممم... لكنه لم يكن صوت مسرّة أو متعة... هناك شيء

ليس على ما يرام... تململت، لكني لم أتركها. حرّكت رأسها، لكني واصلت تدوير لساني. فتحت عينيها، لكنها لم تنظر إلي، بل حدقت في السماء التي فوقنا. تسع دقائق. آلمتني جذور لساني. ازداد انسياب اللعاب من زاويتي فمي ومن زاويتي فمها. ومن حين لآخر، كان جسر تقويم الأسنان في فمي يصطدم بأسنانها. الحقيقة أننا لم نكن في حاجة إلى الاستمرار أكثر من عشر دقائق وثانية واحدة حتى نحطم الرقم القياسي الذي سجّله تور. الآن، صار هذا محقّقًا. لقد هزمناه الآن. لكننا قادران على هزيمته والتفوق عليه بفارق كبير. خمس عشرة دقيقة... ينبغي أن يكون هذا أمرًا ممكنًا. إذًا، بقيت خمس دقائق. لكن الألم في لساني صار أكثر شدة، وبدأت أحس بأنه قد تورم... وذلك اللعاب الذي لا تنتبه إليه كثيرًا عندما يكون حارًّا، لكنه يخلق لديك إحساسًا بسيطًا بالتقزز عندما يسيل على ذقنك ولا يعود حارًّا كما كان! اثنتا عشرة دقيقة، أليس هذا كافيًا؟ ألا أتوقّف الآن؟ لا!... أكثر قليلًا... أكثر قليلًا... أكثر قليلًا!

أبعدت رأسي عندما بلغت الساعة الثامنة إلا ثلاث دقائق، بالضبط. نهضت ومسحت فمها بيدها من غير أن تنظر إليّ.

نهضت واقفًا وقلت لها: «لقد حققنا خمس عشرة دقيقة! لقد تفوّقنا عليه بخمس دقائق».

كان الضوء لامعًا على دراجتينا الواقفتين عند نهاية الدرب. سرنا في اتجاههما. بدأت تنفض أوراق الأشجار والعساليج الصغيرة العالقة ببنطلونها.

قلت لها: «انتظري، هناك شيء على ظهرك أيضًا».

توقّفتْ فأزلت ما كان عالقًا بوشاحها من الخلف.

قالت عندما وصلنا إلى الدراجتين: «من الأفضل أن أعود إلى البيت الآن».

قلت: «وأنا أيضًا. هناك درب مختصرة عبر الغابة». أشرت بيدي إلى الأعلى.

قالت: «إلى اللقاء». ثم امتطت دراجتها وانطلقت نازلة في الدرب الوعرة.

قلت: «إلى اللقاء»، ووضعت يديَّ على مقود دراجتي، ثم سرت صعودًا.

استلقيت في تلك الليلة متخيّلًا ثدييها، كبيرين، أبيضين كالحليب؛ وتخيلت كل ما كان يمكن أن نفعله في الغابة... إلى أن غرقت في النوم. كان عليَّ أن أتّصل بها لأننا لم نتفق على موعد ذهابي إليها يوم السبت؛ لكنّي أرجأت ذلك إلى اليوم التالي، أي إلى يوم السبت، ثم أرجأته شطرًا من يوم السبت إلى أن صارت الساعة الثانية بعد الظهر وما عاد هناك أي مجال للتأجيل، فقفزت على دراجتي، وقدتها نزولًا إلى الهاتف الذي في الشارع. كانت لدي أيضًا مشكلة أخرى لأن عليَّ أن أكون في البيت عند الساعة الثامنة والنصف ليلًا، وهذا ما كان غير متّفق أبدًا مع نمط الحياة التي أعيشها الآن. لا أستطيع ترك بيتها في الثامنة قائلًا إن موعد نومي قد حان... فكيف ستكون نظرتها إليَّ عند ذلك؟ حاولت التلميح لأمي بأن لدي شيئًا مهمًا في ذلك المساء؛ أفلا أستطيع العودة إلى البيت في التاسعة والنصف، أو حتى في العاشرة. أرادت أمي معرفة ذلك الأمر المهم فأجبتها بأنني غير قادر على إخبارها. قالت: إن كنت غير قادر على إخباري، فلن أمنحك الإذن! ينبغي أن نعرف مكان وجودك وما تفعله هناك! عندها، قد نوافق على السماح لك بالتأخّر. أنت تفهم هذا؛ ألا تفهمه؟ بالطبع، فهمت ما قالته لي أمي، وكنت مستعدًا لأن أذعن لها وأخبرها بأمر كايزا. لكن لا بد لي من الاتصال بها قبل ذلك!

كانت السماء مدلهمّة بالغيوم. وبدت تلك الغيوم ذات اللون الرمادي الجاف كأنها تمتص الألوان من كل شيء في الطبيعة. صار الطريق رماديًا، والحجارة في الخندق الذي إلى جانبه رمادية، بل حتى خضرة أوراق الأشجار صارت فيها نفحة من لون رمادي. اختفت أيضًا حرارة الأيام السابقة. لم يكن الطقس باردًا، ولعل درجة الحرارة كانت ست عشرة أو سبع عشرة درجة؛ لكن ذلك كان كافيًا لأن يجعلني أزرر سترتي حتى

الرقبة أثناء انطلاقي على الدراجة. انتفخت سترتي بالهواء كأنها بالون. رأيت باصين متوقّفين عند موقف الباصات الذي هو محطة باصات صغيرة في حقيقة الأمر لأن السائقين كثيرًا ما يوقفون باصاتهم هناك في آخر الليل. كان الباصان متوقفين، محرّكاهما يعملان، مستعدين لأن ينطلق كل منهما في سبيله، واحد إلى الناحية الأخرى من الجزيرة، والآخر إلى آرندال. كان السائقان متوقّفين على نحو يسمح لهما بتبادل الحديث عبر نافذتيهما المفتوحتين. أوقفت دراجتي خلف المظلّة الخضراء المصنوعة من الفايبركلاس. كانت على شكل قبعة. جدول جارٍ على مقربة منها، ومن حوله أغصان وأجمات، وقمامة متناثرة أكثرها مكوّن من أغلفة الحلويات والسكاكر. لعلّها من محطة فينا. رأيت بينها أغلفة كراميلو، وهوبي، وهيرو، وبرافو، وغلاف بوبا بوبا أزرق اللون؛ لكنّي رأيت بينها أيضًا بضع زجاجات لامعة من غير لصاقات، وعددًا من الصحف، فضلًا عن صندوق من الكرتون فيه أشياء مرمية متنوعة. أخرجت قطع النقود من جيبي، ومضيت إلى الكشك، ووضعت النقود فوق الهاتف. صرت مستعدًّا. طلبت رقمها الذي وجدته في دليل الهاتف الموضوع في الكشك، ودارت في رأسي نكات كثيرة. ما سبب وجود أرقام هواتف كثيرة لأشخاص من عائلة هانسن. لأن لديهم كلّهم هواتف! وأيضًا: لماذا ليس عند الصينيين دليل هاتف؟ لأن لديهم أسماء كثيرة جدًا من قبيل وينغ وونغ، ومن الممكن أن تطلب رقمًا خاطئًا[1]. يا موظفة الهاتف، يا موظفة الهاتف، اطلبي لي سيارة إسعاف. حسنًا، أنت سيارة الإسعاف! إصبعي على مفتاح طلب الرقم الذي كتبته، والسماعة في يدي، ووقفت زمنًا طويلًا محدّقًا عبر الزجاج المتّسخ من غير أن أرى شيئًا مما كنت أنظر إليه. إلى أن استجمعت شجاعتي ووضعت السماعة على أذني وطلبت الرقم.

(1) من الممكن أن تطلب رقمًا خاطئًا (you might <u>w</u>ing a <u>w</u>ong number). النكتة هنا مبنية على التلاعب بالألفاظ، لأن شخصًا يلثغ بحرف r يمكن أن يلفظه w.

أتاني صوت: «آلو».
إنه صوت كايزا.
قلت لها: «مرحبًا. أنا كارل أوفِه، هل أنت كايزا؟».
«أجل».
«نسينا أن نحدّد موعد وصولي إلى بيتك. هل تفضّلين توقيتًا بعينه؟ لا توجد مشكلة بالنسبة إليَّ».
قالت كايزا: «أممم. حسنًا، في الحقيقة... لقد ألغي الأمر».
قلت: «ألغي! ألم تستطيعي ترتيب ذلك؟ ألن يكون أبوك وأمك خارج البيت؟».
بدأت تقول: «ما أريد قوله هو... ممم... ممم... لا أستطيع. حسنًا... لم أعد أستطيع الخروج معك...».
ماذا؟ هل تضع كايزا نهاية لما هو بيننا؟
لكن... لم يمض على بدء خروجنا معًا إلا خمسة أيام!
طال صمتي، فقالت كايزا: «آلو».
أجبتها: «هل يعني هذا أن الأمر انتهى؟».
قالت: «صحيح. لقد انتهى».
لم أقل شيئًا. كان صوت تنفسها مسموعًا. وكانت الدموع تجري على وجنتيّ. انقضى زمن طويل. قالت فجأة: «إذًا، مع السلامة».
أجبتها: «مع السلامة».
وضعت السماعة وخرجت إلى موقف الباص. أعمت الدموع بصري. مسحت دموعي بظهر يدي، ونشقت أنفي، وركبت دراجتي وانطلقت متجهًا إلى البيت. كانت الطريق أمامي غائمة تمامًا. لماذا فعلت كايزا هذا؟ لماذا؟ لماذا فعلت ذلك الآن بعد أن بدأت الأمور تسير سيرًا حسنًا؟ لماذا... في هذا اليوم الذي كنا سنمضيه وحدنا في بيتها؟ كنت أعجبها قبل بضعة أيام، فلماذا لم أعد الآن أعجبها؟ هل السبب هو أنني لم أكن كثير الكلام؟ وهي... آآه ما أجملها!... جميلة جمالًا يصعب تصديقه!

يا للبؤس! يا للبؤس ويا للجحيم! يا للبؤس ويا للجحيم ويا للعنة!

وصلت إلى متجر B-Max فمسحت دموعي بكم سترتي. كان ذلك يوم السبت، قبيل موعد الإغلاق؛ وكان موقف السيارات ممتلئًا إلى آخره؛ وكان هناك أشخاص كثيرون مع أكياس التسوّق والأطفال... أطفال كثيرون! إذا انتبهوا إلى دموعي، فهل سيظنون أنها بسبب الريح؟ إنني قادم على دراجة.

تسلّقت الهضبة الصغيرة قبل وصولي إلى الأرض المسطحة. بدأت تنشأ في داخلي مناطق محايدة فارغة تمامًا... تمر عشر ثوانٍ لا أفكر خلالها في أي شيء، ولا أدرك حتى إنني موجود... ثم تأتيني صورة كايزا على غير انتظار... لقد انتهى الأمر... فأغص بالبكاء من جديد ولا أستطيع التوقّف. أقفلت دراجتي ووضعتها في مكانها إلى جانب البيت. وقفت ساكنًا ورحت أصغي لكي أعرف أماكن وجود الآخرين، فالوقت الآن ليس مناسبًا لأن أصادف في طريقي أيًا منهم. وعندما بدا لي أن السبيل قد بات آمنًا، صعدت إلى الطابق العلوي، ودخلت الحمام فغسلت وجهي بعناية قبل أن أذهب إلى غرفتي وأجلس على سريري.

نهضت بعد قليل وذهبت إلى غرفة إنغفِه. كان جالسًا يعزف الغيتار. رفع رأسه ونظر إليّ عندما دخلت الغرفة.

سألني: «ما الأمر؟ هل كنت تبكي؟ هل الأمر متعلّق بكايزا؟ هل أنهت العلاقة بينكما؟».

أومأت برأسي وبدأت أبكي من جديد.

قال لي من جديد: «مهلًا، مهلًا، يا كارل أوفِه. ستنسى الأمر سريعًا. هناك فتيات كثيرات في انتظارك. العالم مليء بالفتيات! انسَ أمرها. هذا ليس مهمًا».

قلت: «بل هو مهم. لم نبدأ الخروج معًا إلا منذ خمسة أيام. ثم إنها جميلة جدًا. إنها الوحيدة التي أريد أن أكون معها. لا أريد غيرها. وقد حدث الأمر في هذا اليوم دونًا عن بقية الأيام... في هذا اليوم الذي كنّا سنمضيه وحدنا في بيتها».

نهض عن سريره وقال: «انتظر. سأسمعك أغنية. قد تساعدك».

جلست على الكرسي وقلت: «أية أغنية هذه».

قال وهو يبحث في مجموعة التسجيلات المصفوفة على الرف: «لحظة. هذه هي». قال هذا وهو يتناول أسطوانة لآرل فارسته... «لا رجوع».

«أوه... أهذه هي».

قال إنغفِه: «انتبه إلى الكلمات».

أخرج الأسطوانة من غلافها ووضعها على الجهاز. رفع الذراع ووضعها على حافة الأسطوانة التي كانت قد بدأت تدور. وبعد ثوانٍ من الخشخشة، انبثق صوت الدرامز النشط، ثم أتى الغيتار والباس وأورغن فارسيستا، وبقية الآلات، ثم سلسلة من نغمات الغيتار الرنانة المثيرة إلى حد عجيب. انطلق صوت المغني بلهجة منطقة ستافانغر:

لست كاذبًا إن قلت إنني عرفت
أن ما بيني وبينك قد انتهى
رأيتك تحاولين إخفاء الأمر
إلى أن تمزّقت تلك القشرة الحسّاسة الرقيقة.
خطط كبيرة وآمال تقاسمناها.
تبدّدت كلّها في لحظة واحدة.
منحتِني عناقًا، فأردت منحك أكثر.
لكني أعرف ما كنت تريدين.

قال إنغفِه: «انتبه الآن!».

كل شيء زائل، ولا بد لكل شيء من نهاية.
تذهب لكي تنام، ثم تستيقظ على يوم جديد.
لا عودة الآن، ولا شيء يستحقّ الشكر.
لا شيء يُقال. ذلك هو المعطف؛ وذلك هو الباب.

قلت: «صحيح».

كنا موشكين على السقوط في الاعتياد.

سمعت نفسي أقول هذا، فحزنت.
كانت بيننا أشياء كثيرة، وكنا عاطفيين.
لكن الكلمات ظلت ناقصة.
كسرت قلبي، فكانت ضربة كبيرة.
كانت ضربة لم أصل بعد إلى التعافي من أثرها.
لماذا نواصل ضرب رأسينا بذلك الجدار نفسه؟
... عندما يعرف كل منا في أعماق قلبه أننا نكره هذا!
كل شيء زائل، ولا بد لكل شيء من نهاية.
تذهب لكي تنام، ثم تستيقظ على يوم جديد.
لا عودة الآن، ولا شيء يستحقّ الشكر.
لا شيء يقال. ذك هو المعطف؛ وذلك هو الباب.

انتهت الأغنية، وعاد ذراع الإبرة إلى مكانه فوق حامله الصغير. قال إنغفِه: «كل شيء زائل، ولا بد لكل شيء من نهاية. تذهب لكي تنام، ثم تستيقظ على يوم جديد».

قلت له: «أفهم ما تقوله لي».

«هل أراحك هذا؟».

«أجل، أراحني قليلًا. هل يمكن أن أسمعها مرة أخرى».

شاء حظي الحسن ألا يلاحظ أبي وأمي عندما جلسنا لتناول طعام العشاء أنني كنت أبكي. وبعد العشاء خرجت لأن اضطرابي الشديد جعلني غير قادر على البقاء. لم أجد أحدًا في الطريق لأن الأطفال الذين أعرفهم جيدًا كانوا في العطلة. سرت بخطوات بطيئة نازلًا إلى مرسى الزوارق. رأيت أشخاصًا كثيرين مجتمعين عند زورق يورن الذي كان جديدًا تمامًا. اشترى كثيرون زوارق جديدة في ذلك الربيع: غيّير هاكون وكِنثْ آرنِه صار لكل منهما زورق جديد، زورق GH 10 للأول، وزورق درومو ديل للثاني. كان طول كل منهما عشر أقدام، ولكل منهما محرك خارجي ياماها استطاعته 5 أحصنة.

سرت إليهم.
قال يورن عندما توقّفت هناك: «ها هو جيسي!».
تلك الكلمة من جديد.
ضحكوا فاستنتجت أنه لم يقلها بنية حسنة.
قلت لهم: «مرحبًا».
شغّل يورن المحرك بعد أن جذب حبل التشغيل عدة مرات.
قال لي: «اقترب، يا كارل أوفِه».
قلت: «لا. لا أريد الاقتراب».
قال: «أريد أن أريك شيئًا...». ثم التفت إلى أخيه... «تراجع بالزورق عندما أقول لك ذلك».
أومأ أخوه الأصغر برأسه. تقدّم يون إلى حافة الزورق وقال: «اقترب».
تقدّمت بضع خطوات متردّدة، وعندما صرت على حافة المرسى، رمى يورن نفسه وأمسك بساقيّ من الأسفل. صاح بأخيه: «تراجع».
تراجع الزورق، فجثوت. ثم طارت قدماي من تحتي وسقطْت وجُررت من فوق الحافة لأن يورن لم يفلتني بينما كان الزورق مستمرًا في الابتعاد. أمسكت بالحافة. تشبّثت أصابعي بها. زاد شقيق يورن قوّة المحرك. فصرت معلقًا هناك، ساقاي على المركب، وجسدي فوق الماء، ويداي على حافة المرسى. صحت بهما أن يتوقّفا. بدأت أبكي. ابتسم الواقفون هناك. كانوا ينظرون بهدوء إلى ما يحدث.
صاح يورن: «يكفي هذا».
أظن أن الحادثة كلّها لم تستغرق أكثر من دقيقة واحدة. قرّب شقيق يورن الزورق من المرسى، فترك يورن ساقيّ. صعدت إلى المرسى وسرت مبتعدًا بأسرع ما استطعت. كنت أبكي. لم تتوقّف دموعي إلى أن تسلّقت الصخور المسطحة حيث جلست في الهواء الحار الساكن سكونًا تامًا، محتميًا بالصخور، التي جعلتها الشمس حارة، وبالعشب الجاف وبالأزهار البرية.
فكّرت كثيرًا في الاتصال بكايزا لكي أسألها عن سبب إنهاء علاقتها

بي... حتى أتعلم من أجل المرة القادمة. لكن الأمر كان شديد التعقيد. صرت الآن قادرًا على سماع ذلك كلّه، على سماع تردّدها، وعلى سماع كيف كنت أتلمّس الكلمات تلمّسًا... ولماذا أسألها؟ انتهى الأمر؛ وما عادت راغبة في أن تكون معي. بهذه البساطة.

نهضت وذهبت إلى البيت. لا أزال ضعيفًا؛ ولا تزال ركبتاي خائرتين. غسلت وجهي بالماء البارد في الحمام؛ غسلته متمهلًا، ثم أسدلت الستائر في غرفتي. لم أكن أريد لأي شيء مما في الخارج أن يتسرّب إليها. وضعت أغنية لفرقة موتورهيد، «*إيس أوف سبيدز*»؛ لكني وجدتها غير مناسبة فأوقفتها ووضعت بدلًا منها أغنية جديدة لبول ماكارتني، وبدأت أقرأ في كتاب لديزموند باغلي اشتريته من مالي الخاص اسمه «*رسائل فيفيرو*». قرأت هذا الكتاب من قبل، لكنه كان قصة عن الأهرامات التي في أميركا الجنوبية، وعن كهوف عظيمة تحت الماء، يغوص أبطال القصة إليها باحثين عن أكوام من الذهب يحاول غيرهم العثور عليها قبلهم...

عندما جلست لتناول العشاء، نظرت إليّ أمي وابتسمت. قالت لي: «لعل وقت بدء استخدامك مزيل الرائحة قد حان، يا كارل أوفِه. أستطيع أن أشتريه لك غدًا».

أجبتها بغباء: «مزيل رائحة؟».

«نعم... ألا تظن هذا؟ سوف تذهب إلى مدرسة جديدة في وقت قريب جدًا».

قال إنغفِه: «الحقيقة أن رائحتك كريهة. ألا تعرف أن ما من فتاة تحب هذا؟».

أهذا هو السبب؟

سألت إنغفِه عن الأمر بعد ذلك، فابتسم وقال إنه يشك في أن الأمر بسيط على هذا النحو.

وفي صباح اليوم التالي، جاء أبي إلى غرفتي وقال لي إنني لا أستطيع قضاء الصيف كله في القراءة جالسًا على سريري. قال إن علي أن أخرج من البيت. سألني: لماذا لا تذهب وتسبح؟

أغلقت كتابي من غير أن أقول أية كلمة. وخرجت من الغرفة مارًا به، لكني لم أنظر إليه.

جلست بضع دقائق على الحاجز الإسمنتي، ورحت أرمي بالحجارة الصغيرة عبر الطريق. لكني لا أستطيع البقاء جالسًا هناك لأن كل من يراني سيعرف أن ما من شيء أفعله، وأن ما من أحد أستطيع أن أكون معه. نهضت وسرت نازلًا إلى شجرة الكرز الكبيرة عند حافة الغابة إلى جوار الطريق حيث يبدأ حقل كريستين. ذهبت لأرى إن كان الكرز عليها قد نضج وصار صالحًا للأكل. كانت ملكية هذه الشجرة أمرًا غير واضح. قال البعض إنها شجرة كرز برية، وقال البعض إنها لكريستين. لكننا واظبنا على تجريدها من ثمارها كل صيف بعد أن كبرنا إلى حد نستطيع معه تسلقها. لم يعترض أحد، حتى الآن! كنت أعرف أغصانها واحدًا فواحدًا، فتسلّقت حتى كدت أبلغ قمة الشجرة، وزحفت على أحد الأغصان إلى أن بدأ ينثني من تحتي. لم يكن الكرز ناضجًا تمامًا بعد. قشرته قاسية، ولونه أخضر من الداخل. لكني جرّبت ثمرة كرز أخرى فبدا أن فيها شيئًا من الحلاوة. كان ذلك كافيًا لأن أتابع التهام الثمار وأغرس أسناني في جلودها، ثم أمضغها وأبتلعها ثم أبصق نواها إلى أبعد مسافة أستطيعها.

كنت جالسًا فوق الشجرة عندما رأيت يورن آتيًا على دراجته في اتجاهي. كان يقود الدراجة بيد واحدة ويمسك بيده الأخرى صفيحة وقود. تمهّل عندما رآني، ثم توقّف.

صاح بي: «يا كارل أوفِه».

نزلت عن الشجرة بأقصى سرعة استطعتها. لم يستغرق النزول زمنًا أكثر من الزمن الذي احتاجه يورن لكي ينزل عن دراجته ويقترب من الشجرة. كانت عدة أمتار تفصل بيننا عندما صرت على الأرض.

التقت عيوننا، ثم هربت صاعدًا في اتجاه الغابة.

قال لي: «أردت فقط أن أقول لك إنني آسف. آسف لما حدث يوم أمس. لقد سمعتك تبكي».

لم ألتفت إليه.

قال: «أقصد ذلك. تعال لكي نتصافح ونتصالح».

قلت في نفسي، ها ها، وتابعت الصعود بين الأجمات والشجيرات القصيرة إلى أن بلغت قمة التلة، حيث توقّفت ونظرت إليه وهو يعود إلى دراجته ويتابع سيره البطيء نزولًا في اتجاه مرسى الزوارق. عدت بعد ذلك. لكن الكرز القاسي المرّ فقد سحره. انصرفت عن الشجرة ورحت أتسكّع هنا وهناك آملًا في رؤية أحد على الطريق بعد حين. يخرج الناس أحيانًا إذا رأوك من النافذة. هذا ما جعلني أتابع السير صعودًا والنظر إلى حدائق البيوت على الجانبين. لم أر أحدًا في أي مكان. كان الناس على زوارقهم؛ والبعض قد ذهب للسباحة عند الشواطئ التي في الجهة البعيدة من الجزيرة... ولعل بعضهم كان في عمله. رأيت زوج توفِه كارلسن مستلقيًا على كرسي التشمس في وسط المرج المصفرّ أمام البيت، وقد وضع جهاز راديو إلى جانبه. السيدة جاكوبسن، والدة غيّير، وتروند وويتشه، كانوا جالسين جميعًا تحت مظلّة على الشرفة. كانت على رأس السيدة جاكوبسن قبعة بيضاء تشبه دلوًا. ملابس بيضاء خفيفة تكسو جسدها كله. كان ابنها الصغير الذي عمره عامان فقط جالسًا على الأرض إلى جوارها. لمحته بين قضبان قفص اللعب. ناداني شخص من خلفي. استدرت. إنه غيّير. اندفع في اتجاهي ضامًّا كفيه معًا.

توقّف أمامي فسألته: «أين فيموند؟».

قال غيّير: «ذهب في عطلة. لقد سافروا اليوم. هل نذهب معًا بالزورق؟».

قلت: «لا بأس. إلى أين تريد الذهاب؟».

رفع غيّير كتفيه وقال: «نذهب إلى غيّير ستادزهولمن. أو نذهب إلى واحدة من تلك الجزر الصغيرة التي بعدها، فما رأيك؟».

«لا بأس».

لم يكن زورق غيّير أكثر من زورق صغير ذي مجذافين. وهذا ما جعل مجال نشاطاته أكثر محدودية بالمقارنة مع بقية أصحاب الزوارق. على

الرغم من هذا، كان زورقه يأخذنا إلى الجزر الصغيرة كلّها، بل كنا نجذّف أحيانًا كيلومترات كثيرة على امتداد ساحل الجزيرة. لم يكن مسموحًا له أن يخرج إلى لسان ترومويا البحري.

جلسنا في الزورق، ثم مددت يديّ ودفعته لكي يبتعد عن حافة المرسى. ثبت غيّير المجذافين في مكانهما، وراح يجذف بكل قوة مستخدمًا يديه وقدميه معًا. كان يغمر المجذافين في الماء كثيرًا وقد تقلّص وجهه كلّه لشدّة الجهد.

كان يقول كلما جذب المجذافين: «أووف، أووف، أووف».

مضينا منزلقين على صفحة ماء البحر الزرقاء التي ما كانت فيها إلا موجات عارضة صغيرة تثيرها ريح آتية من ناحية البر. وأما الأمواج البعيدة في لسان ترومويا البحري، فكانت قممها بيضاء مزبدة.

التفت غيّير وحدد موقع الجزيرة الصغيرة، ثم صحح اتجاهه مستخدمًا مجذافًا واحدًا قبل أن يستأنف تجذيفه اللاهث. تركت يدي مدلاة في الماء، وتعلقت عيناي بالأثر الواهي الذي رسمه زورقنا على سطحه.

وقفت عند اقترابنا من الجزيرة، ثم قفزت إلى شاطئها وسحبت الزورق إلى جون صغير جدًا. لم أكن أعرف كيف أربط عقدة من أي نوع، فكان غيّير هو من ربط الزورق إلى واحد من القضبان المعدنية التي كان يبدو لي أنها مزروعة على كل شاطئ صغير من شواطئ ذلك الأرخبيل كله.

سألني: «ما رأيك في أن نسبح قليلًا؟».

قلت: «يعجبني هذا».

على شاطئ الجزيرة المواجه للسان ترومويا البحري، كانت هناك صخرة ناهضة من البحر يبلغ ارتفاع قمتها قرابة مترين. قفزنا عن تلك الصخرة وغطسنا في الماء. كان الطقس باردًا بسبب الريح، لكن الماء أكثر دفئًا على السطح. وهكذا بقينا مستمتعين بدفء الماء قرابة ساعة قبل أن نخرج إلى الجرف الصخري حتى يجف جسدانا.

وعندما ارتدينا ملابسنا، أخرج غيّير من جيبه قداحة وأراني إياها.

سألته: «من أين حصلت عليها؟».

قال: «وجدتها في كوخ عند البحر».

«هل نشعل النار في شيء ما؟».

«أجل... في الحقيقة، هذه هي الفكرة».

كان العشب ناميًا في كل شق من شقوق الصخور في كل ناحية من تلك الجزيرة. وكان في وسط الجزيرة سهل صغير معشّب.

جثا غيّير وحمى شعلة القداحة بكف يده، ثم أشعل النار في حزمة صغيرة من العشب الجاف النامي عند قدميه. اشتعل العشب على الفور وانبثق لهبٌ صافٍ شفافٍ.

قلت له: «هل أستطيع أن أشعل نارًا بها؟».

نهض غيّير واقفًا، وأزاح خصلة شعر عن وجهه، ثم ناولني القداحة. قلت: «انظر! انظر إلى هذا! النار تنتشر».

ضحك غيّير وداس على النار. وما إن انطفأت النار حيث داس عليها حتى اشتعلت من جديد وعادت إلى الانتشار.

قال لي: «هل رأيت هذا؟ لقد اشتعلت من تلقاء نفسها».

داس النار من جديد فأطفأها. ذهبت إلى وسط الجزيرة وأشعلت النار هناك. هبت ريح قوية في تلك اللحظة. وانتشرت النار على مساحة كبيرة.

قلت: «ساعدني. صارت النار كبيرة وعلينا أن نطفئها».

بدأنا نقفز وندوس النار بكل ما استطعنا من سرعة فبدأت تنطفئ.

قال غيّير: «أعطني القداحة».

ناولته إياها.

قال: «فلنشعل النار في العشب دفعة واحدة في أماكن متعدّدة».

قلت: «حسنًا».

أشعل النار حيث كان واقفًا، ثم ناولني القداحة، فأشعلت النار هناك ثم جريت إليه من جديد وأعطيته القداحة فأشعل نارًا أخرى.

قال: «هل تسمع صوت طقطقة النار؟».

كانت النار تطقطق في كل مكان حقًّا. كانت تزفر وتفرقع كأنها تقضم

مسارها قضمًا. رسمت النار خطًا متعرجًا كأنه أفعى في الموضع الذي أشعلته.

أتت من البحر هبّة ريح جديدة.

قال غيّير: «أوه، يا إلهي!». كانت النار قد علت والتهمت قدرًا غير قليل من العشب الذي في الوسط.

بدأ يدوس النار متعجّلًا؛ لكن ذلك بدا الآن أمرًا غير مفيد على الإطلاق.

قال: «ساعدني في إطفائها».

سمعت نبرة ذعر في صوته.

بدأت أدوس النار مثله. هبت نسمة ريح جديدة. لقد ارتفع اللهب إلى الركبة في بعض الأماكن.

صحت: «أوه، لا! صارت النار قوية هناك أيضًا».

«اخلع كنزتك. سوف نطفئ النار بكنزتينا. رأيت هذا في أحد الأفلام».

خلعنا الكنزتين وبدأنا نضرب الأرض بهما. استمر هبوب الريح؛ وظلّت النار تزداد اضطرامًا. كانت تنتشر أكثر فأكثر مع كل هبة ريح.

صار العشب كلّه مشتعلًا.

كنا نقفز وندوس العشب المشتعل ونضربه كأننا شخصان مجنونان؛ لكن ذلك ظلّ من غير طائل.

صاح غيّير: «لا فائدة من هذا. لن نستطيع إطفاء النار».

قلت: «لن نستطيع إطفاءها. إن الوضع يزداد سوءًا في كل لحظة».

«فماذا نفعل؟».

«لست أدري. هل تظن أننا نستطيع استخدام الدلو الصغير الذي في الزورق؟».

t.me/t_pdf

«الدلو؟ هل فقدت عقلك أم ماذا؟».

«لا. لم أفقد عقلي. كان هذا اقتراحًا. لا أكثر».

أوه، لا. امتدت النار وخرجت عن كل سيطرة. كنت أحسّ حرارتها على مسافة أمتار كثيرة مني.

مكتبة

قال غيّير: «فلنترك هذا المكان. هيا بنا».

وهكذا، بينما كانت ألسنة اللهب تتراقص وتفرقع في العشب بضراوة متزايدة، دفعنا بالقارب إلى الماء، وجلس غيّير إلى المجذافين وبدأ يجذف بقوة أكبر من ذي قبل.

ظل يقول: «يا للجحيم! ما هذه النار؟ يا لها من نار!».

قلت: «نعم. من كان يمكن أن يتوقع هذا؟».

«لست أنا، على أية حال».

«ولا أنا. آمل ألا يراها أحد».

قال غيّير: «لا أهمية لهذا. الأمر المهم هو ألّا يكون أحدٌ قد رآنا».

بلغنا الشاطئ، فسحبنا الزورق عميقًا في الغابة حتى نخفي أي أثر ممكن. كانت كنزتانا ملوثتين بالسخام، فغسلناهما بماء البحر وعصرناهما جيدًا. ولمزيد من الاحتياط، خلع كل منا شورته وغسله بالماء أيضًا. إن أحب أحد أن يسألنا فسوف نقول إننا كنا نسبح بملابسنا أو أن ملابسنا سقطت في الماء. غطسنا في البحر بعد ذلك حتى نتخلص من رائحة النار. ثم سرنا في اتجاه البيت.

رأيت من بعيد أن ما من أحد في الحديقة أمام بيتنا. توقفت في ممر البيت: ما من صوت أبدًا. دخلت غرفة السخان، وعلّقت الكنزة، ثم صعدت إلى غرفتي عاري الصدر ولبست تيشيرتًا أخذته من الخزانة، ثم غيرت الشورت أيضًا.

نظرت من نافذة غرفة إنغفِه فرأيت أبي مستلقيًا على كرسي التشمس في المرج. كان يحب الاستلقاء في الشمس ساعات من غير أية حركة، كأنه سحلية. كانت سمرة جلده الدائمة شاهدًا على ذلك. صوت راديو آتيًا من مكان ما. لا بد أن أمي جالسة على الشرفة التي تحت غرفة المعيشة. أتت إلى غرفتي بعد ساعة من ذلك. كان معها مزيل رائحة اشترته من أجلي. كان مكتوبًا عليه «مام للرجال». عبوة زجاجية زرقاء اللون لها رائحة حلوة لطيفة. قلت في نفسي: للرجال! لقد كنت رجلًا، أو شابًا على الأقل. سأبدأ الذهاب إلى مدرسة جديدة بعد بضعة أسابيع، وسوف أستخدم مزيل الرائحة.

شرحت لي أمي أن عليَّ أن أضع مزيل الرائحة تحت إبطيّ بعد الاستحمام. لكن ذلك ينبغي أن يكون بعد الاستحمام دائمًا، ولا يجوز استخدامه من غير أن أكون نظيفًا، وإلا فسوف تصير رائحتي أكثر سوءًا!

وبعد ذهابها، فعلت مثلما قالت لي: ظللت برهة أستنشق الرائحة الجديدة، ثم عدت إلى الكتاب الذي كنت أقرأه. كان اسمه «*دراكولا*»، كتابي المفضَّل دائمًا. وكنت أقرأه للمرة الثانية، لكنه لم يفقد شيئًا من سحره.

نادت أمي من المطبخ: «العشاء جاهز». فوضعت الكتاب جانبًا وذهبت إليها.

كان أبي جالسًا على العشب، داكن الجلد، قاتم العينين. سكبت أمي ماء مغليًا في وعاء الشاي، ثم وضعته بيننا على الطاولة.

قالت: «اليوم، دعتنا مارثا إلى كوخهم البحري».

قال أبي: «غير وارد أبدًا. هل قالت لك أي شيء آخر؟».

هزّت أمي رأسها وقالت: «ما من شيء خاص».

أبقيت عينيّ مثبتتين على الطاولة أمامي، وتناولت طعامي بأسرع ما استطعت محاولًا ألا أبدو مستعجلًا.

انطلق صوت محرّك في مكان قريب؛ سعل مرتين، ثم صمت. نهض أبي ونظر من النافذة.

قال: «ألم تذهب أسرة غوستافسن في عطلة؟».

لم يجبه أحد. نظر إلي فقلت: «أجل. لكن رولف وليف توره لم يذهبا. إنهما وحدهما في البيت».

انطلق صوت محرك السيارة من جديد. ثم تحركت السيارة ببطء، وراح صوت محرّكها يعلو ويهبط ويتقطّع.

قال أبي: «على أية حال، هناك من يقود سيارتهم».

نهضت لكي أرى. فقال أبي: «اجلس مكانك».

جلست.

قالت أمي: «ماذا يحدث؟».

«يقود الأخوان سيارة أهلهما من غير إذن».
استدار أبي ونظر إلى أمي. قال لها: «أليس هذا أمرًا يصعب تصديقه؟».
استمر صوت محرك السيارة متقطعًا، متلعثمًا، وهي تمضي في الطريق الصاعدة.
قال أبي: «ألا يستطيعون أبدًا ضبط أولادهم. ليف توره في صف كارل أوفِه! لكنه لا يتورّع عن سرقة سيارة أهله!».
ابتلعت آخر لقمة من خبزي، وسكبت شيئًا من الحليب في فنجاني حتى يبرد الشاي. شربته سريعًا، ثم نهضت.
قلت: «شكرًا، يا ماما».
قالت ماما: «أهلًا وسهلًا. هل أنت ذاهب إلى النوم؟».
«أظن هذا».
«إذًا، تصبح على خير».
«تصبحين على خير».

أتى أبي قبل أن أطفئ مصباح غرفتي. قال لي: «اجلس».
جلست في فراشي.
نظر إليّ؛ حدق طويلًا. وقال لي: «سمعت أنك تدخّن، يا كارل أوفِه».
قلت: «ماذا؟ لم أدخّن أبدًا! أقسم لك على هذا. إنني أقول الحقيقة».
«ليس هذا ما سمعته. لقد سمعت أنك تدخّن».
رفعت رأسي سريعًا فالتقت عيوننا.
سألني: «هل دخّنت؟».
أطرقت برأسي وقلت: «لا».
ها قد بدأ الأمر؛ امتدت يده إلى أذني.
قال لي وهو يلويها: «لقد دخّنت. ألم تدخّن؟».
صرخت: «لاااا!».
ترك أذني.

قال لي: «أخبرني رولف أنك دخّنت. فهل تقول لي الآن إن رولف كان كاذبًا؟».

«أجل، لا بد أنه كاذب، لأنني لم أدخّن أبدًا».

«ولماذا يكذب رولف؟».

«لست أدري».

«ولماذا تبكي؟ إذا كان ضميرك نظيفًا، فلماذا تبكي؟ أنا أعرفك، يا كارل أوفِه. أعرف أنك كنت تدخّن؛ لكنك لن تدخن بعد الآن. ولهذا السبب، لن أفعل الآن أكثر من هذا».

استدار وخرج قاتمًا مثلما كان عندما جاء.

جففت عينيّ باللحاف، ثم استلقيت محدّقًا في السقف وقد طارت من عيني كل رغبة في النوم. لم أكن قد دخّنت أبدًا.

لكنه عرف أنني فعلت شيئًا! فكيف عرف؟

كيف يستطيع معرفة ذلك؟

لم نستطع في اليوم التالي أن نظلَّ بعيدين عن مكان فعلتنا، فذهبنا بالزورق ومررنا بالجزيرة الصغيرة.

قال غيّير وهو يريح مجذافيه. إنها سوداء كلها!

ضحكنا كثيرًا حتى كدنا نسقط في الماء.

صحيح أن هذا الصيف كان مثل كل صيف سبقه من حيث مظهره الخارجي -(ذهبنا إلى سورِبوفاغ، وذهبنا إلى بيت جدي وجدتي الصيفي، وأمضيت بقية الوقت متسكعًا هنا وهناك في منطقتنا السكنية مع كل من أجده هناك... إذًا لم أكن جالسًا أقرأ في غرفتي)- إلا أن محتواه كان مختلفًا كل الاختلاف لأن السنة المدرسية التي كانت في انتظاري بعد انتهاء الصيف ليست سنة مدرسية مثل غيرها من السنوات، لا... ففي احتفال نهاية السنة في حزيران، ألقى كبير المعلمين فينا كلمة لأننا كنا سنترك مدرسة ساندنز الابتدائية، ولأن أيامنا فيها قد انتهت: سوف نبدأ الصف السابع، بعد هذا الصيف، في مدرسة روليغهيدن الثانوية. لم نعد أطفالًا... بل صرنا فتيانًا وفتيات.

عملت في بستان طيلة شهر تموز. وكنت أذهب إلى الحقل منذ الفجر فأمضي الساعات تحت الشمس الحارة أقطف ثمار الفريز، أو أضعها في صناديق صغيرة، أو أرتّبها في علب من الكرتون، أو أطوي العلب، أو أذهب وأجلس على صخرة عند منتصف النهار حتى أتناول، بأقصى سرعة أستطيعها، طعامي الذي أحضره معي لكي أستفيد من وقت الاستراحة الباقي فأذهب على دراجتي إلى بحيرة غيّيرستاد للسباحة قليلًا قبل استئناف العمل. وسوف يكون المال الذي أكسبه مصروفَ جيب لي خلال مباريات كأس النرويج. فخلال الأسبوع الذي تقام فيه تلك المباريات، يذهب أبي وأمي للسير في الجبال. أتتنا موجة حر في ذلك الصيف، ولعبنا واحدة من المباريات على الرمل. كانت الحرارة شديدة إلى حد جعلني أنهار، فأخذوني إلى ما يشبه مستشفى ميدانيًا مقامًا في ذلك المكان حيث استعدت قواي تلك الليلة. وفي البعيد، كان أحدهم يستمع إلى أغنية «أكثر من هذا» لفرقة روكسي ميوزيك، فنظرت إلى سقف الخيمة وأحسست بسعادة لم أعرف مثلها من قبل. لم أدرك السبب، لكني عرفت أن هناك سببًا لسعادتي.

هل كنت سعيدًا لأنني صرت أتجول مع كيل طيلة تلك الأيام، وأغني أغاني فرقة «بوليس» في المترو بصوت مرتفع يجعل الجدران تهتز من حولي؟ هل كنت سعيدًا لأنني أثرثر مع الفتيات؟ هل كنت سعيدًا لأنني اشتريت من بائع في الشارع كميات كبيرة من شعارات الفرق الموسيقية من بينها شعار فرقة «سبيسيالز» وفرقة «كلاش»، فضلًا عن نظارة سوداء كنت أضعها منذ استيقاظي ولا أخلعها إلا عندما أنام؟

نعم، هذا هو السبب. كان كيل أكبر مني بسنة واحدة؛ وكان أكثر أولاد المدرسة شعبية لدى البنات. كانت أمه برازيلية، لكنه لم يكن متمتّعًا بتلك العينين البنيتين والشعر الأسود فحسب، بل بجسم قوي أيضًا؛ وكان موضع احترام الجميع. لذلك كلّه، كانت دفعة كبيرة لي أن يتقبّلني من غير اعتراض، فقد رفعني ذلك على الفور وجعلني في موقع أعلى من تيباكن ومن الأطفال الذين فيها. لم يكن أولئك الأطفال يحبّون قضاء الوقت معي، لكن كيل

كان راغبًا في ذلك؛ فماذا يهمّني بعد هذا؟ وأيضًا، ذهبت مع لارس إلى أوسلو فكانت رحلة فاقت آمالي كلها.

لعل هذا هو السبب الذي جعلني سعيدًا هناك إلى حد يصعب تصديقه. لكن لعل السبب كان أيضًا تلك الأغنية لفرقة روكسي ميوزيك! كانت أغنية ساحرة جدًا، جميلة جدًا؛ ومن حولي عاصمة بأسرها في ذلك الليل الصيفي الأزرق الشاحب، عاصمة لم تكن فقط مزدحمة بأناس لا أعرف عنهم شيئًا، بل أيضًا بمتاجر التسجيلات التي أجد على رفوفها مئات، بل حتى آلاف، الأسطوانات والكاسيتات لفرق جيدة حقًّا. رأيت المسارح الموسيقية الحقيقية التي تؤدّي فيها تلك الفرق أغانيها، تلك المسارح التي كنت أقرأ عنها فحسب. هدير الشوارع في البعيد، وفي كل مكان أصوات الناس وضحكاتهم، وفرقة «برين فيري» تغنّي «*أكثر من هذا... لا شيء هناك. أكثر من هذا... لا شيء هناك*».

ذهبنا جميعًا إلى جزيرة تورونغن ذات مساء في أواسط شهر آب. ذهبنا لصيد السرطانات البحرية في تلك الجزيرة الواقعة إلى الجنوب من هيسويا. كان أبي قد اشترى مصباحًا كشافًا قويًا يعمل تحت الماء، وأحضر معه مجرفة صغيرة وقناعًا وزعانف للغطس، فضلًا عن دلو صغير أبيض. طار سرب كبير من النوارس عندما رسَوْنا على شاطئ الجزيرة. راحت النوارس تحوم فوق رؤوسنا زاعقة، وكان بعضها ينقضّ على مقربة شديدة منا حتى يكاد يمسنا. كان مشهدًا- متوتّرًا، وكان مخيفًا؛ لكن الأمور هدأت قليلًا عندما سرنا إلى الناحية البعيدة من الجزيرة وصار البحر الأسود كالليل ممتدًا أمامنا، ساكنًا. أشعلت أمي نارًا؛ وخلع أبي ثيابه، ثم وضع الزعانف في قدميه ونزل في الماء حاملًا مصباحه في يده، ثم وضع نظارته على عينيه وراح يسبح تحت الماء. انساب الماء من فتحة التنفس عندما صعد إلى السطح من جديد.

قال: «لا شيء هنا. فلنجرّب إلى الأمام قليلًا».

سرت مع إنغفِه ببطء على امتداد الصخور الصقيلة. كانت النوارس مستمرة في زعيقها. وكانت أمي تعِدّ الطعام.

ها هو هناك يخرج إلى السطح من جديد. هذه المرة، كان في إحدى يديه سرطان كبير. كانت كلابتا السرطان مفتوحتين.

قال: «هات الدلو». نزل إنغفِه إلى حافة الماء فوضع أبي السرطان في الدلو، وسبح مبتعدًا من جديد.

انتابني شيء من الحرج: ما هكذا يصطاد المرء السرطانات البحرية! يجب أن يكون ذلك باستخدام مجرفة وباستخدام مصباح كاشف وأنت واقف على اليابسة. لكن الجزيرة كانت خالية، وما كان عليها أحد غيرنا.

بعد ذلك، عندما ملأت السرطانات الدلو إلى حافته، جلس أبي عند النار لكي يدفئ نفسه بينما كنا نشوي النقانق ونشرب المياه الغازية. وفي طريق عودتنا إلى الزورق، بعد أن أفرغ أبي دلوًا من ماء البحر على النار فانطفأت وأصدرت هسيسًا، اكتشفت نورسًا ميتًا مستقرًا في تجويف صخري. تحسّسته. لا يزال دافئًا. سرت ارتعاشة في ساقه فأجفلت. أليس ميتًا؟ انحنيت فوقه ولكزت صدره الأبيض بإصبعي. ما من استجابة. نهضت واقفًا. كان استلقاؤه هناك أمرًا مخيفًا. لا لأنه ميت، بل لأن ألوانه وخطوط جسده بدت لي واضحة وضوحًا فاحشًا. المنقار البرتقالي، والعينان السوداوان والبيضاوان. والجناحان الطويلان، وقائمتاه... عليهما حراشف كقوائم الزواحف.

سمعت صوت أبي من خلفي: «ماذا وجدت؟».

استدرت إليه فأضاء الكاشف في وجهي. رفعت يدي لكي أقي عيني من الضوء. قلت: «نورس ميت».

وجّه نور المصباح إلى الأسفل. قال: «دعني أراه. أين هو؟».

قلت مشيرًا إلى النورس: «هناك».

بعد لحظة واحدة، صار المصباح مسلطًا على النورس، فبدا كأنه مستلق على طاولة العمليات. لمعت عيناه عندما انعكس عنهما الضوء الشديد.

قال أبي: «قد تكون له أفراخ في مكان هنا».

«أتظن هذا؟».

«أجل. لا تزال أفراخ النوارس في أعشاشها. هذا ما جعلها غاضبة كثيرًا عندما أتينا. هيا بنا».

عدنا في اتجاه أضواء آرندال المتلألئة، فعبرنا لسان ترومويا البحري ووصلنا إلى المرسى. كانت طقطقة السرطانات وخشخشتها الشبحية لا تزال مسموعة من الدلوين الممتلئين. سلقها أبي فور عودتنا إلى البيت فكان لدي إحساس بالانعتاق لمشاهدة تلك العملية التي لا رحمة فيها: تؤخذ السرطانات من الدلو، ويلقى بها حية في ماء يغلي، ثم تعوم في الماء ميتة، منقلبة على ظهورها، في أغلفتها القاسية البيضاء مثل العظام، البنية مثل الأوراق الجافة.

انتقل عمل أبي إلى كريستيانساند بعد يومين من رحلتنا الليلية تلك. لقد عُرض عليه عمل في مدرسة ثانوية في فينيسلا. كان المكان بعيدًا لا يسمح بالسفر ذهابًا وإيابًا كل يوم. هذا ما جعله يستأجر شقة في بناية سكنية في سليتيّا. نقل ما يلزمه من حوائج على ثلاث دفعات مستخدمًا مقطورة استأجرها. ومنذ ذلك الوقت، صار يعود إلى البيت في عطلة نهاية الأسبوع؛ ثم لم يمض وقت طويل قبل أن تصير زياراته نادرة. كانت الفكرة أن يبحث عن بيت في منطقة كريستيانساند بحيث ننتقل للعيش هناك في فصل الصيف التالي.

كان ارتياحي عظيمًا عندما سافر أبي. وكان ذلك حظًّا طيبًا إلى حدٍّ لا يصدق، لأن تغيير مكان عمله جاء في الخريف نفسه الذي أبدأ فيه ذهابي إلى المدرسة التي ظل يُعلّم فيها ثلاثة عشر عامًا. لو ظلّ في تلك المدرسة لبقيت أحسّ بأن عينه عليّ طيلة الوقت، ولما جرؤت حتى على تحريك إصبع واحد من غير أن أفكر في العواقب أولًا. هكذا كانت الحال بالنسبة إلى إنغفِه؛ وأما الآن، فلن تكون كذلك بالنسبة إليّ.

ذكّرتني أيامي الأولى في مدرستي الجديدة بتلك الأيام التي عشتها عندما بدأت الذهاب إلى المدرسة قبل ست سنين من ذلك. كان المعلمون

جددًا كلهم لم أعرف أحدًا منهم قبل ذلك؛ وكانت المباني كلّها جديدة لم أعرف واحدًا منها قبل ذلك. وبمعزل عمن كنت أعرفهم من تلامذة صفي السابق، كان التلاميذ الآخرون جددًا كلهم لم أعرف أحدًا منهم قبل ذلك. في هذا المكان، كانت تسود قواعد وأنظمة مختلفة، وكانت تدور شائعات وقصص مختلفة... هنا، كان الجو كلّه مختلفًا تمامًا. لا يلعب أحد في هذه المدرسة. لا يلعب أحد لعبة «نط الحبل»، ولا يلعب أحد لعبة «الدقّة»، ولا يلعب أحد الكرة، ولا يلعب أحد أية لعبة من تلك الألعاب التي كنا نلعبها في باحة مدرستنا القديمة. كانت كرة القدم استثناء وحيدًا لأننا نلعبها هنا مثلما كنا نلعبها في مدرستي القديمة. لا... كان التسكّع في المكان كل ما يفعله الأولاد والبنات في فترة الاستراحة في المدرسة الجديدة. يتجمّع المدخنون وحدهم في زاوية عند المنطقة المسقوفة للوقاية من المطر فيثرثرون ويضحكون ويشعلون قداحاتهم ويدخنون سجائرهم. كانت لبعضهم سترات جلدية، ولبعضهم سترات من الجينز؛ وكان لدى أكثرهم دراجات آلية خفيفة لأن الدراجات كانت جزءًا من نمط حياتهم. وكان الأولاد يتداولون شائعات عنهم تقول إنهم يسرقون، مثلًا، أو إنهم أتوا إلى المدرسة سكارى في يوم من الأيام، أو حتى إنهم جرّبوا المخدرات. وبطبيعة الحال، لم يكونوا ينكرون ذلك، لكنهم لا يؤكّدونه أيضًا. كان يحيط بهم جو من الغموض والشر، فمن غير يون يمكن أن يقف معهم جنبًا إلى جنب منذ اليوم الأول من أيام المدرسة ويطلق ضحكاته الخشنة؟ كان من يقفون هناك، جميعًا، ممن يحتقرون قراءة الكتب، ويكرهون المدرسة. وكان أكثرهم متمتّعًا بشيء من المهارات اليدوية وراغبًا في الخروج إلى عالم العمل اعتبارًا من الصف الثامن. كانوا يحصلون على موافقة لترك المدرسة -كانت المدرسة سعيدة بالتخلّص من أولئك الفاشلين جميعًا، وكانت تعطي الموافقة لكل من يطلبها منهم. ولكن، إذا غضضنا النظر عن السجائر المتدلية من أفواههم، فلم تكن تصرفاتهم تختلف عن تصرفات بقية من في المدرسة، لأن الجميع كانوا يتكتّلون ضمن عُصب وجماعات مثلما

يفعل أولئك، ويثرثون ويضحكون. كانت للبنات جماعاتهن، وللأولاد جماعاتهم. وكان الأولاد يوقعون الفتيات أحيانًا فيشهد المكان قدرًا من التدافع والجري هنا وهناك، وقدرًا من السخريات الفظة. وفي حالات نادرة، تنشب مشاجرة بين اثنين من الأولاد لا تلبث أن تجتذب إليهما كل من يكون في ساحة المدرسة: هذه فُرجة تصعب مقاومتها.

استغرق التكيف مع حياة مدرستنا الجديدة عدة أسابيع. كان لا بد من اختبار كل شيء. وكان علينا أن نستكشف حدود معلمينا وما يفضله كل منهم. وأن نستكشف حدودنا أيضًا: ما يجري بين جدران غرفة الصف، وما يجري في الخارج.

كان لارسن مدرّس العلوم الطبيعية: مدرس يأتي إلى المدرسة ثملًا، ويبدو دائمًا كأنه أمضى الليل نائمًا على الأريكة بملابسه كلها، وأنه استيقظ قبل قليل فقط، مهما يكن توقيت درسنا معه. كان خاملًا على الدوام، وضعيف التركيز؛ إلا أنه كان محبًّا للتجارب، وللتدخين والنكات، فأحببنا دروسه. وكان كونراد مدرّس الموسيقى المسؤول عن نادي الشباب، يرتدي قمصانًا أشبه بالبلوزات من تحت صدّار أسود، ويضع نظارة. كان وجهه مدورًا، وله شارب وبقعة صلعاء في رأسه. كان نشطًا، مفعمًا بالشباب؛ وبالتالي، فقد كان على علاقة طيبة معنا جميعًا. وأما الرياضيات، فقد كان مدرّسنا، فيستاد، هو نفسه المدرس الذي كان مسؤولًا عن صف إنغفِه في السنة السابقة: رجل أصلع الرأس، متورّد الوجه، له نظارة وعينان ثاقبتان. كان اسم مدرّسة العلوم المنزلية هانسن: امرأة صارمة، رمادية الشعر، لها نظارة، تشبه المبشّرات؛ وكان لديها اهتمام خاص بتعليمنا كيفية قلي فطائر السمك وسلق البطاطس. معلّم نرويجي للغة الإنجليزية. ومدرس العلوم الاجتماعية كولوين الذي كان أيضًا مسؤولًا عن صفنا: رجل نحيل، طويل القامة، في آخر العشرينيات، له تقاطيع وجه حادة. كان نافد الصبر دائمًا؛ وعادة ما يحافظ على مسافة فاصلة بينه وبيننا؛ إلا أنه كان قادرًا أيضًا على إظهار لمحات خاطفة من التفهم والتعاطف. لم يكن أولئك المدرسون يكتفون بتقييم أدائنا

وإبداء ملاحظاتهم العامة علينا مثلما كان يفعل معلمو مدرستنا الأولى... لا، يعطوننا هنا درجات مقابل كل ما نفعله. وهذا ما خلق في الصف توترًا من نوع جديد تمامًا لأنه جعل كلًا منا مدركًا -بكل وضوح- مواطن القوة والضعف لدى كل من الآخرين. كان غير ممكن أن تخفي درجاتك عن الآخرين، أو لعله كان ممكنًا، لكن ذلك يعتبر سلوكًا سيئًا. كانت درجاتي متوسطة، بين B وB^+، وفي حالة نادرة كنت أحرز درجة A، أو أنحدر إلى C. لم أعد مهتمًا بالتكتم على درجاتي في غرفة الصف، بل بدأت أفصح عنها خارج الصف أيضًا لأنني بدأت في الشهور الأخيرة أرصد علاماتٍ فهمت منها أنه ليس من المستحسن كثيرًا أن يكون أداء المرء في المدرسة جيدًا، وأن درجة A (على الرغم مما قد يظنّه المرء) تعتبر مؤشرًا على خلل في الشخصية أو على نقص فيها، لا على عكس ذلك كما كان مقصودًا منها في الأصل. لقد كانت مكانتي في تراجع دائم قبل ذلك، فبدأت الآن أحاول عكس الاتجاه وإعادة بناء سمعة جيدة لنفسي من غير أن يكون لهذا الأمر تعريف واضح تمامًا. وبالطبع، كان ذلك كلّه قائمًا على الحدس وعلى تحسّس قواعد السلوك الاجتماعي التي يواجهها الناس في كل مكان. كانت لدي مزية ضخمة في هذا الميدان، ألا وهي كرة القدم حيث ألتقي أولادًا كثيرين من الصف الثامن ومن الصف التاسع. وكان من بين أولئك الأولاد أربعة أو خمسة ممن يتمتّعون باحترام ومكانة حقيقيّيْن لدى كل الأولاد والبنات معًا. وما كان في صفي أحد غيري قادر على الذهاب إلى العصبة التي فيها روني، على سبيل المثال، أو إلى العصبة التي فيها غيّير هيلغِه، أو كييل، أو إلى أولئك جميعًا دفعة واحدة، من غير أن ينظروا إلي نظرة استنكار ومن غير أن يبدأوا إزعاجي. صحيح أنهم لم يكونوا متعلّقين بي كثيرًا، وأنني لم أحصل منهم على الكثير؛ لكن النقطة المهمة لم تكن هنا، بل في أنني قادر فعلًا على الوقوف معهم وعلى جعل الآخرين يرونني واقفًا هناك. بين عشية وضحاها، تحول غيّير وغيّير هاكون وليف تورِه من شخصيات صغيرة مهمة إلى حمقى صغار. وما كان لأحد هنا أن يقيم لهم أي وزن... هنا، كان عليهم أن يبنوا أنفسهم من جديد، والرب

وحده يعرف إن كان لهم أن يفلحوا في ذلك خلال السنوات الثلاث التي سيمضونها في هذه المدرسة. لم أعد أنظر في اتجاههم إلا في الصف... وهذا مما لا يحسب له حساب هنا.

صار لارس أول أصدقائي منذ الأسابيع الأولى من المدرسة. كان في شعبة أخرى، وبالتالي، فقد مثّل شيئًا جديدًا: كان بيته في براتيكليف التي نادرًا ما نذهب إليها، نحن أبناء تيباكن؛ وكان يلعب كرة القدم. إنه شخص اجتماعيّ وله معارف كثيرون، وعلى علاقة حسنة مع الجميع. شعرٌ بنّي متموجّ، ومزاج طيب دائمًا، وضحكة واثقة، صدّاحة، رنانة. كان يعابث الجميع ويناكفهم من غير أي قدر من الخبث، إلا في أحوال نادرة. كان أبوه بطل تزلج أوروبي سابق، شارك في بطولات عالمية كثيرة وفي مسابقات أولمبية من بينها مسابقة «سكاو فالي». كان قبو بيتهم يغصّ بالكؤوس والميداليات والشهادات؛ وفيه إكليل غار ضخم أصابه الجفاف وذوى لونه. وجدت أباه رجلًا ودودًا، مراعيًا للآخرين، على الرغم من حزمه؛ وكان متزوّجًا من امرأة دانماركية مولعة بخدمة من هم حولها.

مع صداقة لارس، صرت في منجى من كل ما يمكن أن ترميني به تيباكن. وقد تغيرتُ في الوقت نفسه وكأن ذلك حدث بين عشية وضحاها: لم أعد مهتمًا بالأعمال الصالحة، بل على العكس تمامًا لأنني بدأت أشتم، وأذهب لسرقة التفاح، وأقذف بالحجارة مصابيح الشوارع ونوافذ السقائف. صرت ميالًا إلى الرد في وجوه المعلمين، وتوقّفت عن صلواتي التي كنت أتلوها للرب. هذا ما كان محتوى الحرية في ذلك المكان! أحببت سرقة التفاح، وصارت متعتي تزداد كلما ازداد حجم المخاطرة. أوقف دراجتي عند الرصيف صباحًا في طريقي إلى المدرسة، وأندفع داخلًا حديقة من الحدائق فأقطف خمس تفاحات، أو عشر تفاحات، في وضح النهار، ثم أركب الدراجة من جديد وأتابع سيري كأن شيئًا لم يحدث فيمنحني ذلك إحساسًا طيبًا لم أعرفه من قبل، بل لم أعرف أنه موجود أصلًا. كانت في طريقي حديقة حديثة العهد. وفي وسط تلك الحديقة شجرة تفاح صغيرة

عليها تفاحة واحدة. ليس المرء في حاجة إلى بذل مخيلة واسعة حتى يرى أن لتلك التفاحة أهمية خاصّة لدى الأب الذي غرس تلك الشجرة في فصل الربيع، ولدى طفليه الاثنين اللذين ينتظران بفارغ الصبر يوم تصير تلك التفاحة ناضجة للأكل (لا بد أنها كانت أهم تفاحة بالنسبة إليهما). كنت أرى تفاحتهم متدلية هناك، أراها كل صباح في طريقي إلى المدرسة. سرقت التفاحة آخر الأمر. لم أسرقها في المساء عندما يخيم الظلام وتزداد فرصة أن تمر تلك الفعلة من غير أن يراها أحد؛ لا... فعلتها في الصباح، في طريقي إلى المدرسة. أوقفت دراجتي، وتسلّقت السياج، وسرت في الحديقة، وقطفت التفاحة، وغرست أسناني فيها وأنا عائد أدراجي.

لقد انفتح أمامي عالم جديد. لم أبدأ بعد في محاولة السرقة من المتاجر، لكن الأمر كان يجول في ذهني، وكنت أدرس الاحتمالات. وأما في البيت، فقد كان التغير الوحيد الذي طرأ عليّ هو أنني صرت أتصرف بقدر أكبر من الحرية، وصرت أكثر سعادة، وأكثر كلامًا... أمور لم يظهر لي أن أمي رأت فيها شيئًا غير معتاد لأن قلّة الحرية كانت على ارتباط وثيق بحضور أبي في البيت، ولأن غضبه ما كان يحظى بأشد تعبيراته إلا عندما نكون معه وحدنا. وأما مع إنغفِه ومع أمي، فقد كنت هكذا على الدوام. كنت أتحدّث مع أمي عن كل شيء، هكذا كان الأمر؛ ونادرًا ما كنت أحدّثها عن أمور لها صلة مباشرة بالعالم الذي في الخارج. بل كان أكثر حديثي عن أمور أفكّر فيها وعن تصورات وأفكار من مختلف الأنواع. إلا أنني صرت في هذه الأيام أكثر انتباهًا إلى ما أقوله وما لا أقوله لها، لإدراكي أن من المهم أن يكون أحد العالَمين منيرًا ونظيفًا وبريئًا من الظلال الكثيرة التي في العالم الثاني.

انفتح العالمان معًا في هذا الخريف، لكن ذلك لم يكن مثلما ينفتح باب آلي الحركة، بل عملية عضوية حيّة تتحكّم بها عضلة: ينغلق العالم حولي من جديد كل يوم جمعة عندما يأتي أبي إلى البيت؛ وتعود أنماط السلوك المعتادة، وأقلّل حضوري في البيت إلى أقصى حدٍّ ممكن. لكن، وفي حين كان عالم البيت مألوفًا، وكان على حاله دائمًا، فقد كان العالم الخارجي غير

مألوف وغير قابل للتوقّع أبدًا. أو أنَّ -إن شئت الدقة- كان ما يجري فيه يحدث بوضوح ومباشرةٍ ومن غير أية مواربة.

كان لقاء نادي الشباب ينعقد في كل يوم جمعة في الصالة الرياضية القديمة في المدرسة. كان اللقاء مفتوحًا لتلاميذ المدرسة جميعًا. وعلى امتداد سنتين كاملتين قبل التحاقي بهذه المدرسة، كانت تلك الصالة الرياضية مكانًا أسطوريًا في نظري. مكانًا ساحرًا بقدر ما هو بعيد عن متناولي. كنت أرى إنغفِه يعتني بحسن ملبسه عناية مفرطة قبل ذهابه؛ بل إنه ربط منديلًا على عنقه مرة من المرات. كنت أعرف أنهم يرقصون هناك، وأنهم يلعبون كرة الطاولة والكاروم؛ وكنت أعرف أيضًا أنهم يبيعون الهوت دوغ والمشروبات الغازية، ويعرضون الأفلام أحيانًا، ويقيمون حفلات موسيقية ومناسبات خاصة. وكانت تدور بيننا أحاديث كثيرة عن أنه سيصير مسموحًا لنا دخول هذا المكان العجائبي ذات يوم. كان أكثر تلك الأحاديث عن الصالة الرياضية يدور بين البنات، لأنهنّ يعتبرن أنفسهنّ (أليس هذا شيئًا غريبًا؟) على صلة وثيقة به وكأنه مكان مخصّص لهنّ في المقام الأول، ثم للأولاد... أحيانًا.

عندما ذهبت على دراجتي أول مرة، كان إحساسي أنني أمر بما يشبه طقسًا من طقوس الانتقال إلى عالم جديد. كان هواء المساء لطيف البرودة. مررت بعدد من بنات الصف السابع عندما كنت صاعدًا في اتجاه المدرسة. لاحظت أن كل واحدة منهنّ قد اعتنت عناية خاصة بمظهرها. كانت أشكالهنّ مختلفة جدًّا عما كنت أراه في المدرسة. أوقفت الدراجة في الخارج، ومررت بجمع من الأولاد المدخّنين. اشتريت بطاقة دخول، ثم دخلت الصالة الرياضية المظلمة التي فيها بقع ضوئية ملونة متقافزة، وكرات ديسكو براقة، وموسيقى صادحة من مضخِّمَي صوت عملاقين. نظرت من حولي فرأيت عددًا كبيرًا من بنات الصفين الثامن والتاسع. لم تجُدْ عليَّ أيٌّ منهنّ ولو بنظرة واحدة - بالطبع. إلا أن أكثر الحاضرين كانوا من الصف

السابع، مثلي. لقد كنا الوحيدين الذين يمثل هذا المكان بالنسبة إليهم شيئًا جديدًا.

كانت حلبة الرقص خالية. رأيت أكثر البنات جالسات إلى طاولات عند الجدار، وأكثر الأولاد منتشرين في الغرف الأخرى حيث طاولات الكاروم وكرة الطاولة، أو أمام المدخل حيث يجد المرء دائمًا أولادًا متجّمعين هناك ومعهم دراجاتهم الآلية. كان أكثر تلك الدراجات ملكًا لأولاد تركوا المدرسة، لكنهم لم يتركوها منذ زمن بعيد إلى حد يجعلهم يفقدون اهتمامهم ببناتها.

لكني لم أكن هناك لكي ألعب كرة الطاولة، أو لكي أتسكع في موقف السيارات حاملًا بيدي زجاجة كوكا كولا. كنت أحب الموسيقى، وأحب الفتيات، وأحب الرقص.

لم أجرؤ على الرقص وحيدًا في الحلبة الخالية. لكنّ بنتين من صديقاتي بدأتا ترقصان متردّدتين، ثم انضمت إليهما اثنتان غيرهما، فتشجّعت وبدأت الرقص.

واصلت الرقص مأخوذًا بالإيقاع وبمسرّة معرفتي أنني مرئي. أغنية أولى، ثم ثانية، ثم ذهبت لكي أبحث عن أحد أعرفه. اشتريت كوكا كولا، وجلست مع لارس وإيريك.

كياني كلّه، واهتمامي بالملابس، وأهدابي الطويلة، ووجنتاي الناعمتان، وسلوكي الموحي بأنني أعرف كل شيء، وقدراتي الدراسية التي لا أُحسن إخفاءها... كان ذلك كلّه تربة خصبة جاهزة لوقوع واحدة من كوارث ما قبل البلوغ. لم يكن لسلوكي في تلك الأمسيات أن يثمر أي تحسن من هذه الناحية. لكنّي ما كنت أعرف عن ذلك شيئًا. لم أكن أرى شيئًا من الخارج، بل أعيش كل شيء من الداخل، حيث لا أهمية إلا لإيقاع «فونك تاون» النابض المغري، ولغناء فرقة «بي غيز» ذي الطبقة العالية علوًا غير طبيعي، وأغنية «قلب جائع» لسبرينغستيل، والظلمة المتلألئة، والفتيات المتجوّلات فيها... بأثدائهنّ وأفخاذهنّ وأفواههنّ وعيونهنّ، وبروائح

العطر والعرق المثيرة... هذا ما كان محتوى الأمر كله. كان ممكنًا أن أعود إلى البيت بعد أمسيات الجمعة هذه وقد استبدّ الدوار برأسي، وغرق كل ما هو معتاد في سحر غامض فصار يبدو لي فجأة كأنه في ضوء ضبابي، كأنه مظلّل أو غير واضح، لكنه مغر وجذّابٌ، وغني غنى لا حدود له، كأنه مليء بالآمال والاحتمالات. هذا لأن... ماذا؟... لأننا نتحدّث عن الذهاب إلى تلك الصالة الرياضية! هذا عالم فيه سولفي وهيغِه وأوني وماريانِه! غيّير هاكون وليف توره وتروند وسْفير! عالم فيه سندويتشات الهوت دوغ بالخردل والكاتشب! الطاولات والكراسي كانت مثل تلك الموجودة في غرف الصفوف. القضبان التي على الجدران هي نفسها التي تكون على الجدران أثناء دروس الرياضة. لكنها ظلّت من غير أية دلالة إلى أن أتت الظلمة وملأت الأنوارُ الوامضة المكان... إلى أن صار كلُّ شيء ممتَصًا إلى داخل دائرة السحر المظلمة الممتلئة وعودًا... إلى أن صار كل شيء من حولي عيونًا غائمة وأجسادًا ناعمة جميلة وقلوبًا نابضة وأعصابًا متقافزة. كنت في حالة دوار عندما غادرت نادي الشباب في يوم الجمعة الأول، ثم أتيت في يوم الجمعة التالي؛ أتيت متوترًا؛ أتيت مفعمًا بالترقّب.

الأمر الذي كان رائعًا في هذا المكان هو أنه يجعل من الأسهل عليك أن تكون مبادرًا تجاه الفتيات. عادة ما تكون الفتيات بعيدات عن المتناول؛ وفي الشهور الأخيرة، كان لأكثرهنّ مظهر موحٍ بالبعد عن العالم... كن يجلسن هناك في الشمس ويثرثرن في الاستراحاتَ، أو أراهنّ عاكفات على الحياكة وهن يستمعن إلى آلات التسجيل التي معهنّ. كان أكثر ما نفعله طفوليًا، وكان الوصول إليهنّ من خلاله أمرًا مستحيلًا. وقد حاولت ذلك لأنني لا أزال قادرًا على تكلم لغتهن، لكن محاولاتي لم تسفر عن شيء أبدًا. يذهب كل منا في سبيله لحظة يقرع جرس الانصراف من المدرسة.

إلا أن كل شيء كان مختلفًا في نادي الشباب، لأنك تستطيع فيه أن تذهب مباشرة إلى واحدة من الفتيات وتطلب منها أن ترقص معك. تستطيع فعل ذلك شريطة ألا تضع لنفسك هدفًا شديد العلو وتجرّب حظك مع واحدة

من أكثر الفتيات جاذبية في الصف التاسع ممن يحوم الفتيان حولها. عندها، يسير كل شيء على ما يرام... تقول لك الفتيات نعم؛ ولا يكون عليك إلا أن تمضي إلى حلبة الرقص، وتضغط نفسك على جسد الفتاة الناعم الدافئ وتتمايل يمينًا ويسارًا إلى أن تنتهي الأغنية. وكان هناك دائمًا أمل في أن يتطوّر الأمر إلى ما هو أكثر من ذلك... فربما تتبعه لفتات مسروقة وبضع ابتسامات صغيرة. لكن، حتى إن لم يحدث شيء من هذا، فإن تلك اللحظات كانت لها قيمتها في حد ذاتها... على الأقل، نتيجة ما تحمله من وعود بفردوس مستقبلي في حالة من العري التام. كانت كل فتاة ممن خرجت معهنّ حتى ذلك الوقت، آنِه ليزبيت، وتونه، وماريان، وكايزا، تذهب إلى المدرسة نفسها وإلى نادي الشباب نفسه. ومع أني كنت أحسّ طعنة في القلب كلما رأيتهنّ مع الأولاد الآخرين، فقد صرن ميتات بالنسبة إليّ، صرن تاريخًا، وما عدت أريد منهن شيئًا غير أن يمتنعن عن أن يقلن للآخرين أي شيء عن الشخص الذي كنته... في حالة كايزا خاصّة! أدركت أن ما جرى في الغابة كان سخيفًا؛ وأدركت أنني تصرّفت مثلما يتصرّف معتوه حقيقي. خجلت من نفسي كثيرًا وقررت منذ زمن بعيد ألا أخبر أحدًا بالأمر. لن أخبر أحدًا على الإطلاق، ولا حتى لارس. لارس خاصّة لا أريد إخباره بذلك! لكن كايزا ما كان لديها سبب يجعلها تشعر بالخجل من الحديث عما جرى، فظللت أرقبها بطرف عيني كلما كانت على مقربة مني لكي أرى إن كانت ستنحني وتهمس لأحد ما، فينظر الجميع إلي. لم يحدث هذا. لكن الضربات الموجعة أتتني من مصادر أخرى لم أتوقّعها. فمنذ أن كنت في الصف الرابع، لفتت نظري بنت اسمها ليزِه كانت في الشعبة الأخرى. كانت فتاة مليحة أحب النظر إليها، وأحب ابتسامتها، وأحب ما ترتديه، وأحب حدّة طبعها. كانت الفتاة التي تُعبّر صراحة عندما تكون غير موافقة؛ وكانت غير هيّابة أبدًا. لكن تعابير وجهها كانت لطيفة. وعندما بدأنا الصف السابع، صار جسدها ممتلئًا على نحو جميل. صارت عيناي أكثر انشدادًا إليها. كانت صديقة حميمة لماريان؛ وبعد أن هدأت الخلافات التي أعقبت انتهاء علاقتي بها، صرت أجلس مع

ماريان كثيرًا فنتحدّث أو نسير عائدين من المدرسة معًا. وفي واحدة من تلك المناسبات، نقلت لي ماريان شيئًا قالته عني ليزِه في ذلك اليوم.

ذهبت يومها إلى الصالة الرياضية القديمة التي تُستخدم صالة طعام نقصدها في الاستراحات، ونأكل ما في علب الغداء التي جلبناها من بيوتنا. دخلت الصالة؛ وعندما رأتني ليزِه التي كانت جالسة إلى طاولة مزدحمة جدًا، قالت، «أووف، إنه مقزز. يقشعرّ جلدي كلما رأيته». قالت لي ماريان بعد أن أخبرتني بهذا، «الحقيقية أنني غير متفقة معها، ولا أظن أيضًا أنك جيسي».

قلت: «جيسي؟».

«نعم. هذا ما يقوله عنك الجميع».

مكتبة
t.me/t_pdf

«ماذا؟».

«ألم تكن على علم بهذا؟».

«لا».

كأنما كان هناك نوع من اتفاق سرّي بين الجميع على عدم قول كلمة «جيسي» في وجهي قبل أن يتم إبلاغي بالأمر بطريقة مناسبة، لكن سرية. فبعد هذا الحديث مع ماريان، بدأ استخدام هذه الكلمة ضدي، وانتشر ذلك بسرعة الصوت. فجأة، صرت جيسي! صار الجميع يدعونني جيسي. الفتيات في الصف، والفتيات في الصفوف الأخرى، وبعض الأولاد في الصف، وأولاد في صفوف أخرى؛ بل حتى صرت أسمعها في فريق كرة القدم. ففي أحد الأيام، التفت إليّ يون أثناء التدريب وقال لي: «يا لك من جيسي فظيع!». وحتى الأطفال الأصغر سنًا... أطفال في الصف الرابع في منطقتنا السكنية... التقطوا تلك الكلمة وصاروا يصيحون بها في إثري: «جيسي، جيسي، جيسي». صرت أسمعها من حولي في كل مكان. لقد أصدروا علي حكمًا؛ وما كان ممكنًا أن يكون الحكم أسوأ من ذلك. إذا تجادلت مع أحد ما –مع كريستين تامارا، مثلًا– فإنها تقفز عن الحجج كلها وتسحقني تمامًا بأن تقول: «يا لك من جيسي. أنت، يا جيسي. يا جيسي. تعال، يا جيسي».

استولى عليّ هذا الأمر استيلاء تامًا، وما عدت قادرًا على التفكير في أي شيء آخر. صار أشبه بجدار أسود في وعيي، وكان تفادي ذلك الجدار مستحيلًا. وأسوأ ما في الأمر هو أنني ما كنت قادرًا على فعل أي شيء.

لم يكن ذلك أمرًا أستطيع إصلاحه بأن أتصرّف على نحو أقل تخنثًا، يومًا أو يومين، فيقول الجميع «أوه، تبيّن لنا أنك لست جيسي»... لا، فقد كان ذلك أكثر عمقًا، وسوف يظلّ ماثلًا إلى الأبد. كان لديهم شيء يستطيعون استخدامه ضدي؛ وقد استخدموه إلى أقصى حد. كان هذا مسلك الجميع، عدا لارس الذي اكتفى بالقول إن عليّ ألا أهتم أبدًا، فكنت في غاية الامتنان له لأن من أول الأفكار التي تبادرت إلى ذهني عندما بدأ هذا الأمر فكرة مفادها أن لارس لن يحب أن يراه أحد معي بعد ذلك... فجأة، صار هناك الكثير مما يمكن أن أخسره. لكن هذا الأمر لم يزعجه على الإطلاق. لم يقل غيّير لي تلك الكلمة، ولا داغ ماغنِه، ولا داغ لوثار. وبطبيعة الحال، لم يقلها لي أحد من المعلّمين والمعلّمات، ولا من الآباء والأمهات. لكن كل من عداهم صار يقولها. وقد أودت هذه الكلمة بكل ما لديَّ من مزايا: لا أهمية لما أستطيع فعله أو لا أستطيع فعله... فأنا جيسي!

في درس علم الأحياء، وبينما كنا على وشك دراسة التكاثر البشري (هكذا دعته السيدة سورسدال)، دخل غرفة صفنا جوستين الذي كان في الشعبة الأخرى، وكان حارس المرمى في فريق كرة القدم. جلس جوستين إلى طاولة خالية. لم ينتبه إليه أحد أول الأمر. وبدأ الدرس. وتحدّثت السيدة سورسدال عن المثلية الجنسية. فقال: «كارل أوفِه، يعرف كل ما يتعلّق بهذا الأمر. إنه واحد منهم، أليس كذلك؟ عليكِ أن تسأليه، وسوف يخبرك». أعقبت كلامه ضحكات متفرقة. لقد تمادى كثيرًا، ولم يلبث أن طُرد من الصف؛ لكن بذرةً قد أُلقيت. ألا يمكن أن أكون مثليًا أيضًا؟ أهذه هي المشكلة التي عندي؟ بدأت أفكر في الأمر. لقد كنت جيسيًا، وربما كنت مثليًا أيضًا... إن كان الأمر هكذا، فقد ضاعت آمالي كلّها. عندها، لن يبقى لدي ما أعيش من أجله. زمن مظلم... لم أعرف قبل ذلك زمنًا مظلمًا إلى هذا الحد.

وبالطبع، لم أقل شيئًا لأمي. إلا أنني استجمعت شجاعتي بعد بضعة أسابيع من ذلك وأخبرت إنغفِه. كان صاعدًا في الطريق متّجهًا إلى المتجر عندما لحقت به.

سألته: «هل أنت مستعجل، أم ماذا؟».

قال: «مستعجل كثيرًا. ما الأمر؟».

قلت: «إن لدي مشكلة».

«أوه، ما مشكلتك؟».

«إنهم يطلقون عليَّ ألقابًا».

التفت إلي كأنه غير راغب في معرفة شيء. سألني: «أية ألقاب؟».

قلت: «الحقيقة... حسنًا، إنها...».

توقف إنغفِه. سألني: «بماذا يدعونك؟ قل لي!».

«إنهم يدعونني جيسي. أنا جيسي في نظرهم».

ضحك إنغفِه.

كيف يمكن أن يضحك؟

قال لي: «يا كارل أوفِه، هذا ليس أمرًا مهمًا».

قلت: «يا إلهي! بل هو مهم جدًا! ألا تفهم ما أقوله لك؟».

قال: «فكّر في ديفيد بووي. إنه مخنث. ألا تعرف أن هذا أمر جيد في عالم الروك؟ ديفيد سيلفيان مخنث أيضًا».

قلت: «مخنث؟»... انتابتني خيبة أمل لأنه لم يفهم شيئًا. أجل. هوية جنسية غير واضحة. امرأة قليلاً ورجل قليلًا. نظر إليَّ وقال: «لن يطول الأمر هكذا، يا كارل أوفِه».

قلت: «الظاهر أنه سيطول»؛ ثم استدرت وعدت أدراجي إلى البيت في حين تابع إنغفِه طريقه.

كان ما قلته صحيحًا لأن الأمر لم يتوقف، إلا أنني اعتدته -على نحو ما- فقد كان الوضع هكذا: أنا هو الجيسي؛ وحتى إذا كان التفكير في ذلك

يعذبني بطريقة لم أعهدها من قبل، وحتى إذا كان ذلك يلقي ظلالًا كثيفة، فقد كان ما يحدث من حولي كثيرًا إلى حد يُبطل أثر كل ما عداه.

كانت الحياة تسوقنا في طريقها... هذا ما كان يحدث لنا. والواقع أنني كنت منساقًا مع الحياة دائمًا؛ لكن، وفي حين كانت النقطة المركزية في ما فعلته مع غيّير خلال السنوات الماضية كلّها هي البحث عن أماكن سرية، عن أماكن خاصّة بنا، فقد صار الأمر عكس ذلك الآن لأنني صرت ألتمس، مع لارس، الأماكن التي يمكن أن يحدث فيها شيء جديد. كنا نتسكّع في كل مكان، نذهب إلى هوفِه إن كان أمرٌ يحدث هناك. ونذهب إلى سكيلزو الواقعة إلى الناحية الشرقية من الجزيرة. ونتسكّع عند متجر B – MAX آملين أن يحدث شيء هناك، أو أن يأتي شخص. ونتسكّع حول محطة فينا. ونتجوّل في البلدة. ونذهب على دراجتينا إلى الصالة الرياضية الجديدة على الرغم من كوننا لن نمارس أية تمرينات رياضية هناك. ونصعد إلى قاعة الأبرشية حيث تُجري فرقة «تيمسينغ» تدريباتها، وذلك كلّه لأن في الصالة الرياضية فتيات، وفي فرقة «تيمسينغ» فتيات... كان هذا كل ما تتناوله أحاديثنا من أولها إلى آخرها. فتيات، فتيات، فتيات. فتيات أثداؤهن كبيرة، وفتيات أثداؤهن صغيرة. فتيات ستصرن جذّابات، وفتيات هنّ جذابات منذ الآن. صاحبة أجمل مؤخرة. صاحبة أطول ساقين. صاحبة أجمل عينين. من قد يكون لنا حظ معها. من لا سبيل لنا إليها.

في أمسية شتوية مظلمة، ذهبنا بالباص إلى هاستنسوند حيث تقيم فتاة من المشاركات في فرقة «تيمسينغ». كانت شقراء الشعر، ممتلئة الجسم بعض الشيء، لكنها ذات جمال أخّاذ. كنا مهتمين بها مع أنها أكبر منا بسنة كاملة. قرعنا الباب، ثم دخلنا وجلسنا في غرفتها، وتحدثنا خجلين عن هذا الأمر وذاك. كنا نتحرّق شهوة. ثم جلسنا مفعمين بالمشاعر المضطرمة في الباص الذي عاد بنا إلى البيت، ولم نكد ننطق بكلمة واحدة.

وفي واحدة من عطلات الأسبوع، ذهبت أمي لزيارة أبي في كريستيانساند فنام لارس عندي. أكلنا قطعًا من الدجاج المقلي، وشربنا الكوكا كولا،

وتناولنا الأيس كريم، وتابعنا التلفزيون. كان ذلك في الربيع، عشية اليوم الأول من أيار، وكان التلفزيون يعرض في تلك الليلة حفلة روك حتى يلزَم أولاد أوسلو بيوتهم ولا يخرجوا إلى الشوارع لإلقاء الحجارة. لم تكن لدينا أية مجلات إباحية لأنني لم أمتلك الجرأة الكافية للإبقاء على أية مجلة منها في البيت على الرغم من حقيقة أن أحدًا ما كان يتدخّل في حياتنا آنذاك. وهكذا كان علينا أن نكتفي برواية «صيف الحشرات» لكلوت فالدباكن، بذلك المقطع الذي قرأته مرات كثيرة جدًا فصار الكتاب ينفتح على تلك الصفحة من تلقاء ذاته. قررنا أنه لا ينبغي أن نبقى وحيدين، وأن علينا أن ندعو بعض الفتيات. اقترح لارس دعوة بينتِه.

سألت: «بينتِه؟ أية بينتِه».

قال لارس: «إنها الفتاة التي بيتها في هذه المنطقة. فتاة جميلة».

كدت أصرخ عندما سألته: «بينتِه؟ لكنها أصغر منا!».

كنت أرى بينتِه طيلة حياتي؛ وكانت صغيرة دائمًا... كانت دائمًا بنتًا لم أفكر فيها أبدًا. لكنها كبرت الآن، هذا ما قاله لارس... قال إنه رآها، وإن لديها ثديين، وكل شيء. ثم إنها مسرّة للعين! مسرّة حقيقية للعين!

لم أكن قد لاحظت شيئًا من هذا كلّه، وأما الآن... بعد أن قاله...

لبسنا سترتينا على عجل، وجرينا صاعدين في الطريق، وقرعنا جرس بابها. فوجئتْ بينتِه عندما رأتنا، لكنها قالت إنها لا تستطيع النزول إلى بيتنا. لا تستطيع فعل ذلك؛ ليس في هذه الليلة.

قلنا، لا بأس، في وقت آخر إذًا!

نعم، في وقت آخر.

عدنا إلى البيت وجلسنا أمام التلفزيون نتابع واحدة بعد أخرى من الفرق الغنائية ونناقش ما نراه، ونتحدّث عن الفتيات اللواتي نحب أن نكون معهن. وفجأة، احتلت مركز اهتمامنا فتاة اسمها سيف. هذه أيضًا، لم أفكّر فيها قبل ذلك. ذهبنا إليها، وقرعنا جرس الباب. لم تكن لدينا أية فكرة عما سيحدث بعد ذلك.

هكذا سرنا في حياتنا، مندفعين هنا وهناك، لا نعرف قرارًا، مفعمَيْن برغبة لا سبيل إلى ضبطها. كنا نطالع المجلات الإباحية؛ وكان النظر إلى تلك الصور فيها مؤلمًا ألمًا حقيقيًا... صورٌ قريبة جدًّا، لكنها بعيدة جدًا، بعيدة بعدًا لا آخر له؛ إلا أن ذلك لم يكن ليحول بينها وبين إثارة تلك المشاعر القوية جدًا في نفوسنا، القوية إلى حد هائل. كنت أشعر برغبة في الصياح عاليًا، بأعلى ما أستطيع، كلما رأيت فتاة؛ وأشعر برغبة في طرحها أرضًا وتمزيق ثيابها. كانت تلك الفكرة تجعل حلقي يتشنّج، وتجعل قلبي ينبض عنيفًا. كان أمرًا عجيبًا تفكيري في أنهنّ عاريات دائمًا تحت ملابسهن التي تكون عليهنّ وهنّ معنا، كلهنّ... فكرة أنهنّ قادرات -نظريًا- على خلع تلك الملابس من تلقاء أنفسهنّ. كانت تلك فكرة جنونية، مستحيلة.

كيف يستطيع المرء أن يسير هنا وهناك وهو مدرك هذا الأمر من غير أن يصيبه سُعار تام في آخر المطاف؟ هل يكبت الناس هذه المشاعر؟ هل يتظاهرون بالبرود؟

لم أكن قادرًا على هذا. ولم أكن قادرًا على التفكير في أي شيء آخر. كان ذلك كل ما في رأسي منذ لحظة استيقاظي في الصباح حتى لحظة استلقائي في الفراش ليلًا.

نعم، كنا نطالع المجلات الإباحية. كنا نلعب الورق أيضًا؛ وكان ورق اللعب رفيقًا دائمًا لنا أينما ذهبنا، وفي كل حال من الأحوال. كنا نذهب إلى بيوت أصدقائنا، ونذهب إلى نادي الشباب، ونستمع إلى الموسيقى، ونلعب كرة القدم، ونذهب إلى السباحة كلّما كان ذلك ممكنًا، ونسرق التفاح، ونتسكّع، ونتجوّل هنا، ونتجول هناك، ونتكلّم من غير انقطاع.

كيرستي؟

ماريانِه؟

توفِه؟

بينتِه - لِيل؟

كريستين؟

ليزِه؟

آنِه ليزبيت؟

كايزا؟

ماريان؟

لينِه؟

أخت لينِه؟

والدة لينِه؟

لم يحدث أبدًا في حياتي بعد ذلك أن كنت شديد المتابعة والانتباه، مثلما كنت في تلك السنين منتبهًا إلى الفتيات اللواتي من حولنا. في أوقات لاحقة، صار ممكنًا أن أشك في ما إذا كانت رواية *«رحلة إلى أستراليا»*، لسفين يارفول رواية حسنة أم سيئة، أو أن أشك في أن هيرمان بروخ كاتب أفضل من روبرت موسيل، لكنني لم أكن لأشك أبدًا، على الإطلاق، في أن لينِه كانت فتاة جميلة، وفي أنها كانت -على سبيل المثال- من فئة مختلفة تمامًا عن سيف والبنات اللواتي مثلها.

كان هناك أيضًا الكثير مما يجري في حياة لارس. كان يبحر بالزورق كثيرًا مع أبيه وأمه. ويبحر وحده في زورق صغير بمجذافين. كان ماهرًا في التزلج (يتقدمني بسنوات ضوئية)؛ وكان يذهب أحيانًا مع أبيه إلى آملي أو إلى هوفبن حيث كان له صديق في كل منهما، إيريك وسفينونغ. كنت ألزم غرفتي عندما يكون منشغلًا عني، فأستمع إلى الموسيقى وأقرأ الكتب وأتحدّث مع إنغفِه أو مع أمي. لم أعد أذهب إلى الغابة؛ ولم أعد أصعد إلى التلال؛ ولم أعد أذهب إلى مراسي الزوارق؛ ولم أعد أذهب إلى غامله تيباكن. مضيت على دراجتي لرؤية لارس في يوم أحد في آخر الشتاء. كان ذاهبًا إلى آملي مع أبيه ومع سفينونغ حتى يتزلجوا في منحدر التزلج المتعرّج هناك. خططنا منذ زمن بعيد لأن أذهب معهم، لكنني لم أستطع. وقد بلغت خيبة أملي هذه المرة حدًّا جعل عينيَّ تفيضان دمعًا من غير انتظار. رأى لارس ذلك فأشحت بوجهي وابتعدت على دراجتي. دموع؛ هذا سيّئ جدًا... هذا أسوأ شيء. اتصل بي عندما عدت إلى البيت. قال إن

لديهم متسعًا لي أيضًا. يستطيعون أن يعرّجوا على بيتنا لأخذي معهم. كان عليّ أن أرفض ذلك حتى أبيّن له أنني لم أنزعج كثيرًا؛ وكان عليَّ أن أوضح له أن دموعي (رأيت في تعبير وجهه أن تلك الدموع لم تعجبه أبدًا) لم تكن دموعًا في حقيقة الأمر، بل شيءٌ دخل في عيني... الريح هي ما هيَّج عيني وجعلهما تدمعان. لكنني لم أستطع ذلك فقد كان منحدر التزلج في آملي كبيرًا، وكان فيه تلفريك، وكل شيء. لم أذهب إلى ذلك المكان من قبل أبدًا. وهكذا، ابتلعت كبريائي، وذهبت معهم.

تزلّج أبوه على ذلك المنحدر برشاقة الخمسينيات التي لم أرها أبدًا قبل ذلك.

لكن دموعي أزعجت لارس؛ وقد أزعجتني أيضًا. لماذا لا يمكنها أن تفارقني الآن بعد أن صار عمري ثلاثة عشر عامًا؟ ما عاد الآن يمكن التماس عذر لها، فلماذا لا تتركني؟

بدأ يون يضايقني في واحد من دروس الأشغال الخشبية، فبكيت وغضبت كثيرًا إلى حد جعلني أضربه على رأسه ضربة قوية جدًا بوعاء خشبي. لا بد أن ذلك آلمه كثيرًا. طردت من غرفة الصف فخرجت إلى الممر؛ لكنه ضحك بعد ذلك وأتى إليّ واعتذر مني قائلًا إنه لم يعرف إن ذلك سيجعلني أبكي. قال لي إنه لم يقصد أن يجعلني أبكي. رأى الجميع كم كنت ضعيفًا، وكم كانت حالتي محزنة، ونتيجة ذلك ضاعت سدى كل محاولة بذلتها لكي أبدو قويًا، ولكي أصير محسوبًا واحدًا من الأولاد الأشداء. يون... يون الذي أظهر مؤخّرته للمعلم في أول يوم لنا في مدرستنا الجديدة... الذي جاء ذات صباح وقد حلّق حاجبيه... الذي بدأ يتغيّب عن المدرسة! كان الجميع يعتبرونه واحدًا ممن سيبدأون البحث عن عمل وهم لا يزالون في الصف الثامن. كانوا يرون أن من الواجب إنقاذه؛ وأما أنا فقد كنت أحاول إنقاذ نفسي. كان لدى لارس أثقال للتمرينات الرياضية في مرأب والده. وكان يتمرّن على رفع الأثقال. سألته بعد ظهر أحد الأيام إن كنت أستطيع أن أجرّب ذلك أيضًا.

قال: «أهلًا بك».
قلت له: «ما مقدار الثقل الذي تستطيع رفعه؟».
ذكر لي رقمًا.
سألت: «ألا تضع لي أثقالًا حتى أرفعها؟».
أجابني: «ألا تستطيع فعل ذلك بنفسك؟».
«لا أعرف كيف يفعلون ذلك».
«لا بأس. تعال معي».
نزلت معه إلى الأسفل. وضع الأثقال، ثم أسند القضيب الحامل لها على موضعه. نظر إلي فقلت: «أحب أن أفعل هذا من غير أن يكون معي أحد».
سأل: «هل هذا مزاح؟».
«لا. اصعد أنت، وسوف ألحق بك سريعًا».
«لا بأس».
استلقيت على المقعد بعد ذهابه. لم أستطع تحريك القضيب. لم أستطع رفعه سنتيمترًا واحدًا. أزلت نصف الأثقال التي وضعها، لكنّي لم أستطع رفع القضيب. أفلحت في تحريكه قليلًا... لعله تحرّك سنتيمترين أو ثلاثة سنتيمرات. كنت أعرف أن على المرء أن يخفّض القضيب إلى صدره، ثم يرفعه حتى يستقيم ذراعاه.
أزلت قرصين جديدين، لكني ما زلت غير قادر على فعل ذلك.
في آخر الأمر، أزلت الأوزان كلّها، واكتفيت برفع القضيب وحده من غير أن يكون عليه شيء. رفعته وأنزلته عدة مرات.
سألني لارس عندما صعدت: «كيف كان الأمر؟ ما الثقل الذي استطعت رفعه؟».
أجبت: «لم أستطع مجاراتك. اضطررت إلى إزالة اثنين من الأقراص».
قال لارس: «عظيم، هذا ليس سيّئًا أبدًا».
«أليس الأمر كذلك؟».

على امتداد تلك السنوات كلّها، ومنذ أن كنت مع آنِه ليزبيت في الصف الأول، كنت أظن أنني أتعلّم شيئًا كل مرة. كنت أظن أن الأمور ستتحسّن شيئًا بعد شيء، مع كل فتاة جديدة أصاحبها. لن تصيبني نكسات جديدة بعد كايزا! نعم، سيكون كل شيء في أحسن حال بعد كايزا لأنني صرت مدركًا جوهر الأمر، ولأنني صرت قادرًا على تفادي ارتكاب أغلاط جديدة.

لكن الأمور لم تسِر على هذا النحو.

وقعت في حب لينِه. كانت في صفي، لكن في شعبة أخرى. كانت أجمل فتاة في المدرسة كلّها. ما من فتاة غيرها تستطيع منافستها: لينِه فائزة دائمًا، بكل تأكيد. كانت أجمل من أية فتاة أخرى، لكنها كانت خجولًا أيضًا؛ ولم تكن لديّ أية تجربة من هذا النوع قبل ذلك. تلك الهشاشة المحيطة بها تجعل صعبًا على المرء ألا ينجذب إليها ويحلم بها.

كانت لها شقيقة في الصف التاسع اسمها توفِه؛ وكانت نقيضًا لها في كل شيء، على الرغم من جمالها: كانت جميلة بطريقة صاخبة، استفزازية، شقيّة. وكانت شعبيّة كل منهما بين الأولاد كبيرة. لكن شعبية لينِه كانت شعبية غير مباشرة لأنها من ذلك النوع من الفتيات اللواتي تنظر إليهنّ وتتحرّق عليهنّ سرًّا. على الأقل، هكذا كنت أنا. كانت عيناها ضيّقتين، ووجنتاها مرتفعتين، وخداها ناعمَيْن شاحبين كثيرًا ما يظهر عليهما شيء من الاحمرار. كانت رشيقة، وكانت طويلة. تميل برأسها جانبًا وتشبك أصابعها عندما تمشي. إلا أنه كان فيها شيء من أختها، شيء تراه أحيانًا عندما تضحك... التألق الذي يظهر في عينيها الزرقاوين المخضرّتين... شيء تراه في ما تشعّه عيناها أحيانًا من عناد وثقة كبيرة يصعب التوفيق بينهما وبين هشاشتها الحالمة المهيمنة على مظهرها العام. كانت لينِه وردة؛ كانت وردة! كنت أنظر إليها وأميل برأسي مثلما تميل برأسها. بهذه الطريقة، تصير لي صلة بها. بهذه الطريقة، يصير بيننا شيء مشترك. والحق أنني ما كنت قادرًا على أن آمل في ما يتجاوز ذلك لأنني رفعتها إلى مرتبة عالية جدًّا لا أجرؤ معها على مقاربتها بأي شكل من الأشكال. فمثلًا، كانت فكرة أن أطلب منها مراقصتي فكرة

بالغة السخف. كنت أعتبر الكلام معها شيئًا لا يمكنني التفكير فيه. جعلت نفسي قانعة بالنظر إليها والحلم بها.

بدلًا من ذلك، صرت أخرج مع هيلدِه. هي من طرحت الأمر عليّ، فقلت نعم. كانت في صف لينه نفسه. وكان لها جسد عريض، قوي، يكاد يكون بارز العضلات. وكانت أطول مني بمقدار نصف الرأس. إلا أنها كانت ذات تقاطيع وجه ناعمة، وشخصية ودود محبّبة. ثم أنهت العلاقة معي بعد يومين من ذلك... لأنك... هكذا عبرت عن الأمر... لست واقعًا في حبي، ولو قليلًا. لا شيء في رأسك غير لينِه. قلت لها، لا، فأنت مخطئة! لكنها كانت محقّة، بالطبع. كان الجميع على علم بذلك. كنت دائم التفكير في لينِه. وعندما نكون في الخارج وقت الاستراحة، أعرف مكانها دائمًا وأعرف من يكون معها؛ وما كان لهذا الانتباه كلّه أن يظل أمرًا غير ملحوظ.

وفي يوم من الأيام، قال لي لارس إنه سمع أحدهم يقول إنه سمعها تقول إنها ليست أبدًا غير ميالة إليّ. هذا على الرغم من حقيقة أنني جيسي، وعلى الرغم من حقيقة أنني بكيت في درس الأشغال الخشبية، وعلى الرغم من أنني كنت بطيئًا في ملعب كرة القدم، وعلى الرغم من أنني كنت شبه عاجز عن رفع أية أثقال.

نظرت إليها عندما كنا في الباحة وقت الاستراحة، فلاقت عيناها عيني. ابتسمت لي، ثم استدارت متوردة الوجنتين.

قرّرت أن عليّ أن أضرب الحديد وهو لا يزال حارًا. إما أن يتم الأمر الآن، أو لن يتم أبدًا. قررت أنّ ما من شيء أخسره. إن قالت لا... لا بأس... فلن يتغيّر شيء.

وأما إذا قالت نعم... أوه!

وهكذا، أرسلت لارس إليها يوم الجمعة. أرسلته مع سؤال. كان على معرفة جيّدة بها لأنهما أمضيا ست سنين في صف واحد. عاد لارس مع ابتسامة متراقصة على شفتيه.

قال لي: «لقد قالت نعم».

«أصحيح ما تقول؟».
«أجل. إنه صحيح. والآن، سوف تخرج مع لينِه».
عندها، بدأ الأمر كلّه من جديد.
هل أستطيع الذهاب إليها الآن؟
نظرت في اتجاهها، ابتسمت لي.
وماذا أقول لها عندما أكون هناك؟
قال لارس: «اذهب إليها الآن. أعطها قبلة مني».
لم يدفعني دفعًا حتى أجتاز الباحة وأذهب إليها، لكن الأمر كان قريبًا من ذلك.
قلت لها: «مرحبًا».
قالت لي: «مرحبًا». أطرقت رأسها. تحرّكت إحدى قدميها قليلًا على أسفلت الباحة. يا إلهي، ما أجملها!
آي... ياي... ياي... ياي!
قال فمي: «شكرًا لأنك قلت نعم».
ضحكت وقالت: «أهلًا وسهلًا. ما الدرس الذي لديك الآن؟».
«الدرس؟».
«نعم».
«ممم... إنه درس اللغة النرويجية، أليس كذلك؟».
قالت: «لا تسألني عن هذا».
رن الجرس فسألتها: «هل أراك في ما بعد؟ أعني بعد المدرسة؟».
قالت: «لا بأس. لدينا الآن تمرينات رياضية في الصالة نستطيع أن نلتقي بعد انتهائها».
لم تكن المسألة كيف سيصير الأمر بيننا، بل عدد الأيام التي ستمر قبل أن يتعثّر المسار وتضع لينِه نهاية للأمر كلّه. كنت أعرف هذا، لكنّي حاولت. كان لا بد من خوض المعركة. لا يمكنك أن تضمن شيئًا! وقد كانت لينِه حاضرة في كل دقيقة من يقظتي: حاضرة على هيئة إحساس متحمّس مندفع،

كإغراء مستمرّ؛ وحاضرة على هيئة إدراك أكثر سديمية وغموضًا لشخصها وجوهرها. نعم، عليّ أن أخوض المعركة على الرغم من أني، في حقيقة الأمر، لم يكن لدي ما أخوض المعركة به. ثم إنني لم أكن أعرف حتى موضوع تلك المعركة! أن أجعلها تظلّ معي... نعم... لكن كيف؟ بأن أكون على طبيعتي؟ أليس هذا مضحكًا. لا، سوف أحذو حذو الآخرين - أدركت هذا. خلال تلك الأيام، سعيت إلى وجود أشخاص آخرين عندما أكون معها حتى لا يقع عبء الكلام كلّه على كاهلي. أذهب إلى الصالة الرياضية مع لينِه. وأذهب إلى تيينّا مع لينِه. وأذهب إلى عبّارة سكيلسو مع لينِه. لقد أعطونا في المدرسة إنجيلاً لكل منا؛ وكان ذلك استعدادًا لدخولنا الكنيسة رسميًا في الخريف التالي. فوجئت عندما اكتشفت أنني أستطيع سؤالها عمّا فعلته بإنجيلها، وبأنني أستطيع القول لها إنني رميته. سيكون لدي موضوع أتحدّث عنه. وسوف أسأل من أراهم عما فعلوه بأناجيلهم. أصغت لينِه إليّ. تابعت لينِه ما قلته لها. ضجرت لينِه. كانت لينِه وردة. تبادلنا القبل عند تقاطع الطرق، وسرنا في الباحة يدًا بيد. لكني لم أكن أكثر من ولد صغير. ومع أن أسناني قد صارت مستوية بيضاء تمامًا بعد نزع جسر تقويم الأسنان، فإن ذلك لم يكن كافيًا... ضجرت لينِه مني. وفي بعد ظهر يوم من الأيام، عندما أتت معي إلى تدريب كرة القدم، رأيتها تغادر منصّة المتفرجين، ثم تختفي. ظلّت غائبة طيلة الساعة الأخيرة كلّها. ذهبتُ مع الآخرين وبدلت ملابسي. وكنت متوجسًا من أن يكون هناك أمر على غير ما يرام. توقّفت عند المدخل حيث كان مكتب الاستقبال، وحيث كانت آلة بيع المشروبات الغازية. نظرت إلى الخارج: رأيت لينِه راسموسن، ورأيت فيدار إيكر. كانا يثرثران ويضحكان. فهمت من أسلوبها في الضحك أن الأمر قد انتهى. كان فيدار قد ترك المدرسة في السنة الماضية؛ وكان واحدًا من أفراد المجموعة التي تتسكّع من حول محطة فينا. كانت لديه دراجة آلية؛ وكان متكئًا عليها تلك اللحظة.

صعدت إلى مقاعد المتفرجين، وجلست.

أتتني هيلدِه بعد نحو نصف ساعة من ذلك. جلست إلى جانبي.

قالت لي: «كارل أوفِه، لديّ أخبارك سيئة. لينِه غير راغبة في الاستمرار معك».

قلت: «نعم»، ثم أشحت بوجهي حتى لا ترى هيلدِه دموعي التي بدأت تجري على وجنتيّ. لكنها رأتها فنهضت واقفة كأن شيئًا لسعها.

قالت: «هل تبكي؟».

قلت: «لا».

كانت الدهشة واضحة عليها عندما قالت: «أنت واقع حقًّا في حبها، أليس هذا صحيحًا؟».

لم أجبها بشيء.

قالت: «لكن، يا كارل أوفِه».

مسحت دموعي بإحدى يديّ، ونشقت أنفي. استنشقت نفسًا مرتعشًا، بطيئًا.

«هل هي الآن في الخارج، هناك؟».

أومأت برأسها وقالت لي: «هل تحب أن أسير معك عندما تخرج؟».

«لا. لا. اذهبي فقط، يا هيلدِه».

نهضت واقفًا لحظة اختفائها خلف باب مكان جلوس المتفرّجين. ثم وضعت حقيبتي على ظهري وجريت. مسحت دموعي من جديد، وسرت مسرعًا في الممر. بلغت المدخل، وفتحت الباب المفضي إلى حيث كانا واقفين عندما رأيتهما.

سرت مطرق الرأس، وتجاوزتهما.

نادتني لينِه: «كارل أوفِه؟».

لم أجبها. وما إن صرت بعيدًا عن أنظارهما، حتى انطلقت جريًا.

صارت لينِه تخرج مع فيدار إيكر؛ وبقيت مسحوقًا عدة شهور. لكن الربيع أتى، وأتت معه طاقة غسلت كل شيء ونحّته جانبًا. ذهب تلامذة الصف الثامن والتاسع إلى مخيم المدرسة الذي يستمرّ أسبوعًا. لم يبق في المدرسة إلا الصف السابع، فسرى نوع من الجنون الذي عمّ الأولاد جميعًا

في تلك الأيام. بدأنا نهاجم الفتيات: ينقضّ واحد من الخلف فيرفع الكنزة، في حين يأتي واحد من الأمام ويمسك بالثديين العاريين بينما تصرخ البنت وتقاوم محاولةً الابتعاد. لكنّهنّ لم يكنّ يصرخن بأصوات مرتفعة بحيث يسمعها المعلمون. كنا نفعل هذا في الممرات، بين الدروس. وكنا نفعل هذا في الباحة. وكنا نفعل هذا في الأجزاء المقفرة من الطريق المؤدية إلى المدرسة. سرت شائعات قالت إن نيني وأولستين وآخرين ممن يتسكّعون عند محطة فينا قد أمسكوا بكييرستي، ومدّوها على الأرض، وأنزلوا بنطلونها، وأدخلوا فيها أصابعهم. وهكذا، ذهبت إلى بيتها ذات مساء مع لارس متصوّرين أننا قد نتمكّن من فعل الأمر نفسه. لكننا قرعنا الجرس ففتح لنا أبوها الباب. وعندما نزلت كييرستي وسألناها إن كنا نستطيع الدخول، سمعنا من فمها كلمة «لا» واضحة كل الوضوح: لا نستطيع الدخول، بكل تأكيد؛ فما الذي نفكّر فيه؟

إلا أن البريق الذي رأيناه في عينيها كان أكثر جرأة حتى من ذلك الذي كان في أعيننا. لقد فهمتْ تمامًا ما أردناه منها. التقينا بعد بضعة أسابيع في معرض الزوارق في هوفِه حيث ذهبت مع لارس إلى كشك تراوما الذي يبيع بطاقات اليانصيب. كانت معنا بطاقة قديمة رابحة. وضعنا تلك البطاقة جانبًا، ثم أخذناها معنا بعد أن انتهى السحب. تجولنا في المكان، ورحنا ننظر إلى الناس والزوارق على نحو لا يثير الشبهات لأننا اعتزمنا أن نحاول الاحتيال. ثم توقّفنا عند الكشك واشترى كل منا بطاقة وفتحها. وبينما انحنيت صوب نافذة الكشك لكي أسأل إن كانت بطاقتي قد ربحت شيئًا، أبدل لارس البطاقة الرابحة القديمة ببطاقته التي اشتراها. كان كل من كيرستيان وجون في الكشك؛ وقد رفضا تصديق لارس عندما ناولهما البطاقة الرابحة. قالا له إنها بطاقة قديمة، لكنّنا أنكرنا ذلك بإصرار شديد جعلهما آخر الأمر يقبلان بأن يعطيانا نصف الربح. وافقنا على ذلك، ثم ذهبنا حاملين معنا علبة الشوكولاته الضخمة. انفجرنا ضاحكين، لكننا مرتعشين ذعرًا مما فعلناه. ثم صادفنا كييرستي في مكان قريب.

سألها لارس: «ألا تحبين الذهاب في نزهة معنا؟».

قالت: «حسنًا»، فاجتاح جسدي كله شعور شديد الغرابة عندما قالت ذلك.

سرنا عبر الغابة، ونزلنا إلى الشاطئ الحجري. استلقينا هناك وبدأنا نأكل الشوكولاته.

كانت ترتدي بنطلونًا أحمر اللون، وسترة زرقاء مبطنة. لم تقل شيئًا عندما داعبت يدي، برفق، الناحية الخارجية من فخذها. ثم لم تقل شيئًا عندما داعبت فخذها من الداخل. كان لارس يفعل الأمر نفسه من الجهة الأخرى.

قالت لنا: «أعرف ما تريدان، لكنكما لن تنالا ذلك».

قلت: «نحن لا نريد شيئًا». ابتلعت ريقي، كان حلقي جافًا لشدة الرغبة.

قال لارس: «لا شيء».

داعبت ما بين ساقيها، ووضعت هناك يدي كلها. كنت قادرًا على الزعيق لشدة فرحتي ولشدة قنوطي. تسللت يد لارس صاعدة إلى سحاب سترتها. أنزل السحاب، ثم وضع يده داخل كنزتها. فعلت مثلما فعل. كان جلدها حارًّا؛ وكان أبيض اللون. أحسست بثدييها تحت يدي. كان ثدياها صلبين، وحلمتاهما قاسيتين. داعبت فخذها من جديد. وضعت يدي بين ساقيها من جديد. ثم ابتلعت ريقي بصعوبة عدة مرات، وارتكبت غلطة إنزال سحاب بنطلونها.

قالت: «لا. ماذا تظن نفسك فاعلًا؟».

قلت: «لا شيء».

انتصبت جالسة وأنزلت كنزتها.

مكتبة
t.me/t_pdf

قالت: «هل بقي شيء من الشوكولاته؟».

قال لارس: «أجل. ها هي». جلسنا هنا نأكل الشوكولاته وننظر إلى البحر كأن شيئًا لم يحدث. كانت الأمواج الكبيرة أشبه بانهيارات ثلجية عندما تتكسّر على الصخور المنخفضة الصقيلة. حامت فوقنا بضعة نوارس خافقة بأجنحتها. وعندما فرغت علبة الشوكولاته، نهضنا وسرنا عائدين عبر

الغابة إلى أن بلغنا المعرض من جديد. ودّعتنا كيرستين قائلة إنها قد ترانا من جديد. قررنا العودة إلى البيت. حتى نفعل ذلك، كان لا بد لنا من المرور بكشك اليانصيب حيث تركنا دراجتينا. كان هناك أوفيند، مدربنا. لم يظهر عليه السرور عندما لمحنا قادمَين. أنكرنا كل شيء. قال إنه غير قادر على إثبات شيء ضدنا، لكنه يعرف ما فعلناه. إذا لم نكن مذنبين، فما الذي جعلنا نقنع بنصف الجائزة؟ أنكرنا الأمر جملة وتفصيلًا. قال إن أمله فينا قد خاب، وإنه غير راغب في النظر إلينا ذلك اليوم. امتطينا دراجتينا وعدنا إلى البيت.

وقبل بداية المدرسة يوم الاثنين، رفع لارس كنزة سيف، ووضعت كلتا يدي على ثدييها. صرخت سيف وقالت إن هذا تصرف طفولي. ثم سارت بهدوء مبتعدة.

كان الدرس الأول درس اللغة النرويجية؛ وقد طُلب من كل واحد منا أن يستعير كتابًا من مكتبة المدرسة، ويقرأه خلال الأسبوع، ثم يكتب موضوعًا عنه. قلت إنني قرأت كل ما في المكتبة. لم يصدقني كولوين. لكن ما قلته كان صحيحًا. تمكّنت من إخباره بموضوع كل كتاب ذكره لي. وافق آخر الأمر على أن يسمح لي بالكتابة عن كتاب آخر. كان معنى ذلك أنه لم يبق لدي شيء أفعله في ذلك الدرس. أخرجت كتاب التاريخ، وجلست في مقعد تحت النافذة. ضباب مخيم في الخارج، لكن الطقس دافئ. كانت باحة المدرسة خالية. تصفّحت الكتاب، ونظرت إلى الصور التي فيه.

وفجأة، رأيت صورة امرأة عارية. كانت نحيلة إلى حد جعل ردفيها ناتئين كأنهما وعاءان مجوّفان. أضلاعها ظاهرة كلّها. رأيت بين ساقيها أجمة صغيرة سوداء. كانت من خلفها أسرّة ضيقة لمحت فيها أشكالًا أنثوية أخرى.

صدمةٌ في داخلي.

لم تكن شدة نحول المرأة ما صدمني، بل حقيقة أن ما من شيء جذّاب فيها على الرغم من عريها. صدمت أيضًا لأن الصفحة التالية كانت فيها كومة جثث ضخمة أمام قبر عميق فيه جثث كثيرة أخرى. كان هذا ما رأيته: السيقان سيقان فحسب، والأيدي أيدٍ فحسب، والأنوف أنوف فحسب، الأفواه أفواه

فحسب. شيء شُكِّلَ وصيغَ في مكان آخر كان الآن هنا، مبعثرًا على الأرض. وعندما نهضت واقفًا، داهمني شعور بالغثيان والاضطراب. ولما لم يكن لديَّ ما أفعله، فقد خرجت وجلست عند الجدار. صارت الشمس أكثر دفئًا على الرغم من احتجابها خلف الضباب. كان العشب النامي في شقوق الصخرة التي في وسط الساحة محاطةً بالجدران والإسفلت، وفي تجاويفها، طويلًا يتمايل في النسيم جيئة وذهابًا. لم يزُل عني غثياني، بل صار مرتبطًا بما رأيته... صار جزءًا منه. العشب الأخضر، والأزهار الصفراء، وثديا سيف العاريان، وفخذا كيبرستي الممتلئان، والمرأة الهزيلة في الكتاب.

نهضت وعدت إلى الداخل. ناديت غيّير فأتاني وفي عينيه نظرة متسائلة.

قلت له: «لقد وجدت صورة امرأة عارية. هل تريد النظر إليها؟».

قال: «بالطبع»، ففتحت الكتاب أمامه وأشرت إلى المرأة الشبيهة بهيكل عظمي.

قلت له: «ها هي هنا».

قال غيّير: «أوه، يا إلهي. أووف، ما هذا؟».

قلت: «ما الأمر؟ إنها عارية، أليس كذلك؟».

قال غيّير: «شيء مقرف. تبدو كأنها ميتة».

هكذا كانت تبدو، بالضبط. كأنها ميتة حية، أو كأنها موتٌ على صورة جسدٍ حي.

في الأسبوع الذي تلا ذلك، ذهبت مع أمي لزيارة أبي. كانت رؤيته في شقته أمرًا غريبًا. كانت شقته في طابق رابع في بناية عالية. شقة كلّها بيضاء تدخل أشعة الشمس عبر نوافذها فتملأها. كان الأثاث قليلًا جدًا فبدا المكان كأنه غير مسكون. ما الذي يفعله أبي هناك؟

أخذَنا بالسيارة إلى بيت جدي وجدتي، حيث تناولنا الطعام، ثم أعادنا إلى البيت. بدا لي أن ما من أحد يعرف على وجه التحديد متى سننتقل. كان الأمر يعتمد على عوامل كثيرة. ينبغي أن نبيع البيت. وينبغي أن نشتري بيتًا.

وينبغي على أمي أن تجد عملًا لها. وينبغي أن نغيّر مدرستينا. هذا ما جعلني أقلع عن محاولة إطالة التفكير في هذا الأمر. لكني لم أكن معترضًا أبدًا على ترك منطقتنا السكنية، ولا على ترك مدرستي. كنت أحس كأن أوراقي هناك قد صارت مستنفدة كلّها. كنت أرتكب الأغلاط تلو الأغلاط. فعلى سبيل المثال، خرجنا من الصالة الرياضية ذات يوم، وكنت واقفًا في الممر خارج الصف عندما أتت إليّ كييرستي.

سألتني: «كارل أوفِه، هل تعرف ماذا؟».

قلت: «لا». خشيت وقوع الأسوأ لأنني رأيت ذلك التعبير المتهكّم على وجهها.

قالت لي: «لقد كنا نتحدّث عنك قبل قليل. تبيّن لنا أنك لا تعجب أية فتاة في الصف كلّه».

لم أقل شيئًا. نظرت إليها غاضبًا. امتلأتُ حنقًا شديدًا مفاجئًا.

تابعت: «هل سمعت ما أقوله لك؟ أنت لا تعجب أي فتاة في الصف».

صفعتها بأقصى ما استطعته من قوة. حركة يدي، وصوت الصفعة الذي تلاها، الصفعة التي جعلت خدها قرمزي اللون... لفتَ إلينا كل من في المكان.

صاحت: «يا ابن الحرام»، ولكمتني على فمي. أمسكت بشعرها، وشددته. ضربتني في بطني، وركلتني على ساقي، وأمسكت بشعري أيضًا. صرنا زوبعة من الضربات والركلات وشد الشعر. وأنا... أنا البائس، المسكين، البائس المثير للشفقة، التافه الصغير، انفجرت باكيًا لأن كل شيء صار كثيرًا جدًّا، صار أكثر مما أطيق. صوت نحيبٍ مُزْرٍ أفلت من بين شفتيَّ فصاح كل من تجمعوا ناظرين إلينا، صاحوا جميعًا بعد ثوانٍ معدودة، «إنه يبكي!»... سمعتهم، لكني لم أستطع منع نفسي من البكاء. ثم شعرت بيد ثقيلة على رقبتي. كانت يد كولوين. كان ممسكًا بكييرستي، بالطريقة نفسها. سألنا غاضبًا عما نفعله... هل تتشاجران؟ قلت له إن ما من مشكلة بيننا، وقالت كييرستي، إن ما من مشكلة بيننا. اقتادونا إلى الصف؛ وكانت يد المعلم تدفع كلًا منا. صرتُ أضحوكة، لا لأنني كسرت القاعدة القائلة

إنه لا يجوز البكاء أبدًا، بل لأنني خرقت قاعدة أخرى، ألا وهي عدم جواز الدخول في مشاجرة مع أية بنت. وخرجتْ كيرستي من المشاجرة بطلة لأنها صفعتني وردت على ضرباتي بمثلها، ولم تبكِ أبدًا.

إلى أي دركٍ أستطيع السقوط؟

قال كولوين إن علينا أن نتصافح. تصافحنا، واعتذرت كيرستي، وابتسمت لي. لم تكن ابتسامتها ساخرة ولا متهكّمة. ابتسمت من كل قلبها؛ ابتسمت كأن بيننا نوعًا من التواطؤ.

فما معنى هذا؟

بدأ الحر في الأسبوع الأخير من شهر أيار. ذهب الصف كلّه إلى بوكوفيتر للسباحة. كان الرمل أبيض اللون. والبحر أزرق، والشمس متوهّجة في السماء فوقنا.

خرجت آنِه ليزبيت من البحر.

كانت ترتدي بكيني ومن فوقه تيشيرت أبيض اللون. كان مبتلًا، وكان ثدياها المدوران واضحين. لمع شعرها الأسود الرطب تحت أشعة الشمس. ابتسامة عريضة على وجهها. نظرت إليها، ولم أكن قادرًا على إبعاد عينيَّ عنها. لكني أحسست شيئًا إلى جانبي فالتفتت ورأيت كولوين. كان ينظر إليها أيضًا. أدركت على الفور أن نظرته كانت مثل نظرتي. رأى ما رأيته، وجال في رأسه ما جال في رأسي.

... عن آنِه ليزبيت.

إنها في الثالثة عشرة!

لم تطل تلك اللحظة أكثر من ثانية واحدة. خفض كولوين رأسه لحظة رأيته؛ لكن ذلك كان كافيًا. لقد أدركت شيئًا لم أكن أعرف أنه موجود قبل لحظة واحدة فقط.

بعد ثلاثة أيام من ذلك، أتى أبي لكي يأخذني من المدرسة في وقت مبكر. سنذهب لرؤية بيت واقع عند أحد الأنهار على مسافة عشرين

كيلومترًا من كريستيانساند. كانا يفكران في شراء ذلك البيت؛ وكان مطلوبًا مني أن أقول رأيي، وأن أكون صادقًا. ومن طريقة كلام أبي عنه... البيت قديم، من أوائل القرن التاسع عشر، وله حظيرة، وحوله قطعة أرض كبيرة من الممكن أن تكون فيها حديقة وحقل للخضار أيضًا. وهناك أشجار فاكهة كبيرة قديمة. وقد يكون ممكنًا أن نربي هناك دجاجات، فضلًا عن زراعة البطاطس والجزر والخضار المختلفة... قررت قبل رؤية البيت أن أقول له إنه يعجبني سواءٌ كان ذلك صحيحًا أم لم يكن.

كانت السماء زرقاء عندما وصلنا؛ وكان العشب أخضر، والنهر في الأسفل تتلامع صفحتُه. جريت من نافذة إلى نافذة محاولًا النظر إلى داخل البيت حتى يرى أبي شدة حماستي التي لم تكن غير صادقة كلّها، بل مبالغٌ فيها بعض الشيء. وهكذا تقرّر الأمر. سنشتري البيت إن كان شراؤه متاحًا. تقدّمت أمي إلى وظيفة في كلية التمريض؛ وسوف يتابع أبي عمله في المدرسة الثانوية؛ وسألتحق بمدرسة جديدة هنا. وأما ما سوف يفعله إنغفِه فكان أقل وضوحًا. لقد رفض الانتقال. وقف في وجه أبي وعارضه لأول مرة في حياته. تجادلا، فكان هذا أمرًا لم يحدث أبدًا من قبل. لم نكن نجادل أبي على الإطلاق. كان هو من يوبّخنا؛ وكنا الطرف الذي يتلقى ذلك التوبيخ.

لكن، ها هو إنغفِه يقول لا.

جُنَّ أبي غضبًا.

لكن إنغفِه ظل على رفضه.

قال له: «لا أريد قضاء سنتي الأخيرة في كريستيانساند. لماذا أمضي سنتي الأخيرة فيها؟ أصدقائي كلّهم هنا. وليس باقيًا لي في المدرسة إلا سنة واحدة. سيكون أمرًا سخيفًا أن أبدأ من جديد في مكان جديد».

وقفا متواجهين في غرفة المعيشة. صار إنغفِه في مثل طول أبي.

لم أكن قد لاحظت هذا من قبل.

قال أبي: «قد تظن نفسك كبيرًا، لكنك لست كذلك. عليك أن تظل مقيمًا مع أسرتك».

قال إنغفِه: «لا، لست مضطرًا إلى هذا».

قال أبي: «صحيح. هل تستطيع إخباري، كيف ستعيل نفسك؟ أنت تعرف أنك لن تنال مني قرشًا واحدًا».

قال إنغفِه: «سوف آخذ قرضًا».

«وهل تحسب أن هناك من يمكن أن يعطيك قرضًا».

«أستطيع طلب قرض دراسي. لقد تحقّقت من الأمر».

«هل تريد أن تأخذ قرضًا دراسيًا قبل أن تبدأ الدراسة؟ ما أذكى هذا القرار!».

«إن كان لا بد لي من هذا، فسوف أفعله».

«وأين تعيش؟ سوف نبيع البيت. وأنت تعرف هذا».

«سأستأجر غرفة صغيرة».

«إذًا، افعل ذلك. لكنك لن تتلقّى منا أية مساعدة. لن تتلقّى كرونة واحدة. هل تفهم ما أقوله لك؟ يمكنك العيش هنا إن أردت أن تكون معنا؛ لكن عليك ألا تأتي جاريًا إلينا طالبًا المعونة. عليك أن تتدبّر أمورك بنفسك».

«لا بأس. سأتدبّر أمري».

وهذا ما حدث.

مكتبة
t.me/t_pdf

صار معروفًا أنني سأنتقل عندما حل اليوم الأخير من سنتي السابعة في المدرسة، فاشترى لي من كانوا زملائي طيلة سبع سنين هدايا الوداع. أعطوني أولًا رأس ملفوف لأن اسمي (كارل، كما كان بعضهم يدعوني) يبدو شبيهًا بكلمة «Kål»[1] كما ننطقها بلهجتنا المحلية الثقيلة. صارت هذه الكلمة اسمًا لي. ثم قدّموا لي سعدانًا قماشيًا، لأنني أشبه السعدان.

تلك كانت هداياي. ثم خرجنا من بوابة المدرسة ولم أر زملائي بعد ذلك أبدًا.

(1) «Kål»: في اللغة النرويجية، تعني ملفوف.

لكن الأمر لم ينته تمامًا. كانت لدينا في تلك الأمسية حفلة للصف في بيت يوني. اجتمعت بضع فتيات في وقت مبكر من بعد ظهر ذلك اليوم من أجل تحضير ما يلزم للحفلة. ثم أتت بقيتنا على الدراجات نحو الساعة السادسة مساء. أقيمت الحفلة في الحديقة وفي القبو. وعندما خيَّم ليل الصيف على التلال، وتلألأت سقوف البيوت الحمراء في منطقتنا السكنية تحت أشعة الشمس الغاربة، بدأ زمام الحفلة ينفلت شيئًا بعد شيء على الرغم من أن أحدًا لم يتناول مشروبات كحولية. استيقظت أفكارٌ ورغبات كانت سرّية على امتداد السنة كلّها. ببساطة، كان الهواء مشبعًا بها. امتدت الأيدي تحت القمصان فلم يكن ذلك هجومًا، ولا قسوة، بل تقاربٌ بين أجمات الليلك في الحديقة، وسط لهاث حار... أفواه تلاقت، وأفواه تبادلت قبلًا؛ ثم خلعت عدة فتيات قمصانهنّ وتجوّلن في المكان بأثداء مترجرجة. كان ذلك نوعًا من حفلة مجون في أوائل سن البلوغ، شيئًا كان الضغط الداخلي المطالِبُ به يتراكم بطيئًا. الفتيات أنفسهنّ اللواتي قلن قبل شهر واحد فقط إنني لا أعجبهنّ، قدَّمن أنفسهنّ إليّ واحدة تلو أخرى. جلسن في حضني، وقبلنني، ودعكن أثداءهنّ على وجهي. ما عاد لـ«التراتبية» التي أقامتها الفتيات، والتي شهد الخريف صعود مواقع بعضهنّ فيها وتراجع مواقع غيرهنّ، أيُّ مغزى هنا... وما عاد مهمًا من يكون هذا الفتى أو ذاك. ضغطت وجهي على أثدائهنّ البيضاء الناعمة، وقبّلت حلماتهن الداكنة المتصلّبة، ومررت بيدي على أفخاذهن، وبين سيقانهنّ، فلم يقلن لا: ما كانت في أفواههنّ كلمة «لا» في هذه الليلة، بل كنّ تملن عليّ وتقبّلنني... عيونهنّ دافئة، داكنة في الظلمة، لكن فيها أيضًا دهشة لا بد أنها كانت في عينيَّ أيضًا... أنحنُ من يفعل هذا؟... حقًا؟

لم أرَ أيًا منهم منذ ذلك الصيف. وإذا بحثت عنهم في الإنترنت لكي أرى كيف صارت أشكالهم، أو كيف كان أثر الحياة عليهم، فلن يفاجئني شيء مما أراه. هم غير منتمين إلى ذلك الصف الذي كان هناك، بل إلى فئة الآباء والأمهات، من ذوي الياقات البيضاء والزرقاء، ممن ترعرعوا

بعيدًا عن المركز وظلوا -هذا ما أفترضه - بعيدًا عن المركز في كل أمر، عدا حياتهم الخاصّة بهم. لا فكرة عندي عمن أكونه بالنسبة إليهم؛ وأظنّني بقيت في أذهانهم ذكرى غائمة عن شخص عرفوه في ما مضى، في سنوات طفولتهم. هذا لأن كلًا منهم فعل الكثير لغيره خلال حياته منذ ذلك الحين، وجرت لهم أمور كثيرة جدًا كانت لها آثار كبيرة تجعل الحوادث الصغيرة التي جرت في طفولتهم من غير أهمية تتجاوز ما قد يكون للغبار الذي تثيره سيارة عابرة، أو لبذور زهرة ذابلة تذروها نفخة من فم صغير. و... آه... أوَليست هذه صورة جميلة؟ صورة تناثر الحوادث في الهواء، حادثة بعد حادثة، تناثرُها على المرج الصغير الذي هو التاريخ الخاص بكل إنسان، تناثرها وسقوطها بين أنصال العشب، واختفاؤها؟

بعد انطلاق شاحنة النقل الصغيرة وجلوسِنا في السيارة، أمي وأبي وأنا، ومُضيِّنا نزولًا في الطريق، وعبورِنا الجسر، فاجأني إحساس ارتياح غامر لأنني لن أعود أبدًا، ولأن كل ما أَراه في تلك اللحظة أراه آخر مرة. ارتياحٌ لأن البيوت والأماكن التي تختفي من خلفي كانت تختفي من حياتي أيضًا، تختفي إلى الأبد. قليلٌ ما كنت أعرفه وقتها من أن كل تفصيل من تفاصيل هذا المشهد، وكل شخص ممن يعيشون فيه، سيظلّ مطبوعًا في ذاكرتي إلى الأبد، وسيظل له رنينه الحقيقي، نغمته الحقيقية التي لا شائبة فيها.

مكتبة
t.me/t_pdf

عن المترجم

الحارث محمد النبهان

من مواليد دمشق - سورية، سنة 1961. حائز على إجازة جامعية في الهندسة الميكانيكية من جامعة دمشق. كانت بداية عمله في الترجمة سنة 1991. صدر له أكثر من أربعين عملًا مترجَمًا؛ من أهمها:

- نعوم تشومسكي: «سنة 501، الغزو مستمر»،
- هوارد زِن: «ماركس في سوهو» - مسرحية،
- إريك هوبسباوم وتيرنس رينجر: «اختراع التقاليد»،
- تشارلز تايلر: «المتخيّلات الاجتماعية الحديثة»،
- إيفان كليما: «حب وقمامة» - رواية،
- جورج أورويل: «1984» - رواية،
- جون ستيوارت مِل: «سيرة ذاتية»،
- سول بيلو: «مغامرات أوجي مارتش» - رواية،
- سنكلير لويس: «بابيت» - رواية،
- كارل أوفِه كناوسغارد: «كفاحي» - سيرة روائية صدر منها («موت في العائلة» و«رجل عاشق»).
- لاسلو كراسناهوركاي: روايتان: تانغو الخراب» و«كآبة المقاومة»
- فيليب روث: «حكاية أميركية» - رواية،
- دونا تارت: «الحسّون» - رواية.

مكتبة
telegram @t_pdf

رواية كفاحي بشَّرت بقدوم تحفة أدبية إلى العالم.. بدايةً من جزئها الأول: "موت في العائلة" حتى آخر أجزائها. تتدرّج الروايات في سرد الحياة من الطفولة إلى النضج مكوّنة بمجموعها بورتريه آسر لحياة الإنسان.

بأسلوبه الصادم المباشر الذي كتب به الجزأين الأول والثاني من كفاحي، يصف كناوسغارد المرحلة الأولى من حياته، فترة تكون فيها الانتصارات والهزائم حادة التأثير حيث تبوء كل محاولات تعريف الذات بالفشل.. هذه رواية عن العائلة والذكريات وعن كيف أننا لم نصبح أبدًا ما نطمح أن نكونه.

حصل كناوسارد على جائزة النقّاد النرويجيين في مجال الأدب وغيرها من الجوائز الأدبية الرفيعة وتُرجمت أعماله إلى أكثر من خمس وثلاثين لغة حول العالم.

***

هذا الكتاب حوَّل كناوسغارد إلى ظاهرة عالمية.

New York Times

يستشعر كناوسغارد الرِفعة في اعتياد اليومي.. جزيرة الصبا تعكس فرح وقلق الطفولة حتى بدايَات الشباب، يعيد فيها كناوسغارد ببراعة محترف خلق تلك الأحاسيس المفرطة.

Times Literary Supplement

رواية كفاحي أصبحت أيقونة في أدب القرن الواحد والعشرين ولا يزال أمامنا ثلاثة أجزاء أخرى منها للقراءة.

Sunday Express

مع صدور الجزء الثالث من كفاحي يستمر كناوسغارد في ترسيخ سمعته الأدبية كواحد من أكثر المؤلفين المعاصرين حيويةً وأصالة.

The Observer

ISBN 978-614-472-178-0
9786144721780

التنوير
daraltanweer.com